

ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
MIZAN YAYINEVI

استانبول ٢٠٠٧

تأويلات القرن

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكرطوپال اوغلى

تحقيق
الدكتور خليل ابراهيم قجار

دار الميزان
MIZAN YAYINEVI

جميع الحقوق محفوظة
لأحمد وانلي أوغلي و محمد معصوم وانلي أوغلي

النسخ الخطية لكتاب تأويلات القرآن التي التزمنا بها في التحقيق

- ر: نسخة راشد أفندي - مكتبة راشد أفندي، محافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.
- ن: نسخة نور عثمانية - مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.
- ع: نسخة عاطف أفندي - مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.
- م: نسخة مهرشاه - مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.
- شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية - مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

- صح ه: ورد التصحيح بhamش النسخة الخطية.
- ر ه: هامش النسخة الخطية، مكتبة راشد أفندي الخ.
- و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.
- ظ: ظهر الورقة لها.
- : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.
- + : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المؤمنون^١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١]

قوله عز وجل: **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**. الفلاح، قال قائلون: الفلاح^٢ هو البقاء، أي بقي المؤمنون. وقال قائلون: الفلاح السعادة، وقال: الفلاح الفوز، وأمثاله. وفي قوله: **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**، إلى آخر ما ذكر دلالة أن من المؤمنين من لم يكن^٤ بهذا الوصف الذي وَصَفَ هؤلاء، وأن اسم الإيمان يقع بدون^٥ الذي ذكر^٦ في هذه الآية، لأنه^٧ لو لم يكن [كذلك] لم يكن^٨ لذكر ما ذُكِرَ من الخشوع في صلاتهم والحفظ لفروجهم والإعراض عن اللغو معي؛ دل أنه يكون مؤمنا بغير^٩ الوصف الذي وصف هؤلاء. وكذلك في قوله: **وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ**^{١٠}، وقوله: **مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**^{١١}. فدل أن فيهم من ليس بعدل وفيهم من لا يُرَضَى في الشهداء^{١٢} حيث حصص العدل والمرضى في الشهادة.

^١ ر - سورة المؤمنون؛ ن + أيضا مكية؛ ع م + وهي مكية.

^٢ ن - الفلاح.

^٣ ر م: في قوله.

^٤ جميع النسخ: من هؤلاء؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١١ ظ.

^٥ ع: دون.

^٦ ع: ذلك.

^٧ ع - لأنه.

^٨ ر ع م - لم يكن.

^٩ ع: يعني.

^{١٠} ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (سورة الطلاق، ٢/٦٥).

^{١١} ﴿وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٨٢).

^{١٢} ع: في شهداء.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [٢]

وقوله: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، قال الحسن: الخشوع هو الخوف الدائم اللازم في القلب، وقال غيره: الخشوع في القلب. وأصل الخشوع كأنه آثار دُلَّ من الخوف تظهر في الوجه وفي الجوارح^١ كلها، لا الخوف^٢ الذي ذكر هؤلاء. ألا ترى أنه قال: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ^٣، وقال: خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ؛^٤ دل هذا أن الخشوع هو آثار ذل من خوف يظهر في الوجه والجوارح كلها. ولذلك قال بعضهم: الخشوع في الصلاة هو أن لا يعرف مَنْ عن يمينه وشماله، لأن ذلك يَشغله عن العلم بمن يليه. وأصله ما ذكرنا. **وانه أعلم.**

[٥٠٣س ٧] * وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، قال: الإقبال عليها والذلة عليها. وعن علي رضي الله عنه قال: الخشوع في القلب، وأن ثلثين كَتَفَكَ^٥ للمرء المسلم، وأن لا تلتفت في صلاتك.^٦ وقيل: التواضع. وأصله ما ذكرنا.* [٥٠٣س ٩]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [٣]

وقوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، اللغو كأنه اسم كل باطل واسم كل ما يُلغى ولا يُعبأ به.^١ أخبر أنهم يُعْرِضُونَ عن كل باطل وعن كل ما نُهوا عنه، ويُقبلون على كل طاعة وبكل ما أمروا به.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [٤]

والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، يحتمل الزكاة^١ التي بها تُزَكُّوا أنفسهم عند الله. وجائر [أن تكون] الزكاة المعروفة المعهودة. أخبر أنهم فاعلون ذلك مؤدُون. وجائر أن يكون ذكر هذا من المؤمنين من الطاعة لله والائتمار لأمره والرضا به مقابل ما كان من المنافقين من الكراهية في الإنفاق

^١ ر م: والجوارح.

^٢ ع: إلا الخوف.

^٣ سورة الغاشية، ٢/٨٨.

^٤ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ (سورة القلم، ٤٣/٦٨).

^٥ والكَتْفُ: الجانب والناحية (لسان العرب، «كف»).

^٦ تفسير القرطبي، ٣٧٥/١.

* وقع ما بين النحمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٣/٧-٩.

^٨ ن: بها.

^٩ ن ع + الزكاة.

والصلاة على الكسل والمرآة، كقوله: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ،^١ الآية، وقوله: وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ،^٢ وقوله: لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ،^٣ نَعَتَهُم بِالْكَسَلِ وَالْخِلَافِ وَتَرَكَ الْإِنْفَاقَ وَالْمِرَاةَ فِي الطَّاعَاتِ، وَنَعَتِ الْمُؤْمِنِينَ بِضَدِّ ذَلِكَ وَبِالرَّغْبَةِ فِي أَمْرِهِ وَالِانْتِهَاءِ عَنْ مَعَاصِيهِ وَنَوَاهِيهِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [٥] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [٦]

وقوله: والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، استثنى في هذا [ولم يستثن فيما ذكر في أول الآية من اللغو وغيره]،^٤ لأن هذا مما يحل في حال ويحرم في حال. وأما اللغو وما ذكر من أول الآية إلى آخره لا يحل. واللغو حرام في الأحوال كلها، وكذلك ترك أداء الأمانة والزكاة والصلاة مما لا يحل تركه بحال.

وقوله: فإنهم غير ملومين، ذكر أن لا يلحقهم لائمة في ذلك -والله أعلم- لوجهين. أحدهما لقول الثنوية، لأنهم لا يرون التناكح، فأخبر أن لا لائمة في هذين وإنما اللائمة في غير هذين. والثاني ذكر لإبطال المتعة لأنه استثنى الأزواج وما ملكت أيمانهم، والمتعة ليست في هذين اللذين استثناهما، ثم أخبر أن لا لائمة في هذين وفيما عداهما لائمة. والمتعة مما عدا هذين، وهو ما قال: وَلَا تَكْرِهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ.^٥ وإلى هذا يصرف حفظ الفروج، وإلا كان عامة الناس يحفظون فروجهم عن الزنا ويعرفون حرمة، لكنهم كانوا يستبيحون^٦ المتعة والإجارة فيها فحرم ذلك. ثم قال:

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [٧]

فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، هو المجاوز^٧ عن الحد الذي حد له.

^١ سورة النساء، ٤/١٤٢.

^٢ ﴿وما منعم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسَالٌ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٤).

^٣ جمع النسخ: وقولهم.

^٤ ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يتفقوا﴾ (سورة المنافقون، ٧/٦٣).

^٥ الزيادة من الشرح، ورقة ٥١١ ظ-٥١٢ و.

^٦ ن: إبطال.

^٧ ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصننا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٣).

^٨ ع: يستحيون.

^٩ ر ع م: المجازي.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [٨]

وقوله: والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، يحتمل الأمانات العبادات والفرائض التي فُرضت عليهم. راعوها، أي أدوها في أوقاتها، والعهود التي فيما بينهم وبين ربهم. أو أن يكون الأمانات التي وُضعت عندهم، والعهود التي فيما بينهم وبين الخلق^١. راعوها، أي حفظوها وأدوها إلى أربابها ولم يضيعوها. والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [٩]

وقوله: والذين هم على صلواتهم يحافظون، يكون محافظة الصلاة بوجوه. أحدها يحافظونها بأركانها وفرائضها ولوازمها وآدابها. والثاني يحافظونها^٢ بأسبابها التي جعلت لها من الأوقات والطهارات وستر العورات وغيرها من الأشياء التي لا تقوم الصلاة إلا بها. والثالث يحافظونها^٣ بالخشوع والوقار وإظهار الذل له والإخلاص له وغير ذلك من الأشياء مما يُدب المصلي إليه، وعلى ذلك جميع ما ذكر من الأمانات وغيرها. والله أعلم.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [١٠] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١١]

وقوله: أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، الوارث هو الباقي عن المورث، [٥٠٣] وقال الله عز وجل: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ،^٤ أي إنا / باقون عن الخلق، أي يفنى الحلائق وهو يبقى. أو أن يكون قوله: الذين يرثون الفردوس هكذا: هو ما وعد الله عباده الجنة إن أجابوه وإليها دعاهم بقوله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛^٥ فمن ترك إجابته يصير^٦ الموعود الذي وعد له إن أجاب لمن أجابه، فذلك الورثة التي ذكر الله.

وقوله: الفردوس، قيل: هو بلسان الروم بستان. سَمَّى اللهُ تعالى الجنة بأسماء مختلفة؛ منها عَدْنٌ ونعيم ومأوى وفردوس. وفي الحقيقة واحد، لأن العدن هو المقام، والنعيم هو ما يُنعم، ومأوى فهي كذلك، ثم فردوس وعدن ومأوى نعيم.^٧ وروي في بعض الأخبار

^١ ر م: الخلق.

^٢ ع: يحفظونها.

^٣ ع: يحفظونها.

^٤ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ مِنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (سورة مريم ٤٠/١٩).

^٥ سورة يونس، ٢٥/١٠.

^٦ جميع النسخ: يصير.

^٧ ن: ونعيم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الفرديوس رِبْوَةُ الجنة العليا وهي أوسطها وأحسنها».^١
فإن ثبت هذا فهو ما ذكر.*

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [١٢]

وقوله عز وجل: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، قال بعضهم: إنما ذكر سلالة لأنه سُئِلَ من كل تُرْبَةٍ. وقال أبو عَوْسَجَةَ: السلالة الخالص من كل شيء. وقوله: من سلالة، من طين حُرِّ، أي من أجود الطين. ذكر مرة من سلالة من طين، ومرة مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ،^٢ ومرة قال: فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ،^٣ ومرة [مِنْ صَلْصَالٍ] كَالْفَخَّارِ،^٤ ونحوه وهو آدم عليه السلام، وذلك على تغيير الأحوال. **وانه أعلم**.^٥

* قال القُتَيْبِيُّ: يقال للولد سلالة أبيه، وللخمر سلالة، وللنظفة سلالة.^٦ ويقال: إنما جعل [٥٠٤ و ٥٠٥] آدم من سلالة لأنه سُئِلَ من كل تُرْبَةٍ.^٧ وقال أبو عَوْسَجَةَ: السلالة الخالص من كل شيء.^٨
قال أبو معاذ:^٩ النسل الولد يُسَلُّ من تحت كل شعرة.*

^١ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرُبَيْع بنت النضر أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ابنتها حارثة بن سُرَاقَةَ أُصِيبَ يوم بدر أصابه سهمٌ عَزَبَ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أحييني عن حارثة لئن كان أصاب خيرا احتسبْتُ وصرْتُ، وإن لم يُصِبْ الحَيْرَ اجتهدتُ في الدعاء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنهَا جَنَانٌ فِي جَنَّةٍ وَإِنَّ ابْنَتِكَ أَصَابَ الْفَرْدَوْسَ الْأَعْلَى وَالْفَرْدَوْسُ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا» انظر: صحيح البخاري، الجهاد ١٤؛ و سنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٣/و/سطر ٧-٩.

^٢ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ﴾ (سورة الحجر، ١٥/٢٦).

^٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ بَيْعْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).

^٤ ﴿يَخْلُقُ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/١٤).

^٥ ن: تعبير.

^٦ ر ع + بالصواب.

^٧ ر ع م - وللنظفة سلالة.

^٨ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٦.

^٩ ر ع م - شيء.

^{١٠} فضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١هـ، له كتاب في القرآن حسن. وروى عنه الأزهرى في كتاب التهذيب وأكثر، وذكره ابن حبان في الثقات. ويذكره ابن منظور في لسان العرب في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قطر). وسمى كاتب جلبي كتابه "كتاب القراءة". انظر: الثقات لابن حبان ٩/٥؛ تهذيب اللغة للأزهري، ١/٢٢؛ الأنساب للسمعاني، ٥/٤٦٧؛ معجم الأدباء لياقوت، ٤/٥٦٥؛ الوافي بالوفيات للصفدي، ٢٤/٢٨؛ كشف الظنون، ٢/١٤٤٩.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤/و/سطر ٦-٨.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [١٣]

ثم جعلناه نطفة، أي ثم خلقنا ولده وذريته من نطفة. أخبر أصل ما تخلق آدم منه وأصل ما تخلق ولده منه وهي النطفة.

وقوله: في قرار مكين، قال بعضهم: الرحم. وجائز أن يكون القرار هو صلب الرجل، لأن النطفة لا تخلق في الصلب أول ما تخلق الإنسان ولكن تجعل فيه من بعد، فيكون الصلب قرارها ومكانها إلى وقت خروجها منه إلى الرحم، وعلى ذلك قوله: فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ^١. قال بعضهم: المستقر الصلب، والمستودع^٢ الرحم. وقال بعضهم: المستقر الرحم، والمستودع الصلب. وجائز أن يكونا جميعا واحدا أيهما كان: ^٣الرحم أو الصلب، لأن كليهما [مكان] قرار ما^٤ يستودع فيه. وقال ابن عباس وغيره: السلالة صفوة الماء.^٥

* وقوله: في قرار مكين، أي مكانا حريزا وهو الرّحم أو الصّلب، أيهما كان فهو ما وصف.* [٥٠٤ س ٧]

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [١٤]

وقوله: ثم خلقنا النطفة علقة، والنطفة هي المعروفة، والعلقة الدم،^٦ والمضغة القطعة من اللحم إلى آخر ما ذكر. يخبرهم عن تحويله إياهم وتقليبه من حال إلى حال لوجوه^٧. أحدها^٨ يخبر عن قدرته وسلطانه وعلمه وتديبه، ليعلموا أن من قدر على إنشاء العلقة من النطفة ما لو اجتمع الخلائق جميعا على أن يعرفوا سبب خلق هذا عن هذا - مع إحاطة علمهم أن ليس فيها من آثار العلقة شيء - ما قدروا على ذلك. وعلى ذلك جميع ما ذكر: العلقة^٩ من النطفة،

^١ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ﴿ (سورة الأنعام، ٦/٩٨).

^٢ ر ع م - قال بعضهم المستقر الصلب والمستودع.

^٣ م: كانا.

^٤ ر: كلاهما.

^٥ جميع النسخ: وما.

^٦ انظر: تفسير الطبري، ٧/١٨.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤ س ٧-٨.

^٨ جميع النسخ: والدم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٢ س ٧.

^٩ ن + من المعتبر.

^{١٠} ر: أحدهما.

^{١١} جميع النسخ: من العلقة.

والمضغة من العلقة، والعظم من المضغة، والإنسان من ذلك كله، فدل ذلك كله.^١ على أنه قادر بذاته، فمن قدر على هذا يقدر على إنشاءهم من الأصل من لا شيء ويقدر على إحيائهم بعد ما صاروا ترابا. والأعجوبة في خلق الإنسان مما ذكر من النظفة والعلقة والمضغة ليست^٢ بدون خلقه إياهم من التراب من الوجوه التي ذكرنا. وفيه دلالة علمه الذاتي، لأن من قدر على تحويلهم من حال إلى حال التي ذكر في الظلمات الثلاث.^٣ دل أنه عالم بذاته لا يعلم مستفاد من أحد ولا قوة مكتسبة، ولكنه بالعلم الذاتي والقوة الذاتية؛ لأن من علمه مستفاد ومن قوته^٤ مستفادة^٥ ومكتسبة^٦ لا يبلغ ذلك. وفيه دلالة تدبيره لخروج الخلق جميعا وتوالدهم من أول أمرهم إلى آخر ما ينتهون على جزئي واحد وستن واحد على غير تغيير في التوالد والتناسل الذي جعل فيهم. وكذلك جميع ما يخرج من الأرض من النبات ومن الأشجار والأوراق^٧ في كل عام وفي كل سنة، يخرج على جرية واحدة وستن واحد لا يتغير ولا يتفاوت وقت خروجه، بل على تقدير واحد وميزان واحد. دل أنه على تدبير ذاتي^٨ خرج، لا^٩ على الجُزَاف. **وبانه احوال والقوة.**

وفيما ذكر من تحويله إياهم وتقليبه^{١٠} من حال إلى حال دلالة أنه لم ينشئهم لأنفسهم. وإن ما^{١١} أنشأ^{١٢} من العالم سواهم إنما أنشأه^{١٣} لهم وأنشأ^{١٤} أنفسهم لعاقبة، لأنه لو كان

^١ ر ع م - فدل ذلك كله.

^٢ ر م: ليس.

^٣ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩). يقول المؤلف رحمه الله في تفسير هذه الآية: «﴿في ظلمات ثلاث﴾، قيل: الرّجَم والبطن والمشيمة» (تأويلات أهل السنة، نشر الخيمي، ٤/٢٩٤).

^٤ ع: قوة.

^٥ ر م: مستفاد.

^٦ ن: وقوته مكتسبة.

^٧ ر ع م: الأوراق.

^٨ ر م: ذات.

^٩ ن - لا.

^{١٠} ر: وتقلب؛ ع م: وتقلب.

^{١١} ر م: وان من.

^{١٢} م: انشاء.

^{١٣} ر: انشاء.

^{١٤} ر ع: انشاء.

إنشأؤه إياهم لأنفسهم وللغناء الذي ذَكَرَ في قوله: **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**^١، لكان يتركهم على حالة واحدة ولا يحولهم من حال إلى حال. فإذا حولهم وقلّبهم من حال إلى حال دلّ أنه لا للموت الذي ذكر تحلّقهم خاصةً بقوله: **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**، ولكن لعاقبة تُقصد وهو البقاء الدائم، لا فناء فيه وهو ما ذكر: **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**^٢.

وقوله: **ثم أنشأناه خلقاً آخر**. أما أهل التأويل فمنهم من قال: **نَفَخُ الروح فيه**، وهو قول ابن عباس وغيره. وقال بعضهم: **إنبات الشَّعْر ونحوه**، وهو قول قتادة وغيره. وعن الحسن وغيره: **ذكرًا وأُنثى**^٣. **وجائز أن يكون** / قوله: **ثم أنشأناه خلقاً آخر غير ما قال هؤلاء**، وهو إظهار الجوارح والأعضاء وتركيبها بما^٤ فيه دلالة [ذلك]، لأنه أحيى أنه يقلّب من حال إلى حال^٥، وإنما يقلّب^٦ شيئاً واحداً مُضْمَماً ليس به هذه الجوارح والأعضاء، إنما يكون فيه آثارها لا أعينها، فيركّب فيه أعين الجوارح والأعضاء حتى يكون إنساناً. فذلك هو إنشاء خلقٍ آخر، ويكون نفخ الروح وتبّت الشعر في تركيب ما ذكرنا. **والله أعلم**.

ومن ينكر خلق الشيء لا من شيء ويقول بقدم العالم إنما ينكر ذلك لما لم يَرِ في الشاهد^٧ صنع شيء لا من شيء فيقال له: وهل رأيت إنشاء شيء من شيء على إتلاف الأصل حتى لا يبقى له أثر؟ فإذا^٨ لم تر هذا في الشاهد وقد رأيت في الغائب إنشاء شيء من شيء على إتلاف الأول منه، نحو النطفة تصير علقة على تلف النطفة فيه والعلقة مضغعة على إتلاف العلقة فيها إلى آخر ما ذكر؛ كل ذلك مُنشأً من آخر^٩ بعد تلف الأصل^{١٠}. [فهذا دال على] ^{١١} أن عدم الأشياء^{١٢} في الشاهد لا من شيء لا يدل على عدمه في الغائب وأنه حيث قدر على^{١٣} هذا يقدر على كله.

^١ الآية التالية.

^٢ سورة المؤمنون، ١٦/٢٣.

^٣ انظر حول جميع الآراء: تفسير الطبري، ١٠/١٨؛ وتفسير القرطبي، ١٠٩/١٢.

^٤ ك ن م؛ ما؛ ع - بما.

^٥ ع - حال.

^٦ ر م - من حال إلى حال وإنما يقلّب.

^٧ م: في الشاهد.

^٨ ع: أنشأ.

^٩ جميع النسخ + إنما كان.

^{١٠} ر ع م + فهلا كل ذلك؛ ن + فهلا كل.

^{١١} الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٢ ظ.

^{١٢} جميع النسخ: الإنشاء؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٢ ظ.

^{١٣} ر م - على.

وقوله: **فتبارك الله أحسن الخالقين**. من الناس من يستدل على أنه إذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقلوبه: **أحسن الخالقين** معنى، كقوله: ^١ **أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**، ^٢ **وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**، ^٣ ونحوه. وإنما قال هذا لما يكون سواه رحيفا حكيما كريما. فأخبر أنه **أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**، ^٤ **وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**، فعلى ذلك ما قال: **أحسن الخالقين**. ولكن [عندنا] ^٥ جازر القول بمثل هذا عند الناس على غير إثبات آخر سواه في ذلك حقيقة. وهو يخرج على وجوه. أحدها **أحسن الخالقين**، مما تنسبون أتم إليه وتجعلونه خالقا عندكم، كقوله: **فَرَأَى إِلَى آلِهَتِهِمْ**، ^٦ **فِإِبْرَاهِيمَ** ^٧ **لَمْ يُسَمِّ مَعْبُودَهُمْ** ^٨ الذي عبدوه إلهما على جعل الألوهية له ولكن على ما سموه هم ^٩ ونسبوا ^{١٠} الألوهية إليه. وكذلك قول موسى حيث قال: **وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**، ^{١١} على ما عندهم، ليس على تسمية الألوهية ^{١٢} له حقيقة. دل ما ذكرنا على أن تسمية ما ذكر ^{١٣} يجوز وإن لم يكن هنالك سواه إلهما وخالقا. ^{١٤} وكذلك قوله: **فَمَا تَتَّعُهُمْ شِقَاعَةُ الشَّافِعِينَ**، ^{١٥} ليس على أن لهم شفعاء يشفعون لهم ولكن لا شفعاء لهم، فعلى ذلك ما ذكرنا.

والثاني تأويل **أحسن الخالقين**، أي لو جاز أن يكون خالق آخر سواه، لكان ^{١٦} هو **أحسن الخالقين**، ولكن لا يجوز، وهو كقوله: **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَضْطَقَنِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ [سُبْحَانَهُ]**، ^{١٧}

^١ ر م: قوله.

^٢ سورة الأعراف، ١٥١/٧.

^٣ سورة هود، ٤٥/١١.

^٤ م: إنما.

^٥ ع + ونحوه وإنما قال هذا لما يكون سواه رحيفا حكيما كريما فأخبر أنه أحكم الحاكمين.

^٦ الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٢ ظ.

^٧ ﴿فَرَأَى إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).

^٨ جميع النسخ: إبراهيم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٢ ظ.

^٩ ر: المعبودهم؛ م: لمعبودهم.

^{١٠} ر: سموهم.

^{١١} ر ع م: ونسبوه.

^{١٢} سورة طه، ٩٧/٢٠.

^{١٣} ر م: الآلهة؛ ن ع: الآلهية؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٢ ظ.

^{١٤} ع - على أن تسمية ما ذكر؛ ر ن م + وذكره.

^{١٥} ر م: خالقا.

^{١٦} سورة المذثر، ٤٨/٧٤.

^{١٧} ر م: لكن.

^{١٨} سورة الزمر، ٤/٣٩.

أي لو جاز أن يتخذ ولدا لاصطفاه^١ مما ذكر، لكن لا يجوز. وكذلك قوله: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا^٢ أي لو جاز أن يكون كذا لكان كذا، ليس على أنه يجوز أن يكون. وكذلك قوله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ^٣ الآية، أي لو جاز أن يكون معه إله لذهب بما ذكر، لكن لا يجوز. فعلى ذلك قوله: فتبارك الله أحسن الخالقين، أي لو جاز أن يكون هنالك خالق غيره لكان هو أحسن الخالقين، ولكن لا يجوز.

وانه الموفق.

والثالث ذكر أحسن الخالقين لئلا أن العرب تسمي^٤ كل صانع شيء خالقا، فخرج الذكر لهم على ما يسمون^٥ هم، ليس على حقيقة الخلق لمن دونه، كقول عيسى حيث قال: أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ^٦ أو أن يكون ذكر هذا لقول من يقول: إن^٧ العالم أصله^٨ من أربع طبائع: من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

أو أن يكون لقول بعض^٩ الفلاسفة: إن العالم أصله من أربع أو من خمس: من الماء والأرض والنار وغيره. فأخبر أنه ليس كذا، ولكن هو خالقهم^{١٠} لا من الأشياء التي توهموا هم.^{١١} وعلى قول من يقول: إنه يكون غيره خالقا،^{١٢} لكان الخلق غير دال على الخالق،

^١ م: لاصطفى.

^٢ سورة الأنبياء، ١٧/٢١.

^٣ سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.

^٤ ع: يسمي.

^٥ ر ع م: يسموه.

^٦ ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾ (سورة آل عمران، ٤٩/٣).

^٧ ع - يكون ذكر هذا لقول من يقول + الفلاسفة.

^٨ ن - إن.

^٩ ن: كان.

^{١٠} ع: لبعض.

^{١١} ع - الفلاسفة إن العالم أصله من أربع أو من خمس من الماء والأرض والنار وغيره فأخبر أنه ليس كذا ولكن هو خالقهم.

^{١٢} م: توهموهم.

^{١٣} لعل المؤلف يشير إلى استدلال بعض بأنه إذا لم يكن سواه خالقا لم يكن لقوله ﴿أحسن الخالقين﴾ معنى. وقد ذكر رحمه الله هذا القول في ابتداء تفسير الآية ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

وقد جعل الله الخلق سببا لمعرفة الخالق. فلو كان غيره خالقا لكان الخلق غير دال على معرفة الخالق، لأنه قال: [أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ] خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ.^١ أخير أنه لو كان سواه خالقا أو عدداً لكان^٢ في ذلك تشابه الخلق عليهم، فإذا تشابه لم يكن سببا لمعرفته^٣ على ما أخير في إثبات عدد الآلهة، كقوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ.^٤ فإذا بطل هذا ولم يُجز عدد الآلهة وإثبات الألوهية لغيره، فعلى ذلك في الخلق على الوجه^٥ الذي ذكرنا.

* وقال القُتَيْبِيُّ: المضغعة اللحمية الصغيرة، سميت بذلك لأنها بقدر ما يُمضغ، كما قيل: [٥٠٤ و٥٠٦] عُرْفَةٌ بِقَدْرِ مَا يُعْرِفُ.*

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [١٦]

وقوله:^٦ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون، قد ذكرنا فيما تقدم أن المقصود من خلق هذا العالم لم يكن الإمامة^٧ والإفناء خاصة^٨ ولكن عاقبة تُتأمل وتقصد حيث قلبهم من حال إلى حال ثم^٩ لم يتركهم على حالة واحدة. فلو كان المقصود من خلقهم الفناء والهلاك لا غير لكان تركهم على حالة واحدة ولم يقبلهم من حال إلى حال. فدل التحويل والتقليب من حال إلى حال على أن المقصود من الخلق العاقبة على ما ذكرنا. والله أعلم. على^{١٠} أنه أخير أن خلقهم لا لعاقبة يُقصد بها عبث، حيث قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا،^{١١} صير خلقهم لا للرجوع إليه عبثا. وقال في آية أخرى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضْتُ عَرْلَهَا،^{١٢} الآية،

^١ سورة الرعد، ١٦/١٣.

^٢ ن: أو عدوا؛ م - خالقا أو عددا لكان.

^٣ ر م: لمعرفة.

^٤ سورة المؤمنون، ٩١/٢٣.

^٥ ر م: الوجوه.

* وقع ما بين النحمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٤ و/ سطر ٦-٧.

^٦ ن: قوله.

^٧ ع: الأمانة.

^٨ م - خاصة.

^٩ ع ن - ثم.

^{١٠} م - على.

^{١١} سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.

^{١٢} ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضْتُ غَرْفًا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَائِلَ بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْزَى مِنْ أُمَّةٍ﴾

(سورة النحل، ٩٢/١٦).

[٥٠٤] صير نقض الغزل بعد إبرامه وقوته سفها منها. فلا جائزٌ أن يُسْفَه تلك المرأة / تنقض غزلها بعد الإحكام والإبرام بلا نفع يكون لها ثم هو يفعل ذلك؛ إذ تخلق الخلق للفناء والهلاك خاصةً عبث ولعب. وعلى ذلك بناء^١ البناء في الشاهد لا لعاقبة ومنفعة ولكن للهدم والنقض سفةً ولعب، لذلك قلنا بأن^٢ تخلق الخلق لا للموت خاصة ولكن لما ذكر^٣ من قوله: ثم إنكم [يوم القيامة] تبعثون، أي تُحيون.*

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [١٧]

وقوله: ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق، قال بعضهم: سبع سماوات، وقال بعضهم: سبعة أفلاك. يذكر هذا - والله أعلم - أيهما كان: ° السماوات أو الأفلاك التي جعل لأمر الخلق ولحوادثهم لوجهين. أحدهما يخبر عن قدرته وسلطانه وغناه أن من قدر على خلق ما ذكر وإنشائه^٦ بلا سبب لقادر على إنشاء الخلق لا من شيء. والثاني أن من قدر على هذا يقدر على بعثهم وإحيائهم بعد الموت.

قال القُتَيْبِيُّ: سبع طرائق، أي سبع سماوات، كل سماء طريقة. ويقال: هي الأفلاك، كل واحد طريق. وإنما سُمِّي طرائق لأن بعضها فوق بعض. يقال: ^٧طارقتُ الشيء إذا جعلت بعضه على بعض،^٨ ويقال: ريشُ طرائق^٩. وغيره قال: طرائق أهواء مختلفة.

وقوله: وما كنا عن الخلق غافلين، أي لم نخلقهم^{١٠} على جهل منا بأحوالهم ولكن على علم منا بذلك. ولا يحتمل أن يكون خلقه إياهم على علم منه ثم يخلقهم للفناء لا للعاقبة تُتأمل، لأن من يفعل هذا في الشاهد إنما يفعل إما للجهل به أو للحاجة، والله يتعالى عن ذلك^{١١} كله.

^١ ع: بنى.

^٢ جمع النسخ: ان.

^٣ م: ذكرنا.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ ورقم ١٤ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٤ / سطر ٤-٦ وورقة ٥٠٤ / سطر ٦-٨.

^٥ ن + له.

^٦ ع: وإنشاء.

^٧ ن: ويقال.

^٨ ن: فوق بعض.

^٩ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٦.

^{١٠} ر ع م: يخلقهم.

^{١١} ن - ذلك.

أو أن يكون قوله: وما كنا عن الخلق غافلين، خلق ما ذكر، أي إذا عرفتم أن خلق هذه الأشياء لا لأنفسها ولكن لأنفسكم^١ ولمنافعكم فلا يحتمل أن يكون خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء. فإن ثبت المحنة فيكم ثبت الثواب والعقاب، فإذا ثبت هذا ثبت البعث والحياة. والله أعلم.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ [١٨]

وقوله: وأنزلنا من السماء ماء بقدر، قال بعضهم: بقدر، بعلم منا، وقال بعضهم: ما يقع لهم الحاجة والكفاية. وجائز أن يكون قوله: بقدر، أي معلوم مقدر لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزداد ولا ينقص^٢ ولكن على ما قُدر، وكذلك جميع الأشياء.

وقوله: فأسكنناه في الأرض، يذكر هذا ويخبر عن قدرته وسلطانه أن من قدر على استئزال الماء من السماء يقدر على البعث وعلى خلق الشيء لا من شيء، إذ لا أحد من الخلائق يقدر على ذلك إلا بالحييل التي علمه الله. أو أن يكون يقول: إنه حيث جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء [متصلة]. بمنافع الأرض لبعد ما بينها دل اتصال منافع أحدهما بالآخر - مع بعد ما بينها - على أن منشئهما واحد ومدبرهما واحد عالم بذاته.

وقوله: ^٣ وإنا على ذهاب به لقادرون، كقوله: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا،^٤ الآية.

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [١٩]

فأنشأنا لكم به، أي بالماء، جنات من نخيل وأعناب، أي الكروم. يذكر نعمه التي أنعمها عليهم من الماء الذي به حياة الأبدان والأشياء جميعا يستأدي^٥ به شكره وعبادته. وقوله: فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة. فإن^٦ كان قوله: لكم فيها، أي في الجنات حيث ذكر أنه أنشأها لنا، فواكه كثيرة، ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله أن من حلف أن لا يأكل فاكهة فأكل عتبا لم يحث، حيث ذكر النخيل والأعناب وذكر فيها الفواكه على حدة، وإن كان يعني به النخيل والأعناب فليس فيه حجة له.

^١ ر ع م: إذا.

^٢ ر: لأنفسهم.

^٣ ر ع م: ولا ينتقض.

^٤ ن: قوله.

^٥ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (سورة الملك، ٦٧/٣٠).

^٦ ر م: نعمة الله.

^٧ ر ع م: ليتأدى.

^٨ ر م: وإن.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ [٢٠]

وقوله: وشجرة تخرج من طور سيناء، أي أنشأنا لكم^١ أيضا شجرة في طور سيناء. ثم الشجرة التي يكون في الجبال لا صنع للخلق في إنباتها، وما يكون^٢ في الجنان والبساتين إنما يكون بإنبات الخلق. ثم أضاف كليهما ما يكون للخلق فيه صنع وما لا يكون [إلى نفسه]^٣، دل إضافة ذلك إليه كله على أن الله في فعل العباد صنعا^٤ وأن جميع ما يكون إنما يكون بصنع منه ولطف. ويذكرهم نعمة التي أنعمها عليهم من إنشاء الجنان لهم والنخيل والأعناب والفواكه التي ذكر ليستأدى^٥ بذلك شكره. وفيه دلالة قدرته وسلطانه حيث أنشأ^٦ الشجرة وأخرجها من الجبل وهو أشد الأشياء وأصلبها، ثم أنشأ^٧ في تلك الشجرة الدهن وهو أليّن الأشياء وألطفها، فيخبر أن من قدر على إخراج^٨ أليّن الأشياء من أشدها وأصلبها لا يُعجزه شيء. وفيه أن لا بأس بقران شيء إلى شيء فيؤكلان^٩ جميعا وضم بعضهم إلى بعض فيجمع^{١٠} في الأكل حيث قال: تنبت بالدهن وصبغ للأكلين، والصبغ^{١١} هو الإدام.

ثم اختلف في قوله: / طُورِ سَيْنَاءَ، قال بعضهم: الطور الجبل بالسريانية، والسّيناء الحسن بالحبشية.^{١٢} وقال بعضهم: الطور الجبل وما ذكر،^{١٣} والسّيناء الشجرة^{١٤} الحسناء. وقال بعضهم: الطور هو الجبل الذي كلم الله موسى وأوحى إليه، والشجرة هي شجرة الزيتون. وقال بعضهم: الطور هو الجبل، والسّيناء شجرة حوله. وفي حرف ابن مسعود وحفصة:

^١ ر م: انشاء مالكم.

^٢ ع + للخلق.

^٣ الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٣.

^٤ ر ع م: الله.

^٥ ر م: صنع.

^٦ ر ع م: لتأدى.

^٧ ع: انشاء.

^٨ ر ع م- ثم أنشأ.

^٩ ن - إخراج، صح ه.

^{١٠} ر ع م: فهو كان.

^{١١} ر ع م: ويجمع.

^{١٢} ر م - والصبغ.

^{١٣} ر ع م: بالحبشة.

^{١٤} ن: وما ذكرنا.

^{١٥} ع: الشجر.

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْجِرُجُ الدَّهْنَ وَصِغَا لِّلْأَكْلِينَ^٢. قَالَ بَعْضُهُمْ: تُخْرَجُ الثَّمَرُ.
 قَالَ أَبُو مَعَاذٍ: أَثْبَتَ النَّبَاتُ وَنَبَتَ، لَعْنَانٌ كَقَبِيلِكَ: أَسْرَى وَسَرَى. وَقَالَ زَهِيرٌ:
 رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ قَطِينًا^٣ لَهُمْ^٤ حَتَّى إِذَا أَثْبَتَ الْجَبَلُ^٥
 قَالَ الْكِسَائِيُّ: تَقُولُ: خَرَجْتُ بَرِيدًا وَأَخْرَجْتُ زَيْدًا، وَلَا تَقُولُ: أَخْرَجْتُ بَرِيدًا إِلَّا أَنْ تَقُولُ:
 أَخْرَجْتُ بَرِيدًا عَمْرًا^٦. وَقَالَ الْقَتَّيْبِيُّ: وَصِغٌ لِّلْأَكْلِينَ، مِثْلُ الصَّبَاغِ كَمَا يُقَالُ: دِنَعٌ وَدِبَاغٌ وَبَيْسٌ
 وَبَيْسٌ^٨. وَقَالَ أَبُو عَوْسَجَةَ: وَصِغٌ لِّلْأَكْلِينَ، أَي الصَّبَاغِ وَهُوَ مَا اصْطَبَعَتْ بِهِ مِنَ الشَّيْءِ،
 أَي غَمَرَتْهُ فِيهِ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [٢١]

وقوله: وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها، وفي سورة النحل: ^١ مِمَّا فِي بُطُونِهِ. ^{١١} قال بعضهم: إنما ذكره على الفرد والوحدان، وفيما ذكره على التانيث [فهو] على الجمع. وقال بعضهم: فيما ذكره بالتذكير ^{١٢} أراد به جنسا من الأنعام: نسقيكم مما في بطونها، وهذا أشبه، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ^{١٣}.

ثم قوله: وإن لكم في الأنعام لعبرة، ووجه العبارة فيها من وجوه. أحدها ما قال ابن عباس، وهو ما ذكر عز وجل: مِنْ بَيْنِ قَوْثٍ وَدَمٍ، ^{١٤} الآية. ففي ذلك عبرة ودلالة على وحدانيته

^١ ر م: وصغ.

^٢ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٤.

^٣ والقطين: الساكن النازل في الدار.

^٤ ر ن م - رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم.

^٥ انظر: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى لأبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، ١١١.

^٦ ر ع م: عمروا.

^٧ ر ع م: قال.

^٨ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٦.

^٩ ر ع م: في سورة.

^{١٠} ن: النحل.

^{١١} ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (سورة النحل، ٦٦/١٦).

^{١٢} ر: بالتذكير.

^{١٣} انظر: تفسير سورة النحل، ٦٦/١٦.

^{١٤} سورة النحل، ٦٦/١٦.

وربوبيته وعلمه وقدرته وتدبيره ولطفه، إذ ليس شيء منها إلا وفيها دلالة وحدانيته وربوبيته ودلالة علمه وقدرته وتدبيره.

وفيه أنه لم ينشئ هذه الأنعام لأنفسها، ولكن أنشأها للبشر حيث أخبر أنه سخرها لنا ليمتحنهم بها. ثم اختلف في الأنعام، قال مقاتل: الأنعام كل شيء يؤكل لحمه ويشرب لبنه، وما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه فليس من^١ الأنعام. وقال أبو معاذ: إن من الأنعام ما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه. وقال بعضهم: الأنعام كل بهيمة حتى الوحش. والأشبه أن يكون الأنعام هو الإبل، ولكننا لا نعلم حقيقته،^٢ إنما هو اللسان، فهو على ما يسميه أهل اللسان. وقوله: ولكم فيها منافع كثيرة، قيل: من الحمولة وغيرها، وقد ذكرنا هذا في سورة النحل.^٣

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [٢٢]

وقوله:^٤ وعليها وعلى الفلك تحملون، يُذكرهم نعمه فيما سخر لهم من الأنعام والسفن ليستأدى^٥ به شكره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٢٣]

وقوله:^٦ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. يرِدُّ عز وجل أنباء أولي العزم من الرسل وأخبارهم ويكررها على رسول الله ليكون أبدا يقظان^٧ منتبها ويعرف أن كيف عامل أولوا العزم قومهم وكيف صبر أولوا العزم من الرسل على أذى قومهم^٨ وتكذيبهم إياهم، ليعامل^٩ هو قومه مثل معاملتهم ويصبر هو على أذى قومه على ما صبر أولئك على أذى قومهم وتكذيبهم إياهم؛ لهذا^{١٠} يردد ويكرر أنباءهم عليه؛^{١١}

^١ ع: في.

^٢ ر ع م: حقيقة.

^٣ ن: النحل. انظر: تفسير سورة النحل، ١٦/٥-٨.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر ع م: ليتأدى.

^٦ ن: قوله.

^٧ جميع النسخ: يقظانا.

^٨ ن: قوم.

^٩ ر م: ليتأمل.

^{١٠} جميع النسخ + ما.

^{١١} ع: عليهم.

ويعرف قومه أيضا أن لا يظفرون بما يأملون من تكذيبهم العاقبة، بل العاقبة تصير له على ما صارت لأولي العزم من الرسل لا لقومهم. والله أعلم.
وقوله: أفلا تتقون، يحتمل وجوها. أحدها أفلا تتقون مخالفة الله ومخالفة رسوله. أو أفلا تتقون عذابه ونقمته أو وعيده. أو أفلا تتقون عبادة غير الله.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ [٢٤]

وقوله: فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم، هذا الذي قالوا هو تناقض، لأنهم قالوا: إنه بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليكم بما ادعى من^١ الرسالة والإجابة له إلى ما دعاهم. ثم هم^٢ - أعنى الرؤساء منهم والقادة - ادعوا لأنفسهم الفضل بما استتبعوا^٣ هم السقلة وطلبوا منهم الموافقة لهم والإجابة وهم^٤ بشر أمثالهم، فذلك تناقض في القول. ثم أقرروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا قدرة الله^٥ على ذلك حيث قالوا: ولو شاء الله لأنزل ملائكة، فإذا قدر على تفضيل الملائكة على البشر قدر على تفضيل بعض البشر على بعض. ثم أخبر عن نوح أنه لا يريد بما ادعى من الرسالة التفضل عليهم ولكن يريد به^٦ النصح لهم والإشفاق عليهم، حيث قال: وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ^٧، وقال: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ^٨، ونحو ما قال. أخبر أنه إنما أراد بذلك^٩ النصح والشفقة، لا التفضل الذي قالوا هم^{١٠}.

^١ م + من.

^٢ ر: هي.

^٣ ر م: استتبعوا.

^٤ غ: والإجا وهو

^٥ م - الله.

^٦ م: فإذا.

^٧ ر م - به.

^٨ ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة هود، ١١/٣٤).

^٩ سورة الأعراف، ٥٩/٧. جميع النسخ + وعذاب يوم الظلة. والتصحيح من نسخة ولي الدين أفندي، رقم

٤٢٥، ورقة ٢٥٣. يبدو أن الناسخين قد أخطأوا بكتابة هذه الآية (سورة الشعراء ٧٧/٢٦ وما بعدها)،

لأنه تخبر عن هلاك قوم شعيب لا عن قوم نوح عليهما السلام.

^{١٠} ر ع م - بذلك.

^{١١} ن: قالوا؛ م: قالوهم.

وقوله: ^١ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، هذا قولهم، وقد كذبوا في قولهم.
 * قال مقاتل: يريد أن يتفضل عليكم^٢ بالرسالة وليس له^٣ عليكم فضل في شيء، أفستبعونه؟
 وقوله: ما سمعنا بهذا، قال بعضهم: أي بالعذاب، في آبائنا الأولين. ويقال: ما سمعنا التوحيد
 في آبائنا الأولين، كما يدعو [إليه] نوح.*

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتْرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ [٢٥]

وقوله: إن هو إلا رجل به جنة، قد عرفوا أنه ليس به جنون ولكن أرادوا التلبس والتمويه
 على قومهم حيث خالفهم [نوح] في جميع أمورهم وعادى الرؤساء منهم والقادة. ويقولون:
 ما يفعل هذا إلا الجنون^٤ فيه وآفة أصابته في عقله، وإلا عرفوا هم^٥ في أنفسهم -أعنى القادة-
 [٥٠٥] أنه ليس بجنون ولكن أرادوا التمويه / على قومهم.
 ثم قالوا: فتربصوا به حتى حين، لسنا ندرى ما أرادوا؛ الموت أو وقت ارتفاع ما قالوا فيه
 من الجنون، أو أرادوا وقتنا آخر.*

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾ [٢٦]

وقوله: قال رب انصُرني بما كذبون، لم يدع عليهم بأول ما كذبوه، ولكن إنما دعا عليهم بعد
 ما أيس من عودهم إلى تصديقه، وهو ما قال: أَيِّ مَغْلُوبٍ فَانْتَصِرْ.^٦ وقال أهل التأويل: انصُرني بتحقيق
 ما وعدت لهم من العذاب فإنه نازل بهم في الدنيا وعذبهم^٧ بما كذبوني^٨ في قولي بأن العذاب نازل بهم
 في الدنيا. أو أن يكون قوله: ^٩ انصُرني بما كذبون، أي اجعل لي الظفر عليهم بالكذب ونحوه.^{١٠}

^١ ن: قوله.

^٢ ر ع م: عليهم.

^٣ ر ع م - له.

* وقع ما بين النحمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥ / سطر ٢ - ٤.

^٤ ر ع م: الجنون.

^٥ م: عرفوهم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥ / سطر ٢ - ٤.

^٦ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعاه ربه أني مغلوب فانتصر﴾ (سورة القمر، ٩/١٠-٩).

^٧ ر م: وعذبهم.

^٨ ن: بما كذبوا.

^٩ ن + قوله.

^{١٠} «أي اجعل لي الظفر عليهم بسبب ما وجد منهم الكذب» (شرح التأويلات، ورقة ٥١٣ ظ).

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [٢٧]

وقوله: فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا، قال بعضهم: بمنظر منا، وقال بعضهم: بمرأى منا. وجائز أن يكون صلوات الله عليه ظنّ لنا أمر باتخاذ الفلك أنهم لا يتركونه أن يتخذ الفلك، فأخبره عز وجل: إنك تتخذة بحيث نراه^١ وننصرك عليهم بحيث^٢ لا يملكون منعك^٣ عن اتخاذها. وقوله: ووحينا، أي بأمرنا.

وقوله: فإذا جاء أمرنا وفار التنور، أي إذ جاء الموعود بأمرنا وفار التنور. أو أن يقول: إذا جاء وقت أمرنا بالعذاب وفار ما ذكر، أي خرج الماء من التنور وظهر.

وقوله: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾، قيل: أدخل فيها، يقال سلكتُ وأسلكتُ، وهو الإدخال، كقوله: أسلكتُ يدك في جيبيك، أي، أدخل، وتفسير: أسلكتُ، ما ذكر في آية أخرى: قُلْنَا اجْمَلْ فِيهَا^٤. وقوله: من كل زوجين اثنين، يحتمل أن يكون قوله: اثنين نعتاً لقوله: من كل زوجين لونيين: من الذكر والأنثى. وجائز أن يكون قوله: من كل زوجين، أي من كل زوجين عددين لونيين: أبيض وأسود وطيب وخبيث. وقوله: وأهلك، أي احمل أهلك أيضا في السفينة. وقوله: إلا من سبق عليه القول [منهم]، بالعذاب والهلاك، وقد ذكرنا هذا في سورة هود.^٥

وقوله: ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون، اختلف فيه. قال قائلون: إنما نهاه عن مخاطبته في الذين ظلموا حيث قال: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي^٦، نهاه عن أن يسأله. فإن كان على هذا فقوله: ولا تخاطبني، أي لا تراجعني الكلام في الذين ظلموا. وقال قائلون قوله:

^١ ن ٤: يراه.

^٢ ن - بحيث.

^٣ ر م - منعك.

* ن: قوله.

^٤ ر م - وأسلكت.

^٥ سورة القصص، ٣٢/٢٨.

^٦ ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ (سورة هود، ٤٠/١١).

^٨ جميع النسخ: نعت.

^٩ انظر: تفسير سورة هود، ٤٠/١١.

^{١٠} ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ (سورة هود، ٤٥/١١).

ولا تخاطبني في الذين ظلموا، في جميع ظلمة قومه، إنهم مغرِقون، وإن كان على هذا فهو تَهْيِي
عن ابتداء السؤال في نجاتهم. والله أعلم.

٥٠٥ هـ س ٣٣ * وقال القُتَيْبِيُّ: فاسلك فيها، أي أدخل فيها، يقال: ^١ سلكت ^٢ الخيط في الإبرة، وأسلكته. ^٣
٥٠٥ هـ س ٣٤ وقال أبو عبيدة كذلك.*

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٢٨]
وقوله: فإذا استويت أنت ومن معك من المؤمنين، على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا
من القوم الظالمين. هكذا الواجب على كل من أبحاه الله من الظلمة أن يحمد ربه على ذلك
ويسأله النجاة إذا ابطلني بهم كما علم نوحا أن يقول ما ذكر ويحمده على النجاة منهم، وكما
قال موسى حين خرج من عندهم خائفا: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، ^٤ وكما سألت امرأة
فرعون النجاة من فرعون وقومه حين قالت: وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. ^٥
ثم علمه ربُّه أن يسأله ^٦ الإنزال في مُنَزَّلٍ مبارك حيث قال:

﴿وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [٢٩]

وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين. ثم يحتمل سؤاله المنزل المبارك جميع
الخيرات والحسنات وعمَل الصالحات. ويحتمل سؤاله المُنْزَلُ المبارك الموضع الذي فيه السعة
والخصب على ما قاله بعض أهل التأويل: المبارك بالماء والشجر وغيره. فإن كان هذا ففيه
دلالة إباحة سؤال السعة والخصب. والله أعلم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [٣٠]

وقوله: ^٧ إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين، قال قائلون: قوله: إن في ذلك لآيات، أي في هلاك
قوم نوح وإغراقهم لآيات لمن بعدهم. وإن كنا لمبتلين بآيات تفضلا منا وإحسانا سوى ذلك.

^١ ر م: فقال.

^٢ ر م: سلك.

^٣ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقد مناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥ هـ / سطر ٣٣-٣٤.

^٤ ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٢١).

^٥ سورة التحريم، ١١/٦٦.

^٦ م: أن يسأل.

^٧ ن: قوله.

ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله: وإن كنا لمبتلين، أي وما كنا لمبتلين، وتأويله إن في ذلك، أي في قوم نوح وما كان بهم، آيات لمن بعدهم، وما كنا لمبتلين^١ بسوى الآيات^٢ التي كانت. وجائز في اللغة "إن" بمعنى "ما". ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله: وإن كنا لمبتلين، أي وقد كنا لمبتلين، أي قد ابتلاهم قبل إهلاكه إياهم. ولسنا نعرف ما حقيقة هذا الكلام وما مراده. والله أعلم.*
وقال أبو عؤسجة: وإن كنا لمبتلين هذا من الابتلاء، أي الاختبار.^٤ ومن البلاء لمبلون.^٥

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [٣١] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٣٢]

وقوله: ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين، قيل: من بعد قوم نوح، قرنا آخرين عادا وغيرهم. فأرسلنا فيهم رسولا منهم قالوا: هودا، أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. جميع الأنبياء والرسل إنما بعثوا بالدعاء إلى توحيد الله وجعل العبادة له. وقوله: أفلا تتقون، مخالفته أو عبادة من دونه وجميع معاصيه على ما ذكرنا من قبل.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [٣٣] ﴿وَلَكِنْ أَطَعْنَاهُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ﴾ [٣٤]

وقوله: وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة، أي بالبعث، وأترفناهم في الحياة الدنيا. قال بعضهم: أترفناهم، أي بسطنا لهم في الدنيا حتى ركبوا المعاصي / وقال [٥٠٥ظ] بعضهم: المترف الغني الطاغى.

* وقال القتيبي: وأترفناهم، أي وسعنا عليهم حتى أترفوا. والثرفة النعمة،^٦ ومثلها تحفة، كأن المترف هو الذي يتحفف.^٧ وقال غيره: أترفناهم، أي أنعمنا عليهم وبسطنا لهم. فكله يرجع إلى واحد.* [٥٠٥ظ س ٤]

^١ ر ع م - أي وما كنا لمبتلين وتأويله إن في ذلك أي في قوم نوح وما كان بهم آيات لمن بعدهم وما كنا لمبتلين.

^٢ جميع النسخ: بسور الآيات؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٤ و.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٧ فقدمناه إلى هناك؛ انظر: ورقة ٥٠٥ و/ سطر ٣٣-٣٤.

^٤ جميع النسخ: أي اختبار؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٤ و.

^٥ جميع النسخ: مبلون.

^٦ ر ع م: عبادة.

^٧ جميع النسخ: منة.

^٨ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧.

* وقع ما بين النحمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٥ و/ سطر ١٢-١٤.

وقوله: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم، الآية، قد ذكرنا فيما تقدم أنهم تناقضوا^١ في قولهم: ما هذا إلا بشر مثلكم، إلى قولهم:^٢ ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون، لما أنهم منعوا الأتباع عن أن يتبعوا الرسول ويطيعوه^٣ لأنه بشر مثلهم، ثم طلبوا منهم الطاعة لهم والاتباع في أمورهم وهم بشر أمثالهم، فذلك تناقض في القول وفساد.

﴿يَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [٣٥] ﴿هِيَاهُ هِيَاهُ لِمَا تُوَعَّدُونَ﴾ [٣٦]

وقوله: أيعدكم أنكم إذا متمم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون، قال بعضهم: هيهات استبعاد لأمر وإنكاره، أي بعيدا بعيدا، أي أمر لا يكون. * قال أبو عؤسحة: قوله: هيهات هيهات، هذا تبعيد للأمر، أي إنه أمر بعيد على ما ذكرنا ٥٥٥ طس ١٤ أنه لا يكون.*

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [٣٧]

وقوله: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، إن كان هذا القول من الثنوية والدهرية فقوله: نموت ونحيا هم بأنفسهم، لأنهم يقولون: يموت الإنسان فيحيا غيره من البقر والخمر^٤ وغيره من ترابه إذا أُكِلَ^٥. وإن كان هذا القول من غير الثنوية فنقول قوله: نموت ونحيا، أي نموت نحن ونحيا الأبناء. وذكر في حرف ابن مسعود وأبي: نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين.^٦

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [٣٨]

وقوله: إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين، هذا قولهم.^٧

^١ م: تناقض. انظر حول تفسير تناقضهم: سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤.

^٢ ر ع م: قوله.

^٣ ر ع م: الرسل ويطيعوا؛ ن: الرسول ويطيعوا.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٢٢ ط / سطر ٢٧.

^٤ ن: والخمر.

^٥ «هم يقولون: يموت الإنسان فيصير ترابا، ثم ينبت من ذلك التراب الكلاً فيأكله البقر والغنم فيصير ذلك جزءاً من أجزائها فيصير حيا بعد الموت. فهو معنى قولهم: نموت ونحيا، لا أنهم يقرون بالبعث» (شرح التأويلات، ورقة ٥١٤ و).

^٦ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٤، ١٤٨.

^٧ ر: قوله.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ [٣٩] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [٤٠]

وقوله: قال رب انصُرني بما كذبون، قد ذكرناه.^١ قال عما قليل ليصبحن نادمين، أي عن قريب يندمون بالتكذيب وعن هذا القول^٢ الذي قالوه والإنكار الذي أنكروه، لا شك في ذلك.*

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٤١]

وقوله: فأخذتهم الصيحة بالحق، قد ذكرنا. وقوله: فجعلناهم غثاء، قال بعضهم: الغثاء اليابس الهامد كنبات الأرض إذا يبس. وقال بعضهم: الغثاء هو الذي يحمله السيل بالموج. قال أبو معاذ: غُثَاءٌ أَخْوَى،^٣ أي أسود. وقال بعضهم: غثاء، أي موتى. وجائز أن يكون تأويل قوله: غثاء، أي كالشيء المنسي الذي لا يذكر ألبتة، لأن أولئك الفراعنة والأكابر إذا هلكوا لم يذكروا ألبتة ولا افتخروا^٤ أحدًا من أولادهم بهم من بعد الهلاك، كما افتخر أولاد الأنبياء والرسل والصالحين بأبائهم وأجدادهم من بعدهم وصاروا مذكورين إلى أبد الأبدين. فأما أولئك صاروا حاملي^٥ الذكر كالشيء الخسيس المنسي المتروك. وقوله: فجعلناهم غثاء، الغثاء ما ذكرنا على قول بعضهم كالريم الهامد الذي يحمله السيل. وعلى قول^٦ بعضهم كالشيء البالي المتغير. وعلى قول^٧ بعض: الغثاء ما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به. وكله واحد. وقال القُتَيْبِيُّ: غُثَاءٌ، أي هَلِكِي كَالْغُثَاءِ وهو ما علا^٨ السيل من الرَبْدِ والقَمَشِ،^٩ لأنه يذهب ويتفرق.^{١٠} قال أبو عَوَسَجَةَ: الغثاء ما يحمل السيل من العيدان والبُغْرِ، والأغْيِيَّةُ بجمع،^{١١} والغثاء حميل السيل.

^١ انظر: تفسير الآية ٢٦ من هذه السورة.

^٢ ر ع م: عن هذا القول.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٣٣ و ٣٦ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٥ ظ / سطر ١٢-١٥.

^٤ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَخْوَى﴾ (سورة الأعلى، ٥/٨٧).

^٥ ر: أهلكوا.

^٦ م: وافتخر.

^٧ ر م: أحدهم.

^٨ الحامل: الحَقْفِيُّ الساقط الذي لا تباهة له. يقال: هو حامل الذَّكْرِ والصوت (لسان العرب، «حمل»).

^٩ ر ع م: على قول.

^{١٠} ر م - قول.

^{١١} ر م: على.

^{١٢} القَمَشُ: الزديء من كل شيء (لسان العرب، «قمش»).

^{١٣} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧.

^{١٤} جميع النسخ: جميع.

ثم ذكر^١ أنفس قوم عاد وثمود وشبهها بما ذكر من العُتَاء، وكذلك يذكر أنفس جميع^٢ أهل الشرور والفساد. وذكر في أهل الخير أعمالهم لا أنفسهم^٣، لأن لهم أعمال الخير والصلاح فيجعل^٤ أنفسهم حية بالأعمال، كقوله: فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ^٥، جعل أعمالهم أحاديث فيما بينهم. وأما أهل الكفر والشر فإنه لا أعمال لهم تذكر فتذكر أنفسهم بعدا لهم^٦ وسحقا.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ [٤٢] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [٤٣] وقوله: ثم أنشأنا من بعدهم، قيل: من بعد قوم عاد وهؤلاء قرونا آخرين. ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون، كأنه ذكر هذا لما كانوا يستعجلون العذاب الموعود والهلاك الذي أوعدوا، فأخبر أن لكل أمة أجلا^٧ لا تسبق أجلها باستعجال^٨ من يستعجل، ولا يستأخرون أجلها الذي جعل لهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [٤٥] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [٤٦] وقوله: ثم أرسلنا رسلنا تترى، يتباع واحد بعد واحد، وبعض على إثر بعض. كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا، في الهلاك، الأول فالأول. وجعلناهم أحاديث، لمن بعدهم ولمن بقي منهم، يعني الذين أهلكوا. فبعدا لقوم لا يؤمنون.

^١ أي في الآيات السابقة، من هذه السورة، من ابتداء الآية ٣٣.

^٢ ن - أنفس.

^٣ م: لأنفسهم.

^٤ ع م: فتجعل.

^٥ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ (سورة سبأ، ١٩/٣٤). يبدو أن الاستدلال بهذه الآية على أعمال أهل الخير والصلاح ليس بصحيح، لأن هذه الآية تخبر عما نزل على ساكني سبأ من العذاب والهلاك. وستأتي قريبا آية أخرى تخبر عما نزل بمكذي الرسل من العذاب والهلاك أيضا، بقوله: ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وأما استدلال الإمام في أن أهل الخير، أي المؤمنين يذكرهم بأعمالهم لا بأنفسهم ففيه آيات كثيرة. من ذلك الآيات المبتدأة بها في السورة التي نحن بصدد تفسيرها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

^٦ ع م: بعدا وسحقا.

^٧ جميع النسخ: أجل.

^٨ ر م: بالاستعجال.

ثم أرسلنا موسى، قد ذكرنا. فاستكبروا وكانوا قوماً عالين، قيل: غالبين،^١ كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ.^٢ وقال بعضهم: متكبرين متحجرين.^٣ قال^٤ أبو عؤسجة: هو من العلوة، ليس من التعالي، والتعالي لا يوصف به الخلق.

قال القتيبي: تَشْرَى، أي تَتَابَعُ بفترةٍ بين كل رسولين، وهو من التواتر. والأصل وَتَرَى فَقَلَيْتُ الوأوتاء كما قلبوها في التَّقوى والتَّخْمة^٥ والثُّكْلان.^٦ وقال أبو عؤسجة: تترى: بعضهم على إثر بعض، وهو من المتابعة.

وفي قوله: ثم أرسلنا رسلنا تترى دلالة على^٧ أن أهل الفترة ومن كان فيما بين بعث الرسل لا عذر لهم في شيء لإبقاء الحجج والبراهين قبل أن يبعث آخر وحسن آثارهم وأعلامهم - أعني آثار الرسل وأعلامهم - حيث^٨ أخبر أنه أرسل الرسل تباعاً بعضها على إثر^٩ بعض وإن كانت^{١٠} بين بعثهم فترة، لما أبقى الحجج^{١١} / والبراهين وآثار الرسل وأعلامهم.^{١٢} والله أعلم. [٥٠٦هـ]

﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [٤٧] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [٤٨]

وقوله: فقالوا أنتم لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون، قال^{١٣} بعضهم: تذهب^{١٤} نرفعهم^{١٥}

^١ ر ع م - قيل غالبين.

^٢ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِف طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص، ٤/٢٨).

^٣ ر م: ومتحجرين.

^٤ ع: وقال.

^٥ التُّخْمة، بالتحريك: الذي يُصِيبُكَ مِنَ الطَّعَامِ إِذَا اسْتَوْحَمْتَهُ (لسان العرب، «وخم»).

^٦ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧. والتوكل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم الثُّكْلان (لسان العرب، «وكل»).

^٧ ن ع م - على.

^٨ ر م - حيث.

^٩ ر م - إثر.

^{١٠} جميع النسخ: وإن كان.

^{١١} م + و والبراهين قبل أن يبعث آخر وحسن آثارهم وأعلامهم أعني آثار الرسل وأعلامهم أخبر أنه أرسل الرسل تباعاً بعضها على بعض وإن كانت بين بعثهم فترة لما أبقى الحجج.

^{١٢} ر م: وأعمالهم.

^{١٣} ر: وقال.

^{١٤} ر ع: تذهب.

^{١٥} ر: ترفعهم.

بعد ما كنا نحن^١ غالبين عليهم نجعلهم^٢ غالبين علينا وكانوا لنا^٣ عابدين. أي نرفعهم^٤ فوقنا ونكون تحتهم، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع^٥ ذلك؟^٦ وذلك^٧ - والله أعلم - حين أتوهم بالرسالة. فكذبوهما فكانوا من المهلكين، صاروا من المهلكين بالتكذيب.^٨

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [٤٩]

وقوله: ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون. يشبه أن يكون حرف "لعل" لموسى، أي آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون عنده. و"لعل" حرف^٩ رجاء وترجيح^{١٠}، لكن يستعمل مرة على الإيجاب والإلزام، ومرة على النهي، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ^{١١}، أي لا تبخع نفسك، وقوله: فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ^{١٢}، أي لا تترك بعض ما يوحى إليك، وذلك جار^{١٣} في اللغة، يقول الرجل لآخر: لعلك تفعل كذا، أي لا تفعل، ونحوه. وحرف "لعل" من الله يحتمل الإيجاب والإلزام والنهي، ومن الخلق على النهي والترجيح. والله أعلم.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [٥٠]

وقوله: وجعلنا ابن مريم وأمه آية، خص عز وجل عيسى وأمه بأن جعلهما آية. وجميع البشر في معنى الآية واحد، إذ خلقوا^{١٤} جميعا من نطفة ثم حوّلت النطفة علقة^{١٥} والعلقة مضغة إلى آخر ما ينتهي إليه فيصير إنسانا. فالآية والأعجوبة في خلق الإنسان من النطفة

^١ ر ع م - نحن.

^٢ ر م ع: يجعلهم.

^٣ م - لنا.

^٤ ر: ترفعهم.

^٥ ر: تصنع.

^٦ ع: ذلك.

^٧ ن: وذلك.

^٨ ن: التكذيب.

^٩ ن + حرف.

^{١٠} جميع النسخ: إرجاء وترجيح.

^{١١} ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).

^{١٢} ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ (سورة

هود، ١٢/١١).

^{١٣} ع: جاز.

^{١٤} ع: واحدا واختلفوا.

^{١٥} ن + علقة.

ومما ذُكر^١ - إن لم تكن أكثر وأعظم - لم تكن بدون خلقه بلا أب ولا زوج وما ذُكر، لكنه خصهما بذكر الآية فيهما لخروجهما^٢ عن الأمر المعتاد في الخلق. والعادة الظاهرة فيهم أن يُخلقوا من النطفة والأب والتزاوج^٣ والتناسل الذي يجري فيما بينهم والأسباب التي جعلت^٤ للتوالد. فلخروجهما^٥ عن الأمر المعتاد والعادة الظاهرة خصّهما بذكر الآية. وإلا الآية^٦ والأعجوبة في خلق البشر من النطفة وما ذكر - إن لم تكن^٧ أكثر وأعظم - لم تكن دونه. وهو كما خصّ^٨ بني إسرائيل بالخطاب^٩ بالشكر لما أنعم عليهم من المن والسلوى ولما أبجّاهم من آل فرعون، بقوله: ^{١١} «اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُخْرَجْتُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ»، ^{١٢} وقال: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، ^{١٣} [وقال: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى]. ^{١٤} وقد كان عليهم من النعم ما هو أعظم وأكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم من فرعون وآله، لكنه خصّهم بذكر المن والسلوى واستأدى منهم الشكر بذلك من بين سائر النعم لأنها خرجت عن المعتاد من النعم المعروفة، وهم كانوا مخصوصين بهذا من بين غيرهم، فعلى ذلك عيسى وأمّه كانا خارجين عن الأمر المعتاد ومخصوصين^{١٥} بذلك، لذلك خصهما بذكر الآية. والآية ما ذكر بعض أهل التأويل أنه خلُق من غير أب ولدته أمّه من غير بعل^{١٦} وأمثالها.^{١٧}

^١ ر ع م: ذكرنا.

^٢ ن: لخروجها.

^٣ ر م + جعلت للتوالد.

^٤ ر ع م: جعل.

^٥ ع: التوالد؛ ر ع م + في الخلق.

^٦ ر: للخروجهما؛ م: لخروجهما.

^٧ ر م - وإلا الآية.

^٨ ر ع م: يكن.

^٩ جميع النسخ: ما خص؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٤ ظ.

^{١٠} م: الخطاب.

^{١١} ع: لقومه؛ ر م: لقومه.

^{١٢} ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجىكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذجون أبناءكم

ويستحيون نساءكم﴾ (سورة إبراهيم، ٦/١٤).

^{١٣} سورة البقرة، ٤٧/٢.

^{١٤} سورة طه، ٨٠/٢٠.

^{١٥} ن ع: مخصوصين.

^{١٦} ر م ع: فعل.

^{١٧} ن - وأمثالها.

وقال بعضهم: الآية في عيسى بأن كَلَّمَ الناس في المهدي صبيا ونحوه من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ومثله.^١

وقوله: وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ، ذكر أنه آواهما^٢ إلى ربوة كما يؤوي^٣ الأب والأم الولد إلى مكان يتعيش به؛ إذ الربوة هي مكان التعيش فيه، ألا ترى^٤ أنه ذكر ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ، وذات القرار^٥ هو المكان الذي يُسْتَقَرُّ فيه ويُتَعَشَّى. وقوله: وَمَعِينٍ المَعِين هو الماء الجاري الطاهر^٦ الذي تأخذه العيون وتقع عليه الأبصار.^٧

[٥٠٦ طس ١٦] * قال أبو عؤسجة: قوله: إلى ربوة، قال: الربوة^٨ المكان المرتفع. وآويته، أي وأدنيته.^٩ وقال القُتَيْبِي: الربوة الارتفاع. وكل شيء ارتفع أو زاد فقد ربا، ومنه الرِّبَا^{١٠} في البيع.^{١١} قال أبو معاذ: للعرب في الربوة أربع لغات: رَبْوَةٌ وَرُبُوءَةٌ وَرَبْوَةٌ^{١٢} وَرَبَاوَةٌ. وقوله: ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ، قال أبو عؤسجة: المَعِين الماء الطاهر^{١٣} الجاري، والقَرَار الثبات؛ وتقول منه: قَرَّ^{١٤} يَقَرُّ قَرَارًا، فهو قَارٌّ؛ وأقررت، أي أثبتته. وكذلك قال القُتَيْبِي. وقال: مَعِين ماء طاهر^{١٥} وهو مفعول من العِين، كان أصله مَعِينون كما يقال: ثوب نَحِيْطٌ وَبُرٌّ^{١٦} مَكِيلٌ.^{١٧} * [٥٠٦ طس ٢١]

^١ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنٍ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنٍ وَتُثْرِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنٍ وَإِذْ تَخْرِجُ الْمَوْتَى بِأَذْنٍ﴾ (سورة المائدة، ١١٠/٥).

^٢ ن: وآويهما.

^٣ ن ع م: يووي.

^٤ ن: يرى.

^٥ ر م - وذات القرار.

^٦ ر ع م: الظاهر.

^٧ ن - وقوله ومعين المعين هو الماء الجاري الطاهر الذي تأخذه العيون وتقع عليه الأبصار.

^٨ ع م - قال الربوة.

^٩ ر م: أويته.

^{١٠} ن ع م: الربوا.

^{١١} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧.

^{١٢} ع - وربوة.

^{١٣} ر م: الظاهر.

^{١٤} ر م - قر.

^{١٥} ر م: ظاهر.

^{١٦} ن: يد.

^{١٧} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٧.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٦ طس/سطر ١٦-٢١.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٥١]

وقوله: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملا صالحا، قال عامة أهل التأويل: إنما مخاطب بهذا محمدا خاصة على ما يخاطب هو، والمراد منه جميع أمته في ذلك. ولكن جازئ أن يقال: مخاطب به جميع الرسل لأنهم جميعا مخاطبون بهذا كله من أكل الطيبات والعمل الصالح؛ هذا الخطاب فيه وفي غيرهم، إذ عمهم جميعا بهذا. ثم الطيبات يحتمل أن^١ يراد به الحلالات، كأنه قال: كلوا حلالا غير حرام، ألا ترى^٢ أنه قال: واعملا صالحا، أي اعملوا صالحا ولا تعملوا سيئا، فعلى ذلك قوله: كلوا من الطيبات، أي كلوا حلالا ولا تأكلوا حراما ما^٣ تحبث^٤. وفيه أنهم يمتحنون كما يمتحن غيرهم من البشر^٥ بالأمر والنهي.° ويحتمل أيضا قوله: كلوا من الطيبات، ما طابت به أنفسكم وتلذذت، فإن كان على هذا فهو يخرج على الإباحة والرخصة ليس على الأمر. معناه: لكم أن تأكلوا ما تستطيع به أنفسكم ولكم أن تؤثروا غيركم به على أنفسكم. وإن كان على الأول^٦ فهو على الأمر يخرج والنهي. والله أعلم.

وقوله: إني بما تعملون عليم، ظاهر، وهو وعيد.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [٥٢]

وقوله: وإن هذه أمتكم أمة واحدة، جازئ أن يكون قوله: وإن هذه أمتكم أمة واحدة، في الكتب المتقدمة وعلى لسان الرسل السالفة،^٧ كقوله: كُنْتُمْ بَحِيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،^٨ أي كنتم خير أمة في الكتب المتقدمة وفي الأمم الماضية، فعلى^٩ ذلك هذا.^{١٠} وقال بعضهم: قوله: وإن هذه أمتكم أمة واحدة، أي دينكم دين واحد وملتكم ملة واحدة وهي الإسلام.

^١ ر م: بأن.

^٢ ن: يرى.

^٣ م - ما.

^٤ ر ع م - من البشر.

^٥ ر م - والنهي.

^٦ ر ع م: على الأمر.

^٧ ر م - السالفة.

^٨ سورة آل عمران، ١١٠/٣.

^٩ م: فعلى.

^{١٠} ن - فعلى ذلك هذا.

٥٠٦ | وقال بعضهم: لسانكم لسان واحد. وجائز / أن يكون قوله: أمتكم أمة واحدة، لا يختلِفون في رسولكم إلى يوم القيامة كما اختلف الأمم الذين من قبلكم في رسلهم، بل تجعلوا رسولكم رسولا على ما هو عليه. وأما سائر الأمم فإنهم قد فَرَطُوا فيهم حتى كان فيهم من جعل الرسول ابنا له، كقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ، والنصارى كذلك.^٣ وأما هؤلاء فإنهم لا يزالون على أمر واحد. والله أعلم.

وقوله: وأنا ربكم فاتقون، وقال في آية أخرى: فَاعْبُدُونِ،^٤ جائز أن يكونا واحدا، وجائز أن يكون قوله: فاتقون، أي مخالفتي. و فاعبدون،^٥ أي اعبدوني وأطيعوني.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [٥٣]

وقوله: فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا، قال بعضهم: فتقطعوا أمرهم، وفتقطعوا واحد، وهما لغتان: تفرَّقوا وفرقوا. زُبُرًا برفع الباء وزُبُرًا بنصب الباء.^٦ قال أبو معاذ: من قرأ بالنصب زُبُرًا فمعناه قِطْعًا، كقوله: آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ،^٧ وزُبُرًا بالرفع، أي كُنْبًا، كقوله: تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ،^٨ وقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ،^٩ ونحوه. وقال في حرف ابن مسعود وأبي: وقطعوا الزبور بينهم.^{١٠} قال أبو معاذ: قطعوا وتقطعوا لغتان كقيلك: علقت الشيء وتعلقته، وحولت وتحولت، ووليت^{١١} وتوليت ونحوه كثير.

كل حزب بما لديهم فرحون، راضون أو مسرورون بما لديهم من الدين، أو ما ذكرنا.

^١ ن - كان.

^٢ ر م - من.

^٣ ر م - كذلك. ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم﴾ (سورة التوبة، ٣٠/٩).

^٤ ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (سورة الأنبياء، ٩٢/٢١).

^٥ ر م: أي مخالفتي فاعبدون.

^٦ ر ن ع: وتقطعوا.

^٧ معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣٣٥/٣.

^٨ سورة الكهف، ٩٦/١٨.

^٩ ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراءات سجداً ويخفون كثيراً﴾ (سورة الأنعام، ٩١/٦).

^{١٠} ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ (سورة البقرة، ٧٩/٢).

^{١١} ن + زبرا. لم ترد هذه القراءة عنهما في كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٤، ١٤٨.

^{١٢} ع - ووليت.

﴿فَدَرَّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [٥٤]

فدرهم في غمرتهم حتى حين، وقال في آية أخرى: فَدَرَّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا^١، وقال: وَتَدَّرَّهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَغْمَهُونَ^٢، فذلك يحتمل وجوها. أحدها^٣ قال ذلك عند الإياس عن إجابتهم لما علم أنهم لا يؤمنون، وذلك في قوم مخصوصين، كأنه قال: دَرَّ هَؤُلاءِ وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَقْبَلُونَ أَمْرَكَ وَيَجِيبُونَ دَعَاءَكَ^٤ ويسمعونه.

والثاني فدرهم في غمرتهم، ولا تكافئهم^٥ حتى أنا أكافئهم، كقوله: فَدَرَّهُمْ حَتَّىٰ يَلْقَؤُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ^٦.

والثالث أمره أن يَدَّرهم ويُعرض عنهم لئلا يخوضوا في سب^٧ الله والطعن في آياته^٨، كقوله: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا^٩، الآية. وقوله: حَتَّىٰ حِينٍ، يحتمل القيامة، ويحتمل وقتنا^{١٠} آخر لم يبين. والله أعلم.*

وقوله: فِي غَمْرَتِهِمْ، قيل: في ضلالتهم وغفلتهم^{١١}. وقال [القُتَيْبِيُّ]:^{١٢} العَمْرُ الماء الكثير، وَعَمْرَةٌ^{١٣} الحرب وسطها، وَعَمْرَةٌ^{١٤} الموت شدتها، رَجُلٌ عَمْرٌ، أي سخي^{١٥}. وجمعه غمار. ويقال: عَمَّرَهُ^{١٦} الماء، أي صار فوقه. قال: والعَمْرُ العداوة^{١٧}، والعَمْرُ الذي لم يجرب الأمور،

^١ ﴿فَدَرَّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يَلْقَؤُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْعَدُونَ﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٨٣).

^٢ سورة الأنعام، ٦/١١٠.

^٣ م - أحدها.

^٤ ر م - نحو.

^٥ ن م: دعاءك.

^٦ جميع النسخ: ولا تكافئهم.

^٧ سورة الطور، ٥٢/٤٥.

^٨ ن: في بيت.

^٩ ر: الآية.

^{١٠} ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (سورة الأنعام، ٦/٦٨).

^{١١} ر ع م: وقت.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٦/ظ/سطر ١٦-٢١.

^{١٢} ر م: غفلتهم.

^{١٣} الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٥ و.

^{١٤} ر م: وعمرت.

^{١٥} ر م: غمرة.

^{١٦} ر ع م + ليس له جمع؛ ن + ليس له جمع.

^{١٧} ر ع: غمرة.

^{١٨} ر م: عداوة.

وقوم أغمار.^١ وَالْعَمْرُ الدَّسِيمُ، وَالْعَمْرَةُ الشَّدَّةُ، وَالْعَمْرَاتُ جَمِيعٌ، وَالْعَمْرُ الْقَدْحُ الصَّغِيرُ، وَالْمِغَامِرَةُ الْمَخَاطِرَةُ، تَقُولُ: غَامِرٌ بِنَفْسِهِ، أَي خَاطِرٌ بِهَا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [٥٥] ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٥٦]

وقوله: أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ، حَسِبَ أَوْلَئِكَ الْكُفْرَةَ أَنْ مَا أَمَدَّ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ وَمَا أُعْطِيَ لَهُمْ إِنْما أُعْطِيَ لَهُمْ خَيْرًا لَهُمْ وَبِرًّا لَا شَرًّا. فَأَخْبِرْ عِزَّ وَجَلَّ وَكَذَّبْهُمْ فِي حِسْبَانِهِمُ الَّذِي حَسِبُوا فَقَالَ: بَلْ لَا يَشْعُرُونَ، أَنَّهُ إِنْما أُعْطِيَ لَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا وَإِنَّمَا. فَعَلَى مَا حَسَبَ أَوْلَئِكَ الْكُفْرَةَ فِيمَا أُعْطُوا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ إِنْما أُعْطُوا خَيْرًا.

حَسِبَ الْمَعْتَزِلَةُ فِي قَوْلِهِمْ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ^٣ بِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا مَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُمْ^٤ فِي الدِّينِ؛ فَأَخْبِرْ أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِخَيْرٍ لَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَا أَصْلَحُ لَهُمْ، وَهُوَ مَا ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ: إِنْما نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا^٥. وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنْما نَمَلِّي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا خَيْرًا وَبِرًّا. وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي قَوْلِهِ: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنْما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا^٦، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا،^٧ بَلْ إِنْما أَرَادَ لِيُرْحِمَهُمْ بِهَا. فَيَقَالُ لَهُمْ: [أ] أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ، كَمَا قَالَ لِأَوْلَئِكَ الْكُفْرَةَ حَيْثُ قَالَ: أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ.^٨

^١ وَرَجُلٌ عَمْرُ الْبِدَاءِ وَعَمْرُ الْخُلُقِ، أَي وَاسِعُ الْخُلُقِ كَثِيرُ الْمَعْرُوفِ سَخِيٌّ. وَرَجُلٌ عَمْرٌ وَعَمْرٌ: لَا تَجْرِبَةُ لَهُ بِحَرْبٍ وَلَا أَمْرٌ وَلَمْ تَحْتَكِهِ السَّحَابُ (لِسَانُ الْعَرَبِ، «عَمْرٌ»).

^٢ ر ع م: مَا.

^٣ ع - لَا يَفْعَلُ.

^٤ ر ع م: لَهُ.

^٥ ﴿وَلَا يَحْسَبُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لَأَنْفُسِهِمْ إِنْما نَمَلِّي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ يُعَذِّبُهُمْ بِهَا﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، ١٧٨/٣).

^٦ ر م + وَهُمْ يَقُولُونَ إِنْما نَمَلِّي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا خَيْرًا وَبِرًّا وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي قَوْلِهِ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنْما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ؛ ع - بِهَا. ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنْما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ، ٥٥/٩).

^٧ ع: الْإِلا.

^٨ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ (سُورَةُ الْبَقَرَةِ، ١٤٠/٢).

إلا أن يكابروا في قوله: بل لا يشعرون، لما أنهم إنما قالوا ذلك على الظن والحسبان لا على العلم حيث قال: أيحسبون أننا نمدهم به من مال وبنين، فقال: بل لا يشعرون حيث قالوا ذلك ظنا وحسبانا. وإنما الواجب عليهم أن يعلموا^١ ذلك علم إحاطة ويقين. فجواب هذا أن يقال: إن عندهم أن ذلك إنما أعطى لهم وأملى خيرا وبِزاً لهم، فكانوا على يقين من ذلك وإحاطة عند أنفسهم. وإنما ذلك الظن والحسبان هم مما عند الله، وإلا كانوا على حقيقة العلم عند أنفسهم أنه إنما أعطاهم ذلك وأمد لهم خيرا. فأكذبهم الله في ذلك ورد عليهم قولهم: إنه إنما أعطاهم ذلك لما ذكروا، بل أخبر أنه إنما أعطاهم لمضادة ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٥٧]

وقوله: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، جائز أن يكون هذا موصولا بقوله: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ^٢، على التقديم والتأخير، فكأنه قال: / إنما نسارع في الخيرات للذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى آخر ما ذكر، لا لأولئك الكفرة. وجائز^٣ أن يكون على الابتداء، وصف الذين آمنوا وعتهم فقال: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، أي من عذاب ربهم خائفون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [٥٨]

وقوله: والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، الإيمان بالآيات يكون إيمانا بالله حقيقة لأن الآيات هن الأعلام التي تدل على وحدانية الله وربوبيته. والإيمان هو التصديق، فإذا صدق آياته وهن أعلام وأخبار تخبر عن وحدانية الله، فإذا صدقها صدق الله وآمن به، لذلك قلنا الإيمان بآياته يكون إيمانا بالله.^٤

^١ ر ع م - إنما.

^٢ ع: يعلمو.

^٣ الآية السابقة.

^٤ ر ع م: لا أولئك.

^٥ ر: جائز.

^٦ ع - إلى آخر ما ذكر لا أولئك الكفرة وجائز أن يكون على الابتداء وصف الذين آمنوا وعتهم فقال إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون.

^٧ ن: لله.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [٥٩]

وقوله: والذين هم بربهم لا يشركون، أي لا يشركون غيره في عبادتهم.^١

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [٦٠]

وقوله: ^١ والذين يؤتون ما آتوا، وفي بعض القراءات: ^٢ والذين يأتون ما آتوا، مقصورة، وهي قراءة عائشة. فمن قرأ: ^٣ يأتون ما آتوا، ^٤ وتأويله: أي الذين يعملون من عمل وجلت له قلوبهم أن ^٥ يتقبل منهم أم لا. ومن قرأ: ^٦ يؤتون ما آتوا، فهو من الإعطاء والإنفاق، ^٧ يقول: والذين يعطون ويُنفقون ^٨ ما أنفقوا وقلوبهم وجلة إن ذلك يقبل منهم أم لا. وفيه دلالة أن المطيع فما يطيع ربه يكون على خوف منه كالمسيء في إساءته. وكذلك روي عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالت: أهم ^٩ الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون؟ فقال: «لا ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات». ^{١٠} وجائر أن يكون قوله: وقلوبهم وجلة، لا على ذلك ولكن على ما يذكر، أي قلوبهم وجلة أنهم ^{١١} يرجعون إلى ربهم: على السعادة أم على الشقاوة. والله أعلم.

^١ ر ع م: عبادهم.

^٢ ن: قوله.

^٣ ر: القراءات.

^٤ ع: يؤتون.

^٥ م: قراء.

^٦ انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٣٣٧.

^٧ ر ع م: أي.

^٨ ع م: قراء.

^٩ ورد في مسند أحمد عن أبي حنيفة أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة، فسألها عبيد بن عمير كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: الذين يأتون ما آتوا أو يؤتون ما آتوا. فقالت: أيهما أحب إليك؟ فقال: والله لأحدهما أحب إلي من كذا وكذا قالت: أيتهما؟ قال الذين يأتون ما آتوا. فقالت: أشهد لكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف (المسند، ٦/١٤٤).

^{١٠} ر: أو ينفقون.

^{١١} ع: هم.

^{١٢} سنن ابن ماجه، الزهد، ٢٠؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤.

^{١٣} ر م: بهم.

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هُمْ سَابِقُونَ﴾ [٦١]

وقوله: أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون. أخبر أن الذين نعتهم ووصفهم هم الذين يسارعون في الخيرات، لا أولئك الكفرة الذين تقدم ذكرهم. وقوله: وهم لها سابقون، يحتمل أي سبقوا إلى الخيرات أو سبقوا أولئك الكفرة بها. والله أعلم.^١

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٦٢]

وقوله: ولا نكلف نفسا إلا وسعها، جازئ أن يكون ذكر هذا وقاله لما عمل أولئك الكفرة^٢ من الأعمال^٣ التي لا تسع ولا تحل فقالوا: الله أمرهم بذلك بقولهم: والله أمرنا بها،^٤ فقال: ولا نكلف نفسا إلا وسعها،^٥ أي إلا ما يسعها ويحل، كقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،^٦ ردًّا لقولهم وتكديبا لهم.^٧ ويحتمل وجها آخر وهو أن يقول: لا نكلف من الأعمال إلا وسعها، أي طاقتها، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما، أي لا نكلف أحدا^٨ من العمل ما يتلف طاقته ووسعه^٩ فيه؛ لا يُكَلِّفُ الغني من الإعطاء ما يتلف به غناه، وكذلك لا يكلف كل حي من العمل ما يتلف به طاقته وحياته، ولكنه إنما أمره وكلفه بأمر تحتل طاقته^{١٠} ذلك العمل والأمر. فإن كان كذلك فدل ذلك أنه لم يُرِدْ به طاقة العمل وقدرته ولكن طاقة الأحوال التي يجوز تقدمها عن الأفعال.^{١١} والثاني ذكر^{١٢} هذا لئلا يقولوا: إنا لم نُطِقْ ما كُلفنا،

^١ ر م - إلى الخيرات أو سبقوا.

^٢ ن + والله أعلم.

^٣ ر ع م - الكفرة.

^٤ ر ع م: أعمال.

^٥ ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

^٦ ع + جازئ أن يكون ذكر هذا وقاله لما عمل أولئك من أعمال التي لا تسع ولا تحل فقالوا الله أمرهم بذلك بقولهم والله أمرنا بها فقال ولا نكلف نفسا إلا وسعها.

^٧ تقدم قريبا.

^٨ ر ع م - لهم.

^٩ ر م: أحد.

^{١٠} ر م: وسعه.

^{١١} جميع النسخ: يحتمل طاقتهم.

^{١٢} جميع النسخ: الأحوال؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٥ هـ.

^{١٣} ر ع م: ذلك.

لأنهم تركوا الأعمال التي أمروا بها وكلفوا بأعمالٍ مثلها التي تركوها وهي المعاصي التي عملوها، فما أمروا من الأعمال ليس يفوق التي عملوها ولكن مثلها، فلا يكون لهم في ذلك احتجاج. وقوله: ^١ ولدينا كتاب ينطق بالحق قال قائلون: هو الكتاب الذي يُكتب فيه أعمالهم وأفعالهم من الخيرات والحسنات ^٢ والسيئات، وذلك كله محفوظ محصي عليهم، كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ. ^٣ فإن كان هذا فيكون قوله: بالحق، أي بالصدق. ^٤ وقال قائلون: هو ^٥ الكتاب الذي أنزل إلينا وهو هذا القرآن؛ ينطق عليكم بالحق الذي لله علينا وبالحق الذي يكون لبعضي على بعض، وهو كقوله: هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، ^٦ وهو ما ذكرنا من الحق الذي له علينا ومن الحق الذي لبعضنا على بعض. وجائز أن يكون هو اللوح المحفوظ، فإن كان هذا ففيه أن الله لم يزل عالماً بما كان ^٧ ويكون في الأوقات التي يكون [إلى] أبد الأبدين.

وهم لا يُظلمون، فإن كان على الكتاب الذي يكتب فيه أعمالهم فيكون قوله: لا يظلمون، لا يُنقص من أعمالهم التي عملوا من الخيرات ولا يزداد فيه على سيئاتهم، بل يُحفظ ما عملوا. أو أن يكون وهم لا يظلمون، أي لا يزداد على الجزاء على قدر أعمالهم ولا ينقص من قدرها، بل يُجزون على قدر أعمالهم. والله أعلم.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [٦٣]

وقوله: بل قلوبهم في غمرة من هذا، قيل: في عماية وجهالة وغفلة من هذا. قال قائلون: قوله: من هذا، ^٨ من الكتاب الذي كتب فيه أعمالهم وأحصي عليهم. وقال القائلون ^٩ قوله: بل قلوبهم في غمرة من هذا، أي من هذا القرآن الذي ينطق بالحق، أي قلوبهم في عماية وغفلة من هذا القرآن.

^١ ن: قوله.

^٢ ر - والحسنات.

^٣ سورة ق، ٥٠/١٨.

^٤ ر م: بالتصديق؛ ع: بالصدق.

^٥ ع: في.

^٦ ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٢٩).

^٧ ع: يكون.

^٨ ر ع م - قال قائلون قوله من هذا.

^٩ ر ع م + من.

وجائز أن يكون قوله: من هذا، من^١ الأعمال التي ذكر للمؤمنين فيما تقدم، من ذلك. قوله: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ^٢، إلى آخر ما ذكر من أعمالهم، فأخبر أن قلوب أولئك الكفرة في غفلة وعماية من الأعمال التي عملها المؤمنون. والله أعلم.

وقوله: ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، اختلف فيه، قال بعضهم: ولهم أعمال من دون ذلك، أي من دون ما عمل أولئك الكفرة من الأعمال التي تقدم ذكرها [٥٠٧هـ] من قوله: فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ. أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُؤْتُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيِّنَةٍ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ^٣، على ما ذكر، ثم أخبر أن لهم أعمالا من دون ما ذكر. وقال قائلون: ولهم أعمال، يعني المؤمنين^٤ الذين ذكر أعمالهم، أي لهم أعمال دون الذي ذكر، لهم دون تلك الأعمال.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ﴾ [٦٤] ﴿لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصِرُونَ﴾ [٦٥]

وقوله: حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجارون، قال أهل التأويل: ذلك في العذاب الذي أخذ أهل مكة في الدنيا من الجوع بسنين^٥ حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة ونحوه. لكن الأشبه أن يكون ذلك في عذاب الآخرة، ألا ترى أنه يقول: إذا هم يجارون، أي يتضرعون. ويقول أيضا: قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ^٦، فإنما يخبر أن كنتم تفعلون كذا في الدنيا ويذكر: إذا هم يجارون، فلا يحتمل أن يتضرعوا إليه في الدنيا ثم لا يقبل منهم ذلك التضرع. أو ينهاهم عن التضرع بقوله: لا تجاروا اليوم، فدل ذلك^٧ أنه في الآخرة، وهو ما ذكر: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا^٨، الآية. مثل هذا يكون في الآخرة،

^١ ن - من.

^٢ سورة المؤمنون، ٥٦/٢٣-٥٧.

^٣ سورة المؤمنون، ٥٤/٢٣-٥٦.

^٤ ر م: المؤمنون.

^٥ ر ع م: سنين. الشَّتَّة: الجُذْب والقحط. والجمع: بيثون وبتوات (لسان العرب، «سنه»).

^٦ الآية التالية.

^٧ ن: فداهلك.

^٨ ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٥-٨٥).

وفي الدنيا ما ذَكَرَ: وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ^١. ذكر في عذاب الدنيا أنهم لم يتضرعوا، فلا يحتمل أن يتضرعوا^٢ في الدنيا عند نزول العذاب بهم ثم^٣ لا يقبل منهم التضرع والاستكانة، دل ذلك أنه ما ذكرنا. ألا ترى أنه قال: لا تجأروا اليوم، نهاهم عن التضرع، ولا يحتمل النهي عن ذلك.

وقوله: **إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصرون، أي لا تُمنعون من عذابه.**

٥٠٧ ط س ٣١ * قال أبو عؤسجة: إذا هم يجأرون، أي يستغيثون. قال: وأصله من الصياح. وقال بعضهم: يجأرون يصرخون، وقيل: يصيحون.^٤

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصون﴾ [٦٦]

وقوله: قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون. قوله: على أعقابكم [تنكصون أي]، ترجعون، على التمثيل ليس على التحقيق، لأنهم إذا رجعوا على الأعقاب صار ما كان أمامهم وراءهم^٦ فكأنهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم. أو أن^٧ يكون المنقلب^٨ على الأعقاب كالمكب على الوجه، والمكب على وجهه مذموم عند جميع من رآه^٩ وعابنه، لهذا شتبه به وضرب مثله^{١٠} به. **وانه أعلم.**

٥٠٧ ط س ٣٤ * وقوله: **تنكصون**، قال بعضهم: ترجعون، وقال بعضهم: تستأخرون،^{١١} كقوله: **نكص على عقبيه**.^{١٢} ترجعون وتستأخرون^{١٣} واحد.*

^١ سورة المؤمنون، ٧٦/٢٣.

^٢ ر ع م - فلا يحتمل أن يتضرعوا.

^٣ ر ع م - ثم.

^٤ م - وقيل يصيحون.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ ط / سطر ٣١ - ٣٢.

^٦ ن - وراءهم.

^٧ ر ع م: وأن.

^٨ ر ع م: المنقلب.

^٩ ع: وراء.

^{١٠} ر ع م: أشبه وبه ضرب مثل.

^{١١} ر ع م: يستأخرون.

^{١٢} ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

^{١٣} ر ع م: ويستأخرون.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ ط / سطر ٣٤ - ٣٥.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [٦٧]

وقوله: **مستكبرين به**، قال عامة أهل التأويل: قوله: به، أي بالبيت. ووجه^١ هذا أنهم لما رأوا أنفسهم آمنين بمقامهم عند البيت وفي حرم الله وأهل سائر البقاع في خوف ظنوا أن ذلك لهم لفضل كرامتهم ومنزلتهم عند الله، فحملهم ذلك على الاستكبار على^٢ رسول الله ومن تابعه. وقال بعضهم: **مستكبرين به**، أي بالقرآن. وتأويله: أي استكبروا على الله ورسوله لما نزل القرآن. وإضافة^٣ الاستكبار إلى القرآن لأنهم بنزوله تكبروا على الله فأضاف استكبارهم إليه لأنه كان سبب تكبرهم، وهو كقوله: وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً [إلى قوله] فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ^٤ الآية، أضاف زيادة رجسهم إلى السورة لما بها يزداد رجسهم وكانت سبب^٥ رجسهم، وإن كانت لا تزيد رجسا في الحقيقة.

وقوله: **سامرا تهجرون**، قال الزجاج: **السمر** هو ظل القمر، فيه كانوا يهجون، **والسمر** هو حديث بالليل. وقوله: **تهجرون**، قال^٦ قائلون **تهجدون**.^٧ وقال بعضهم: **تهجرون القرآن**، أي كانوا لا يعملون^٨ به ولا يعبتون فهو الهجر. وفيه لغة أخرى: **تهجرون**،^٩ وهو كلام الفحش والفساد.^{١٠}

* وقوله: **سامرا تهجرون** ما ذكرنا من^{١١} الحديث بالليل. **تهجرون**، قال: **أي تهجدون** [٥٠٧ س ٣٢]

كما **يهذي النائم** أو **المريض**^{١٢} الشديد المرض. قال: **وأهجر يُهجر** من الهجر وهو الفحش، **وهجر يهجر** إذا سار في الهاجرة وهي شدة الحر.*

١ ر م: ووجهه.

٢ ر م: عن.

٣ م: وإضافت.

٤ ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أياكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).

٥ ر ع م - سبب.

٦ ر ع م: وقال.

٧ ع: تهجدون.

٨ ع: يعلمون.

٩ ن + تهجرون؛ ر م: يهجون.

١٠ أهجر به إهجارا: استهزأ به وقال فيه قولاً قبيحاً. والهُجْرُ: الهذيان (لسان العرب، «هجر»).

١١ ع: في.

١٢ ن + قال.

١٣ ر م: والمريض.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٧ / سطر ٣٢-٣٤.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [٦٨]

وقوله: أفلم يدبّروا القول، قيل: أي في القرآن. يحتمل قوله: أفلم يدبّروا، أي فهلا دبّروا ذلك القول الذي يقولون في الآخرة في الدنيا، وهو قولهم: ^١ أو نُزِدُ فَتَعْمَلْ عَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، وما ذكر من تضرعهم في الآخرة وهو قوله: ^٢ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ. وجائز أن يكون قوله: أفلم يدبّروا القول، أي قد دبّروا القول لكنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له أتفا واستكبارا. أولا ترى أنه إذا قرع أسماعهم قوله: فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، ^٣ وقوله: قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ^٤ الآية، لا يحتمل أن لا يدبّروا فيه. دل أنهم قد تدبّروا فيه وعرفوه، إلا أنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا أتفا منهم واستكبارا ^٥ واستكافا عن اتباعه والخضوع له.*

وقوله: أفلم يدبّروا القول، قد ذكرنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما على ترك التدبر فيه والتفكر والإعراض عنه، أي لم يدبّروا فيه ولم يتفكروا. والثاني على إيجاب حقيقة التدبر فيه والتفكر، أي قد تدبّروا فيه وعرفوا أنه حق وأنه ^٦ منزل من الله، لكنهم تركوا متابعتة عنادا وتمردا، إشفافا على ذهاب رياستهم وطعما على إبقائها ودوام ما كلفتهم. فأَي الوجهين كان فيه لزوم حجج الله وبراهينه على من جهلها ولم يعرفها بالإعراض عنها وترك التدبر فيها، حيث استوجبوا / عذاب الله ومقتة لجهلهم بها بترك التدبر ^٧ فيها بعد إذ ^٨ كان لهم سبيل الوصول إلى معرفتها. وظاهر قوله: أفلم يدبّروا، استفهام إلا أنه في الحقيقة إيجاب لها لا يجوز أن يستفهم الله أحدا، فهو على الإيجاب، لأنه علام الغيوب.

^١ ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسلنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

^٢ ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون﴾ (سورة المؤمنون، ٦٤/٢٣).

^٣ ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢٣/٢).

^٤ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (سورة الإسراء، ٨٨/١٧).

^٥ - واستكبارا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٦٤، ٦٦، و٦٧ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٧ ظ/سطر ٣١ - ٣٥.

^٦ ر ع م - حق وأنه.

^٧ ع: التدبير.

^٨ ر م: إذا.

وقوله: **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**، أي قد جاءهم ما جاء آباءهم^١ الأولين من الرسول، لم^٢ يأت هؤلاء شيء إلا ما أتى آباءهم، لم يُخْصُوا هم بالرسول فكيف أنكروه. ألا ترى^٣ أنهم قالوا: لئن جاءهم نذير لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،^٤ قد أقروا أن في الأمم المتقدمة رسولا حيث قالوا: لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ، وعلى ذلك يخرج قوله:

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [٦٩]

أم لم يعرفوا رسولهم، أي قد عرفوا رسولهم، لكنهم أنكروه وتركوا اتباعه لما ذكرنا في القرآن من أحد الوجهين عنادا وتكبرا، إشفاقا على رياستهم لكي^٥ تبقى. ألا ترى^٦ أنه قال: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،^٧ الآية. وعلى هذا [قوله]:

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [٧٠]

أم يقولون به جنة، أي قد عرفوا أنه ليس به جنة. وجائز أن يكون قوله: **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين**،^٨ جاء هؤلاء ما لم يأت آباءهم وخص هؤلاء ما لم يخص آباءهم. وكذلك قال ابن عباس: **لَعَمْرِي** لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين. وجائز أن يكون قوله: **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**، إلى ما ذكر من قوله: **أم يقولون به جنة**، لأنه يخرج على الأمر بالتدبر^٩ فيه ومعرفة الرسول أنه ليس كما يصفونه من الجنون وغيره، كقوله: **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا**،^{١٠} أي تفكروا^{١١} فيه فإنه^{١٢} ليس به جنة على ما يصفونه، أو على ما ذكرنا أنهم تفكروا وعرفوا

^١ ر ع م: ما جاءهم.

^٢ ر م: ثم.

^٣ ن: يرى.

^٤ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

^٥ ر ن م: لكن.

^٦ ن: يرى.

^٧ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢).

^٨ سورة المؤمنون، ٦٨/٢٣.

^٩ ع: بالتدبير.

^{١٠} ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة الأعراف، ١٨٤/٧).

^{١١} ع: يتفكروا.

^{١٢} م: وأنه.

أنه ليس به^١ جنون ولا شيء مما وصفوا به، لكنهم أرادوا أن يلبسوا أمره على أتباعهم وسفلتهم إشفافاً على إبقاء ما ذكرنا.^٢

وقال بعضهم: قوله: **أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**،^٣ من البراءة من العذاب. وقوله:^٤ **بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ**، بالرسالة والقرآن من عند الله وجعل العبادة له^٥ من دون الأصنام التي عبدوها. ولكن أكثرهم للحق كارهون، كرهوا الحق لما ظنوا أن في أتباعه ذهاب الرياسة والأسباب التي كانت لهم على أتباعهم بعد معرفتهم أنه حق. أو كرهوا لما يعرفوا في الحقيقة أنه حق، وإلا لا أحد ممن يوصف بصحة العقل وسلامته^٦ يكره الحق ويترك أتباعه إلا للوجهين اللذين ذكرناهما. **وَاللَّهُ أَعْلَمُ.**

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [٧١]

وقوله: **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ**. قال عامة أهل التأويل: الحق ههنا هو الله، أي لو اتبع الله أهواءهم في كفرهم وشركهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن. وتأويل هذا أن الكفر والشرك مما لا عاقبة له، وكل شيء لا عاقبة له فهو في الحكمة والعقل فاسد باطل غير مستحسن. وقال بعضهم: الحق ههنا كتاب الله وهو القرآن، أي لو جاء هذا القرآن^٧ على ما يهرون هم لفسد ما ذكر، لأنه يكون خارجاً عن الحكمة. وجائز أن يوصل قوله: **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ**، الحق الذي سبق ذكره. وهو قوله: **بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**،^٨ أي ذلك الحق إن كان رسالة أو قرآناً^٩ أو كل^{١٠} خير، لأن الحق هو اسم كل خير^{١١} واسم كل مستحسن

^١ ع - به.

^٢ أي على إبقاء الرياسة والجاه والمأكلة.

^٣ سورة المؤمنون، ٦٨/٢٣.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر م - له.

^٦ ر م: وسلامة.

^٧ ر ع م - أي لو جاء هذا القرآن.

^٨ الآية السابقة.

^٩ جميع النسخ: أو قرآن.

^{١٠} ن + كل.

^{١١} ر ع م - إن كان رسالة أو قرآناً أو كل خير لأن الحق هو اسم كل خير + أهواءهم وجاء على ما هوت به أنفسهم واشتهت.

وممدوح في العقل والحكمة. لو اتبع ذلك الحق أهواءهم وجاء على ما هوت به أنفسهم واشتهدت من عبادة غير الله وتسميتهم إياها آلهة وإنكارهم البعث والتوحيد وغير ذلك من الأفعال التي كانوا اختاروها وعملوها لفسدت السماوات والأرض وما ذُكر، لأنه يكون تخلُّقهم وتخلُّق ما ذكر من السماوات والأرض وما^١ فيهن لا لما توجه الحكمة والعقل؛ إذ^٢ تخلُّقهم وتخلُّق ما ذكر لأفعالهم التي يفعلون. فإذا^٣ خرج أفعالهم على غير ما توجه الحكمة والعقل، بل على السفه والجهل خرج [من] الذي لها حُلُق ومن أجلها^٤ أنشئ^٥ كذلك، إذ تخلُّق الشيء وفعله لا لعاقبة تُقصد خارج عن الحكمة. والله أعلم بذلك. وجائز أن يكون الحق هو رسول الله، أي رسول الله لو اتبع أهواءهم لفسد ما ذكر.

وقوله: بل أتيناهم بذكرهم، قال أهل التأويل: بشرفهم^٦ وذكرهم، كقوله: وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ.^٧ فهم عن ذكرهم معرضون، أي عن شرفهم معرضون. وجائز أن يكون الذكر هو الحق الذي تقدم ذكره، أي لو قبلوا ذلك الحق^٨ وأقبلوا نحوه يكون في ذلك ذكرهم من بعد هلاكهم كما يذكر أصحاب رسول الله من بعد ما تواتر. ألا ترى أن أولادهم بذكر آباءهم يتعیشون [و] يقولون: أنا من بني فلان، فيبزرهم الناس بذلك ويكرمونهم.^٩ وأما أولئك فإنهم لا يذكرون بشيء من ذلك، فذلك يدل على ما ذكرنا. ويحتمل قوله: بل أتيناهم بذكرهم، الثناء عليهم أن^{١٠} لو آمنوا، كقوله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،^{١١} الآية، وقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا،^{١٢} وقوله: وَالسَّابِقُونَ^{١٣} الْأُولُونَ،^{١٤} الآية، ونحو ذلك مما أثبت الله على من آمن منهم، فهم لو آمنوا استوجبوا بذلك الثناء.

١ ع: ومن.

٢ ر ع م: إذا.

٣ جميع النسخ: فإذا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٦ ظ.

٤ ر م: ومن أجلها.

٥ ر: الشيء.

٦ ر م: لشرفهم.

٧ ﴿وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (سورة الزحرف، ٤٣/٤٤).

٨ ر ع م + الذي.

٩ ر م: ويكرمونهم.

١٠ م: أنهم.

١١ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (سورة آل عمران، ١١٠/٣).

١٢ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).

١٣ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة، ١٠٠/٩).

وجائز أن يكون قوله: **بل أتيناهم بذكرهم، أي بدعاء لهم، وهو ما دعا الملائكة والرسل للمؤمنين، كقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ / لِلَّذِينَ آمَنُوا،^٢ الآية، وقوله: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ،^٤ وقول نوح: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ،^٥ الآية، وقول إبراهيم ودعائه؛ لهم^٦ لو آمنوا استوجبوا دعاء هؤلاء الملائكة والرسل جميعا. أو أن يكون ما ذكرنا من إبقاء ذكرهم إلى يوم القيامة كما بقي ذكر أولئك الذين آمنوا به وصدقوه، فيكون في ذلك كيلة شرفهم وقدرهم على ما قاله أهل التأويل. والله أعلم.**

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [٧٢]

وقوله: **أم تسألهم خرجا فخرجاج ربك خير، جائز أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ،^٧ أي قد عرفوا رسولهم. أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةً،^٨ أي ليس به حجة، أي ليس به شيء يمنعهم عن الإجابة له^٩ والإيمان به بما يُعذرون هم^{١٠} في ترك الإيمان به، فعلى ذلك قوله: **أم تسألهم خرجا، أي لم تسألهم أجرا على ما تدعوهم إليه حتى يمنعهم ثقل ذلك الأجر عن إجابته وتصديقه، [و] كقوله أيضا: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مَثْقَلُونَ.^{١١} يقطع بما ذكر جميع أذارهم وحقاجهم - وإن لم يكن لهم^{١٢} عذر ولا حجة - في ترك الإجابة له. وقال بعضهم: الخراج الرزق،^{١٣} أي لا تسألهم رزقا. ثم أخرج أن^{١٤} أجر ربك ورزقه^{١٥} خير وهو خير الرازقين.****

^١ جميع النسخ: بدعى.

^٢ جميع النسخ: دعى.

^٣ ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).

^٤ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).

^٥ ﴿رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات﴾ (سورة نوح، ٢٨/٧١).

^٦ لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (سورة إبراهيم، ٤٠/١٤-٤١).

^٧ سورة المؤمنون، ٦٨/٢٣-٦٩.

^٨ سورة المؤمنون، ٧٠/٢٣.

^٩ ر ع م - له.

^{١٠} ر م: مما يعذرونهم؟ ع: بما يعذرونهم.

^{١١} سورة الطور، ٤٠/٥٢.

^{١٢} ر م - لهم.

^{١٣} ر م: والرزق.

^{١٤} ر م - أن.

^{١٥} ر ع م - ورزقه.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٧٣]

وقوله: وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم، المستقيم القائم بالآيات والحجج، ليس كالسبيل التي يسلكون هم بلا آيات ولا حجج ولا برهان.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّا كِبُونَ﴾ [٧٤]

وقوله: وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون. هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن إنكارهم البعث والآخرة هو الذي حملهم على العدول عن الصراط المستقيم. والثاني أن الصراط الهدى^١ في الدنيا هو المجهول للآخرة، فإذا تركوا سلوكه لشهوات منعتهم عن ذلك أنكروا الآخرة، أو كلام نحو هذا. وقوله: لناكبون، أي لعادلون، من العدول عنه والمجانبة والميل إلى غيره.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٧٥]

وقوله: ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون، ذكر الضر ولم يذكر أي شيء كان، وليس لنا أن نقول: كان الجوع أو كذا إلا بَبَّتِ^٢. وفيه وجهان من المعتبر. أحدهما أن رفع المحن التي امتحنهم من البلايا والشدائد إنما يكون برحمة منه وفضل، لا على ما قاله بعض الناس بالاستحقاق حيث ذكر رحمته تكشف^٣ ذلك عنهم. والثاني فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر أنه، وإن كشف ذلك الضر عنهم، للَجُؤُا في طغيانهم، فكشف عنهم ذلك فلجوا في طغيانهم على ما أخبر، فدل أنه بالله عرف ذلك. والله أعلم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [٧٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَخْنَا

عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [٧٧]

وقوله: ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون. يخبر عن سفههم وجهلهم بالله وقسوة قلوبهم وتمردهم وعنادهم حيث أخبر أنهم - وإن أخذوا بالعذاب - لم يتضرعوا إليه وما استكانوا له لجهلهم بعذاب الله.^٤

^١ ر ع م: الذي.

^٢ أي بحجة

^٣ ع: يكشف. انظر في هذا الموضوع: تفسير الآيات ١٥٥-١٥٧ من سورة البقرة.

^٤ ر ع م + حيث أخبر أنهم وإن أخذوا.

حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون. اختلف في قوله: مبلسون، قال بعضهم: المبلِس الآيس من كل خير وهو ما وصفهم: إِنَّهُ لَيَبُوءُ كُفُورًا^١، وَفَيَبُوءُ قَنُوطًا^٢ ونحوه. وقال الزجاج: المبلِس الساكت المتحيز لا يدري ما يعمل به^٣. فعلى ذلك هم كانوا خيارى لما نزل بهم العذاب، لا يدرون ما يعملون به في دفع ذلك عنهم. وقال الكسائي: المبلِس المنقطع^٤ السبى الظن. قال: ومنه^٥ سمي إبليس إبليس^٦ لأنه آيس من رحمة الله وانقطع رجاؤه عنه^٧. وقال أبو عؤسجة: المبلِس^٨ البائس الحزين. ويقال: أبلس^٩ الرجل، أي آيس فحزن وأبلس^{١٠} غيره أيضا. وإنما^{١١} سمي إبليس إبليس لأنه يبس عن رحمة الله فحزن. قال: وقوله: فما استكانوا لربهم، أي لم يذلوا لربهم^{١٢} بالطاعة له والخضوع لما ذكرنا.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [٧٨]

وقوله: وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون، يذكرهم نعمه التي أنعمها عليهم ليستأدى^{١٣} بذلك الشكر له عليها. لكنه ذكر^{١٤} أمهات النعم [و] لم يذكر غيرها وهو السمع والبصر^{١٥} والفؤاد الذي ذكر، إذ بها يوصل إلى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث وكل ليتن وخشيش وكل سهل وشديد وكل حلل ومُر، وكان الإنسان مطبوعا

^١ ﴿ولكن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور﴾ (سورة هود، ٩/١١).

^٢ ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَبُوءُ قَنُوطًا﴾ (سورة فصلت، ٤٩/٤١).

^٣ انظر: تفسير القرطبي، ١٤/١١؛ وروح المعاني للآلوسي، ٤٠/٣.

^٤ ر ع م: المقطع.

^٥ ع: منه.

^٦ ر م - إبليس.

^٧ ر م: عنده.

^٨ ر م - المبلِس.

^٩ جميع النسخ: إبليس؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ١٧ هـ.

^{١٠} جميع النسخ: وإبليس؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ١٧ هـ.

^{١١} ع: إنما.

^{١٢} م - أي لم يذلوا لربهم.

^{١٣} ع: ليتأدى.

^{١٤} ر ع م: ذكرها.

^{١٥} ع: السميع والبصير.

على حبّ النافع والطيب واللين والسّهّل، واختيارها^١ على أضعادها^٢ والهزّب من كل ضار ومؤذٍ والفرار عن أضعاد ما ذكرنا من المختارات عنده. فأخبر أنه أعطى لهم ما يعرفون به النافع^٣ من الضارّ والطيب من الخبيث^٤ ونحوه، مشاهدة وخبراً، وما به يميّزون ذا من ذا ويختارون ما هو المختار عندهم من غيره وما ينفعهم مما يضرهم ليستأدى بذلك شكره ويذكّره^٥ في قوله: وَهُوَ الَّذِي دَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.^٦

* ثم أهل التأويل صرفوا قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ،^٧ إلى آخره، [٥٠٩ ورس ٢] إلى الكفار وهم يكفرون بنعمه^٨ التي دكّر وينكرونها وهم لا^٩ يشكرون رأساً، بقوله: قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ.^{١٠} إلا أن يقال: إنهم في بعض الأحيان^{١١} ربما يشكرون الله ويتضرعون إليه نحو قوله: فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلْكِ،^{١٢} الآية، ونحوه من الآيات التي ذكر فيها دعاءهم^{١٣} وتضرعهم إلى الله عند ما أصابهم^{١٤} الضرّ فذلك منهم شكر. أو أن يقال: إن قوله: قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ، أي قليلاً ما تشكرون رأساً؛ كقول^{١٥} الرجل لآخر: قليلاً ما تفعل كذا، أي لا تفعل أصلاً، فعلى ذلك هذا إن كان المراد منها والخطاب بها أولئك الكفرة، وإلا الخطاب بها يجيء أن يكون راجعاً إلى المؤمنين، إذ هم الذين يقومون ببعض الشكر لنعمه وقليله. وأما الكفرة فهم يكفرونها وينكرونها رأساً.*

[٥٠٩ ورس ٩]

^١ ر ن م: واختياره؛ ع: واختاره؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٧ و.

^٢ جميع النسخ: أضعاده؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٧ و.

^٣ ع: المنافع.

^٤ ع: والطيب والخبيث.

^٥ ر م: يذكّره.

^٦ الآية التالية.

^٧ سورة المؤمنون، ٧٨/٢٣.

^٨ ن: بنعمته.

^٩ ع - لا.

^{١٠} تنمة الآية.

^{١١} ر ن م: الأحيان؛ ع: الخايين.

^{١٢} ﴿فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البرّ إذا هم يشركون ﴿﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).

^{١٣} ع: دعاهم.

^{١٤} ن ع: أصاب بهم.

^{١٥} ع: كقوله.

* وقع ما بين النحمتين متأخراً عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٠٩ و / سطر ٢-٩.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٧٩]

وهو الذي ذرأكم في الأرض، أي جعلكم سكان الأرض بقدرته وسلطانه وأخبر أنه لم يخلقكم عبثاً ولكن للبعث بعد الموت والحشر إليه، لما ذكرنا في غير موضع أن خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والإحياء بعد الموت عبثاً ولعجب. وأخبر عن قدرته وسلطانه حيث قال:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٨٠]

وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار، إن من قدر وملك على إحياء الموتى وإماتة الحي لقادر على البعث، ومن ملك على إنشاء الليل بعد ما ذهب أثر النهار وإنشاء النهار بعد ما ذهب أثر الليل لقادر على الإحياء والبعث بعد الموت. ثم قال: أفلا تعقلون، أي أفلا / تعقلون أنه كذلك، فكيف تنكرون قدرته على البعث والإحياء بعد ما صرتم رماداً وتراباً، وكيف تشكرون غيره في عبادتكم إياه وتصرفون الشكر^١ إلى غيره فيما أنعم عليكم؟*

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ [٨١] ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [٨٢] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا لَئِنُ وَاَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [٨٣]

وقوله: بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا إذا متنا وكنا تراباً، يخبر جل وعلا رسوله^٢ سفه قومه وقولهم الذي قالوا له بعد ما تبين^٣ لهم حكمته في خلقهم وإنشاء ما أنشأ لهم وذكرهم نعمه التي أنعم عليهم وذكر قدرته وسلطانه فيما ذكر من قوله: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، وقوله: ^٤ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، وقوله: ^٥ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. ^٦

^١ ر ع م: وان..

^٢ ر م: عن إحياء.

^٣ ع: ماردا.

^٤ ع - الشكر.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٨ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٠٩ و / سطر ٢-٩.

^٦ م + عن.

^٧ ن: بين.

^٨ ن: قوله.

^٩ ع - وقوله.

^{١٠} سورة المؤمنون، ٢٣/٧٨-٨٠.

ذَكَرَهُمْ مَا ذَكَرَ فِي هَؤُلَاءِ آيَاتٍ مِنْ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِمْ وَقَدْرَتِهِ فِي إِنْشَاءِ مَا أَنْشَأَهُمْ، وَعَرَفَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفُوا ذَلِكَ كُلَّهُ.

ثم بين سفههم في جوابهم رسوله فقال: **بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأُولُونَ**، يخبر رسوله أن هؤلاء ليسوا بأول مكذبي الرسل ولكن كان لهم^١ شركاء وأصحاب في التكذيب، قلّد هؤلاء أولئك الأولين. يصتبر رسوله على سفه هؤلاء وأذاهم له^٢ ليصبر على ذلك كما صبر إخوانه الذين^٣ كانوا من قبل. أو^٤ يذكر هذا ليسلي^٥ بعض ما تداخل فيه بتركهم إجابته وتحريضهم فيما فيه هلاكهم، لأنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد أن يهلك^٦ نفسه لذلك حتى قال [تعالى:]: **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ^٧، وَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسُكَ^٨.**

ثم بين^٩ ما قالوا: **أِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين. يقولون: قد وعد^{١٠} آباؤنا بمثل ما وعدنا نحن فلم ينزل بهم ما أوعدوا من العذاب ولا ينزل أيضا بنا ما تعدنا وهو أساطير الأولين، أي أحاديث الأولين. ثم أمر رسوله أن يسألهم ما يلزمهم الإقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٤] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٨٥]

قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، فقالوا: لله،^{١١} لم يجدوا بدءًا من أن يقولوا:^{١٢} لله^{١٣} ويقروا به، لأنهم لو أنكروا ذلك جهلهم، ويظهر جهلهم عند كل الخلائق فقالوا: لله.^{١٤}

^١ ع - لهم.

^٢ ر ع م - له.

^٣ ع: الذي.

^٤ ر ع م: إذ.

^٥ ن - هذا.

^٦ ر م: السبيل.

^٧ جميع النسخ: تهلك.

^٨ سورة فاطر، ٨/٣٥.

^٩ ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسُكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء، ٣/٢٦).

^{١٠} ر ع م: فبين.

^{١١} ر ع م: وعدنا.

^{١٢} م: الله.

^{١٣} ر م: يقول.

^{١٤} م: الله.

^{١٥} م: الله.

فيقول: فإذا عرفتم أن ذلك كله له وهو خالقهم فكيف تركتم طاعته، وأنا لست أدعوكم إلا إلى ذلك أن تجعلوا الأرض وما فيها كله لله، أفلا تتعظون وتُقرّون^١ بما أدعوكم إليه، وعلى ذلك قوله:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [٨٦] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٨٧]

من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله، لا بد لهم من أن يقرّوا بذلك. فإذا عرفتم بذلك وأقرتم به، أفلا تتقون، مخالفته وتتقون نعمته. وكذلك ما قال:

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٨] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [٨٩]

قل من بيده ملكوت كل شيء، فإذا^٢ عرفتم ذلك وأقرتم به، فأني تُسْحَرُونَ. قيل: فأني تصرفون عن ذلك. وقال بعضهم: فأني تُخَدَعُونَ وتُعْرَوْنَ في ذلك إذا عرفتم ذلك أن كله لله. وجائز أن يكون قوله: فأني تسحرون، رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: إنه ساحر وإنه كذاب، وهو ليس يدعوكم إلا إلى ما أقرتم واعترفتم به فأني تنسبونه إلى السحر؟ والله أعلم.

وقوله: ملكوت كل شيء، قد ذكرنا فيما تقدم. وقوله: وهو يجير ولا يجار عليه، أي هو يؤمن كل خائف، ولا يقدر أحد أن يؤمن من أخافه هو، وهو كقوله: وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ^٣، الآية. قال أبو عؤسجة: قوله: وهو يجير، أي يمنع. ولا يجار عليه، أي لا يقدر أحد أن يمنع منه أحدا. فأني تسحرون، أي تُعْرَوْنَ وتُخَدَعُونَ، تقول: سُحِرْتُ، أي خُدِعت وعُررت. وقال: تُسْحَرُونَ، أي تُخَدَعُونَ وتصرفون عن هذا، وسمي السحر من هذا.

^١ ع: ويقرون.

^٢ ر م: فإذا.

^٣ ر ع م: فإذا.

^٤ ر ع م - وإنه.

^٥ ﴿وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنعام، ١٧/٦).

^٦ ر م + ولا يجار عليه.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [٩٠]

وقوله: ^١ بل أتيناهم بالحق، الحق ^٢ قد ذكرنا ^٣ أنه يحتمل وجوها. أحدها بالحق، أي بوحدانية الله وألوهيته وتعالیه عن الشركاء والولد وعمما وصفوه. أو أن يكون قوله: بالحق، أي بالقرآن الذي عرفوه أنه حق وأنه من عند الله. أو أن يريد بالحق محمدا صلى الله عليه وسلم، عرفوا أنه حق وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم. أو أن يكون الحق ما ذكر من ذكرهم وما فيه شرفهم ومنزلتهم. أو بالحق ^٤ الذي يكون لله ^٥ عليهم، وما لبعضهم على بعض من الحقوق. **وانه أعلم.**

وقوله: **وإنهم لكاذبون**، في وصفهم ربهم مما وصفوه بما لا يليق وصفه به. أو كاذبون بأن القرآن ^٦ مفتري ومُخلَق من عند غير ^٧ الله. / أو كاذبون في قولهم بأنه ساحر وأنه مجنون [٥٠٩ظ] وأنه ليس برسول، كذبوا في جميع ما أنكروا. **وانه أعلم.**

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [٩١] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٩٢]

وقوله: ^٨ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق. وجائز ^٩ أن يكون كل حرف من هذه الحروف موصولا بعبئه ببعض. بما تقدم. ^{١٠} وجائز أن يكون كل حرف من هذه الأحرف منفصلا من الأول مستبدا بذاته. فإن ^{١١} كان على الأول فيكون قوله: ما اتخذ الله من ولد، ولو كان اتخذ ولدا لكان لها، إذ الولد يكون من جنس الوالد ومن جوهره، لا يكون من خلاف جوهره ولا من غير جنسه في المتعارف، فإذا كان لها

^١ ن: قوله.

^٢ ر م - الحق.

^٣ انظر: تفسير الآية ٧١ من هذه السورة.

^٤ ر م: وبالحق.

^٥ م - لله.

^٦ ر ع: بالقرآن؛ م: في القرآن.

^٧ ر ع م - غير.

^٨ ن: قوله.

^٩ ع: غير جائز.

^{١٠} ر ع م: لما تقدم.

^{١١} ن: وإن.

من الوجه الذي ذكرنا لذهب إذا كل إله بما خلق. وإن كان منفصلاً فهو على ما ذكر من فساد ذلك كله، لأنه قال: ولو كان معه إله على ما زعموا إذاً لذهب كل إله بما خلق من الخير والشر والدلالة على ألوهيته، ولعلنا بعضهم على بعض، أي قهر وغلب بعضهم بعضاً، على ما يكون من عادة ملوك الأرض؛ فإذا كان ما قالوا ذهب دلالة الألوهية والربوبية. فإذا لم يكن ذلك دل أنه واحد لا شريك معه ولا ولد، إذ اتساق التدبير وحزبي الأشياء على حد واحد وستن واحد دالاً على ألوهية واحد لا لعدد،^٢ إذ لو كان لعدد لكان ما ذكر من غلبة بعض على بعض وقهر بعض لبعض، ثم ما ذكر: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا.^٤

ثم معلوم أن مثل هذا الاحتجاج لا يكون مع الذين ينكرون ألوهية الله ويعبدون الأصنام، وهم مشركو العرب وكفار مكة، ولكن إنما يكون مع الذين يقرون بألوهية الله^٥ لكن يجعلون معه شريكا لحاجة تقع له. وهم^٦ الثنوية والدهرية والمجوس وأولئك الذين يجعلون خالق الشر غير خالق الخير، وخالق هذا غير خالق هذا فيكون قوله: سبحان الله عما يصفون على هذا، أي يتعالى عما^٧ وصفوه بالحاجة له في خلق ما خلق والنفع له في ذلك، وكذلك قوله: فتعالى عما يشركون. وأما على ظاهر ما تقدم ذكره من اتخاذ الولد والشريك، سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك وما قالوا فيه ونسوا إليه مما لا يليق به. أو أن يكون قوله: سبحان الله عما يصفون، كما يوصف المخلوق المحدث، لأنهم وصفوه بالولد. والولد في متعارف الخلق لا يكون إلا من الوالد والأم،^٨ هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق. فإذا وصفوه باتخاذ الولد شبهوه بالمخلوق المحدث من الوجه الذي ذكرنا، فنزه نفسه عن ذلك.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْبِي مَا يُوعَدُونَ﴾ [٩٣] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٩٤]

وقوله: قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين. وقوله:

^١ ع - ما.

^٢ رم: دل.

^٣ ع: لعد.

^٤ سورة الأنبياء، ٢٢/٢١.

^٥ ن: لله.

^٦ ر: وهم.

^٧ ع - عما.

^٨ ع: والأمي.

إما تربيني ما يوعدون، يحتمل^١ وجهين. أحدهما رب إما تربيني أو لا تربيني^٢ ما يوعدون فلا تجعلني في القوم الظالمين، لأنه كان وعد له أن يُرَبِّيه بعض ما وعد لهم، بقوله: فَإِمَّا تَرُبُّنَا بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ^٣ فلا تُرَبِّيك شيئا، فقال: رب إن أَرَبِّيتني ما يوعدون أو لا تربيني فلا تجعلني في القوم الظالمين.

والثاني إنك وإن أَرَبِّيتني ما تعدهم^٤ على التحقيق فلا تجعلني في القوم الظالمين. ثم يحتمل قوله: فلا تجعلني في القوم الظالمين وجهين. أحدهما لا تجعلني في القوم الظالمين في العذاب الذي وعدت لهم أن ينزل، لأنه من العدل أن يعذبه ويعامله معاملة أهل العدل، كأنه يقول: رب لا تعاملني معاملة إياهم وإن كان ذلك من العدل أن تعاملني مثل ما تعامل أولئك، لأن رسول^٥ الله وإن لم يكن [منه]^٦ زلات ظاهرة فلقد كان من الله إليه من النعم والإحسان ما لو أخذ بشكر ذلك لم يقدر على أداء شكر واحدة منها، فضلا عن أن يؤدي شكر الكل. ألا ترى أنه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله». فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: «ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله برحمته». ^٧ و[الثاني] يحتمل قوله: فلا تجعلني في القوم الظالمين، في الزيف والغواية. يسأل ربه أن يعصمه عن الزيف والضلال^٨ والغواية الذي عليه القوم الظالمون، وهو كدعاء إبراهيم ربه وسؤاله^٩ العصمة عن الزيف بقوله: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ^{١٠}، وإن كان وعد لهم العصمة عن ذلك. والله أعلم.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرَبِّكَ مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ﴾ [٩٥]

وقوله: وإنا على أن نربك ما نعدهم لقادرون، هذا أيضا يحتمل وجهين. أحدهما يخبر رسوله أنه ليس لعجز يؤخر ما وعد لهم من العذاب ولكن لحلم منه وعفو، وهو كقوله عز وجل:

^١ ر م + على.

^٢ ر ع م - أو لا تربيني.

^٣ ﴿فَإِمَّا تَرُبُّنَا بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّا يُرَبِّجُونَ﴾ (سورة المؤمن، ٧٧/٤٠).

^٤ ر م: نعدهم.

^٥ ن ع: رسل.

^٦ الزيادة من الشرح، ورقة ٥١٧ ظ.

^٧ صحيح البخاري، المرضي ١٩، الرقاق ٣٩؛ وصحيح مسلم، صفة القيامة ١٨.

^٨ جميع النسخ: بالضلال.

^٩ ر م: وسؤال.

^{١٠} سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،^١ على التنبيه والإيقاظ، فعلى ذلك يحتمل هذا. والثاني يُعزِّي رسول الله ويصنره على أذاهم إياه. يقول: إني مع قدرتي على إنزال العذاب عليهم والانتقام منهم أَخْلُمُ عنهم^٢ وأؤخر عنهم، فأنت مع ضعفك على^٣ ذلك أولى أن تصبر على أذاهم. وعلى هذا يخرج قوله:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [٩٦]

ادفع بالتي هي أحسن السيئة، أي لا تكافئهم لأذاهم إياك ولا تشتغل بهم بمجازاة ذلك، ولكن ادفع ذلك^٤ بأحسن ذلك،^٥ وَكُلُّ مكافأتهم إني حتى أكافئهم. ونحن أعلم بما يصفون [٥١٠] من الكذب والأذى الذي يؤذونك. والثاني ادفع بالتي هي أحسن السيئة، أي ادفع / سيئاتهم المتقدمة بإحسان يكون منك إليهم ليكونوا لك أولياء وإخوانا في حادث^٦ الأوقات، وهو كقوله: ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.^٧

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [٩٧] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [٩٨]

وقوله: **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون**، وقال^٨ في آية أخرى: **وَإِنَّمَا يَنْتَرِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**،^٩ علم رسوله وأمره أن يتعوذ به من الشيطان الرحيم اللعين إذا نزع، ونزع^{١٠} وسوسته. وأمره أيضا أن يتعوذ من همزته أيضا وهو همه وقصده بذلك. وأمره أن يتعوذ بحضورهم^{١١} مكان الوسوسة حتى يدفع عنهم ولا يحضرون ذلك المكان. وكان التعوذ عن نزعهم ليدفع عنه^{١٢} لئلا يؤثروا في نفسه

^١ ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

^٢ ر ع م: منه؛ ن: منهم.

^٣ ر م: عن.

^٤ ر ع م - ولكن ادفع ذلك.

^٥ وعبارة الشرح: «ولكن ادفع بالتي هي أحسن» (ورقة ٥١٨ و).

^٦ ع: في أحاديث.

^٧ ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).

^٨ ع: قال.

^٩ سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.

^{١٠} أي بسبب حضورهم.

^{١١} أي وكان رسول الله قد تعوذ من نزع الشياطين ليدفع الله عنه ذلك.

بعد ما حضروه ووسوسوه^١، والتعوذ عن همزهم هو أن يدفع عنهم طعنهم ونخسهم لئلا يشغلوه بالذي قصدوه، به والتعوذ عن حضورهم مكان الوسوسة. قال الحسن: همز الشيطان المؤتة، والموتة^٢ عَشْيَانِ القلب.^٣ روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم، من^٤ هَمْزِهِ وَتَفْخِهِ وَتَفْثِهِ.^٥ وقال بعضهم: همزاته ونزعته واحد. وقال القُتَيْبِيُّ: همزات الشياطين نَحْسَهَا^٦ وطعنها، ومنه قيل: للعائب هَمْزَةٌ كأنه يطعن ويعيب.^٧ قال أبو عَوْسَجَةَ: همزات الشياطين وساوسهم، يقال: هَمْزٌ يَهْمِزُ هَمْزًا، أي وسوس. ومن وجه آخر هَمْزٌ يَهْمِزُ هَمْزًا، أي عاب يعيب. ومنه قوله: وَثِيْلٌ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ.^٨

ثم في قوله: رب أعوذ بك من همزات الشياطين، إلى آخر ما ذكر وجهان على المعتزلة. أحدهما أنه أمر رسوله أن يتعوذ به مما ذكر. فدل أن عنده لطفًا لم يعطه ما لو أعطاه الله لدفع به ما ذكر، وأنه مالك لذلك، إذ لو كان غير مالك لذلك يخرج السؤال به مخرج الهُزء به، إذ من طلب من آخر شيئًا يعلم أنه ليس عنده ذلك خرج ذلك الطلب منه^٩ مخرج الهُزء به، فعلى ذلك هذا. والثاني أن كل مأمور^{١٠} بالتعوذ جعل الله له الإعادة عما يتعوذ عنه. فالوجهان جميعا ينقضان على المعتزلة في قولهم: إن الله قد أعطى كلا الأصلح في الدين وأعطى كلا العصمة عن كل زيغ وضلال.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [٩٩]

وقوله: حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون، ظاهر هذا أن يكون قوله: رب ارجعون، بعد الموت وبعد ما عاين أهوال الآخرة وأفزاعها، لأن الموت ليس هو شيء

^١ ر: وسوسته.

^٢ ر - والموتة.

^٣ الموتة: جنس من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران. والموتة: العشي. والموتة: الجنون لأنه يحدث عنه سكوت كالموت (لسان العرب، «موت»).

^٤ جميع النسخ: قال في؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٤و.

^٥ انظر: سنن ابن ماجه، الإقامة ٢؛ وسنن أبي داود، الصلاة ١٢٣-١٢٤؛ وسنن الترمذي، الصلاة ٦٧.

^٦ ن - نخسها.

^٧ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٠.

^٨ سورة الحمزة، ١/١٠٤.

^٩ ر ع م - منه.

^{١٠} ع: مأمو.

يأتي من مكان إلى مكان، إنما هو شيء يذهب بالحياة التي فيهم. إلا أن أهل التأويل قالوا: إن ذلك عند معايتهم ملك الموت وعند هجومه عليهم بأهواله، فعند ذلك يسألون الرَّجْعَةَ إلى الدنيا. والأول أشبه وأقرب.

ثم قوله: **حتى إذا جاء أحدهم الموت**، ليس هو صلة قوله: **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**^١، ولا جوابه، لأنه ليس من نوعه ولا من جنس ذلك، ولكنه -والله أعلم- صلة قوله: **بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**^٢، وجواب قوله: **وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**^٣، ونحوه الذي تقدم ذكره. يقول: ^٤ وإنهم على ذلك حتى إذا جاء أحدهم الموت، فعند ذلك يرجع إلى الحق والتصديق لكن ذلك لا ينفعه في ذلك الوقت.

قال رب ارجعون ولم يقل: رب ارجعني، وذلك يخرج على وجهين. أحدهما سأل على ما يسأل الملوك ويخاطبون: افعلوا كذا، على الجماعة وإن كان إنما يخاطب واحداً، على ما خرج جواب الله وقوله: **إنا فعلنا كذا ونفعل كذا**.

والثاني أن يكون قوله: **رب ارجعون** يسأل ربه أن يأمر الملائكة الذين يتولون قبض أرواحهم أن يرجعوه إلى ما ذكر. **وانه أعلم**.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [١٠٠]

وقوله: **لعلِّي أعمل صالحاً فيما تركت**، قال بعضهم: فيما تركت، أي فيما كذبت. وقال بعضهم: فيما تركت في الدنيا من الأعمال الصالحة فأعمل بها. وجائز أن يكون قوله: **فيمَا تركت** من الأموال فأؤدي منه حقه؛ لأن من الكفرة من كان ^٥ سبب كفرهم منع الزكاة وجحودها، ^٦ كقوله: **وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**^٧. فيسأل ربه أن يرجع إلى المال الذي تركه ليؤدي الحق الذي كان فيه فمنعه،

^١ الآيات السابقة.

^٢ سورة المؤمنون، ٩٠/٢٣.

^٣ سورة المؤمنون، ٧٠/٢٣.

^٤ ر م: تقول.

^٥ جميع النسخ: ما كان.

^٦ جميع النسخ: وجحوده.

^٧ سورة فصلت، ٧-٦/٤١.

كقوله: **فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ**^١. وقوله: **فَأَصَّدَّقَ**، أي فأتصدق بالصدقة التي منعتهما، لأن الخطاب في الصدقة بقوله: **وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ**، الآية، وهذا أشبه. **وإِنَّهُ أَعْلَمُ**.

وقوله: **كَلَّا**، هو رد لما سألوا من الرجعة. وقوله: **إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا**. قال بعضهم: قوله: **إِنَّهَا كَلِمَةٌ**، هو قول الله: **وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا**^٢ الآية. هو **قَائِلُهَا**، أي الله قائلها، أي قالها بأنه لا يؤخر نفسا جاء أجلها. وقال بعضهم: **إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا**^٣، يعني الكافر عند معاينة العذاب وهو قوله: **ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**. ثم قوله: **كَلَّا**، على هذا يحتمل وجهين. أحدهما أنه لا حقيقة لسؤاله الذي يسأله من الرجعة ليعمل **العمل صالح**، أي إنه وإن **رُدَّ** ورجع لا يعمل، كقوله تعالى: **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**^٤. والثاني أن لا منفعة لهم في سؤالهم الرجعة، إذ لو **رُجِعُوا** / لا يصلون إلى ما يأملون، لأنهم إنما يسألون **ليؤمنوا**، والإيمان سبيله الاستدلال، فإذا لم يستدلوا به وقت أمنهم **وفُشِحَتْهُمْ** فكيف يقدرّون على الاستدلال في وقت خوفهم. **وإِنَّهُ أَعْلَمُ**.

وقوله: **وَمِن وَّرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**، قال بعضهم: **ورائهم**، أي أمامهم. قال أبو معاذ: **[إنه] مشتقة**^٥ من "تواريت عنك". فكل ما توارى عنك - أمامك كان أو خلفك - فهو وراءك. وقال بعضهم: **من ورائهم** على حقيقة الوراثة. **برزخٌ إلى يوم يبعثون**، قال بعضهم: البرزخ هو ما بين النفتين^٦. وقال بعضهم: البرزخ هو الأجل بين الموت والبعث، وهو قول الكلبي وقائدة^٧. وقال مجاهد: البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا^٨.

^١ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة المنافقون، ١٠/٦٣).

^٢ ن: قوله.

^٣ ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المنافقون، ١١/٦٣).

^٤ ر م - هو.

^٥ ر ع م - أي الله قائلها أي قالها بأنه لا يؤخر نفسا جاء أجلها وقال بعضهم إنها كلمة هو قائلها.

^٦ غ: يعمل.

^٧ ﴿بَلْ بَدَأْنَاهُمْ مَا كَانُوا يُحْفَوْنَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (سورة الأنعام، ٢٨/٦).

^٨ جميع النسخ: ومشتقة.

^٩ ر م: نفختين.

^{١٠} تفسير الطبري، ٥٣/١٨.

^{١١} تفسير القرطبي، ١٥٠/١٢.

وقال القُتَيْبِيُّ وأبو عُبيدة: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، وقالوا: كل شيء بين شيئين فهو برزخ.^١ وقال أبو عَوْسَجَةَ: البرزخ ما بين الحدين: يعني الدنيا والآخرة؛ وقال: البرزخ^٢ الأرض المستوية. وأصل البرزخ الحاجز، ومنه^٣ قوله: وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا،^٤ أي حاجزا. وتأويله: أي صاروا إلى الوقت الذي يَحْجُزُهُمْ عما يَتَمَتُّونَ ويَشْتَهُونَ وهو كقوله: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ،^٥ وإنما يشتَهُونَ ويتمتُّونَ الإيمان والأعمال الصالحة. وجائز أن يكون قوله: ومن ورائهم برزخ، أي من وراء^٦ أحوالهم الممكنة الإيمان فيها^٧ أحوال لا يمكن فيها الإيمان وما عموما من العمل الصالح. والله أعلم. وفيه نقض قول الباطنية، لأنهم يقولون: البعث هو أن يجعل للمؤمن من الأعمال الصالحة صورة روحانية تُبْقَى أبدا تُثاب^٨ تلك الصورة الروحانية، ومن الأعمال^٩ القبيحة السيئة للكافر صورة قبيحة^{١٠} روحانية هي تعاقب وتعذب أبدا، فذلك البعث عندهم. فأخبر عز وجل أن بين موتهم وبين البعث برزخ^{١١} وهو^{١٢} الأجل الذي ذكرنا أو الحاجز. فدل ذلك على نقض قولهم أن ليس البعث إلا خروج الصورة الروحانية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [١٠١]

وقوله: فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، إن كان^{١٣} قوله: فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، في الناس كلهم فذلك في اختلاف المواطن على ما قاله ابن عباس وغيره من أهل التأويل واختلاف الأوقات؛ لا يتساءلون في موطن أو في وقت،

^١ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٠.

^٢ ر ع م - وقال البرزخ.

^٣ ر: منه.

^٤ ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فراتٌ وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وجنرا محجورا﴾ (سورة الفرقان، ٥٣/٢٥).

^٥ ع: أو تأويله. أي تأويل قوله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ﴾.

^٦ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب﴾ (سورة سبأ، ٥٤/٣٤).

^٧ ر م: من ورائهم.

^٨ جميع النسخ: فيه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ١٨ ٥ ظ.

^٩ جميع النسخ: يثاب.

^{١٠} ر م: من الأعمال.

^{١١} ر م: البرزخ.

^{١٢} ع: هو.

^{١٣} ع- كان.

ويتساءلون في وقت آخر وفي موطن آخر. ^١ ألا ترى ^٢ أنه قال: وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، ^٣ ونحوه. وإن كانت ^٤ الآية في الكفرة خاصة فهو يخرج على وجهين. أحدهما فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، لأنه كان يتناصر بعضهم ببعض على غيرهم ويستعين بعضهم بعضا ويكونون ردءًا لهم في هذه الدنيا وشفعاء وأعوانا وأنصارا، فأخبر أن ذلك ينقطع بينهم، ويذهب ذلك التناصر عنهم في الآخرة. والعرب خاصة ^٥ كانت يتفاخر بعضهم على بعض بالأنساب ويتناصر، فأخبر أن ذلك منقطع عنهم في الآخرة.

والثاني فلا أنساب بينهم وما ذكر، يومئذ لشغلهم ^٦ بأنفسهم لفرع ذلك اليوم وأهواله، يُنسى بعضهم ^٧ بعضا وَيَهْرَبُ مِنْهُ، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ، ^٨ الآية، وقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، ^٩ الآية، وقال في آية أخرى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، ^{١٠} الآية. فذلك كله لشدة أهوال ذلك اليوم وأفراعه. كان لكل في نفسه شغل ^{١١} حتى لا يتفرغ إلى أحد وإن قرب منه ^{١٢} لشغلهم بأنفسهم. ^{١٣} وإن كان في الناس جميعا ^{١٤} فهو ما ذكرنا أن ذلك يكون في اختلاف المواطن والأوقات؛ يسألون في وقت ولا يسألون في وقت، ويسألون في موطن ولا يسألون في موضع، أو يسألون عن شيء ولا يسألون عن آخر.

^١ ر ع م - وفي موطن آخر.

^٢ ن: يرى.

^٣ سورة الصافات، ٢٧/٣٧.

^٤ ر: كان.

^٥ جميع النسخ: كان؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٨ ظ.

^٦ ع: يشغلهم.

^٧ ن م: بعض.

^٨ ﴿مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ (سورة إبراهيم، ٤٣/١٤).

^٩ ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/٣٧).

^{١٠} ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

^{١١} جميع النسخ: شغلا.

^{١٢} ر ع: عنه.

^{١٣} م - لفرع ذلك اليوم وأهواله ينسى بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم الآية وقوله يوم يفر المرء من أخيه الآية وقال في آية أخرى وترى الناس سكارى الآية فذلك كله لشدة أهوال ذلك اليوم وأفراعه كان لكل في نفسه شغل حتى لا يتفرغ إلى أحد وإن قرب عنه لشغلهم بأنفسهم.

^{١٤} أي في المسلم والكافر جميعا.

وروي في^١ الخبر^٢ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل نسب كان فهو منقطع إلا نسبي»، أو كلام نحو هذا.^٣ ثم يحتمل قوله: «إلا نسبي» وجهين. أحدهما الشفاعة له في أنسابه، لا يكون ذلك لغيره في نسبه، فإذا أراد هذا فهو على حقيقة نسبه. والثاني أراد بقوله: إلا نسبي المتعین^٤ له في دينه، لأن كل من اتبعه فقد انتسب إليه فكأنه قال: إن كل شفاعةٍ دوني فهو منقطع إلا شفاعتي، لمن^٥ اتبعني وانتسب إلي^٦ بقبوله ديني.

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠٢] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [١٠٣]

وقوله: فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه، جازئ أن يكون قوله: فمن ثقلت موازينه، أي من عظم قدره ومنزلته عند الله بالأعمال التي عملها^٧ من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين. ومن خفت منزلته وقدره عند الله^٨ بأعماله^٩ الخبيثة السيئة فهو من الذين خسروا أنفسهم. والله أعلم. وقد ذكرنا أقاويل أهل التأويل في الموازين^{١٠} فيما تقدم^{١١}.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [١٠٤]

وقوله: تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، قال بعضهم: لفتحهم النار لفتحة فلم تدع لحما على عظم إلا ألقته. وهم فيها كالحون، قال^{١٢} بعضهم: عابسون، وقال بعضهم:

^١ ر ع - في.

^٢ ن - في الخبر.

^٣ مسند أحمد بن حنبل، ٤/٣٢٣؛ والمستدرک للحاكم، ٣/١٤٢؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ٧/٦٤. قال الناشرون لكتاب مسند أحمد بن حنبل في هذا الحديث: حديث صحيح دون قوله «وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسبي وصهري» فهو حسن بشواهد. الخ. (مسند أحمد بن حنبل، نشر مؤسسة الرسالة، ٢٠٧/٣-٢٠٩).

^٤ ر ع م: المعين.

^٥ ر م: فمن.

^٦ ع - إلي.

^٧ جميع النسخ: عملوها.

^٨ ع + بالأعمال التي عملوها من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين ومن خفت منزلته وقدره عند الله.

^٩ ع: بأعمال.

^{١٠} ر م: الموازن.

^{١١} انظر تفسير الآيتين من سورة الأعراف، ٧/٨-٩.

^{١٢} ع: وقال.

تَلْفَح، أي تَنْفُخ، وقال بعضهم: تلفح تشوي وتُحرق؛ وذلك عادة النار، إنها تعمل كل هذا العمل. وقال أبو عَوْسَجَة: تلفح، أي تضرب، والتلفح الضرب، يقال: لفتح النار، أي ضربته فأحرقت وجهه، تلفح لَفَحًا، فهي لافحة. والكالح العابس.

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [١٠٥]

وقوله: ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون،^١ كذلك كانوا يكذبون.^٢ وقد ذكرنا في غير موضع.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [١٠٦]

وقوله: قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا،^٣ أما ما قال أهل التأويل: غلبت علينا، أي ما كتبت علينا من الشقاوة فإنه لا يحتمل،^٤ لأنهم يقولون ذلك القول اعتذرا لما كان منهم من التفريط في أمره والتضييع، فلا يحتمل أن يطلبوا لأنفسهم عذرا فيما كان منهم، إذ لو كان ما ذكر أولئك لكان في ذلك طلب العذر / لأنفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لأنفسهم [٥١١] ولكن يقرون بما كان منهم، كقوله: فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ.^٥ لكن يحتمل وجهين. أحدهما يقولون: ربنا شَقِينَا بأعمالنا التي عملناها وظلمنا أنفسنا^٦ وكنا قوما ضالين. والثاني عملنا أعمالا استوجبنا بتلك^٧ الأعمال جزاء، فنحن أولى بذلك الجزاء فغلب علينا جزاء تلك الأعمال، أو كلام نحو هذا. وأما ما قاله أولئك من أهل التأويل: غلبت، أي كتبت، فهو بعيد، لأنه إنما يكتب ما يفعل^٨ العبد وما يعلم أنه يختاره،^٩ لا يكتب غير الذي علم أنه يفعل ويختار.^{١٠} والله أعلم.

^١ ع + آياته.

^٢ ع - كذلك كانوا يكذبون.

^٣ جميع النسخ + قال.

^٤ ر ع م - أي ما كتبت علينا.

^٥ ع + لأنهم يقولون ذلك كانوا يكذبون آياته كان منهم من التفريط في أمره والتضييع فلا يحتمل.

^٦ ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة الملك، ٦٧/١١).

^٧ ع: أنفسهم.

^٨ جميع النسخ: بذلك.

^٩ ر: يكتب ما بالفعل.

^{١٠} ع: يختار.

^{١١} ر م: ويختاره.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [١٠٧]

وقوله: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قوله: فإنا ظالمون، ظلم عيان وظلم ظاهر، وإلا قد كانوا أقرؤا بالظلم بقولهم: ^١ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ، ^٢ وقوله: وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، ^٣ قد أقرؤا بالظلم لكنهم أقرؤا بظلم ^٤ خبر وظلم سماع لا ظلم عيان فقالوا: أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، ظلم عيان. والله أعلم.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [١٠٨]

وقوله: قال اخسئوا فيها ولا تكلمون، قال بعضهم: قوله: اخسئوا، أي اسكتوا، وقال بعضهم: اخسئوا، أي ابعدوا فيها. قال أبو عؤسجة: يقال: خسأت فلانا وأخسأته، أي باعدته فحسب، ^٥ أي تباعد.

وقوله: ولا تكلمون، يحتمل الوجهين. أحدهما جائز أن يكون هذا السؤال منهم في أول ما أدخلوا فيها فقال لهم: اخسئوا فيها ولا تكلمون، فإنكم ما كتون. أو أن يكون هذا السؤال منهم بعد ما سألو المالك ^٦ الموت مرة، بقوله: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ، ^٧ الآية، وسألوا مرة تخفيف العذاب، بقوله: أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، ^٨ فلما أسوا منه فعند ذلك يسألون ربهم إخراجهم منها والإعادة ^٩ إلى المحنة فقال: اخسئوا فيها، أي ابعدوا فيها، ولا تكلمون، أي تصيرون بحال لا يقدر على الكلام لشدة العذاب فعند ذلك يكون منهم الشهيق والزفير. ^{١١}

^١ ع: يقول هم.

^٢ سبق قريبا.

^٣ الآية السابقة.

^٤ ن: بالظلم.

^٥ جميع النسخ: فحسأ.

^٦ ر ع م - فيها.

^٧ ر ع م: الملك.

^٨ ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كتون﴾ (سورة الزحرف، ٧٧/٤٣).

^٩ سورة المؤمن، ٤٠/٤٩.

^{١٠} ر م + منها.

^{١١} لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَمِعُوا فِي النَّارِ لَمْ يَرْجُوا فِيهَا زَفِيرًا وَشَهيقًا﴾ (سورة هود، ١١/١٠٦).

﴿إِنَّهٗ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [١٠٩]
 ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [١١٠]

وقوله: إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون. يخبر عز وجل أولئك الكفرة الذين يسألون الإخراج من النار: إنكم قد اتخذتم فريقا من عبادي آمنوا بي^١ سخريا وكنتم منهم تضحكون، يذكر هذا لهم -والله أعلم- ليكون ذلك حسرة عليهم^٢ ونكاية.

وقوله: سخريا،^٣ اختلف في قراءته وتأويله. قرأ بعضهم سِخْرِيًّا بكسر السين، وقرأ بعضهم برفعه. قال أبو معاذ: من قرأ برفع السين فهو من العبودة^٤ والخئولة^٥، أي اتخذتموهم حولا وعبيدا. ومن قرأ بكسر السين فهو من الاستهزاء والهُزء^٦. وقال الكسائي بالرفع والكسر جميعا من الاستهزاء، ولا يقال في العبودة إلا^٧ برفع السين. وقال بعضهم^٨: هما سواء^٩.

* قال القُتَيْبِيُّ: سِخْرِيًّا بكسر السين، أي تَسْخَرُونَ^{١٠} منهم. وسِخْرِيًّا بضمها، أي تَسْخَرُونَهم^{١١} [٥١١ ط ٩] من السُّخْرِيَّةِ.^{١٢} وقوله: حتى أنسوكم ذكري، أي شغلكم أمرهم عن ذكري.^{١٣} والوجه فيه ما ذكرنا فيما تقدم.*

^١ ر - بي.

^٢ ر م - عليهم.

^٣ ر - سخريا.

^٤ ع + العبودة.

^٥ م: والخئولة. تحوُّل الرجل: حَسَمُهُ، الواحد خائل، وقد يكون الخول واحداً وهو اسم يقع على العبد والأمة؛ والخول: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء (لسان العرب، «خول»).

^٦ ر م: الحمز.

^٧ ر م: لا.

^٨ ر - بعضهم.

^٩ انظر حول الآراء: تفسير القرطبي، ١٢/١٥٤. قال في اللسان: وقيل: السُّخْرِيُّ، بالضم، من التسخير والتسخير والتسخري، بالكسر، من الهُزء (لسان العرب، «سخر»).

^{١٠} جميع النسخ: يسخرون.

^{١١} جميع النسخ: يتسخرونهم.

^{١٢} ر ع م + عبثا.

^{١٣} ر ع م: قوله.

^{١٤} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٢٩٦.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١٤، فقد مناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١١ ط / سطر ٩-١٠.

وقوله: حتى أنسوكم ذكري، قال^١ بعضهم: حتى أنساكم الهزء بهم عن العمل بطاعتي. وقيل: أضاف الإنساء إلى الذكر لأنهم كانوا بذكرهم^٢ ودعاءهم^٣ إلى ذكر الله يهزءون بهم فأضاف إليه لذلك،^٤ فكان كإضافة الرجس إلى السورة، لأن ذلك إنما يزداد لهم عند تلاوة السورة فأضيف ذلك إلى السورة، وإلا كانت السورة لا تزيد رجسا.^٥ فعلى ذلك أضاف^٦ الإنساء إلى ذكره لما عند ذكره ودعائهم إليه يحملهم إلى ذلك - والله أعلم - فأضيف إليه.

﴿إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [١١١]

وقوله: إني جزيتهم اليوم بما صبروا، أي إني جزيتهم اليوم الفوز بما صبروا في الدنيا على أذى أولئك الكفرة أو على أداء ما أمروا به ونهوا عنه. أو أن يكون ذلك كقوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،^٧ ونصره إياهم هو أن صارت لهم العاقبة.^٨ والله أعلم.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [١١٢] ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ

الْعَادِينَ﴾ [١١٣]

وقوله: قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، اختلف فيه، قال مقاتل بن سليمان: في القبور. وقال^٩ أبو معاذ: قد^{١٠} أخطأ مقاتل وذلك قول من ينكر عذاب القبر وهو قول الجهمية، لأن من كان في عذاب وشدة لا يقتصر المقام فيه كل هذا الاقتصار حتى يقول: لبثت يوماً أو بعض يوم، بل يزداد له مقام يوم في العذاب على سنة وأكثر،

^١ ع: وقال.

^٢ ع: يذكرهم.

^٣ م: ودعاهم.

^٤ ر م: ذلك.

^٥ لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ فَمَنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥).

^٦ ع - أضاف.

^٧ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (سورة المؤمن، ٥١/٤٠).

^٨ جميع النسخ: عاقبة؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٩ و.

^٩ ن: قال.

^{١٠} ر م - قد.

فقال: إلا أن يكون عني ما بين النفختين حتى يؤذن للأرواح^١ فترقد، فإذا بعثوا استقلوا رقدة ذلك المقدار بما كانوا قاسوا قبل الرقدة من العذاب في القبور، إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل^٢. وجائز عندنا ما قال مقاتل ومحمد بن إسحاق بأن ذلك يكون في القبر^٣، وذلك لا يدل على نفي عذاب القبر، لأنهم لا يعذبون في القبور بالعذاب الذي يعذبون في الآخرة، فجائز أن يستقلوا عذاب القبر بعذاب الآخرة ويستقصرون ذلك الوقت بعذاب الآخرة لشدة وأهواله. وذلك جائز في متعارف الخلق أن يكون^٤ الرجل في بلاء وشدة ثم يزداد له البلاء والشدة فيستقل ذلك البلاء الذي كان به لشدة ما حل به؛ فعلى ذلك هم، جائز أن يكونوا في عذاب في قبورهم لكنهم إذا عاينوا عذاب^٥ الآخرة استقلوا / عذاب القبر واستقصروه لشدة عذب الآخرة. أو أن [٥١١ظ] يكون عذاب القبر على النفس الروحاني الدرّك الذي يخرج^٦ في حال النوم ليس على روح الحياة، نحو^٧ النائم يرى نفسه في بلاء وعذاب في نومه ويكون في أفراع وكانت نفسه ملقاة في مكان لا علم لها بذلك ولا خير، وبها آثار الأحياء. فجائز أن يكون عذاب القبر على هذا السبيل على الروح الذي به يدرك الأشياء، لا على روح الحياة الذي به يحيا. وقال قائلون: ذلك في الدنيا، استقلوا حياة الدنيا بحياة^٨ الآخرة، وهو كقوله: **فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَجْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**^٩. ألا ترى أنه قال: **فاسأل العاذين**، هذا يدل على أن حمل الآية على الحياة^{١٠} الدنيا أشبه حيث أمر أن يسأل الذين يعدون، وذلك إنما يكون في الدنيا لا في الآخرة. ثم اختلف في العاذين. قال بعضهم: هم الملائكة الذين يكتبون أعمالهم في هذه الدنيا ويرقبونهم^{١١}. وقال بعضهم: هم ملك الموت وأعوانه.

^١ ر: الأرواح؛ ع م: لأرواح.

^٢ يقول القرطبي في تفسيره (١٥٥/١٢): أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور. وقيل: لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم. قال ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى الثانية. وقيل: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ورأوه يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصدده.

^٣ م: القبور.

^٤ ع + إلا.

^٥ ع: العذاب.

^٦ أي يظهر ويعمل.

^٧ ر م - نحو.

^٨ ر ع م: الحياة.

^٩ سورة التوبة، ٣٨/٩.

^{١٠} جميع النسخ: أن ذلك في الحياة؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٩ ظ.

^{١١} جميع النسخ: ويرقبوهم.

﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١١٤]

وقوله: قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون، أي ما لبثتم إلا قليلا لو كنتم تعلمون

ولكن لا تعلمون.*

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥]

وقوله: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، قوله: أفحسبتم، يحتمل وجهين. أحدهما أفحسبتم،

أقد^٢ حسبتم أنما خلقناكم عبثا. والثاني أفحسبتم، أي لا تحسبوا أنا إنما خلقناكم عبثا وأنكم

إلينا لا ترجعون، صرّ خلقه الخلق لا للرجوع إليه^٣ والبعث عبثا لوجهين. أحدهما لأن خلقه

إياهم، لا لعاقبة تتأمل أو لِمَنَافِع تُقصد،^٤ للهلاك خاصة وللِفناء عبث، كِبَاء الباني لا لمنفعة

تُقصد^٥ به ولكن للنقض يكون عبثا في الشاهد. وهو ما قال في آية أخرى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي

نَقَصَتْ عَرْفَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا،^٦ سفهها في غزها للنقض خاصة لا لمنفعة قصدت به، ونهانا

أن نفعل مثل فعلها. فلو لم يكن المقصود من خلق الخلق إلا الموت والفناء خاصة لا لعاقبة

تُقصد كان سفها وعبثا.

والثاني ما أخبر أنه إنما أنشأ هذا العالم غير البشر لهذا البشر وله سخر ذلك كله، حيث

قال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،^٧ إذ ليس لغير البشر منفعة بهذه

النعم التي أنشأها لهم من نحو الجن والملائكة ونحوهم، إذ لهم قِوَام بدون ذلك من الشمس والقمر

ونحوه من النعم، إنما ذلك للبشر خاصة. فإذا كان كذلك لا يحتمل أن يجعل لهم كل هذه النعم

التي ذكرها وأنشأها لهم ثم لا يمتحنهم بالشكر على ذلك ولا يأمرهم بأوامر ولا ينهاهم بمناهي.

فدل ما أنشأ لهم من النعم وسخر لهم من الأشياء أنهم يُبعثون ويُرجعون إليه حتى يُجزون جميعا،

المحسنُ جزاءَ الإحسان، والمسيءُ^٨ جزاءَ الإساءة، إذ في العقول التفرقة بين الولي والعدو،

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١١٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١١ ظ/سطر ٩-١٠.

^٢ ع ن: أي قد.

^٣ ر م - إليه.

^٤ ن + يكون.

^٥ ر م ع: يقصد.

^٦ سورة النحل، ١٦/٩٢.

^٧ سورة الجاثية، ٤٥/١٣.

^٨ ر م - جزاء الإحسان والمسيء.

وبين المحسن والمسيء، وبين الشاكر والكافر.^١ ثم رأيناهم جميعا في هذه الدنيا عاشوا على سواء^٢ في الصّيق والسّعة، لم نر^٣ ما يفصل بين الولي والعدوّ، وبين المحسن والمسيء، وبين الشاكر والكافر. فدل ما لم نر^٤ من التفرقة بين^٥ ما ذكرنا في هذه الدنيا على أن هنالك دارا أخرى دار الجزاء، هنالك^٦ يفصل بين من^٧ ذكرنا في الجزاء. **وانه الموفق.**

لا تَرْجِعُونَ، قِيلَ: لا تَبْعَتُونَ، وَقِيلَ: لا تَرْجِعُونَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي عَمَلْتُمُوهَا، كَقَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ،^٨ وَقَوْلِهِ: فَاسْتَغِيْمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا.^٩

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [١١٦]

وقوله: فتعالى الله الملك الحق، أي يتعالى الله عن أن يكون مخلق الخلق منه عبثا. أو يتعالى أن يكون مخلق الخلق لا لحكمة. الملك الحق، قال الحسن: الحق اسم من أسماء الله. أو الملك الحق هو^{١٠} الذي خلق الخلق للحكمة.

لا إله إلا هو تنزيه وتبرئة عن جميع ما قالوا فيه.

وقوله: **رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**، يشبه أن يكون على الأول يتعالى الملك الحق ورب العرش^{١١} الكريم عن أن يخلقهم لا للحكمة أو للبعث.^{١٢}
وقالت^{١٤} الباطنية: العرش القيامة. ونحن نقول: ^{١٥} يشبه أن يكون العرش القيامة على ما قالواهم،

^١ + ر فدل ما لم تر.

^٢ ع: على السواء.

^٣ ن: تر.

^٤ ن: تر.

^٥ م - بين.

^٦ ر ع م: هناك.

^٧ ر ع م: ما.

^٨ سورة الانشقاق، ٦/٨٤.

^٩ ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُفْرًا وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فاعمل إننا عاملون قل إنما أنا بشر مذكركم يوحي إلي إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾ (سورة فصلت، ٤١/٦-٥).

^{١٠} م - الحق هو؛ ع - هو.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} جميع النسخ: الملك؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥١٩ ظ.

^{١٣} ر ع م: للبعث.

^{١٤} ن: وقال.

^{١٥} ر ع م - نقول.

إلا انهم يقولون: هو قائم الزمان، وقلنا نحن: هي القيامة المعروفة وهي الساعة؛ رب القيامة وهي المَلِكُ الذي ذكرنا، كقوله: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^١، وخص ذلك اليوم بالملك له - وإن كان الملك له في الدارين جميعاً - لما لا يَنَازَعُ^٢ في ملكه يومئذ، قد نوزع^٣ في الدنيا فَتَخَلَّصَ له ملك ذلك اليوم وصفا له يومئذ. وقال بعض^٤ أهل التأويل: العرش السرير، أضاف إلى نفسه لكرامته^٥ ومنزلته عند الله. والكريم هو نعت ذلك السرير، أي الحسن، كقوله: وَمَقَامٍ كَرِيمٍ^٦، أي حسن، وهكذا يوصف كل كريم بالحسن. وقال بعضهم^٧: الكريم هو نعت الرب، أي ذو عفو وصفح. والله أعلم.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [١١٧]

وقوله^٨: ومن يدع مع الله إلهاً آخر، ظاهر هذا يومئذ^٩ أن هنالك إلهاً آخر. لأنه قال: ومن يدع مع الله إلهاً آخر،^{١٠} لكنه يخرج على وجهين. أحدهما [هو كقوله]: لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ^{١١} [و] كقوله: وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ^{١٢}. والثاني ومن يدع مع الله إلهاً آخر،^{١٣} أي من يسمي مع الله إلهاً آخر، إذ كانوا يسمون الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة. على هذين الوجهين يخرج تأويل الآية.

وقوله: لا برهان له به، أي لا حجة لهم بذلك، لأن الحجة إنما تكون^{١٤} بوجوه ثلاثة.

^١ ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ١٦/٤٠).

^٢ ر: يتنازع.

^٣ ن: توزع.

^٤ ر: بعضهم.

^٥ ر ع م - لكرامته.

^٦ ﴿فأخرجناهم من جنات وعبود وكنوز ومقام كريم﴾ (سورة الشعراء، ٥٧/٢٦-٥٨).

^٧ ر ع م - الكريم.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر ع: يوحى.

^{١٠} ن - إله آخر لأنه قال ومن يدع مع الله إلهاً آخر؛ ن + كقوله ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر، صح هـ.

^{١١} ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتتعبد مذموماً مخذولاً﴾ (سورة الإسراء، ٢٢/١٧).

^{١٢} ر + وقوله. ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٥١).

^{١٣} ر ع - لأنه قال ومن يدع مع الله إلهاً آخر لكنه يخرج على وجهين أحدهما لا تجعل مع الله إلهاً آخر، كقوله ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر والثاني ومن يدع مع الله إلهاً آخر؛ م -، صح هـ.

^{١٤} ر م: يكون.

إما بالأخبار التي يجوز الشهادة / على صدقها وصحتها، وإما العقول تشهد على ذلك، وإما^١ [٥١٢] من جهة الحس يدل على ذلك، فلم يكن لهم واحد من هذه الوجوه.

ثم الحس يكون به الدلالة^٢ من وجهين. أحدهما بوقوع الحس عليه بالبدئية، أو بآثار تدل^٣ على الألوهية. فلا^٤ كان في ظاهر وقوع الحس دلالة ذلك ولا كان بها^٥ آثار تدل على ذلك، بل فيها آثار العبادة والذل فضلا أن تكون^٦ لها آثار الألوهية.^٧ ولا عذر لهم في ذلك، لأن العبادة لآخر^٨ إنما يكون لوجوه: إما للنعم والآيدي [التي] تكون^٩ منه إليه فيعبده^{١٠} شكرا لما أنعم عليه وأحسن إليه، وإما لحوائج^{١١} يطمع قضاءها له من عنده، أو لما يرى له في نفسه من آثار العبادة له.

فإذ لم يكن واحد من هذه الوجوه التي ذكرنا لا عذر لهم في عبادة تلك الأصنام. فإن قالوا: لنا برهان وحجة في ذلك، قيل: قَطَعَ حجاجكم بما ذكر من قوله: **إِنْ أَرَادَيْتَ اللَّهَ بَضْرٍ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**^{١٢} الآية، وقوله: **فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا**^{١٣} ونحو ذلك من الآيات، فيها قَطَعَ حجاجهم. وفي حرف حفصة: **لا برهان له به**^{١٤} أي لا سلطان له به.

وقوله: **فإنما حسابه عند ربه**، قال قائلون: **حسابه عند ربه**، هو قوله: **إنه لا يفلح الكافرون**.

وقال بعضهم: **حسابه**، جزاؤه لصنيعه عند ربه، كقوله: **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**^{١٥}.

^١ ر م: وما.

^٢ جميع النسخ: بالدلالة.

^٣ ع: يدل.

^٤ ر ع م: فلو.

^٥ أي بالألوهة أو بالأصنام.

^٦ جميع النسخ: يكون.

^٧ ع + فلو كان في ظاهر وقوع الحس دلالة ذلك ولا كان بها آثار تدل على ذلك بل فيها آثار العبادة والذل فضلا أن يكون لها آثار الألوهية.

^٨ ع: الآخرة.

^٩ جميع النسخ: يكون.

^{١٠} ر م: فيعبده.

^{١١} ر ع م: لحوائجهم.

^{١٢} ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).

^{١٣} ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٥٦).

^{١٤} ر ع م - به.

^{١٥} سورة الغاشية، ٢٥/٨٨ - ٢٦.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [١١٨]

وقوله: **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**، جائر أن يكون هذا تعليماً من الله لكل أحد سؤال المغفرة والرحمة. وقيل: هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فهو يخرج على وجهين. إن في حكمته وعدله أن لا يرحم ولا يغفر أحداً وإن كان في فضله ورحمته أن يرحم ويغفر. والثاني يجعل له العصمة والرحمة بهذا الدعاء.^٢ أو أن يكون العصمة تزيد في الخوف، كقول إبراهيم: **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**،^٣ وقوله: **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**،^٤ الآية.

وقوله **عز وجل: وأنت أرحم الراحمين**، لأن رحمته إذا أدركت^٥ أحداً أغنته عن رحمة غيره، ورحمة غيره^٦ لا تغنيه عن رحمته.

^١ ر م: تعظيماً.

^٢ ر ع م + أو أن يكون العصمة والرحمة هذا الدعاء.

^٣ سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.

^٤ سورة آل عمران، ٨/٣.

^٥ ن: قوله.

^٦ ر ع م: أدركن.

^٧ ر - ورحمة غيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النور^١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [١]

قوله عز وجل: سورة أنزلناها، سماها "سورة" وجعل تلاوتها سورة [فرضاً] ولم يجعل غيرها من السور التلاوة سورةً كما جعل لهذه^٢. فجائز ذلك لكثرة ما فيها من الأحكام من الفرائض والآداب ما بالناس إلى ذلك حاجة، أو لمعنى لم يذكره، أو لا لمعنى ولكنه ذكر هكذا، وله^٣ الخلق والأمر. قال أبو عؤسجة: السورة القطعة من كل شيء، تقول: سُورْتُ الشيء، أي قطعته. وقال بعض العلماء: إنما سُمِّيَ القرآن^٤ [قرآناً] لجماعة السور [المجمعة]^٥، وسميت السورة [سورة، لكونها] مقطوعة من الأخرى، فلما قُرِن بعضها إلى بعض سُمِّيَ قرآناً، كقوله: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ^٦، أي تأليف بعضها إلى بعض، فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أي فإذا جمعناه وألفناه، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أي ما جُمع فيه، فاعمل به من أمر أو نهي. ويقال: ليس لشعره قرآن، أي نظم وتأليف. ويقال للمرأة: ما قرأت سَلَى قط، أي لم تجمع في بطنها ولدا.

^١ ر - سورة النور؛ ن ع م: ذكر أن سورة النور كلها مدنية.

^٢ ر م: لهذا.

^٣ ر م: أو له.

^٤ ر ع م: يقول.

^٥ قُرَأْتُ الشيء قُرْآنًا: جَمَعْتُهُ وَصَمَّمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ. ومنه قولهم: ما قَرَأْتُ هَذِهِ النَّاقَةَ سَلَى قَطًّا، وما قَرَأْتُ جَنِينًا قَطًّا، أي لم يَضُمَّمْ رَجْمُهَا عَلَى وَلَدٍ. وقال أكثر الناس: معناه لم تَجْمَعْ جَنِينًا أَي لَمْ يَضُمَّمْ رَجْمُهَا عَلَى الْجَنِينِ. وروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قُشَطْنِطِينَ وكان يقول: القرآن اسم، وليس بمهموز ولم يُؤخَذْ من قُرَأْتُ وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِثْلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ. وَيَهْمَزُ قُرَأْتُ وَلَا يَهْمَزُ الْقُرْآنَ (لسان العرب، «قرأ»).

^٦ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٠و.

^٧ سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٨.

وقال بعضهم: سورة - بلا همز - أي^١ المنزلة والرفعة، وبالهمز سورة [أي] البقية، ومنه سمي سُور الكلب وسُور الهِزَّة^٢ وسُور الطائر، أي بَقِيَّتِه^٣ والقطعة منه. ثم قرئت بالنصب: سورة^٤ أنزلناها، والرفع جميعاً سورة^٥ وهي القراءة الظاهرة. فمن قرأها بالنصب أوقع الفعل عليها، أي أنزلناه^٤ سورة^٥، والفعل إذا وقع على شيء انتصب، تقدّم الفعل أو تأخر: كقولك: زيداً ضربناه، وضربنا زيداً. وقال بعضهم: إنما انتصب لإضمار فيه، كأنه قال: اتبعوا سورة، أو اذكروا سورة^٥ أنزلناها، كقوله: نَاقَةَ اللَّهِ^٦، بالنصب، أي احدروا^٧ ناقة الله. ومن قرأها بالرفع رَفَعَ^٨ على الابتداء^٩، فكل ما يُبتدأ به فهو رفع. وقال بعضهم: رفع على إضمار: هذه سورة أنزلناها. وذلك كله جازز في اللغة. والله أعلم.

وقوله: وفرضناها، قرئ^{١٠} بالتخفيف فرضناها، والتشديد^{١١} فرضناها. قال الزجاج: قوله: فرضناها، بالتشديد يخرج على وجهين. أحدهما، أي كثرنا فيها الفرائض والأحكام.^{١٢} والثاني فرضناها، أي فصلنا فيها بين ما يؤتى وبين ما يُتقى وبين ما أمر فيها وبين ما نُهي. وقال: وأما التخفيف فرضناها، أي الرّموا ما فيها من الفرائض وآدابها.^{١٣} وقال القُتَيْبِي: فرضناها، بالتخفيف، أي بيتنا فيها الفرائض.^{١٤} وقال أبو عَوْسَجَةَ: من قرأها^{١٥} بالتخفيف فرضناها، أي أنزلنا فيها فرائض مختلفة، ومن قرأ فرضناها، بالتشديد يقول: فرضناها عليكم وعلى من بعدكم، على التكثرين. والله أعلم.

^١ ن ع: هي.

^٢ ر ع م: الهز.

^٣ ر م: بقية.

^٤ ن: أنزلنا.

^٥ ع - أو اذكروا سورة.

^٦ ﴿وقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها﴾ (سورة الشمس، ١٣/٩١).

^٧ ن: أخذوا.

^٨ ر م - رفع.

^٩ ر م + أي احدروا.

^{١٠} ع: قراء.

^{١١} ر م: وبالتشديد.

^{١٢} انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٤٩٤.

^{١٣} معاني القرآن للزجاج، ٢٧.

^{١٤} وقد ورد في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: «فَرَضْنَاهَا، فرضنا ما فيها»، انظر: ص ٣٠١.

^{١٥} ع: قرأ.

وقوله: «وأنزلنا فيها آيات بينات، يحتمل قوله: آيات بينات، أي حججا بينة يفهمها ويعرفها كل أحد بالبديهة والتأمل. أو أن يريد بالآيات الآيات التي جمع فيها أشياء وتتلئ، لأن الآية / إنما تستحق اسم الآية إذا جُمع فيها كلمات وحروف، فأما كلمة واحدة وحرف [٥١٢ظ] واحد لا يسمى بهذا الاسم.^١ أو^٢ أن يكون قوله: آيات بينات، ما ذكر فيها ويَبِّنُ مما يُؤْتَى ويُتَقَى وما^٣ يَحَلُّ وما يَحْرُم، فذلك كله مبيِّنٌ فيها. والله أعلم.

وقوله: «لعلكم تذكرون»، أي تتعظون^٤ بما ذكر فيها من المواعظ ويَبِّنُ فيها ما يزرع عن المعادة وهي الحدود التي ذكر فيها، لأن سبب الاتعاظ أحد شيئين: المواعظ التي^٥ تُلين القلوب والحدود التي تَزُجر.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عِدَّتُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]

وقوله: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة. لو كان الخطاب يجب اعتقاده على ظاهر المخرج والعموم، على ما قاله بعض الناس، لكان لكل أحد أن يُقيم على آخر حدا بظاهر قوله: فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، فيقول: الله أمرني بذلك بقوله: فاجلدوا. أو أن يضربوا جميعا واحدا من الزناة^٦ بظاهر قوله: فاجلدوا، فيزداد الضرب والحد على ما حدَّ الله أضعافا مضاعفة. فدل أن اعتقاد العموم فاسد بظاهر المخرج. أو أن يقول قائل: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العينان تزنيان واليدان تزنيان والزجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله أو يكذب».^٧ سُمِّي الناظر إلى ما لا يحل نظره إليه زانيا والماس لها كذلك فيلزمه الحد بظاهر قوله: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة،

^١ ر: لاسم.

^٢ ع - أو.

^٣ جميع النسخ: وبين ما؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٠ و٥.

^٤ ع: تيقظون.

^٥ ع - وبين فيها ما يزرع عن المعادة وهي الحدود التي ذكر فيها لأن سبب الاتعاظ أحد شيئين المواعظ التي.

^٦ ن: قوله.

^٧ ع: من الزيادة.

^٨ ورد الحديث بعبارات مختلفة، انظر: صحيح البخاري، القدر ٩؛ وصحيح مسلم، القدر ٥؛ وسنن أبي داود، النكاح ٤٤، الأدب ٥٢.

^٩ ع + فاجلدوا فيزداد الضرب.

فإذ لم يفهم من ظاهر قوله: الزانية والزاني ما ذكرنا كله دل أن الاعتقاد على عموم المخرج فاسد وأن المراد من قوله: ^١ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، راجع إلى الخصوص: إلى مقيم دون مقيم، وإلى زانٍ دون زان؛ وهو الزاني الذي يجمع في فعل الزنا جميع بدنه: العينَ واليدَ والرجلَ والفرجَ وجميع بدنه. ورجع الخطاب به إلى البكرين الحرين ^٢ والنثيبين اللذين لم يستجمعا جميعاً أحكام الإحصان. فأما من ^٣ استجمع جميع أسباب الإحصان فإن حدّه الرجم على اتفاق القول منهم جميعاً، إلا أن طائفة من أهل العلم ^٤ أوجبوا عليه مع الرجم الجلْدَ، وفي البكر مع الجلْدَ تغريب عام. والدليل على أن المراد راجع إلى الحرين البكرين أو النثيبين اللذين لم يستجمعا أسباب الإحصان ما ذكرنا من القول المتفق، وقوله: فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ، ^٥ دل إيجاب نصف ما على المحصنات ^٦ على الإماء على أنه أراد بالمحصنات الحرائر التي لم يستجمعن جميع أسباب الإحصان، وأن الخطاب بقوله: الزانية والزاني، إلى آخر ما ذكر، راجع إلى الحرين اللذين ذكرناهما.

ثم لم يضرب في الزنا الذي به زُني وهو الفرج، وقُطع في السرقة الذي به سُرق وهو اليد، فهو -والله أعلم- لَمَّا جُعِلَ الحدود زواجر ^٧ عن المعاودة لم تُجعل دافعة مُذهبةً إمكان ذلك الفعل من الأصل، وفي ضرب الفرج ذهاب إمكان الفعل من الأصل، ولا كذلك في قطع اليد في السَّرقة، إذ تبقى ^٨ [يد] أخرى، بها يأخذ وبها يقبض، لذلك افترقا. أو أن يقال: في ضرب الفرج خوف هلاكه في الأغلب وليس ذلك في قطع اليد، بل يبقى حياً في الغالب. وقد ذكرنا أن الحدود لم تجعل مهلكة مُثْلِفةً ولكن جعلت زواجر عن المعاودة، لذلك افترقا.

^١ ر م: بقوله.

^٢ ر ع م: الحرين.

^٣ ر ع: فامن؛ م: فإن من.

^٤ وهو قول الشافعي. انظر: شرح التأويلات، ورقة ٥٢٠ و٥٢١.

^٥ سورة النساء، ٢٥/٤.

^٦ ر - من العذاب دل إيجاب نصف ما على المحصنات.

^٧ ر م: وزواجر.

^٨ جميع النسخ: يبقى.

^٩ ر: وابها.

وفي قوله: الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، دلالة على أن النفي^١ ليس من عذاب الزانيين ولا من عقوبتهما^٢، لأنه قال: وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، والنفي مما لا يُحتمل أن يؤمر بشهوده لأنه لا يمكن، فدل أنه ليس من عذابهما. ويدل [عليه] أيضا قوله: فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ^٣، لأنهم أجمعوا على أن لا تنفي على الإماء إذا زينن، وقد أوجب عليهن إذا زينن نصف ما على المحصنات. أو إن ثبت النفي فهو يحتمل^٤ وجهين. أحدهما أنه أراد به قطع الشين الذي^٥ لحقهما بفعل الزنى، لأنه ليس جرم من الأجرام أكثر شينا^٦ وأشد من فعل الزنى، فأراد أن ينقطع^٧ ذلك من بين الناس. أو أن يكون أراد به قطع الشهوة التي حملتهم على الزنى بدل السفر وذلة الغربة. أو صار منسوخا لما شدد في الضرب بقوله: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ، وفيما ذكر النفي لم يذكر فيه الشدة، إنما ذكر فيه الجلد حسب، بقوله عليه السلام: «أما على ابنك هذا جلد مائة وتغريب عام»^٨. فجائز أن يكون الضرب كان بالتخفيف وفيه نفي، فلما^٩ شدد في الضرب ارتفع النفي. وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه نفى رجلا فارتد عن الإسلام ولحق بالروم، وقال: كفى بالنفي فتنة، وقال: لا أنفي بعد هذا أبداً. وكذلك روي عن علي رضي الله عنه^{١٠} والله أعلم.

^١ أي تغريب عام، وهو قول الشافعي كما مر قريبا.

^٢ ن: عقوبتها.

^٣ سورة النساء، ٢٥/٤.

^٤ ر م: إذ.

^٥ ع + على.

^٦ ع - الذي.

^٧ م: شئنا.

^٨ ن: يتقطع.

^٩ ورد الحديث في صحيح البخاري، (الصلح ٥، الشروط ٩) في سياق طويل - عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما قالوا جاء أعرابي فقال: يا رسول الله أقض بيننا بكتاب الله. فقام خصمه فقال صدق، أقض بيننا بكتاب الله. فقال الأعرابي: إن النبي كان عسيقا على هذا، فزنى بامرأته، فقالوا لي: على ابنك الرجم. فقديت ابني منه بمائة من العتم ووليدة، ثم سألت أهل العلم، فقالوا: إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأقضي بينكما بكتاب الله، أما الوليدة والغنم فرد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وأما أنت يا أنيس - ليزجل - فأغد على امرأه هذا فأزجمها» فعدا عليها أنيس فرجمها. وانظر: صحيح مسلم، الحدود ٥؛ وسنن الترمذي، الحدود ٨.

^{١٠} ع: لما.

^{١١} للاطلاع على كلا الرأيين انظر: تفسير روح المعاني للألوسي، ١٨/٨١.

وقوله: **وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**، قال بعضهم: لا تأخذكم بهما رأفة حتى تعطلوا حدود الله فلا تقيموها. [و] قال بعضهم: لا تأخذكم بهما رأفة،^١ في تخفيفها، فهو -والله أعلم- لأنه من أعظم الأجرام والشين.^٢

ثم للمعتزلة تعلق بظاهر قوله: **وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**، قالوا: إن الله وصف نفسه بالرحمة بقوله: **رَوْفٌ رَحِيمٌ**،^٣ / ووصف المؤمنين بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار بقوله: **وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**.^٤ ثم نهاهم أن تأخذهم^٥ رأفة على الزانين^٦ وقت إقامة الحد عليهم، دل أن الزاني قد خرج بفعله من الإيمان لما ذكرنا من رفع الرأفة والرحمة عنهما.

لكن عندنا في الآية دلالة أنه ليس على ما ذهبوا إليه، لأن الزاني لو كان يخرج من الإيمان بفعل الزنى لكان لا يحتاج إلى أن يقول: **وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ**، لأنهم كانوا على ما وصفهم الله بالشدة على غير المؤمنين بقوله: **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ**، دل أن الزنى لم يُخرجه عن الإيمان،^٧ فتَهَيَّ أن لا تأخذنا^٨ بهما رأفة^٩ الإيمان والدين في تعطيل الحد أو تخفيفه.^{١٠} أو أن يكون النهي عن أخذ الرأفة ليتحملاً^{١١} ذلك الحد وإلا لم ينتفع^{١٢} به في الآخرة، وهو أن لا يعذب به. ألا ترى أنه قال: **إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**، وفائدته ما ذكرنا أنه **لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي إِضَاعَةِ الْحَدِّ لِيَنْدَفِعَ بِهِ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ**، إذ الرجل قد يتحمل الشدائد والمؤمن^{١٣} لما يتأمل من النفع في الآخرة، نحو من يشرب الأدوية الكريهة ويفتصد ويحتجم

^١ ر ع م - حتى تعطلوا حدود الله فلا تقيموها قال بعضهم لا تأخذكم بهما رأفة.

^٢ م: في الشين.

^٣ سورة النور ٢٤/٢٠.

^٤ ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).

^٥ جميع النسخ: يأخذهم.

^٦ ر ن م: الزانين.

^٧ ن: من الإيمان.

^٨ جميع النسخ: تأخذ.

^٩ ع + عن.

^{١٠} ر م: وتخفيفه.

^{١١} جميع النسخ: ليتحمل.

^{١٢} ن ع: لم ينتفع.

^{١٣} ر ع م - ليندفع به عنهم عذاب الآخرة إذ الرجل قد يتحمل الشدائد والمؤمن.

لما يطمع البرء به والنفع في العاقبة.^١ فعلى ذلك جائز أن يكون النهي عن أخذ الرأفة في حد الزنى ليقام ذلك عليه ويتحمل ألمه^٢ فينجو في الآخرة عن عذابه. والله أعلم.

وقوله: وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. قال^٣ بعضهم: الطائفة واحد واثنان فصاعداً، وكذلك قالوا في قوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا،^٤ هما رجلان اقتتلا، دل على ذلك قوله: فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا أَخْوِيكُمْ،^٥ وهما اثنان في الظاهر، لكن جائز^٦ أن ينضم إلى كل واحد منهما جماعة من عشيرته فيكون الطائفة جماعة لا واحداً. وقال بعضهم: الطائفة جماعة من العشيرة فصاعداً.

ثم يجب أن يُنظر لأي^٧ معنى أمر أن يشهد^٨ عذابهما طائفة من بين سائر الأجرام، فهو -والله أعلم- يحتمل وجوهاً. أحدها المحنة؛ أراد أن يمتحن من حضر ذلك، إذ المرء قد يتألم على ضرب آخر وما يُخلّ بغيره^٩ لينزجر عن مثله. والثاني لانتشار الخبر في الناس لينزجروا عن مثله. والثالث لئلا يتعدى الضارب والمقيم عليه^{١٠} ذلك الحد ويجاوزه على الحد الذي جعل له، فإن هو يتعدى منعه من حضره^{١١} عن المجاوزة والتعدي. والرابع لدفع التهمة عن الحاكم لئلا يتهمه الناس أنه إنما أقام عليه الحد بلا سبب كان منه ولا جرم. فإن كان^{١٢} الأمر بشهود الطائفة عذابهما هذه الوجوه الأربعة^{١٣} التي ذكرنا من [المحنة و] انتشار الخبر ودفع التهمة عنه ومنع المجاوزة، فالطائفة يحتاج أن يكون جماعة، كأن الواحد غير كافٍ لذلك. وإن كان الأول، وهو المحنة، فالواحد وما فوقه يكون يمتحن كلا في نفسه بحضور ذلك الحد ليتألم به.

^١ ن - في الآخرة؛ ع: في العاقبة.

^٢ ر م - ويتحمل ألمه.

^٣ ر ع م: وقال.

^٤ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (سورة الحجرات، ٩/٤٩).

^٥ ﴿بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ﴾ (سورة الحجرات، ١٠/٤٩).

^٦ ر ع م - جائز.

^٧ ر م: لأثر؛ أثر.

^٨ ع: تشهد.

^٩ ع: إذا.

^{١٠} ر ع م: لغيره.

^{١١} ر ع م - عليه.

^{١٢} ع: حضرة.

^{١٣} ن - كان.

^{١٤} جميع النسخ: الثلاثة.

وقد ذكرنا أن بعض أهل العلم قالوا: إنه يجمع مع الرجم الجلد،^١ واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الثيب بالثيب جلدٌ مائةٍ ورجم بالحجارة،^٢ والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام».^٣ فأما الجلد فلا خلاف في أنه حد البكر، وأما النفي فمما اختلفوا فيه؛^٤ فمنهم من رآه واجبا، ومنهم من رآه عقوبة لهم يُضَمُّ إلى الحد. ونحن قد ذكرنا المعنى في ذلك إن ثبت ما يغنينا عن تكراره. ونزيد^٥ أيضا نكتة وهي أن الحدود ذو نهايات المقدار وغايات، ولذلك سميت حدودا، لأن لها نهاية وغاية كما يقال: هذا حد الدار،^٦ [يقصد] أنه منتهاها وآخرها. فلما لم يكن للنفي مكان معلوم يُنفَى^٧ الزاني إليه دل أنه ليس بحد ولكن أراد به الوجوه التي ذكرنا: إما حبسا كما يُحبَس الباغى^٨ حتى يُحدِّث توبة، أو قطع الشَّين والدِّكر الذي يتحدث الناس به ليُنسى ذلك ويترك، أو قطع الشهوات التي حملتهم على ذلك بذلة السفر والغربة، أو أن كان ثم صار منسوخا بما شُدد فيه الضرب. **وانه أعلم.**

وأما قول أصحابنا رحمهم الله في إزالة^٩ الجلد عن الثيب إذا كان مُحَصَّنًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «أعدُّ يا أُتَيْسُ على امرأةٍ هذا، فإن اعترفت فارجمها»،^{١٠} ولم يذكر جلدا. وذهبوا أيضا إلى أن حديث ماعز بن مالك لَمَّا رجمه النبي صلى الله عليه وسلم باعتراه ولم يُذكر أنه جلد. وروي أن أبا^{١١} بكر رضي الله عنه قال له^{١٢} لما اعترف ثلاثا:

^١ ن: والجلد.

^٢ ر م: الحجارة.

^٣ صحيح مسلم، الحدود ١٧؛ وسنن أبي داود، الحدود ٢٣؛ وسنن الترمذي، الحدود ٨.

^٤ ر م - فيه.

^٥ ع: ما.

^٦ ن: تغنيها.

^٧ ن: وتزيد.

^٨ ع - هذا.

^٩ جميع النسخ: هذا حد فلان وحد الدارين؛ والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٥٢٠ ظ.

^{١٠} ع: نفى.

^{١١} ر ع م: الذاعر.

^{١٢} ر ع ن: في أن آلة.

^{١٣} صحيح البخاري، الوكالة ١٣، الشروط ٩؛ وصحيح مسلم، الحدود ٥؛ وسنن أبي داود، الحدود ٢٥.

^{١٤} ع: عن أبا.

^{١٥} أي لماعز.

لو^١ اعترفت في المرة الرابعة لرجمتك ولم يقل [ل]جلدتك،^٢ علم أنه لا يجمع مع الرجم الجلد؛ وما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أمر برجم امرأة زنت ولم يجلدها؛^٣ وروي عن ابن عمر عن عمر مثله. إلى هذه الأخبار ذهب أصحابنا رحمهم الله ويقولون: لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان: الجلد والرجم جميعاً، كما لا يجتمع في غيره من الأجرام في فعل واحد حدان أو عقوبتان. وقوله صلى الله عليه وسلم: «الطيب بالثيب يُجلد ويُرجم»،^٤ يُحتمل [أن] يجلد^٥ ثيباً غير محصن ويرجم ثيباً آخر محصناً، أو يجلد ثيباً في حال ويرجم ثيباً في حال. وقد ذكرنا هذه المسألة في سورة النساء.^٦

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣]

قوله:^٧ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، في ظاهر الآية لا يجل^٨ للزاني أن ينكح إلا الزانية من المؤمنات أو مشركة، وكذلك الزانية من المؤمنات / لا ينكحها العفيف من المؤمنين وإنما ينكحها الزاني منهم أو المشرك.^٩ وفي ظاهر [٥١٣] الآية النهي للزاني عن نكاح العفاف وإباحة نكاح الزانيات أو المشركات،^{١٠} فإن كان ذلك فكان قوله: وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ^{١١} إلا الزناة منكم فإنه يجل لهم أن ينكحوا المشركات.

^١ ع - اعترف ثلاثاً لو.

^٢ جميع النسخ: لرجمتك... جلدتك؛ والتصحيحان من الشرح، ورقة ٥٢٠ و.

^٣ ورد في السنن الكبرى للبيهقي (٤٤١/٧) عن عامر عن عبيد بن نضلة قال: رفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تزوجت في عدتها فقال لها: هل علمت أنك تزوجت في العدة؟ قالت: لا. فقال لزوجها: هل علمت؟ قال: لا. قال: لو علمتما لرجمتكما. فجلدهما أسباطاً وأخذ المهر فحعله صدقة في سبيل الله، قال: لا أجزى مهراً لا أجزى نكاحه. وقال: لا تحل لك أبداً.

^٤ ورد الحديث في صحيح مسلم بعبارة مختلفة: «الْيَكْرُ يُجْلَدُ وَيُنْفَى وَالثَّيْبُ يُجْلَدُ وَيُرْجَمُ»، الحدود ٣.

^٥ ر ع م: الجلد.

^٦ ن ع - ثيباً.

^٧ انظر: تأويل الآية ١٥.

^٨ ر ع م - قوله.

^٩ ر ع م: أن لا تحل.

^{١٠} ر م: الزانية منهم والمشرك.

^{١١} ر م: والمشركات.

^{١٢} ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (سورة البقرة ٢/٢٢١).

وكذلك قوله: وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَّا الزَّانِيَاتِ فَإِنَّهُ يَحِلُّ، هذا ظاهره.^١ لكنهم أجمعوا على أن لا يحل للمؤمن - وإن كان زانياً - أن ينكح المشركة، وكذلك لا يحل للمشركة أن تتزوج^٢ بالزاني من أهل الإيمان.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويله. قال مقاتل ومحمد بن إسحاق وهؤلاء: الزاني من أهل الكتاب لا ينكح، أي لا يتزوج إلا زانية من أهل الكتاب^٣ أو مشركة من^٤ غير أهل الكتاب. والزانية من أهل الكتاب لا ينكحها^٥ إلا زانٍ من أهل الكتاب^٦ أو مشركاً من غير أهل الكتاب^٧ [الذين] يزنون^٨ علانية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما^٩ قال: ^{١٠} نزلت الآية في نفر من أهل مكة هاجروا إلى المدينة وكانوا ذوي عُسرة، وكان بالمدينة بغايا يبعين بأنفسهن ظاهرات بالفجور وكنّ مَحْصَبَاتٍ^{١١} أو^{١٢} مَخَاصِبَ^{١٣} البيوت، فهم أولئك المهاجرون أن يتزوجوا بأولئك البغايا ليصيبوا^{١٤} من خصبهن وسعتهن فذكروا ذلك لرسول الله واستأذنه في ذلك فنزلت الآية في شأنهم: الزاني من أهل القبلة المعلن به لا ينكح إلا زانية من اليهود أو مشركة، الآية.^{١٥}

وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين، أي نكاحهن على المؤمنين،^{١٦} لكن هذا يصلح أن لو كان أولئك المهاجرون مثلهن زناة. فأما إن كانوا مهاجرين أهل إيمان^{١٧} وعِفة فلا يصلح أن يقال فيهم: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة وهم لم يكونوا زناة إلا أن يقال على الابتداء أنه لا يفعل ذلك.

^١ ع: ظاهرة.

^٢ ر ع م: يتزوج.

^٣ ر م + أي لا ينكح.

^٤ ر م - من.

^٥ ع - أو مشركة من غير أهل الكتاب والزانية من أهل الكتاب لا ينكحها.

^٦ ع - أو مشركة من غير أهل الكتاب والزانية من أهل الكتاب لا ينكحها إلا زانٍ من أهل الكتاب.

^٧ ن - أو مشرك من غير أهل الكتاب.

^٨ جميع النسخ: يزنين؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٠ و.

^٩ ن م: عنه.

^{١٠} ع: قالت؛ م + لما.

^{١١} ن ع: محصنات.

^{١٢} ن + مشرك من غير أهل الكتاب

^{١٣} ع: مخاصب.

^{١٤} ع - ليصيبوا.

^{١٥} انظر: تفسير الطبري، ٧٥/١٨؛ وتفسير القرطبي، ٢٠٨/١٢.

^{١٦} ر ع م - أي نكاحهن على المؤمنين.

^{١٧} ر ع م: الإيمان.

وقال بعضهم^١: قوله: الزاني لا ينكح، أي لا يجامع ولا يزني [إلا زانية] إلا بزانية مثله، وكذلك الزانية لا تزني إلا^٢ بزاني مثلهما أو مشرك لا يحرم الزنى. وهو قول الضحاك وهؤلاء. وقال سعيد بن المسيّب: نسخت هذه الآية: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ^٣ قوله: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، الآية. وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها، قال: هما زانيان ما اصطحبا.^٤

وجائز أن يكون النهي عن نكاح الزانية والزاني نهياً عن الزنى نفسه لا عن نكاح، كأنه^٥ قال: لا تزنوا، فإنكم إذا زنيتم وصرتم^٦ معروفين به لا تجدون أن تنكحوا إلا زانية أو مشركة التي لا تحرم الزنى، لأن العفاف منهن لا يرغبن في نكاح من^٧ صار مُعلن الزنى، فإذا لا يرغبن لم يجدوا إلا من ذكر، وهو كما قال: ^٨ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ،^٩ ليس النهي عن قُربان الصلاة ولكن النهي عن السكر وشرب المسكر. وكذلك ما روي أنه قال: «لا صلاة للمرأة الناشئة ولا للعبد الآبق»،^{١٠} إنما النهي عن نشوزها وعن إباقه، ليس عن الصلاة. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، إنما نهى عن الزنى، أي لا تزنوا لترغب^{١١} العفاف من المؤمنات فيكم، ولا تزني^{١٢} النساء ليرغب أهل العفاف من المؤمنين [فيهن]،^{١٣} فإنكم إذا زنيتم وصرتم معروفين به معلنين لا تجدوا إلا نكاح من ذكر من الزانية أو المشركة.

^١ ع - بعضهم.

^٢ ع + إلا أن يقال على الابتداء إنه لا يفعل ذلك وقال بعضهم قوله الزاني لا ينكح أي لا يجامع ولا يزني إلا بزانية مثله وكذلك الزانية لا تزني.

^٣ سورة النور، ٣٢/٢٤.

^٤ انظر: تفسير الطبري، ٧٥/١٨.

^٥ ع: لأنهم.

^٦ ع - وصرتم.

^٧ ع: ما.

^٨ جميع النسخ: ما قال.

^٩ سورة النساء، ٤٣/٤.

^{١٠} لم أعتز على حديث بهذا اللفظ، ولكن ورد في سنن الترمذي عن أبي أمامة: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون». قال أبو عيسى: هذا

حديث حسن غريب من هذا الوجه. انظر: سنن الترمذي، الصلاة ١٥٤. قارن: صحيح مسلم، الإيمان ١٢٤.

^{١١} جميع النسخ: ليرغب.

^{١٢} جميع النسخ: ولا يزني.

^{١٣} الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢١ و.

أو أن يكون ما ذكرنا: لا يُرغب الزاني إلا في نكاح زانية أو مشركة، وكذلك المرأة الزانية لا ترغب إلا في نكاح زانٍ مثلها أو مشرك. أو لا يرغب الزاني في الزنى إلا بزانية أو مشركة التي لا تحرم الزنى، وكذلك الزانية لا ترغب إلا بزانيٍ مثلها أو مشرك الذي لا يحرم الزنى.

وحرم ذلك على المؤمنين، وحرم الزنى على المؤمنين.^١ أو إن كان على النكاح فيكون تأويل قوله: وحرم، أي منع عن ذلك المؤمنون،^٢ أعني نكاح الزانيات والزناة.

قال أبو عؤسجة: الزانية والزاني يقال: منه زنى يزني [زنى] و [زنا]، وأما زناً يزناً زُنُوًّا، أي ارتقى يرتقي، ويقال: الزناء الصِّيق، ويقال: زَنَنْتُهُ^٤ أَرَنْتُهُ زَنْناً، أي ظننت به ظناً. والقذف التهمة، والرمي أشد من القذف.

ومن جعل الآية في الزانين المسلمين وجعل قوله: لا ينكح^٣ على التزويج لزمه أن يجيز للزانية المسلمة أن تتزوج^٦ الزاني المسلم والمشرك على ما ذكرنا بدءاً، وهذا لا يقوله أحد. وفي بطلان هذا القول بيان أن الآية إن كان المراد بها عقد النكاح فإنها نزلت في الزانية المشركة [التي] يريد المسلم أن يتزوجها كما دُكر في حديث مرثد،^٧ وإن كان المراد به بذكر النكاح منها الوطء فهو كما قال ابن عباس في إحدى الروايتين عنه أنه الجماع، ليست تحتل^٨ الآية غير هذين الحالين. والله أعلم بما أراد.

وقد زعم قوم أن المرأة إذا زنت حرمت على زوجها. فكأنهم ذهبوا إلى أنه لما لم يحل له أن يطأها، لأنها إذا كانت زانية لم يحل المقام عليها إذا زنت وهي زوجه. لكن التأويل في الآية على خلاف ما توهم أولئك بما وصفنا، فلا وجه لتحريمهم الزانية على زوجها. ولو كان^٩ التأويل على ما توهموه لوجب^{١٠} أن تحرم الزانية على زوجها من حيث كان^{١١} ممنوعاً من تزويجها.

^١ ع - وحرم الزنى على المؤمنين.

^٢ ع: المؤمنين.

^٣ م: زناة.

^٤ ر ع م: زنيته.

^٥ ر م: لا تنكح.

^٦ م: يتزوج.

^٧ سنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٥؛ وسنن النسائي، النكاح ١٢.

^٨ جميع النسخ: ليس يحتل.

^٩ ع: كانت.

^{١٠} ر ع م: فوجب؛ ن: فأوجب.

^{١١} ر م: حيث إن كان.

ألا ترى أنه لا يجوز للرجل^١ أن يتزوج امرأة في عدة من غيره. ولو أن رجلاً / وطئ امرأة [٥١٤هـ] رجل بشبهة فوجب عليها منه عدة لم تحرم على زوجها. أفلا ترى أن العدة إذا كانت على النكاح مخالفة للنكاح في العدة. واحتجوا أيضا بأن الرجل إذا قذف امرأته لوعن^٢ بينهما وفُرق، لكن الوجه فيه ما ذكرنا. والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥]

وقوله: والذين يزومون المحصنات، ذكر الرمي ولم يذكر بم؟ فيعرف ذلك بالنازلة وبقوله:^٣ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء. ذكر الأربعة للشهود والزنى هو المخصوص بالشهود الأربعة دون غيره من الأجرام، فدل ذلك على إثر ذلك على أن الرمي المذكور^٤ فيه هو الزنى. ثم قوله: المحصنات، هن الحرائر في هذا الموضع لا العفاف،^٥ لأن قاذف الأمة يلزمه التعزير، ألا ترى أنه قال: فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ،^٦ الآية. ألا ترى أنه أوجب على الإماء نصف ما على المحصنات وهي^٧ الحرائر. ولأنا لو جعلنا قوله:^٨ المحصنات،^٩ عبارة وكناية عن^{١٠} العفاف دون الحرائر لأسقطنا شهادة الشهود، لأن العفة تكذبها. وكذلك يدل قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ،^{١١} العافلات عبارة عن العفاف، فدل أن المحصنات عبارة عن الحرائر. ثم دخل^{١٢} المحصنون^{١٣} في حكم هذه الآية في الرمي والقذف وغيره وإن لم يذكروا في الآية.

^١ ر ع م: الرجل.

^٢ جميع النسخ: لعن.

^٣ ر ع م: ولقوله.

^٤ م: للذکور.

^٥ ع: لا العفاف.

^٦ ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (سورة النساء، ٢٥/٤).

^٧ ر م: وهي.

^٨ ر م - قوله.

^٩ ع - وهي الحرائر ولأنا لو جعلنا قوله المحصنات.

^{١٠} ن: على.

^{١١} سورة النور ٢٣/٢٤.

^{١٢} ر ع م: أدخل.

^{١٣} جميع النسخ: المحصنين؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢١ ظ.

ثم شدد الله تعالى في الزنى وغلظ في أمره ما لم يُشدّد ولم يُغلظ في غيره من الأجرام مثله [على وجوه]. منها ما نهى من تعطيل الحد فيه وإضاعته وتخفيفه حيث قال: وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ. ^١ ومنها ما أمر برجمه ^٢ إذا كان محصّنا مثل ما يُرجم الكلب ^٣ ويقتل بالحجارة. ومنها ما أوجب على الرامي به من الحد إذا لم يأت بأربعة شهداء. والزنى ^٤ بهذا كله مخصوص من بين غيره من الأجرام. وذلك - والله أعلم - لقبحة في العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع. والدليل على أنه قبيح ^٥ في الطبع والعقل جميعا ما ينفر عنه طبع كل مسلم وينفر عنه كل عقل سليم. فإن قيل: لو كان ينفر عنه لكان لا يرتكبه ولا يأتيه؟

قيل: ينفر عنه، إلا أن الشهوة التي مُكِّنت فيه ورُكِّيت تغلبه وتمنعه عن النفار عنه. ألا ترى أنه لو تفكر مثله في المتصلات به من الأم والأخت والابنة ^٦ وجميع المحارم لم يحتمل قلبه ذلك. وبمثله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه فقال له: ائذن لي في الزنى. فقال: «أرأيت لو فُعل بابتك وأمك مثله أكنت تكرهه؟» فقال: نعم. فقال له: «أكره لغيرك ^٧ ما تكره لنفسك». ^٨ دل ذلك أنه قبيح في الطبع والعقل جميعا، إلا أن الشهوة ^٩ تمنعه عن النفار عنه. وفيه اشتباه الأنساب والمعارف التي جعلت فيما بين الخلق، حتى لا يهتدي أحد ^{١٠} إلى معلم يعلمه الحكمة والأدب ^{١١} ومعلم السنن ولا الدعاء بالآباء. وفيه [ارتفاع] ^{١٢} التواصل وحفظ الحقوق التي تقوم ^{١٣} لبعض على بعض ^{١٤} والشَّمَقَّة التي جعلت ^{١٥} لبعض على بعض من التربية في الصغار

^١ سورة النور ٢٤/٢.

^٢ ن: برحمة.

^٣ ن ع: الكلاب.

^٤ ر ع م: والزناة.

^٥ ن: القبيح.

^٦ ر ع م: والابنت.

^٧ ر: لغيره.

^٨ السنن الكبرى للبيهقي، ١٦١/٩.

^٩ ن: الشهود.

^{١٠} ن ع: أخذ.

^{١١} ر م: والآداب.

^{١٢} جميع النسخ: وارتفع.

^{١٣} ر ع م: يقوم.

^{١٤} جميع النسخ: بعض لبعض.

^{١٥} ر ع م: جعل.

وحقوق المحارم وغيرهم. وبه^١ امتُجِنَ البشر والعالم الصغير.^٢ و[به] يبطل^٣ خلق ما ذُكر من الإنشاء لهذا العالم وتسخير ما ذُكر مما في السماوات والأرض لهم. فهذا كله يدل على قبح^٤ الزنى ونهايته في الفحش والمنكر؛^٥ حتى لا يعرف هذا العالم قبحه ونهاية فحشه، وإنما^٦ يعرفه العالم الروحاني الذي لم يَمَكُنْ^٧ فيهم هذه الشهوة ولم يُمْتَحَنُوا بها. وأما هذا العالم الذي جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قَدْرَ قبحه وفحشه لما^٨ تغلبهم وتمنعهم عن النفار عنه والنظر في معرفة قبحه. لهذا - والله أعلم - ما شَدَّدَ اللهُ تعالى أمر الزنى وَعَلَّظَ في أحكامه ما لم يُعَلِّظْ بمثله في غيره من الأجرام وعظَّم شأنه من بين سائر الآثام.

ثم الذِّكْرُ إنما جرى في الحرائر بما ذكرنا، فهو في الرجال^٩ من الأحرار - إن لم يكن أكثر - فما يكون دونه؛^{١٠} لأن العذر فيهن أكثر وهي الشهوة التي تغلب وتمنع عن النفار عنه، وفي الرجال أقل،^{١١} فالعذر فيهم أقل. ألا ترى^{١٢} أنه ذكر الحد في الإمام بقوله: فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ،^{١٣} ولم يذكر في العبيد شيئاً، فيلزم العبد ذلك الحد إذا ارتكبه، فعلى^{١٤} ذلك ما ذكر من الحد في النساء والقذف فهو في الرجال مثله.

^١ جميع النسخ: وبها.

^٢ لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قول نسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه: «وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر»، ويقصد المؤلف من «العالم الصغير» الإنسان بمعنى الجنس.

^٣ جميع النسخ: بطل.

^٤ ع: قبيح.

^٥ م - والمنكر.

^٦ ع + وتسخير ما ذكر مما في السماوات والأرض لهم فهذا كله يدل على قبح الزنى ونهايته في الفحش والمنكر حتى لا يعرف هذا العالم.

^٧ ن: إنما؛ ع + لم.

^٨ ر ع م: يمكن.

^٩ ر: لا.

^{١٠} جميع النسخ: بالرجال.

^{١١} أي جزء الرمي بالزنى إنما ذكر في الآية التي نحن بصدد تفسيرها في حق النساء، فيجب إجراء هذا الجزاء في قذف الرجال أيضاً كما في النساء.

^{١٢} ع: قل.

^{١٣} ن: يرى.

^{١٤} سورة النساء، ٢٥/٤.

^{١٥} ن ع: فعل.

ثم أجمعوا على أنه^١ [يجب على] قاذف الأمة التعزير ولا حدّ عليه، وقد سمّى الزوجة وإن كانت محصنة أمةً وقال: فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ، وقال: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^٢، سمى مُلْكُ اليمين محصنة بقوله: أُحْصِنَ، إن^٣ تزوجن. وقوله: فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ، أي الحرائر، فقد بَانَ بهذه الآية أن الإحصان قد يكون بالحرية ويكون بالتزوج^٤ وإن كانت الزوجة أمة إذا كان لها زوج. وسمّى الطبقة من النساء محصنة، قال تعالى: / مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُسَافِحَاتٍ^٥، يعني العفائف. فالإحصان على ثلاثة أوجه، وإنما يجب الحد على القاذف الحر المسلم والحرّة المسلمة، فإن كان حراً أو حرّة فعليهما الحد ثمانين، وإن كان عبداً أو أمة فعليهما الحد أربعين سوطاً على ما ذكرنا.

وقوله: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، فظاهر هذا أنه^٦ لا يقع عند حضرة القذف^٧ ولكن له^٨ أن يأتي إلى وقت إياسه وهو الموت، كمن يحلف بيمين ولم يوقّت لها وقتاً فإنما وقعت إلى وقت إياسه فحث عند ذلك. فعلى ذلك يجيء على ظاهره: أن يقع على الأبد ليس عند حضرة القذف. لكن لو وقع على الأبد لكان فيه سقوطه، إذ لا يقام الحد بعد الموت. أو [يقال]: إنه^٩ أراد بذكر الشهود الأربعة^{١٠} زجره عن^{١١} قذف المحصنات لما لا يجد^{١٢} الشهود على الحال،^{١٣} فالذي هو أخفى وأسرّ أبعد.

^١ ر ع م: على أن؛ ن: أن على.

^٢ سورة النساء، ٤/٢٤.

^٣ ر ن م: أي.

^٤ ع: فهذه.

^٥ ر م: بالتزوج.

^٦ سورة النساء، ٤/٢٤.

^٧ أي جزاء الجلد.

^٨ أي لا يجب إجراء حد القذف عند وجود القذف فوراً.

^٩ ن - له.

^{١٠} جميع النسخ: ان.

^{١١} ر ع م: الأربع.

^{١٢} ع: على.

^{١٣} ع: تجد.

^{١٤} جميع النسخ: الحلال.

والثاني أن الحد قد لزمه^١ بالقذف، فإن أراد إسقاطه لم يسقط^٢ إلا بيينة تقوم حاضرة ذلك، كمن يقتر بقصاص أو حق من الحقوق ثم ادعى العفو في ذلك أو إسقاط ما أقر به^٣ والخروج منه لم يصدق إلا بيينة تقوم على حضرة ذلك، فعلى ذلك قوله: ثم لم يأتوا بأربعة شهداء، وقع ذلك على حضرة القذف، فإن أتى به وإلا حُدَّ. والله أعلم.

ثم المسألة بأنه إذا أتى بأربعة فساق ذرأ^٤ عن نفسه الحدَّ عندنا. والقياس أن لا يطالب بشهود عدول، لأن العدول لا يشهدون ذلك المشهد ولا ينظرون إليه، إنما يشهده الفساق، فالفساق^٥ أحق أن يذراً^٦ بهم الحدَّ عنه من العدول. وليس كالشهادة على إقامة حد الزنى، لأن قصدهم بالنظر إلى ذلك المكان قصد إقامة الشهادة وإيجاب الحد على فاعل ذلك، لذلك لم يصيروا فسقة، ولأنهم لا يشهدون بذلك إلا عن توبة تكون منهم، إذ يملكون^٧ التوبة. ولأن الفساق [في الكون] من أهل الشهادة^٨ ليسوا^٩ كالكفار والعبيد، وهؤلاء وإن كانت لا تقبل شهادة الفساق فهم من أهل الشهادة. ألا ترى^{١٠} أن من قذف فاسقا، أو كانت امرأة فقدفها زوجها وهو فاسق، إنا نحد قاذف الفاسق ويلاعن بين الزوج وبين امرأته. وإن قذف مسلماً كافراً أو قذف حر^{١١} عبداً لم يُحدَّ، وإن قذف أحدهما زوجته لم يلاعن بينهما. فمن خالفنا في هذا اللعان^{١٢} فليس يخالفنا في أن الحر إذا قذف العبد، والمسلم إذا قذف الكافر فلا حد على واحد منهما. فهذا كله يدل أن الفساق من أهل الشهادة، والكافر والعبد والمحدود في القذف ليسوا من أهل الشهادة، فإذا كانوا^{١٣} من أهل الشهادة

^١ ع: لزم.

^٢ ر م: تسقط.

^٣ جميع النسخ: له؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢١ ظ.

^٤ ن ع م: درئ.

^٥ ر ع م - فالفساق.

^٦ ر: يدرئ؛ ع م: يدر.

^٧ ن: تملكون.

^٨ ع - وإيجاب الحد على فاعل ذلك لذلك لم يصيروا فسقة ولأنهم لا يشهدون بذلك إلا عن توبة تكون منهم إذ يملكون التوبة ولأن الفساق من أهل الشهادة.

^٩ ر م: ليس.

^{١٠} ن: يرى.

^{١١} ع: حرمه.

^{١٢} ن: في اللعان.

^{١٣} أي فلو كانوا.

- وإن لم تقبل شهادتهم في غيره- فأوجب ذلك شبهة، والحدود مما تُدرأ^١ بالشبهات، لذلك دُرئ عنه الحد^٢. وأما الكافر والعبد والمحدود في قذف، فإذا^٣ لم يكونوا من أهل الشهادة لم تجب^٤ شبهة في دَرء الحد عنه، لذلك افترقا.

ثم المسألة إذا جاء الشهود^٥ متفرقين^٦ حُدوا ولم تقبل^٧ شهادتهم. والقياس^٨ عندنا أن لا يُحَدون^٩ لأنهم إنما يقومون^{١٠} في الشهادة محتسبين لا يقصدون به قذفه ولا شتمه، وأما الرامي فإنه يقصد قصد شتمه وقذفه. ولأن الشاهد يقول: رأيتك فعل كذا؛ والرامي يقول: أنت كذا، فكان كمن يقول لآخر: رأيتك كفر، لم يضرب بهذا القول، ولو قال: يا كافر ضُرب، لأن هذا خرج مخرج الشتم، والأول لا، فعلى ذلك الأول. لكنهم أقاموا الحد على الشهود إذا جاءوا متفرقين، لأن الله أكد الشهادة بالزنى بأمرين. أحدهما أن لا يقبل فيها أقل من أربعة، وأن لا يقبل حتى يقولوا: ^{١١} زنى بها، فيأتوا بهذه^{١٢} اللفظة ويصفوا بأكثر مما يوصف غيره من النكاح وغيره. فالشهادة بالزنى أحوج^{١٣} إلى اجتماع الشهود في موطن واحد من اجتماع الشهود^{١٤} على النكاح، ومن قولهم: إن النكاح إذا عُقد بشاهدين متفرقين لم يكن نكاحاً. فالزنى الذي كان أمره أوكد^{١٥} والحاجة إليه أحوج^{١٦} وأكثر أحمق أن لا يقبل.

^١ ر: يدري؛ م ن: يدرا؛ ع: يدر.

^٢ أي المشهود عليه.

^٣ ع: فإذا.

^٤ ر ع م: يجب؛ ن: يوجب.

^٥ ن: للشهود.

^٦ أي غير مجتمعين، فرادى.

^٧ ع: يقبل.

^٨ ن: والفاسق.

^٩ م: لا يجحدون.

^{١٠} ن: تقومون.

^{١١} ن: تقولوا.

^{١٢} ر ع م: فيأتون هذه.

^{١٣} ر م: أخرج.

^{١٤} ع - في موطن واحد من اجتماع الشهود.

^{١٥} ر ع م: واكد.

^{١٦} ر: أخرج.

والثاني ما جاء عن عمر أن ثلاثة شهدوا على رجل بالزنى وفيهم أبو بكر^١ فجلدهم عمر جميعاً لما لم يشهد الرابع كما شهدوا هم^٢، وكان ذلك بحضرة أصحاب النبي فلم ينكر عليه أحد فكان ذلك إجماعاً. ألا ترى أن أبا بكر^٣ رضي الله عنه^٤ قال بعد ذلك: أنا أشهد، فهم^٥ عمر أن يجلده فقال له علي^٦ رضي الله عنه: إن جلدت هذا فارجم صاحبك^٧. فلم ينكر عليه عليُّ جلده^٨ إياهم إذا لم يتّم أربعة، إنما أنكر إذا تم. والله أعلم. لذلك^٩ قلنا: إنهم إذا جاءوا فرأى متفرقين صاروا قَدْفَةً ولا ينتظر به حضور من بقي منهم كما لم ينتظر عمر.

ثمّ مسألة أخرى: إنه إذا جاء أربعة وأحدهم زوج قُبل عندنا ودُرئ^{١٠} عنه الحدّ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف، ولأن الشهادة عليها وشهادة الزوج على امرأته تقبل، وإنما تردّ إذا شهد لها. ألا ترى أنه لو شهد / عليها في الديون والقصاص والسّرقة [٥١٥] وغير ذلك من الحقوق قُبل، فعلى ذلك في هذا.

^١ ن: بكر.

^٢ م: شهدوهم.

^٣ ن: بكر.

^٤ ر ع م - رضي الله عنه.

^٥ ع: أفهم.

^٦ ن: وعلي.

^٧ روي في السنن الكبرى للبيهقي (٢٣٥/٨) عن قتادة: أن أبا بكر ونافع بن الحارث بن كلدة وشبل بن معبد شهدوا على المغيرة بن شعبة أنهم رأوه يولج ويخرجه؛ وكان زياد رابعهم وهو الذي أفسد عليهم، فأما الثلاثة فشهدوا بذلك. فقال أبو بكر: والله لكأني بأثر جُدْرِي في فخذها. فقال عمر رضي الله عنه حين رأى زياد: إني لأرى غلاماً كيساً لا يقول إلا حقاً ولم يكن ليكتمني شيئاً. فقال زياد: لم أر ما قال هؤلاء ولكني قد رأيت ربيّة وسمعت نَمْساً عالياً. قال: فجلدهم عمر رضي الله عنه وخلي عن زياد. وقد روينا من وجه آخر موصولاً، وفي رواية علي بن زيد عن عبد الرحمن ابن أبي بكر أن أبا بكر وزيادا ونافاع وشبل بن معبد كانوا في غرفة والمغيرة في أسفل الدار، فهبت ريح ففتحت الباب ورفعت التّير فإذا المغيرة بين رجلها، فقال بعضهم لبعض: قد ابتلينا، فذكر القصة. قال: فشهد أبو بكر ونافع وشبل، وقال زياد: لا أدري نكحها أم لا. فجلدهم عمر رضي الله عنه إلا زيادا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أليس قد جلدتموني؟ قال: بلى. قال: فأنا أشهد بالله لقد فعل. فأراد عمر أن يجلده أيضاً فقال علي: إن كانت شهادة أبي بكر شهادة رجلين فارجم صاحبك وإلا فقد جلدتموه، يعني لا يجلد ثانياً بإعادته القذف. وانظر أيضاً: المصنف لابن أبي شيبة، ٥/٥٤٥.

^٨ ر م: جلدة؛ ع: في جلده.

^٩ ن: بذلك.

^{١٠} ن: درئ.

فإن قيل: إن الزوج إنما يشهد لنفسه و[لما] فيه منفعة له، لأن حدَّه^١ اللعان إذا قذفها، فهو يريد أن يزيل اللعان^٢ عن نفسه.

قيل: إنما يكون حد الزوج اللعان إذا قذفها قبل أن يرتفع إلى الحاكم، فإذا فعل ذلك ثم شهد مع ثلاثة لم تجز^٣ شهادته. وأما إذا كان أول ما بدأ به أن جاء مع ثلاثة فشهدوا عليها بالزنى فليس يُبطل بشهادته عن نفسه شيئاً وحب عليه. ألا ترى^٤ أن الأجنبي إذا قذف امرأته ثم جاء ليشهد^٥ بذلك عليها مع ثلاثة، [فإن شهادته لا تجوز،^٦ لأن الحد قد لزمه قبل شهادته فهو يدفع الحد الذي وحب عليه بشهادته^٧ فلا تُقبَل. وإنه^٨ لو جاء مع ثلاثة وكان أول أمرهم أن يشهدوا عليها بالزنى فشهادتهم جائزة،^٩ ولا يقال: إن أحداً^{١٠} منهم يدفع عن نفسه شيئاً وحب عليه، فعلى ذلك الزوج.^{١١}

وقوله: ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون، تسمية الفسق لهم لا تخلو إما أن كان لما زموا وقذفوا به بريئاً من ذلك، أو لما هتكوا عليه الستر من غير أن يهتك^{١٢} هو على نفسه.^{١٣} فإن كان^{١٤} الأول فذلك لا يعلم إلا الله، فعلى ذلك توبته^{١٥} لا تظهر عندنا، وإنما ذلك فيما بينه وبين ربه، فكأنه قال: وأولئك هم الفاسقون عند الله، إلا الذين تابوا. وإن كان الثاني فإننا نعلمه، فكأنه قال: وأولئك هم الفاسقون عندكم، إلا الذين تابوا. لكن^{١٦} لا تظهر توبته عندنا، لأن توبته هو^{١٧} أن يعزم

^١ ر: حد.

^٢ ن + إذا قذفها.

^٣ ع: يجز.

^٤ ن: يرى.

^٥ ع: يشهد.

^٦ ر ع م: يجوز.

^٧ ع: شهادته.

^٨ ع: هو انه.

^٩ ن: جائز.

^{١٠} ر: أحد.

^{١١} ن: للزوج.

^{١٢} ر ع م: هتك.

^{١٣} يستعمل المؤلف ضمير التذكير وإن كان بيان الآية التي نحن بصدد تأويلها للمحصات، لأنه رحمه الله يرى لو كان المقدوفون بالزنى رجالاً لوجب حد القذف أيضاً كما مر أثناء تأويلاته للآية.

^{١٤} ع - كان.

^{١٥} ع: توبة.

^{١٦} ر م - لكن.

^{١٧} ر - هو.

أَنْ لَا يَهْتِكَ عَلَى آخَرَ سِتْرَهُ أَوْ يَعْزَمَ أَنْ لَا يَقْذِفَ بَرِيئًا مِنَ الزُّنَى أَبَدًا. فَأَيُّ الْوَجْهَيْنِ كَانَ تَسْمِيَةً^١ فَسَقَهُمْ فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنْ ذَلِكَ لَا تَظْهَرُ عِنْدَ النَّاسِ، لِذَلِكَ^٢ لَمْ تَقْبَلِ [شَهَادَتَهُمْ]. وَكَذَلِكَ^٣ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَإِنَّمَا تَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، إِذَا تَابَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ الْفَرِيَّةَ^٤. وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ مِنْ نَحْوِ الْحَسَنِ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَمثَلَهُمَا^٥ قَالُوا: تَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ^٦.

وقوله: وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا، لَيْسَ ثَمَّةَ شَهَادَةٌ رَفَعَتْ إِلَى الْحَاكِمِ فَرَدَّهَا وَلَكِنْ لَا^٧ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً يَرْفَعُونَهَا إِلَى الْحَاكِمِ، فَالْجَرَحُ عَلَى كُلِّ شَهَادَةٍ يَرْفَعُونَ [بِهِ] مِنْ بَعْدُ. ثُمَّ إِذَا شَهِدَ^٨ بَعْدَ مَا قَذَفَ قَبْلَ أَنْ يُجْلَدَ قَبِلَتْ شَهَادَتُهُ وَهُوَ قَاذِفٌ، فَدَلَّ أَنْ شَهَادَتَهُ إِنَّمَا تُرَدُّ بَعْدَ مَا جُلِدَ لَمَّا اتَّهَمَهُ الْحَاكِمُ. وَكُلُّ شَهَادَةٍ رَدَّتْ لِتَهْمَةٍ^٩ فِيهَا لَا تُقْبَلُ أَبَدًا، وَالتَّهْمَةُ الَّتِي بِهَا جُلِدَ الْقَاذِفُ هِيَ لَا تَزُولُ أَبَدًا. أَوْ أَنْ يَكُونَ تَوْبَتُهُ قَوْلُهُ: قَدْ^{١٠} كَذَبْتُ فِيمَا قَذَفْتُ. فَكُنَّا نَرِدُ شَهَادَتَهُ لِتَهْمَةِ الْكُذْبِ، فَإِذَا أَكْذَبَ نَفْسَهُ نَقَبَلُهَا^{١١} لِتَحْقُقِ^{١٢} الْكُذْبَ، فَهَذَا بَعِيدٌ.

وَأَصْلُهُ أَنْ كُلَّ تَوْبَةٍ كَانَتْ بَعْدَ التَّمَكِينِ فِيهَا لَا^{١٣} تَرْفَعُ الْحُكْمَ الَّذِي جُعِلَ لَهُ وَالْحَدَّ، وَكُلُّ تَوْبَةٍ كَانَتْ قَبْلَ التَّمَكِينِ فِيهَا تَرْفَعُ الْعُقُوبَاتِ، كَقَوْلِهِ: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ^{١٤} فَلَوْ لَمْ يَرْفَعُوا^{١٥} عَنْهُمْ تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ لَكَانُوا يَتِمَادُونَ فِي السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفُسَادِ^{١٦}. وَأَمَّا فِيمَا نَحْنُ فِيهِ فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ التَّمَادِي فِيهِ.

^١ ر ع: تسمية.

^٢ ع: كذلك.

^٣ جميع النسخ: ولذلك؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢١ ظ.

^٤ ورد في مصنف عبد الرزاق (٣٨٧/٧) عن مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ قَالَ: لَا تَقْبَلُ شَهَادَةَ الْقَاذِفِ أَبَدًا إِذَا تَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ. قَالَ: وَقَالَ شَرِيحٌ أَيْضًا. وَانظُرْ أَيْضًا: مَصْنَفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، ٣٢٤/٤.

^٥ جميع النسخ: وأمثالهم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢١ ظ.

^٦ انظُرْ: تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ، ٨٠/١٨-٨١، ١٠٤-١٠٥؛ وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ، ١٨١/١٢، ٢٠٩.

^٧ ن - لا.

^٨ ر م: شهدوا.

^٩ ع: لتهمته.

^{١٠} ر ع م: فقد.

^{١١} ر ن ع: تقبلها.

^{١٢} ر: التحقق.

^{١٣} ع: على.

^{١٤} ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة، ٣٤/٥).

^{١٥} ع: لم يعرفوا.

^{١٦} ع: في الفساد.

وزعم الشافعي أن حاله قبل الحد وبعد ذلك سواء. وهذا خلاف ما نص الله عليه، قال الله تعالى: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، الآية، وقال: فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ^٢ فجعلهم كاذبين عند العجز عن^٣ إقامة الشهداء وكان^٤ أمرهم قبل ذلك موقوفا. فالواجب أن يجعلهم كاذبين عند عجزهم عن تصحيح ما قالوا وهي^٥ الحال التي جعلهم الله فيها كاذبين. فبان بما وصفنا أن من جعل حال المحدود بعد أن ضرب الحد كحال قبل ذلك مخطئ. ودل ما وصفنا على أنه لا يجب أن يُستدل بجواز شهادته قبل أن يُجلد على جواز شهادته إذا تاب بعد الجلد على ما ذكرنا، لأننا بالجلد علمنا أنه قاذف، لا بما كان من رميه المرأة قبل أن يُجلد. ومن الدليل على اختلاف الحالين أن عمر لما جلد أبا بكر^٦ قال له: إن تبت قبلت شهادتك، وأنه قبل أن يجلده لم يزد شهادته،^٧ لأنه لو كان عنده مجروحا بالقذف لم يسمع شهادتهم. ولا أعلم بين أهل العلم خلافا أنه لا تقبل^٨ شهادته بعد الجلد ما لم يتب، وإنما يختلفون في^٩ شهادته^{١٠} بعد التوبة وأن شهادته قبل الجلد مقبولة، فكيف تشبه^{١١} الحالتان مع ما^{١٢} وصفنا.

وقال غيرهم: التوبة تُزيل فسقه ولا تجوز^{١٣} شهادته، وقالوا:^{١٤} الاستثناء على آخر الكلام على الذي يليه [فقط]. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على بطلان شهادته وإن تاب، [مثل] ما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

^١ ر م: هذا.

^٢ سورة النور ١٣/٢٤.

^٣ ع: أن.

^٤ ع: فكان.

^٥ ع: أو هي.

^٦ ن: بكر.

^٧ والرواية في صحيح البخاري وردت بلفظ: «وجلد عمر أبا بكر^٦ وشبل بن معبد ونافعا بقذف المغيرة ثم اشتباهم، وقال: من تاب قبلت شهادته» انظر: الشهادات، ٨.

^٨ ر ع م: يقبل.

^٩ ن - في.

^{١٠} ع: شهادتهم.

^{١١} جميع النسخ: يشته.

^{١٢} ر ع م - ما.

^{١٣} ر ع م: يجوز.

^{١٤} ر ع م: قالوا.

«المسلمون عُذُولٌ بعضُهُم على بعض إلا محدوداً في قذف»^١. وعن ابن عباس قال: لما نزل قوله: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، وذكر حديثاً^٢ فيه طول وفيه: لم يلبثوا إلا قليلاً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم [و] قال: يا رسول الله لقد رأيت فلاناً مع أهلي. فقال^٣ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تقول يا هلال؟» قال: والله يا رسول الله، لقد رأيتك وسمعتك بأذني. قال: فشق على رسول الله الذي جاء به، ثم قال: «أيجلد هلال وتبطل^٤ شهادته في المسلمين»، فاشتد ذلك على رسول الله وجعل يقول: «أيجلد هلال وتبطل^٥ شهادته في المسلمين». وقول رسول الله «أيضرب هلال وتبطل^٦ شهادته في المسلمين؟» وما ظهر من غمّه بذلك وجزّعه يدلان على أن المحدود لا تقبل^٧ شهادته^٨ بعد توبته، لأن توبته لو قيلت وكان كسائر الأشياء التي إذا أُنيب منها جازت شهادته لقال النبي: "تبطل^٩ شهادته في المسلمين إلا أن يتوب"، لأنه لا يقال في^{١٠} شيء من المعاصي: "فلان فعل كذا وكذا فبطلت شهادته في المسلمين" حتى يُقرن^{١١} إلى ذلك "إلا أن يتوب". وقد ذكرنا عن ابن عباس في قوله: إلا الذين تابوا، قال: فتاب الله عليهم من الفسق، فأما الشهادة فلا تجوز.^{١٢} وكذلك روي عن كثير من السلف أنهم قالوا: توبته فيما بينه وبين ربه.

^١ انظر: أحكام القرآن للحصاص، ٢٧٣/٣.

^٢ جميع النسخ: حديث.

^٣ ر + يا.

^٤ ن ع: للذي.

^٥ جميع النسخ: ويبطل.

^٦ ن ع: يجلد.

^٧ جميع النسخ: ويبطل.

^٨ انظر: تفسير الطبري، ٨٣/١٨؛ وأحكام القرآن للحصاص، ٢٧٣/٣.

^٩ جميع النسخ: ويبطل.

^{١٠} ر ع م: يقبل.

^{١١} ع - في المسلمين وما ظهر من غمّه بذلك وجزّعه يدلان على أن المحدود لا تقبل شهادته.

^{١٢} جميع النسخ: يبطل.

^{١٣} ع - في.

^{١٤} ن: يقرر.

^{١٥} جميع النسخ: فلا يجوز. انظر: أحكام القرآن للحصاص، ٢٧٣/٣.

وفيه وجه آخر وهو أن القاذف إذا ضُرب الحدَّ فهو^١ يقول ما لم يرجع: أنا صادق في نفسي ولم يلزمني^٢ الحدُّ فيما بيني وبين ربي وإنما لزمني في ذلك الحكم. فإذا تاب فهو يقول: كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي^٣ وفي الحكم، فذلك أحرى أن لا يزول عنه من إبطال شهادته بذلك الحد.

ووجه آخر وهو أن القاذف لم تبطل^٤ شهادته بقوله: فلانُ زانٍ، لأنه مدَّع بقوله هذا شيئا قد يجوز أن يكون حقا، وإنما يصير قاذفا إذا عجز عن إقامة البينة وضربته الحاكم الجلد. فإذا كانت شهادته إنما بطلت بحكم حاكم لم يزل ذلك الحكم إلا بحكم حاكم.^٥ فإن حكم حاكم بجواز شهادته في شيء جازت شهادته^٦ فيه.

فإن قيل: يلزمكم على هذا أن تقولوا: إن قال حاكم: قد أجزتُ شهادته في كل شيء فإنها^٧ تجوز،^٨ لأن الحاكم قد رفع ما لزم من بطلان شهادته بالحكم الأول. قيل: قول الحاكم: قد أجزتُ شهادته ليس بحكم، إنما هو فتوى، والحكم إنما يكون فيما تقام له البينة أو يقع له الإقرار.

فإن قيل: فما تقولون في رجل زنى فحدَّه الحاكم، هل تجوز^٩ شهادته إن تاب؟ قيل: بلى. فإن قال: قد بطلت شهادته بحكم^{١٠} آخر^{١١} وتوبته مقبولة^{١٢} بغير حكم حاكم، فما متع أن يكون القذف مثل ذلك، وما^{١٣} الفرق؟

قيل: الزنى فعل ظاهر يعرف به فسق الزاني وإن لم يُحد، والقذف^{١٤} لا يعلم كذِبُ

١ م + فهو.

٢ ع: ويلزمني.

٣ ن: الله؛ م + وإنما لزمني في ذلك الحكم فإذا تاب فهو يقول كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي.

٤ جميع النسخ: يبطل.

٥ ع: حكم.

٦ م - في شيء جازت شهادته.

٧ جميع النسخ: أن.

٨ ر م: يجوز.

٩ ر ع م: يجوز.

١٠ ن ع + حاكم.

١١ ن - آخر.

١٢ ر ع م: مقبول.

١٣ ع: وأما.

١٤ ع: والقذف.

القاذف فيه من صدقه،^١ لأنه شيء يدعيه على غيره، وإنما يُعلم أنه كاذب في قذفه بما يُنقذ عليه من حكم الحاكم، فلذلك افترقا.

ومن الدليل أيضا على أن شهادة القاذف إذا حُدَّ لا تُقبل وإن تاب أنه إذا قال: "تبت من^٢ قذفي فلانا وكنت في ذلك كاذبا"^٣ فلسنا ندري هل هو صادق في قوله: "كنت كاذبا" أم هو في قوله ذلك [كان] كاذبا، لأن المقذوف إن كان في الحقيقة زانيا فقول القاذف: "كنت في قذفي إياه [كاذبا] كذب^٤ منه" وهو في ذلك آثم. فإذا كنا لا نقف بتكذيبه نفسه على كذبه فيه من صدقه لم نجعل له^٥ توبة، لأن التوبة إنما تكون أن يظهر عند الحاكم^٦ من الأفعال ما يعلم بنفسها أنها^٧ طاعة، وأنه فيها على خلاف ما ظهر من نفسه في الوقت الأول، فلما لم يُعرف كذب المكذب لنفسه من صدقه لم يجعل^٨ ذلك منه توبة. وقلنا: توبته فيما بينه وبين ربه، لأن الله يعلم هل هو كاذب في تكذيبه نفسه أو صادق، ونحن لا نعلم ولا دليل لنا من الظاهر عليه، فلم نجعل توبته توبة في الحكم، وقلنا: حالك الآن كحالك قبل ذلك.

ودليل آخر أنا قد علمنا كذبه بقول الله: فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ،^٩ فإذا قال: "كذبت في قذفي، قلنا له: "لم تفقدنا بتكذيبك نفسك فائدة لم نعرفها، فأنت في هذا الوقت كاذب فإنك^{١٠} في الوقت الأول تُعلمنا أنك كاذب، فحالك الآن في شهادتك كحالك قبل ذلك، على ما ذكرنا.

على أن الشافعي يقول: لا ترجع الملائنة إلى زوجها وإن تاب. فإذا كانت توبته لا تُبطل ما لزمها من الحكم في رجوعها إليه فكذلك لا يُبطل ما لزمه من الحكم في بطلان شهادته. والله أعلم.

^١ ع: من صدق.

^٢ ع - من.

^٣ ر م: كذبا.

^٤ جميع النسخ: كذبا.

^٥ ر ع م: لم نجعله؛ ن: لم يجعله.

^٦ ر م: الحكم.

^٧ ن: أنه.

^٨ ع: لم يجعله توبة.

^٩ ﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ (سورة النور، ١٣/٢٤).

^{١٠} ن: وأنت.

وقوله: فاجلدوهم ثمانين جلدة، إن كان الجلد مأخوذاً من [ضرب] الجلد^١ فحائز أن يستخرج منه حدُّ الضرب وهو أن لا يجاوز^٢ الجلد ولكن يُضرب مقداراً ما لم يتألم به ويتوجع ولا يمزق به الجلد ولا يخرقها. ويستخرج^٣ منه التفريق في الأعضاء كلها والجوارح، لأنه لو ضرب في مكان واحد لخرقة ومزقه، سوى الرأس والوجه والمذاكير لما فيه من التأثير والمجازة.

فإن كان كذلك ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في قوله: إن الشهود إذا شهدوا على حد فضرب به الإمام فأصابه الجراحات ثم رجعوا لا يضمنون ما أصابه من الجراحات، لأنهم لم يشهدوا^٤ على ضرب يخرج^٥ ويؤثر فيه ما أصابه، لذلك لم يضمنوا.

وقول عمر لأبي بكر: "نقبل شهادتك إن ثبت^٦" فهو / يحتمل: أي نقبل روايتك عن رسول الله ومشاهدك^٧ التي شهدتها.

وقد ذكرنا^٨ أن الحكم والحد في الآية إنما جرى في قذف المحصنات دون المحصنين بقوله: والذين يرمون المحصنات، الآية، لكن قذف المحصن وشمته إن لم يكن أكثر في الشين وأعظم في الوزر لا يكون دونه. فالذكر وإن جرى في المحصنات فأمكن وجود المعنى الذي به جرى ذلك في المحصنات^٩ في المحصن، وهو ما قال: إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^{١٠} وهو الإيمان والإحصان والعفة، لذلك لزم الحكم في هذا [المحصنين] كما لزم في المحصنات.

وقد ذكرنا أيضاً فيما تقدم أن لا يجلد من قذف مملوكة أو مملوكاً أو قذف كافرة. أما المملوك لقوله: والذين يرمون المحصنات، وقد ذكرنا الدليل على أن المراد بالمحصنات الحرائر دون غيرهن،

^١ جميع النسخ: الجلد؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢١ ط.

^٢ ن: أن لا تجاوز.

^٣ ر م: وتستخرج.

^٤ ع: لم يشهدا.

^٥ ر: يخرج.

^٦ انظر: تفسير الطبري، ٧٦/١٨.

^٧ ع: ومشاهدتك.

^٨ ر ن ع: ذكر.

^٩ ن + لا.

^{١٠} سورة النور ٢٤/٢٣.

لذلك لم يجلد قاذف المملوك. ولأننا لو أوجبنا^١ على قاذفه الجلد أوجبنا^٢ جلد ثمانين، فهو لو أتى بفعل الزنى حُدَّ خمسين، فلا يجوز أن يوجب على قاذفه مما به قذف من الجلد أكثر مما يوجب في عين^٣ ذلك الفعل^٤ لو أتى به. فسقط بما ذكرنا الجلد على قاذف المملوك. وأما الكافر والكافرة [فقد] سقط عن^٥ قاذفهما الحد لما ذكرنا من قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ،^٦ شرط فيه الإيمان والإحصان والعفة، فإذا غُدم أحد^٧ ما ذكرنا لم يُقَم، ولأننا لو أوجبنا الحد حدّناه لَقُذِفَ عدو الله. ولا يجوز أن يجلد مسلم بقذف^٨ عدو من أعداء الله، مع ما فيما ذكرنا من المسائل إجماع بين أهل العلم في ذلك. **وإنه أعلم.**

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٦] ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٧] ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٨] ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٩]

وقوله: والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم شهادة أحدهم أربع شهادات بالله، روي عن ابن عباس [أنه] قال: لما نزلت هذه الآية قال عاصم^٩ بن عدي الأنصاري: دخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امرأته، [ف]أراد أن يخرج فيجيء بأربعة رجال شهود يشهدون على ذلك، [لكن] قد قضى الرجل حاجته وخرج. وإن هو عجل فقتل قُتِلَ به، وإن هو قال: وجدت فلانا مع فلانة ضرب به الحد ولاعن امرأته، وإن سكت سكت على غيظ. فذكر أنه ابتلي بذلك من بين الناس، فأتى رسول الله فأخبره بذلك وقال:

^١ ر: وجبنا.

^٢ ر م - على قاذفه الجلد أوجبنا.

^٣ ر: في غير.

^٤ ن: القول.

^٥ ن ع: على.

^٦ سورة النور ٢٤/٢٣.

^٧ ر ع م: عد واحد.

^٨ ع: يقذف.

^٩ ر ع م: عبد الله.

^{١٠} ن ع + ان. ورد في التاريخ الكبير للبخاري (٤٧٧/٦) معلومات مختصرة: عاصم بن عدي الأنصاري المدني أبو البداح - شهد بدرا - الأوسي العجلاني. قال أبو عاصم عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أبي البداح بن عاصم عن أبيه قال: رخص النبي صلى الله عليه وسلم لرعاء الإبل أن يرموا يوم النحر ويؤخروا يومين ثم يرموا.

وجدت فلانا على^١ بطنها. فأرسل رسول الله إلى امرأته وإلى فلان فجمع بينهما وبين عاصم فقال للمرأة: «ويحك ما يقول زوجك؟» قالت: يا رسول الله، إنه لكاذب ما رأى شيئا من ذلك، ولكنه رجل غيور فذلك الذي حملة على أن يتكلم بالذي تكلم،^٢ فكان فلان ضيفا^٣ عنده يدخل ويخرج علي وهو يعلم ذلك فلم ينهني^٤ عن ذلك ساعة من ليل ولا نهار^٥ أن يدخل علي. فسأله^٦ عن ذلك فقال: «يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل إلا حقا.» قال: يا رسول الله، أقسم بالله ما قلت إلا حقا ولقد رأيته يغشي على بطنها وهي حُبلى وما قربتها منذ كذا وكذا. فأمرهما رسول الله أن يتلاعنا عند ذلك وقال: «يا عاصم، فم فاشهد أربع شهادات بالله إنه لكما قلت وإنك لمن الصادقين في قولك عليها.» ثم قال: «والخامسة أن لعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين.» ففعل ما ذكر. ثم قال للمرأة مثل ذلك فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين عليها في قوله^٧، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين عليها في قوله. فلما تلاعنا وفرغا من اللعان فرق بينهما ثم قال للمرأة: إذا ولدت فلا تُرضيه حتى تأتيني به. فلما انصرفوا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ولدته أُحيمر مثل الدُّبُس^٨ فهو الذي يُشبهه أباه الذي نفاه، وإن ولدته أسود^٩ أدعج جَعْدًا قَطَطًا^{١٠} فهو يشبه الذي رُميت به. فلما وضعت أتت به رسول الله فنظر إليه فإذا هو أسود أدعج جعد قَطَط على ما نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه الذي رُميت به، فقال^{١١} رسول الله: «لولا اللعان والأيمان التي سَلَفَتْ لكان لي فيها رأي.»^{١٢}

^١ ر ن - على.

^٢ ن + به.

^٣ ع: ضيفا.

^٤ جميع النسخ: ينهاني.

^٥ ر م: ونهار.

^٦ م: وأن.

^٧ ع + فسأله.

^٨ ر ع م - في قوله.

^٩ الدُّبْسُ: لون في ذوات الشعر أحمر مُشْرَب سوادا. والدُّبْسُ: الأسود من كل شيء. والدُّبْسُ بفتح الدال وكسرها: غسل التمر وعصارته (لسان العرب، «دبس»).

^{١٠} الأَدْعَجُ من الرجال: الأسود. الجعد من الشعر: خلاف البسيط، وقيل: هو القصير. والجعد من الرجال: المجتمع بعضه إلى بعض، والبسيط: الذي ليس بمجتمع. والقَطَطُ: شعر الزُّبْجِي. وشعر قَطَطُ: جعد قصير (لسان العرب، «دعج»، «جعد»، «قطط»).

^{١١} ر م + يا.

^{١٢} ن: عليه السلام.

^{١٣} روي نحوه في صحيح البخاري، تفسير القرآن ٣/٢٤؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٥/٢٤.

وفي بعض الأخبار أنه لما جمع بينهما قال لهما: ^١ «اتقيا الله فإن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ فإن ^٢ عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.» ^٣ وفي بعض الأخبار أن الآية نزلت في شأن هلال بن أمية فذكر فيه ما ذكرنا. ^٤ والله أعلم.

ثم ^٥ في هذا مسائل. إحداهما ^٦ أنه ذكر قذف الأزواج وذكر فيه اللعان ولم يبيّن في ظاهر ^٧ الآية الزوج والزوجة كافرين أو حران مسلمان أو مملوكان أو كيف؟ فعندنا أنه إذا كان أحدهما كافرا أو مملوكا أو كانا جميعا [كذلك] لم يكن بينهما لعان إلا أن يكونا جميعا من أهل الشهادة. وحجتنا ^٨ في ذلك أن الله جعل على الأجنبي الحر إذا قذف أجنبية حرة الحدّ ثمانين، وجعل حدّ ^٩ الزوج إذا قذف زوجته وهما حران مسلمان اللعان. ثم قد ذكرنا إجماعهم على أن الحر إذا قذف أمة أو يهودية فلا حدّ عليه. فلمّا لم يكن على الحر القاذف للأمة من الحد ما على ^{١٠} قاذف الحرة ^{١١} لم يكن على زوج الأمة من اللعان ما على زوج الحرة. وأصل هذا أن ^{١٢} الله ذكر الشهادة في رمي الأجنبية المحصنة وإبراء القاذف / عن الجلد ^{١٣} إذا أتى بها، [٥١٦ظ] وأمر بإقامة الحد إذا عجز عن إقامتها. ثم استثنى من الشهداء الذين ذكّر في قذف الأجنبية شهادة الزوجين بقوله: ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله، فإذا ^{١٤} لم يدخلا في تلك الشهادة إذا كانا مملوكين أو كافرين أو أحدهما لم يدخلا فيما استثنى، إذ التُّنْيَا استخراجٌ من تلك الحملة المستثناة وتحصيل منها، لذلك بطل اللعان.

^١ م: لها.

^٢ ر م: قال.

^٣ المرجع السابق.

^٤ ورد الحديث بعبارة مختلفة، انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن ٣/٢٤، الطلاق ٢٩، ٣٣-٣٥؛ وسنن أبي داود،

اللعان ٢٧؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

^٥ ع + ان.

^٦ ر ن م: إحداهما؛ ع: أحدهما.

^٧ ر ع م: فظاهر.

^٨ جميع النسخ: وحجتهم.

^٩ ع - حد.

^{١٠} ع م: على ما.

^{١١} ر م: الحر؛ ر ع م + ذا قذف أمة.

^{١٢} جميع النسخ: بأن.

^{١٣} ر م: عن الحد.

^{١٤} م: فإذا.

ووجه آخر في الكافرة وهو أن^١ المرأة تقول في الخامسة: عليها غضب الله إن كان من الصادقين، وغضب الله يكون عليها^٢ بغير شرط.^٣ فمحال أن يقول القاضي لها: عليك غضب الله^٤ بشرط أن كان الزوج صادقاً وهو^٥ يعلم أن غضب [الله] عليها في كل حال، لذلك بطل.

والمخالف لنا أولى بإبطال اللعان بين^٦ الحر^٧ والأمة والمسلم والذمية منا، لأنهم يزعمون أن العبد ليس^٨ بكفء^٩ للحر، ولا الكافر بكفء^{١٠} للمسلم في القصاص في النفس وفيما دون النفس،^{١١} فكيف جعلوها في إيمانها أكفاء لأيمان الأحرار المسلمين؟ كان يجب أن يقولوا:^{١٢} ليست يمين الكافر بمُجَاذِيَّة^{١٣} ليمين المسلم فلا يوجبون بينهما لعاناً أبداً،^{١٤} والوجه فيه ما ذكرنا بدءاً.

ثم المسألة [الأخرى] في إباء الأيمان. إذا أبي أحدهم الأيمان حُدَّ عند بعض أهل العلم وهو قول الشافعي، وعندنا أنه لا يُحَدُّ بالإباء. فذهب من أوجب الجُلْدَ بالإباء^{١٥} إلى ظاهر قوله: **تُمْ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ**^{١٦}، أوجب الجلد في قذف الأجنبي إذا عجز عن إقامة الشهود ودرأ^{١٧} عنه الحدَّ إذا أتى بأربعة يشهدون. فعلى^{١٨} ذلك دُرِي^{١٩} عن الزوجين الحد إذا شهد كل واحد منهما أربع شهادات بالله. فوجب إذا أبي^{٢٠} أحدهما الأيمان أن يُحَدَّ،

^١ ع - أن.

^٢ ر م - عليها.

^٣ أي بكونها كافرة.

^٤ ع + يكون عليها بغير شرط فمحال أن يقول القاضي لها عليك غضب الله.

^٥ جميع النسخ: وهم.

^٦ ع - بين.

^٧ جميع النسخ: بين الحرّة.

^٨ ع - أن العبد ليس.

^٩ جميع النسخ: بكفؤ.

^{١٠} جميع النسخ: بكفؤ.

^{١١} ع - النفس.

^{١٢} ع: أن يقول.

^{١٣} ن: بمجازية، ر ع: بمجان به.

^{١٤} ر م - أبداً.

^{١٥} ع: بالإجماع.

^{١٦} سورة النور، ٤/٢٤.

^{١٧} ر ع: ودرأ.

^{١٨} ن: فعل.

^{١٩} ن: درأ؛ ن: درء.

^{٢٠} ر م: أتى.

إذ بالأيمان يُدرأ الحد ويوجب اللعان. والثاني ما قال: وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ، جَعَلَ الْإِيمَانَ سَبَبًا^١ دَرَأَ الْحَدَّ عَنْهَا فَإِذَا أُبْتُ^٢ ذَلِكَ لَزِمَ الْحَدُّ. وعندنا أنه^٣ لا يُحَدُّ بالإباء لأنه ليس في الإباء ظهر الكذب، إذ ليس كلُّ من أبى اليمينَ يَظْهَرُ كذبه فيه، وإنما يُحَدُّ لظهور كذبه في القذف وهو^٤ لا يَظْهَرُ بالإباء. وإنما حد في الأجنبية إذا لم يأت بأربعة شهداء لأنه في الظاهر عند الناس كاذب، لأنه ليس بينه وبين الأجنبية سبب ولا معنى يبعثه على إظهار ما ذكر. وأما فيما بينه وبين زوجته سبب ومعنى يحمله^٥ على إظهار^٦ ذلك وهو الغيرة. فإذا كان كذلك فهو في قذف^٧ الزوجة في الظاهر صادق عند الناس للسبب الذي ذكرنا، لأنه طالب حقِّ قِبَلِهَا، على ما روي: «لا يُوطِئَنَّ فُرُشَهُنَّ مَنْ يَكْرَهُ الْأَزْوَاجَ»^٨ فلا يزال صدقه بإباء اليمين. وأما في قذف أجنبية فهو كاذب في الظاهر لعدم السبب الحامل على إظهار ذلك فهو على ذلك^٩ الكذب^{١٠} حتى يأتي ما به^{١١} يزيل الكذب وهو الشهود. وفي [قذف] الزوجة على الصدق حتى يظهر كذبه، ولا يظهر^{١٢} بالإباء، لذلك افترقا. ولأن الحد لا يقام بالإباء البتة. ولأن الأيمان لا تُقَابِلُ^{١٣} بشهادة العدول بحال. ألا ترى أن من شهد عليه شاهدا عدل^{١٤} بحق فحلف هو بأيمان لم تكن تُقَابِلُ^{١٥} الأيمان بتلك الشهادة في سقوط الحق.

^١ ن - سبب.

^٢ ن: أتت.

^٣ ع: لأنه.

^٤ ر: تحد.

^٥ ر ع م + لا يعلم.

^٦ ع: بجمله.

^٧ ع: على ظاهار.

^٨ ع: في القذف.

^٩ ورد الحديث بلفظ: «وإن لكم عليهن أن لا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تُكْرَهُنَّ» انظر: صحيح مسلم، الحج ١٩؛

وسنن ابن ماجه، المناسك ٨٤، وسنن أبي داود، المناسك ٥٨.

^{١٠} ر م - فهو على ذلك.

^{١١} م: للكذب.

^{١٢} م - به.

^{١٣} ر م - كذبه ولا يظهر.

^{١٤} ع: لا تقبل.

^{١٥} ر م: شاهد عدل.

^{١٦} ر م - تقابل.

وأما قوله: ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله، جائز أن يكون ذلك في تلك المرأة التي في أمرها نزلت الآية، علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبها بالوحي. ألا ترى أنه قال: ^٣ إذا جاءت بكذا فهو لكذا وإذا جاءت بكذا فهو لكذا، ثم جاءت به شبيها بالذي رُميت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن»، ^٤ علم كذبها حيث قال: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن» فدرأت تلك المرأة العذاب عنها بالأيمان. أو أن يكون العذاب الذي درئ^٥ عنها الحبس، إذ من قولنا: «أيهما أبو اليمين حُبس حتى يشهد أربع شهادات بالله أو يُقر بالزنى أو يكذب نفسه». فدرء^٦ الحبس عنها بالأيمان التي ذكر. وإنما لم يُحد بالإباء، لأن الإباء لا يُظهر الكذب كالإقرار، ولأن الإباء في الحقيقة إباحة. ولو أن ^٧ إنساناً أباح للحاكم أن يقيم عليه الحد لم يقيم، فعلى ذلك هذا. أو لِمَا يجوز أن يأتي ^٨ عن الأيمان صوتاً لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذكر فيه، فلم يُحد لما ذكرنا. ^٩

ثم مسألتان ^{١٠} في هذا نذكرهما وإن لم يكونا في ظاهر هذه الآية. إحداهما ^{١١} في إلحاق ^{١٢} الولد أمه، والأخرى في تفريق الحاكم بينهما إذا تلاعنا. قال بعض أهل العلم:

^١ ع - في تلك.

^٢ ن - رسول الله.

^٣ ن + قال.

^٤ ن: لذا.

^٥ انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن ٣/٢٤؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٥/٢٤.

^٦ ع - عنها بالأيمان أو أن يكون العذاب.

^٧ ر: دراء؛ ع: درأ.

^٨ ر: قدر؛ ن: درئ.

^٩ ع: وإنما.

^{١٠} ع: ولعان.

^{١١} ن: فعل.

^{١٢} ع: أن يأتي.

^{١٣} ر م - فيه.

^{١٤} ع: لما ذكر.

^{١٥} ر م: مسألتنا.

^{١٦} جميع النسخ: احديهما.

^{١٧} ن: في الخلق؛ ع: في إلحاق.

إذا^١ فرغ الزوج من أيمانه وقعت بينهما الفُرقة وإن لم يفرق الحاكم. وقلنا نحن: لا تقع^٢ الفرقة بينهما حتى يفرغا من تلاعُهما ويفرق الحاكم بينهما. والأخرى في إلحاق الولد. قال^٣ أولئك أيضا: إذا فرغ الزوج من لعانه لحق الولد أمّه وإن لم تلتعن^٤ المرأة.

والقياس في لحوق الولد ما قال أولئك: إنه يلحق بفراغ^٥ الزوج^٦ من اللعان. والقياس في وقوع الفرقة ما قال أصحابنا: إنه لا يقع إلا بعد فراغ الزوجين جميعا وتفريق الحاكم بينهما، لأن الزوج إذا شهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين قد ألزم امرأته الزنى في الظاهر. فإذا ظهر ذلك ظهر^٧ أن الولد ليس منه، فجائز لحوقه بالأم^٨ بفراغه / من اللعان. وأما الفرقة [٥١٧] فإنها لا تقع إلا^٩ بظهور الزنى، ألا ترى أن امرأة الرجل إذا زنت لا يقع بينهما الفرقة، ألا ترى أن دعوى^{١٠} المرأة باقية بعد فراغ الزوج من أيمانه، لذلك افترقا.^{١١}

والأخبار تدل لمذهب أصحابنا في المسألتين جميعا، لأنه روي عن نافع عن ابن عمر^{١٢} أن رجلا لاعن امرأته في زمان^{١٣} رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها،^{١٤} ففرّق رسول الله بينهما وألحق الولد بالمرأة.^{١٥} وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين^{١٦} [عاصم بن عددي وبين امرأته] فرق^{١٧} بينهما.^{١٨} وروي في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما:

^١ ن + إذا.

^٢ ر ن م: لا يقع.

^٣ ن ع: فإن.

^٤ ع: لم يلتعن.

^٥ ع: بفرغ.

^٦ ع - الزوج.

^٧ ر م - ذلك ظهر.

^٨ ن: بالأم.

^٩ ر م - إلا.

^{١٠} ع: دعوة.

^{١١} أي افتרכת المسألتان.

^{١٢} ع + أن رضي الله عنه.

^{١٣} ع: من زمان.

^{١٤} ع - ولدها.

^{١٥} ع: بامرأة. انظر: صحيح البخاري، الطلاق ٣٥-٣٧؛ وصحيح مسلم، اللعان ١.

^{١٦} جميع النسخ: بينهما.

^{١٧} جميع النسخ: ففرق.

^{١٨} انظر: الدر المنثور للسيوطي، ١٣٨/٦، وتفسير ابن كثير ٣/٢٥٨-٢٥٩.

«الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟»^١ قال ذلك لهما ثلاثاً فأبيا ففرق بينهما. وفي بعض الأخبار قال: «حسابكما على الله، أحدكما كاذب، لا سبيل لك عليهما».^٢
فإن قيل: إنما فرّق النبي بينهما^٣ لأن الفرقة قد وقعت بينهما، فأخبره النبي أنه لا تحل له وقال: «لا سبيل لك عليهما».

قيل: قولكم: "إن الفرقة قد وقعت بينهما" باللعان "دعوى منكم، وظاهر الأخبار يشهد لنا وعلى وهم الخصم. ثم يقال لهم: أستم تقولون في المؤبى: إذا مضت مدته فارتفعا إلى الحاكم هل تقع الفرقة بينهما إذا امتنع من قربانها أو طلاقها^٤ ما لم يقل القاضي: قد فرقت بينكما؟^٥ فإن قيل: فرقة الإيلاء طلاق وفرقة اللعان غير طلاق عندنا. قيل: هما عندنا طلاق.
فإن قيل: إنكم تزعمون أن فرقة الإيلاء تقع بمضى الأجل، فما منع أن يقع الفرقة باللعان بتمام اللعان؟

قيل: لم يكن للحاكم في^٦ الإيلاء صنع فلا^٧ يحتاج إلى حكمه، وفي الآخر لا يتم اللعان إلا بالقاضي فلا تقع^٨ الفرقة إلا بالقاضي. ويقال لهم: ما تقولون في رجل ادعى حقا فأقام عليه شاهدين عند قاض، هل يلزم الحكم قبل أن يقول القاضي: قد حكمت بذلك. فإن قالوا: لا يلزم الحكم حتى يقول: قد حكمت، فيقال: ما منع أن اللعان [أن يكون] مثله؟^٩
ويقال لهم أيضا: ما تقولون في العيّن^{١٠} أجله الحاكم سنة،^{١١} هل تقع الفرقة بينه وبين امرأته بمضى الأجل أو تقع الفرقة حتى تُخَيَّرَ المرأة ويفرق الحاكم بينهما؟^{١٢} فإن قالوا:

^١ ورد الحديث بعبارات مختلفة، انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن ٣، الطلاق ٢٩، ٣٣-٣٥؛ وسنن أبي داود، اللعان ٢٧؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

^٢ انظر: صحيح البخاري، الطلاق ٥٤؛ وصحيح مسلم، اللعان ١.

^٣ ر ع م: بينهما النبي.

^٤ ن - بينهما.

^٥ جميع النسخ: وطلاقها؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٢ ظ.

^٦ ن: بينهما.

^٧ ن: من.

^٨ ن: هو.

^٩ ن: فلا يقع.

^{١٠} ر ع م: مثله؛ ن: مثله. الزيادة والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٢ ظ.

^{١١} العيّن: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن (لسان العرب، «عن»).

^{١٢} جميع النسخ: بينهما؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٢ ظ.

^{١٣} ر م - هل تقع الفرقة بينه وبين امرأته بمضى الأجل أو تقع الفرقة حتى تُخَيَّرَ المرأة ويفرق الحاكم بينهما.

لا تقع حتى يفرق الحاكم بينهما. قيل: ما منع في فرقة اللعان أنه كذلك. فإن قالوا: إنما صارت الفرقة لا تقع في العيّن والمؤلي حتى يوقعها الحاكم لأن الحاكم^٢ يقول للزوج: ^٣ طلقها أو فئ إليها، ويقول لامرأة العيّن: اختاري^٤ في الفرقة أو المُقام معه. فلما كان الحاكم^٥ ينظر ما يقول المؤلي^٦ وامرأة العيّن لم يقع الفرقة حتى يوقعها، وليس في اللعان شيء ينتظره الحاكم، لذلك افترقا. فقيل: بل ينتظر الحاكم تكذيب المرأة نفسها فيحدها وتكون امرأته، وكذلك إن أكذب الزوج نفسه حده وترك^٨ عنده امرأته.

وأصله أنه لا تقع^٩ الفرقة إلا بعد التعانها^{١٠} جميعا وتفريق الحاكم بينهما، لأنهما^{١١} إذا التعنا جميعا عند ذلك يكون أحدهما ملعونا، أيهما كذب. والانتفاع بالملعون حرام، ألا ترى^{١٢} أنه روي في الخبر أنهما لما التعنا قال لهما: «إنها موجبة»،^{١٣} أي اللعنة التي ذكرت، وإنما يلحق اللعن أحدهما إذا التعنا جميعا، فأما بالتعان الزوج خاصة فلا يقع. فإذا كان كذلك فيحتاج إلى أن يفرق الحاكم بينهما ويَطْرُد أحدهما من صاحبه، إذ^{١٤} اللعن هو الطرد في اللغة. وهو عندنا كالعقود التي تُفْسَخ، لا تكون^{١٥} إلا بالحاكم، نحو ما ذكرنا من العيّن والذي يأبي الإسلام وغيرها من العقود، فإنه لا يقع بينهما الفرقة إلا بالحاكم، فعلى ذلك هذا. وروي^{١٦} عن عمر أنه قال: «المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا».^{١٧}

١ ع: إذا.

٢ ر م - لأن الحاكم.

٣ ر م - للزوج.

٤ ع: لان امرأة.

٥ ع: اختياري.

٦ ر ع: الحكم.

٧ ع: المرء.

٨ ع: وتركها.

٩ جميع النسخ: لا يقع.

١٠ م: التعانها.

١١ ن: لأنه.

١٢ ن: يرى.

١٣ انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن ٣/٢٤؛ وسنن أبي داود، اللعان ٢٧؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

١٤ ر: إذا.

١٥ جميع النسخ: لا يكون؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٢ ظ.

١٦ م: هذا ما روي.

١٧ انظر: تفسير القرطبي، ١٢/١٩٤.

ثم مسألة أخرى، إنه إذا فترق بينهما باللعان فأكذب الملاعن نفسه يجوز له أن يتزوجها أم لا؟ فعند بعض أهل العلم ليس له أن يتزوجها. احتجوا بما روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما: «المتلاعنان لا يجتمعان أبداً»^١، وعن عبد الله كذلك. وعند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله له أن يتزوجها إذا أكذب نفسه. وليس في الخبر لا يجتمعان أبداً وإن تاب وأكذب نفسه. فحائز أن يكون قوله: «لا يجتمعان أبداً» ما دام في تلاعنهما وما أقام على قوله ولم يكذب نفسه، وإنما^٢ كان فيه حجة لمن قال إذا قال: «لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها». يدل على ما ذكرنا قوله: إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا^٣، قوله: وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا^٤، ما داموا في ملتهم، فأما إذا انقلعوا منها فقد أفلحوا، فعلى ذلك قوله:^٥ «لا يجتمعان أبداً» [أي] ما داموا في تلاعنهما وما أقام الزوج على قوله. فأما إذا رجع عن ذلك لهما الاجتماع. وأجمعوا أنه إذا أكذب نفسه وادعى الولد ألحق به، فعلى ذلك هي. والثاني لو أكذب الزوج نفسه بعد اللعان قبل الفرقة وجب أن يُحد ويكونان على نكاحهما.^٦

ثم فرقة اللعان عندنا طلاق وهي تطليقة بائنة، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عويمر وامراته^٧ قال [عويمر]: كذبتُ عليها إن أمسكتها [يا رسول الله] هي طالق ثلاثاً، فصارت سنة في المتلاعنين.^٨ فإذا كانت / سنة^٩ الفرقة بين المتلاعنين الطلاق الذي أوقعه عويمر فواجب أن يكون كل فرقة تقع^{١٠} باللعان طلاقاً. ومن الدليل على ذلك أن قذف الزوج كان سبب هذه الفرقة، وكل فرقة تكون^{١١} من الزوج أو أن يكون الزوج سببها وتقع^{١٢} بقوله فإنها^{١٣} طلاق كالعيتين والخلع والإيلاء ونحوه، فعلى ذلك فرقة اللعان تطليقة بائنة،

^١ المرجع السابق.

^٢ ر ع م: وإن.

^٣ سورة الكهف ٢٠/١٨.

^٤ ر ع - قوله.

^٥ جميع النسخ + فيجب إذا أكذب نفسه بعد اللعان فجلد فله أن يتزوجها.

^٦ ع: امرأته.

^٧ انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن ١/٢٤، الطلاق ٤، ٣٠؛ وصحيح مسلم، اللعان ١.

^٨ ر ع م: منه.

^٩ ن: يقع.

^{١٠} ر ع م: يكون.

^{١١} ن: ويقع.

^{١٢} م - فإنها.

لأن الزوج سببها وتقع به. وعلى ذلك جاءت الآثار عن السلف أن^١ كل فرقة وقعت من قبل الرجال بقول^٢ فهي طلاق من نحو إبراهيم والحسن وسعيد وقتادة وهؤلاء، وكذلك يقول أصحابنا: إن كل فرقة^٣ جاءت من الرجال بقول فهي تطليقة. فإن عورض بأفعال تكون^٤ من الرجال فيقع به الفرقة والحرمة من نحو الجماع ونحوه، فذلك ليس بمعارضه لما ذكرنا. والله أعلم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [١٠]

ثم قوله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، هذا الحرف مما يقتضي الجواب. ثم يحتمل أن يكون جوابه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لأظهر الكاذب منهما من الصادق^٥ والمذنب^٦ من غيره. ويحتمل: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لأظهر الملعون منهما من غيره لكن لا ينتفع به، إذ أحدهما مما لحقه اللعن الذي ذكر ولا يحل الانتفاع بالملعون. ألا ترى أنه روي في الخبر أن امرأة ركبت ناقتها فلعننها^٧ فاستجيب^٨ فأمرت أن ترفع ثيابها وتُخْلِى سبيلها.^٩ لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوز لغيره أن ينتفع به، وإن كان لا يجوز لواحد منهما أن ينتفع بصاحبه^{١٠} ما دامت اللعنة فيهما قائمة. وجائز أن يكون فيه^{١١} وجه آخر، وهو أن يقال: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لأظهر الملعون منهما^{١٢} وإلا^{١٣} لجعل العقوبة بين الزوجين كهي في الأجنبية، وهي الحد ولأظهر الزاني منهما، لكن بفضله لم يجعل. والله أعلم.

^١ م - أن.

^٢ ع - بقول.

^٣ ع - فرقة.

^٤ جميع النسخ: يكون.

^٥ ر ع م: ومن الصادق.

^٦ ن: والمذنبين.

^٧ جميع النسخ: فلعنت.

^٨ جميع النسخ: فاستجيب.

^٩ ورد في المعجم الكبير للطبراني (١٨٩/١٨، ١٩٩) عن عمران بن حصين: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسمع امرأة لعنت ناقة فقال: «خذوا متاعكم فقد وجبت عليها». قال عمران: كأني أنظر إليها ناقة ورقاء.

^{١٠} ن + ما.

^{١١} ر ع م - فيه.

^{١٢} ر م: بينهما؛ ن - لأظهر الملعون منهما.

^{١٣} ع: ولا.

وقوله: **وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ**، جائز أن يكون قوله: ^١ **تَوَّابٌ** يقبل التوبة إذا تاب وأكذب نفسه فيرفع اللعن منهما بالتوبة، فإذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع ^٢ والاجتماع بينهما. ففيه حجة لقول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله في جواز نكاحهما إذا أكذب ^٣ نفسه. **حَكِيمٌ** حيث حكم بما حكم بين المتلاعنين، أو **حَكِيمٌ**، وَصَّعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ. وفيه نقض قول المعتزلة في قولهم: إن الله لا يفعل بأحد إلا ما هو أصلح له في الدين وأخير، إذ لو لم يكن له أن يفعل غير الذي فعل لم يكن لتسمية ما فعل فضلا ورحمة معنى، فدل أن له أن يفعل غير الأصلح في الدين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١١]

وقوله: **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ،** أي بالكذب ^٤ **عصبة منكم،** أي جماعة منكم. ثم اختلف في قوله: **منكم.** قال قائلون: كانوا من أصحاب عائشة رموها بما ذكر في الآية. وقال بعضهم: كانوا منافقين من نحو عبد الله بن أبي رأس المنافقين وحسان بن ثابت وهؤلاء. وقال بعضهم: كان ذلك من الفريقين جميعا من أصحاب أبي بكر وأقربائه والمنافقين أيضا. فإن كان ذلك من أصحاب عائشة رضي الله عنها وأقربائها^٥ فذلك يخرج منهم على الغفلة والعثرة ليس على الانتقام والحقد، لأن القرباب والمتصلين بالرجل لا يقصد بعضهم ببعض الانتقام والحقد بمثله. فإذا كان^٦ كذلك فيخرج ذلك منهم - إن كان - منخرج الغفلة والزلة^٧ لا منخرج الانتقام، وإن كان ذلك من المنافقين فهو على الانتقام وطلب الشين منهم لها.

^١ ر ع م - قوله.

^٢ ر ع م: والانتفاع.

^٣ ع - إذا كذب.

^٤ ع: بسميته.

^٥ ع - أي بالكذب.

^٦ ع ن: وقرباباتها.

^٧ ع - كان.

^٨ ر ع م: والذلة.

^٩ ر: يخرج.

وكان في ظاهر الآية دلالة أن ابتداء ذلك الإفك من المنافقين، ثم تسمع المؤمنين^١ بعد ذلك وتلقى^٢ بعضهم من بعض حيث قال: ^٣ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا^٤. فإن كان ذلك فهو على ما وصفنا أن ذلك من المؤمنين غفلة وزلة^٥ وعثرة ومن المنافقين انتقام وطلب شين. والله أعلم.

وقوله: ^٦ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. قال^٧ بعضهم: لا تحسبوه شرا لكم، لأنكم توجرون في الآخرة على ما قيل فيكم من الفحش والقذف بما قُرفوا^٨ به، بل هو خير لكم في الآخرة على ما ذكرنا من الأجر. ويحتمل قوله: بل هو خير لكم في الدنيا لما يرأهم^٩ الله مما قُرفوا به ودفع عنهم تمكين ما قُرفوا به ووعد لهم الجنة بقوله: أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^{١٠}. وكان قبل نزول هذه الآية موهوم عند الناس فيها مُتَمَكِّنٌ احتمال ذلك الفعل. ألا ترى^{١١} أنه قال في آية أخرى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وقال: وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ،^{١٢} الآية. كان الأمران جميعا موهومين عنهن^{١٣} عند الناس محتمل ذلك. فلما قُرفت بما قُرفت^{١٤} رفع الله ما كان موهوما عند الناس قبل ذلك ووعد لهم الثواب الكريم والرزق الحسن بقوله: أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^{١٥}. فلا شك أن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة

^١ ع: المؤمنين.

^٢ جميع النسخ: ويتلقى.

^٣ ر م: قالوا.

^٤ سورة النور ١٢/٢٤.

^٥ ر ع م: وذلة.

^٦ ن: ثم قوله.

^٧ ر ن م: وقال.

^٨ ن: كسبوا.

^٩ ر ع م: برأه.

^{١٠} سورة النور، ٢٦/٢٤.

^{١١} ن: يرى.

^{١٢} ﴿ومن يقتل منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ (سورة الأحزاب،

٣٣/٣١-٣٣).

^{١٣} ر ع م: موهوم عنهن؛ ن: موهوما. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٣ ظ.

^{١٤} ر ع م - بما قُرفت.

^{١٥} سورة النور، ٢٦/٢٤.

وشر لأولئك الذين رمّوها حتى لم يتحاسر أحد بعد ذلك ولا اجترأ^١ أن يظن فيها ظنّ السوء
 [٥١٨] فضلاً عن أن يقول / فيها شيئاً. وقصة عائشة رضي الله عنها طويلة، لكننا نذكر منها^٢ ما كان
 بنا إلى ذلك حاجة. أو أن يقال: بل هو خير لكم، لما أنزل الله تعالى بشأنهم^٣ آيات فيها براءتهم^٤
 عما قُرفوا به، تتلى تلك الآيات إلى يوم القيامة، وذلك خير لهم.^٥ والله أعلم.
 وقوله^٦: لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم، أي إثم ما قرفها به. والذي تَوَلَّى كِبْرَهُ
 منهم له عذاب عظيم، هو ذلك المنافق الذي ألقى ذلك في الناس. وله^٧ عذاب عظيم، فيه
 دلالة أنه يموت على نفاقه، وكذلك مات^٨ على نفاقه فلحقه ذلك الوعيد. قيل: هو عبد الله
 بن أبي بن سلول. والله أعلم. وقال بعضهم: والذي تولى كبره، أي عظمه من المعصية،
 يعني به^٩ عبد الله بن أبي بن سلول. له عذاب عظيم لأنه كان منافقاً.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [١٢]

وقوله^{١٠}: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً، قال بعضهم:
 هلا إذ سمعتم^{١١} قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان كذبتم به أولئك القذفة؟ يقول: ألا
 ظن^{١٢} بعضهم ببعض خيراً، وهلاً قالوا: هذا إفك مبين. يقول الله: هلا قالوا: القذف كذب
 مبين؟ وعلى هذا يخرج أيضاً قوله: لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، أي هلا قالوا لهم: جئوا
 بأربعة شهداء على قذفكم إياهم؟ فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون.^{١٣}

^١ ر ع م: اجترأ.

^٢ ر م - منها.

^٣ ر ع م: لشأنهم.

^٤ ر م: براءتهم.

^٥ م: لكم.

^٦ ن: قوله.

^٧ ع: له.

^٨ ن: كان ما.

^٩ ر م - به.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} جميع النسخ: سمعتموه.

^{١٢} ع - ظن.

^{١٣} الآية التالية.

ويحتمل أن يكون قوله: **لولا إذ سمعتموه**، ظننتم بهم^١ ظنا مما يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا دون أن يقولوا: ^٢إفك مبین. أو أن يكون التأويل: إن لم يظن أحد منكم بنفسه إذا كان مع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ظن بصفوان ذلك إذا كان هو مع أزواجه؟ أو أن يقال: إذا لم يكن يظن أحد منكم بأمهاته ومحارمه ذلك الظن^٤ فكيف ظن بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن^٥ أمهاتكم وأمهات جميع المؤمنين. **والله أعلم.**

* وقال بعضهم في قوله: **بأنفسهم خيرا**، أي بأمثالهم خيرا،^٦ تأويله: لولا ظن المؤمنون والمؤمنات^٧ بأمثالهم خيرا دون أن يظنوا بهم شرا.*

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [١٣]

وقوله: ^٨لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، أي لم يكن لهم بما قذفوا شهداء ولا يجدون^٩ على ذلك شهداء. وجائز أن يكون قوله: لولا، أي لم يكن، كقوله: **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ**^{١١} أي لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا، وإلا على تأويل هلا يبعد، لأنه لم يكن لهم شهداء^{١٢} على ذلك فكيف يأتون؟ وقوله: ^{١٣}فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون، وإن أتوا بالشهداء على أمر عائشة كانوا كاذبين أيضا، فدل أن تأويل قوله: لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، أي لم يكن لهم شهداء فكيف قذفوها؟ **والله أعلم.**

^١ ر م: به.

^٢ جميع النسخ: ما.

^٣ جميع النسخ: قالوا.

^٤ ر ع م - الظن.

^٥ جميع النسخ: وهي.

^٦ ع + أي بأمثالهم خيرا.

^٧ ر م - والمؤمنات.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١٨/و/سطر ٢٦-٢٧.

^٨ ر ن: قوله.

^٩ ن: لا يجدون.

^{١١} ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (سورة هود،

١١٦/١١).

^{١٢} م + على.

^{١٣} ن: قوله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١٤]

وقوله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم، هذا يحتمل وجهين. أحدهما^١ ولولا فضل الله عليكم ورحمته، حيث أنزل في قذفكم عائشة بصفوان آيات في براءتهما حتى تُبتم عن ذلك وإلا لمسكم^٢ العذاب في الآخرة بذلك. والثاني ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب ولعاقبكم بما قلتم في عائشة في الدنيا. على هذا التأويل العذاب الموعود [يكون] في الدنيا، وعلى التأويل الأول الوعيد [يكون] في الآخرة، لكن بفضل ورحمته دفع عنكم. والله أعلم. وقوله: ^٣ فيما أفضتم فيه، أي خضتم فيه.*

وفيما عظم الله عز وجل أمر القذف وشدّد فيه ما لم يُشدّد في غيره ولم يعظّم وجوه. أحدها قطع طمّع أهل الفجور والزّية فيهن لثلا يطمع أحد منهم في المحصنات وأولاد الكرام ذلك الفعل^٤، فقطع طمّعهم بما شدّد فيه لثلا يُقرّفن بذلك ولا يُطمّع فيهن ذلك. والثاني يترك الناس الرغبة في مناكحة المحصنات وأولاد الكرام ويرغبون فيمن دونهن و[الثالث] تحدّث^٥ أيضا الضعائن والعداوة بين القذفة وبين المتصلين بالمقذوفات.

وقوله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكان كذا. هذا من الله على الإيجاب، أي قد كان منه ذلك. وإذا كان^٦ مضافا إلى الخلق فهو على أنه لم يكن ذلك، ولذلك تأولوه: هلا. وعن ابن عباس أنه قال في قوله: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ،^٧ يقول: قال للمؤمنين: وَلَوْلَا [إِذْ سَمِعْتُمُوهُ]، هلا إذ بلغكم عن عائشة وصفوان ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ تَحِيْرًا، يقول: فظننتم بعائشة ظنّكم بأنفسكم وعلمتم أن أمكم لا تفعل ذلك، وكذلك المؤمنة لا تفعل ذلك وقلتم: هذا إفك مبين. لَوْلَا، هلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ عَلَى قَوْلِهِم

^١ ر ع م - أحدهما.

^٢ م: وإلا لمسكم.

^٣ ن: قوله.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١٨ و/سطر ٢٦-٢٧.

^٤ ر ع م: الفضل.

^٥ جميع النسخ: يحدث.

^٦ أي «لولا».

^٧ سورة النور، ١٢/٢٤.

وَيُصَدِّقُوهُمْ^١ عَلَى مَقَالَتِهِمْ؟ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ كَذَبْتُمُوهُ، فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ.^٢
وهو قريب مما ذكرنا فيما تقدم.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [١٥]

وقوله: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ، بالتشديد، أي تَقْبَلُونَهُ. وتَلَقَّوْنَهُ بالتخفيف،^٣ أي تأخذونه، من الوَلَق وهو الكذب. وكذلك قرأت عائشة^٤. وقال أبو عؤسجة: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ، أي تقولونه. قال: / تلقيت الكلام ولقيت وتَلَقَّيت واحدا. ثم قوله: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، من غير كم وتقولون بأفواهكم فيما بينكم. وجائز أن يكونا جميعا واحدا، أي تتكلمون^٥ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، أي من غير أن تعلموا أن الذي^٦ قلتُم من القذف قد كان. والله أعلم.
وقوله: وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا، قال بعضهم: تحسبون القذف ذنبا هينا، وهو عند الله عظيم في الوزر. وجائز أن يكون قوله: وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا في الدين، لأن القذف يُحْدِثُ نَقْصَانًا في الدين، والنقصان في الدين عظيم عند الله، وتحسبونه أنتم هينا.

* ثم ما ذكر من قذف عائشة أنه بهتان عظيم. وقوله: وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ [٥١٨ ط ١٧ ونحوه، فجائز أن يكون ذلك في قذف كل محصنة بريئة دون أن يكون ذلك خصوصا لعائشة، وهو كما ذكر في قذف المحصنات، وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ،^٨ الآية.* [٥١٨ ط ١٩]

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [١٦]

ثم^{١٠} وعظ الذين خاضوا في أمر عائشة فقال: ولولا، يقول: هلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ، أي القذف،^{١١}

^١ ع: ويصدقوا.

^٢ الآية السابقة.

^٣ كتاب المصاحف للسجستاني، ١٤٩.

^٤ ن: قراءة.

^٥ قال الفراء: روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قرأت: إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ (لسان العرب، «ولق»).

^٦ ر ع م: تتكلموا.

^٧ ع: الذين.

^٨ سورة النور، ٤/٢٤.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥١٨ ط/س ١٧-١٩.

^{١٠} ع - ثم.

^{١١} ع - أي القذف.

قلتم ما يكون لنا، أي ما ينبغي لنا، أن نتكلم بهذا الأمر، وهلا قلتم: سبحانك هذا بهتان عظيم لعظم ما قالوا فيها. والبهتان الذي يُبْهَتُ فيقول [صاحبه] ما لم يكن من قذف أو غيره. وقال أبو عَوْسَجَةَ: البهتان الكذب، يقال: بَهَّتْ، أي كَذَبَ.

﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٧] ﴿وَيُتَيْنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [١٨]

وقوله: يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا، أي القذف أبدا، إن كنتم مؤمنين، ويبين الله لكم الآيات في بيان ذلك وبراعتهم. أو يبين أوامره^١ ونواهيهِ. والله عليم حكيم، أي عليم بكل شيء من قول أو فعل، حكيم يضع كل شيء موضعه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٩]

وقوله: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، كان أهل النفاق هم الذين أحبوا أن تشيع الفاحشة، وإلا أهل الإسلام لا يحبون ذلك. ثم يحتمل قوله: أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا في عائشة رضي الله عنها وعن أبيه [ب] وصفوان، أو أحبوا قذف عائشة وصفوان من المؤمنين. وأهل النفاق هم الذين ألقوا ذلك،^٢ في المؤمنين، لهم عذاب أليم في الآخرة لنفاقهم وقذف عائشة. وأما في المؤمنين فهو ما قال: يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.^٣ وروي عن عمرة عن عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدَّهم.^٤ وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد الله بن أبي وحسان ومسطح بن أثاثة الحدَّ. وفي بعض الأخبار: وامرأة أيضا وهي حَمْتَةُ، لكل واحد ثمانين جلدة.^٥

^١ ن - الذي يبهت + الكذب؛ ع: الذي يبهت.

^٢ ن: أموره.

^٣ ر ع م - ثم يحتمل قوله أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا في عائشة رضي الله عنها وعن أبيه [ب] وصفوان أو أحبوا قذف عائشة وصفوان من المؤمنين وأهل النفاق هم الذين ألقوا ذلك.

^٤ الآية السابقة.

^٥ ع: بواحدهم. انظر: سنن ابن ماجه، الحدود ١٥؛ وسنن أبي داود، الحدود ٣٥؛ وسنن الترمذي، تفسير القرآن ٢٤/٢٥.

^٦ انظر: صحيح البخاري، المغازي ٣٦، تفسير القرآن، ١٢/٢٤؛ وصحيح مسلم، التوبة، ١٠. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥١٨ ط/سطر ١٧-١٩.

وقوله: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يشيعون الفاحشة ويُذيعونها في الذين آمنوا، هم الذين تولوا إشاعتها^١ وإذاعتها فيهم، لهم ما ذُكر من العذاب الأليم. والثاني يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ليكون^٢ ذلك ذريعة لهم في المؤمنين فيقولون: إن دينكم لم يمنعكم عن الفواحش والمنكر، هم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، لأنهم كانوا منافقين، بهم^٣ كان أول بدء^٤ القذف وبهم شاع^٥، لذلك كان لهم هذا الوعيد.

وقوله: والله يعلم وأنتم لا تعلمون، أي والله يعلم حقائق الأشياء وأنتم لا تعلمون حقائقها. وفيه دلالة تعليق الحكم بالظواهر^٦ دون تعليقه بالحقائق.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٠]

وقوله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم، لم يذكر جواب قوله: ولولا فضل الله عليكم ورحمته،^٧ فجوابه ما ذكر في قوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا،^٨ بفضلله يزكو من زكا وبرحمته^٩ يصلح من صلح، لا بصنع من نفسه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢١]

وقوله: يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، نهى المؤمنين أن يتبعوا خطوات^{١٠} الشيطان، ولم يبين ما خطوات الشيطان لكنه قال: ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، فجوابه أن يقول:

^١ ر ع م: إشاعتهم.

^٢ ر ع م: ليكونوا.

^٣ ر ع م: منهم.

^٤ جميع النسخ: بدأ.

^٥ ع + دون.

^٦ ن - ورحمته.

^٧ الآية التالية.

^٨ ر م: ورحمته.

^٩ ن: بخطوات.

فإن حُطُوتِهِ كَذَا ولم يقل أيضا: **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يفعل الفاحشة ولكنه قال:**
فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر. لكن جوابه ما قال في آية أخرى: ^١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ
 حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ^٢ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ،
 الآية، أخبر أن من اتبعه أمر بالفحشاء والمنكر. [والخطوات من الخطوة والخطوة وهما ^٣ رفع
 القدم ووضعها. وأصله نهى عن اتباع آثاره.

وقوله: **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يُزكي**
من يشاء. التزكية تحتمل ^٤ التوفيق والعصمة، **يَزْكُون** بما أعطى لهم من التوفيق والعصمة،
 أو **يَزْكُون** ^٥ بما أرسل إليهم من الرسل والكتب؛ ^٦ والتوفيق ^٧ والعصمة أشبه.

وفيه نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أن من ^٨ زكا إنما يزكو ^٩ بفضله ورحمته، وهم يقولون: لو فعل
 بهم غير الذي فعل كان جائزا ^{١٠} عندهم. فعلى قولهم: ليس بمفضل ولكن عادل، لأنه فعل ما عليه
 أن يفعل، فعلى قولهم: لا يكون مفضلا ولكن عادلا، إذ لم يسم في الشاهد من فعل ما عليه أن يفعل
 مفضلا. ^{١١} وعلى قولهم: إنه قد أعطى كلاً ما به يزكون ويصلحون، لكنهم / لم يزكواهم، [باختيارهم]، ^{١٢}
 فعلى قولهم: لم يرك من زكا به، ولكنه إنما زكا بما أعطاه له. فقد أخبر أن من زكا إنما زكا به، وأنه
 قد أبقى عنده ما لو أعطاهم ذلك لزكوا، وقد أعطى ذلك من زكا وصلح، ولم يعط من لم يرك.
 وقوله: ^{١٣} **والله سميع عليم**، أي سميع لأقوالهم وعليم لأفعالهم. وأصله ما ذكر: **يَعْلَمُ**
مَا يُسْرُونَ وَمَا يُغْلِبُونَ. ^{١٤}

^١ ر ن ع + وما قال في آية أخرى.

^٢ ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة، ٢/١٦٨-١٦٩).

^٣ ر ع م + من.

^٤ جميع النسخ: يحتمل.

^٥ ن + بما.

^٦ ر ع م: من الكتب والرسل.

^٧ ر ع م - والتوفيق.

^٨ ع - من.

^٩ ر م: يزكوا.

^{١٠} ر ع م: جائزا.

^{١١} الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٤ و.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} سورة البقرة، ٢/٧٧.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٢]

وقوله: ^١ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة. قال بعضهم: قوله: ولا يأتل، أي ولا يخلف، وهو يفعله من الإيلاء. وقال أبو عؤسجة: لا يأتل، أي لا يعجز ولا يقصر، يقال: اتلَّى يأتلي وألا يأتلو ألوأ^٢ وهو التقصير وترك المبالغة. ثم يحتمل قوله: أولوا الفضل منكم، أي من له الفضل والسعة. ويحتمل أولوا الفضل منكم،^٣ من له الإفضال والمعروف وبر^٤ أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله.

ذكر أهل التأويل أن أبا بكر كان حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة - وكان قريبه - بما تكلم في عائشة، فأنزل الله النهي عن ذلك فقال: ولا يأتل أولوا الفضل منكم. لكن الآية - وإن نزلت في أمر ومعنى كان من أبي بكر - فإن غيره من الناس يشترك في معنى ذلك. وفي ذلك^٥ النهي، وكذلك ما قال في آية أخرى وهو قوله: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ،^٦ الآية. ذكر أن قوما كانوا يخلفون أن لا يبروا الناس^٧ ولا يصلحوا [فيما بين الناس]^٨؛ يريدون^٩ بذلك أن يكون حلفهم في ذلك عذرا لهم في ترك الإنفاق عليهم والتعاون^{١٠} والإصلاح بين الناس، فنهوا عن ذلك. وذلك النهي^{١١} لهم ولمن كان في معناهم، ليس لهم خاصة. فعلى ذلك قوله: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة، الآية، وإن كان في أبي بكر فهو فيه وفي الذين في معناه وإن كان حلف هذا بترك الإنفاق لإساءة كانت^{١٢} منهم إليه،^{١٣} والأول على الابتداء [لا] لإساءة كانت منهم إليه.^{١٤}

^١ ن: قوله.

^٢ م: ألوأ.

^٣ ر ع م - منكم.

^٤ ع + أولو.

^٥ ر: أو في ذلك.

^٦ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٤).

^٧ ع: يبروا الناس.

^٨ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٤ ظ.

^٩ ر ع م - يريدون.

^{١٠} ن: والتعاون.

^{١١} ر ع م: اليمين.

^{١٢} ر ع م: وكانت.

^{١٣} جميع النسخ: إليهم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٤ ظ.

^{١٤} جميع النسخ: إليهم.

وكذلك هذه الآيات نزلت لنازلة كانت في عائشة وصفوان، فإنما نزلت لتلك النازلة لمعنى، لا نزلت لأنها كانت عائشة أو أبا بكر^١ ولكن المعنى. فكل^٢ من وجد ذلك المعنى فيه شَرِك في ذلك، ويجعل كأن هذه الآيات كلها نزلت فيه، وهو ما قال: إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ^٣. فكلُّ رامي^٤ مُحْصَنَةٍ مؤمنة غافلة بريئة مما رُميت به دخلت في الآية، وكل رامي محصن مؤمن غافل بريء مما رُمي به دخل^٥ في الآية لوجود المعنى الذي به^٦ نزلت الآية.^٧ وعلى ذلك جميع^٨ القرآن إذا نزل لسبب^٩ بالمرء أو نازلة^{١٠} لمعنى يشترك من وجد فيه ذلك المعنى^{١١} في^{١٢} ذلك الحكم. فعلى ذلك ما نزل في أبي بكر من النهي بترك الإنفاق وما عوّده من اصطناع المعروف إليه لما كان منه إليه من الإساءة.

ثم أمره بالعتو والصفح وهو قوله: **وليعفوا وليصفحوا**، أي عفوا عن إساءته واصفحوا، أي لا تذكروا عفوكم إياه عن إساءته،^{١٣} ولا تذكروا^{١٤} زلته أيضا، لأن ذكر العفو يخرج مخرج الامتنان كقوله: **لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**،^{١٥} أخبر أن المن يُبطل الصدقة؛ وذكر الزلة يخرج مخرج التعيير والتوبيخ، فأمره^{١٦} بالعتو، وهو ظاهر. والصفح ما ذكرنا من ترك ذكر العفو والزلّة والإساءة جميعا. **والله أعلم.**

^١ جميع النسخ: أو أبو بكر.

^٢ ر م: بكل؛ ن: وكل؛ ع: لكل.

^٣ الآية التالية.

^٤ ر ع - رامي.

^٥ ر ع ن - دخل.

^٦ ر ع م - به.

^٧ ن: الآيات.

^٨ ر ع م - جميع.

^٩ ر ع م: بسبب.

^{١٠} ر ع م: بالمرء أمر نازلة.

^{١١} ر ع م + فيه شرك.

^{١٢} ع + ويجعل كأن هذه الآيات كلها نزلت فيه وهو ما قال إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات فكل

رامي هو محصنة مؤمنة غافلة بريئة مما رُميت به دخلت في الآية وكل رامي محصن مؤمن غافل بريء مما رمي به.

^{١٣} ر م: إساءة.

^{١٤} جميع النسخ: ولا يذكرها.

^{١٥} ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

(سورة البقرة، ٢/٢٦٤).

^{١٦} ن: وأمره.

وقوله: **أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**، أي قد تحبون أن يغفر الله لكم ما كان منكم إليه من الإساءة، فإن أحببتم ذلك فاعفوا عن أساء إليكم. **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٣]

وقوله: إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، قد ذكرنا أن المحصنات ههنا هن الحرائر، والغافلات هن^١ البريات^٢ من الفاحشة، [و]المؤمنات ظاهر.

وقوله: **لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**، كأن الآية نزلت في المنافقين الذين كان^٣ منهم ابتداء القذف وإشاعته في الناس، لذلك ذكر فيهم اللعن والعذاب العظيم، فهو كما قال: **إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**،^٤ والمؤمن لا يحب شياع الفواحش في المؤمنين، إنما ذلك عادة المنافقين. ثم اللعن في الدنيا هو الحد الذي ضرب، وفي الآخرة العذاب الأليم.^٥ كأنه ذكر اللعن والعذاب الأليم إذا لم يتوبوا وماتوا على النفاق، فعند ذلك يكون لهم ما ذكر. ويدل لما ذكرنا [من] أن الآية في المنافقين.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢٤]

قوله: **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ**، الآية، وإنما تشهد هذه الجوارح على الكافر لإنكاره باللسان. وأما المؤمن فإنه مقرٌ بذلك كله لا يحتاج إلى أن يشهد عليه الجوارح، وهو ما قال: **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ**،^٦ الآية،^٧ ونحوه، كأنهم ينكرون ذلك^٨ في الآخرة كما أنكروا في الدنيا، كقوله: **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ**،^٩ أخرج أنهم يحلفون لله في الآخرة

^١ ر ع م: من.

^٢ جميع النسخ: بريات.

^٣ جميع النسخ: كانت.

^٤ سورة النور، ١٩/٢٤.

^٥ ر م + في الدنيا والآخرة؛ ر ع ن + وعظيم.

^٦ ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٦٥/٣٦).

^٧ ن ع - الآية.

^٨ ن - ذلك.

^٩ ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة،

كما كانوا يحلفون لرسول الله في الدنيا. فحائز أن [تكون] ^٢ ألسنتهم تشهد^٣ عليهم بعد ما أنكروا، ويشهد عليهم سائر^٤ الجوارح إذا أنكروا، وهو ما قال في آية أخرى: شَهِدَ عَلَيْهِمْ تَمَعُّهُمْ، الآية، وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْكُمْ عَلَيْنَا،^٥ الآية. تكون^٦ شهادة الألسن بعد ما أنكروا^٧ ذلك وحلفوا، فعند ذلك تشهد عليهم ألسنتهم. **وانه أعلم.**

﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [٢٥]

[٥١٩ظ] / وقوله: عز وجل: يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق، يعلمون به^٨ جميعا يومئذ ويقرون بالحق، لكن لا ينفعهم إيمانهم يومئذ، كقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا.^٩
ويعلمون أن الله هو الحق المبين، أي يعلمون أن ما دعاهم الرسول إليه من توحيد الله والإقرار بالربوبية له والألوهية، هو الحق المبين، أي بَيَّنَّ ذلك. أو الحق^{١٠} المبين ما بين ما يؤتى مما يُتَّقَى وما يَحِلُّ مما يَحْرَمُ.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٢٦]

وقوله: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، اختلف فيه. قال^{١١} بعضهم: الخبيثات من الكلمات والأقوال للخبيثين من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات.^{١٢}

^١ ر ع م - أن.

^٢ الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٥٢٤ ظ.

^٣ ن: يشهد.

^٤ م - سائر.

^٥ ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ (سورة فصلت، ٢٠/٤١-٢١).

^٦ جميع النسخ: يكون.

^٧ ر ع م + منهم.

^٨ م - به.

^٩ ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام ١٥٨/٦).

^{١٠} ر م: والحق.

^{١١} ن: وقال.

^{١٢} ر ع م - والأقوال للخبيثين من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات؛ جميع النسخ + والقول.

والطيبات من الكلمات للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من الكلمات. وقال مجاهد: هو القول السيء والقول الحسن؛ فالحسن للمؤمنين والسيء للكافرين؛ وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين، وما قال^١ المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين، كلُّ بريءٍ مما ليس له نحوُّ من الكلام.^٢ وابن عباس يقول: نزل هذا في الذين قذفوا عائشة بصفوان: حسان بن ثابت وأصحابه. يقول: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال أحقُّ أن يليق بهم بما قيل لهم. والخبيثات من الكلام يخرج من الخبيثين من الرجال، يعني به حسانا وأصحابه الذين تكلموا بالفرية.^٣ ثم قال: والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام، يعني ما تكلم به حسان وأصحابه من الفرية، فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا الحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثا فتكلموا بالخبيث من الكلام.^٤

ثم قال: أولئك يعني عائشة وصفوان مبرءون مما يقول^٥ أولئك القذفة.^٦ لهم مغفرة ورزق كريم، أي حسن. فابن عباس صرف الآية إلى عائشة وصفوان وإلى قذفتهم وذلك محتمل، وهو قريب من الأول.

وقال بعضهم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال^٧ للخبيثات^٨ من النساء. والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، لكن هذا يتوجه إلى النكاح شرعا ووجودا. أما الشرع [فهو]^٩ نهيه المؤمنين عن نكاح المشركات بقوله:

^١ ع: وقال.

^٢ روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس. انظر: تفسير ابن كثير، ٢٦٩/٣؛ والدر المنثور للسيوطي، ١٦٧/٦.

^٣ انظر: تفسير ابن كثير، ٢٦٩/٣؛ والدر المنثور للسيوطي، ١٥٤/٦.

^٤ ر ع - وابن عباس يقول نزل هذا في الذين قذفوا عائشة بصفوان حسان بن ثابت وأصحابه يقول الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال أحقُّ أن يليق بهم بما قيل لهم والخبيثات من الكلام يخرج من الخبيثين من الرجال يعني به حسانا وأصحابه الذين تكلموا بالفرية ثم قال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلام يعني ما تكلم به حسان وأصحابه من الفرية فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا الحسن من الكلام والطيب ولكن كانوا خبيثا فتكلموا بالخبيث من الكلام.

^٥ م: يقو.

^٦ ن + ثم قال أولئك يعني عائشة وصفوان مبرءون مما يقول أولئك القذفة.

^٧ ع - والخبيثون من الرجال.

^٨ ع: الخبيثات.

^٩ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٥ و.

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ... وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا،^١ وقوله: الزَّانِي لَا يَنْكِحْ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً،^٢ فالمشركات هن^٣ الخبيثات فهن للخبيثين منهم وهم المشركون، وكذلك الزانيات للزناة منهم. والمؤمنات هن الطيبات فهن للمؤمنين، وكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن للمحصنين من أهل العفاف والصلاح، هذا هو الشرع.^٤ وأما الوجود فهو ما صبر أزواج المنافقين والكفرة على كفر أزواجهن والسب لرسول الله والأذى له، وذلك لخبيثهن وكفرهن^٥ وموافقة أزواجهن. فلو كن طيبات لَكُنَّ لا يصبرن على ذلك كما لا تصبر المؤمنة بكفر زوجها والزوج بكفر امرأته. ومن صبر على ذلك إنما صبر لخبيثه، فبعضهم لبعض أكفاء: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وكذلك الطيبات والطيبون. والله أعلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إِنَّ الكَلِمَةَ الخَبِيثَةَ لَتَكُونُ فِي جَوْفِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَلَا يَكُونُ لَهَا فِي قَلْبِهِ مُسْتَقَرٌّ حَتَّى يَلْفِظَهَا فَيَسْمَعُهَا الرَّجُلُ الخَبِيثُ فَيَضْمَعُهَا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّ الكَلِمَةَ الصَّالِحَةَ لَتَكُونُ^٦ فِي جَوْفِ الرَّجُلِ الخَبِيثِ فَلَا يَكُونُ لَهَا فِي قَلْبِهِ مُسْتَقَرٌّ حَتَّى يَلْفِظَهَا فَيَسْمَعُهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَيَضْمَعُهَا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ، ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ: الخَبِيثَاتُ لِلخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ، الآية.^٧

وجائر أن يكون: الخبيثات هي^٨ الدرجات التي تكون في النار للخبيثين^٩ الذين^{١٠} عملوا أعمالا خبيثة في الدنيا؛ والطيبات^{١١} هي الدرجات التي تكون في الجنة للطيبين الذين عملوا

^١ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ (سورة البقرة، ٢ / ٢٢١).

^٢ ﴿...وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور، ٣ / ٢٤).

^٣ جميع النسخ: من؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٥.

^٤ جميع النسخ: شرع؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٥.

^٥ ع - وكفرهن.

^٦ ر ع م: ليكون.

^٧ انظر: تفسير ابن كثير، ٣ / ٢٦٩؛ والدر المنثور للسيوطي، ٦ / ١٦٨.

^٨ ن: هن.

^٩ ر م - للخبيثين.

^{١٠} ر م: للذين.

^{١١} ع - للطيبين الآية وجائر أن يكون الخبيثات الدرجات التي تكون في النار للخبيثين الذين عملوا أعمالا خبيثة في الدنيا والطيبات.

في الدنيا أعمالاً طيبة. فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا، والدرجات في النار للذين^١ عملوا^٢ الخبائث والمعاصي في الدنيا.

وقال بعضهم: قوله: إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ، إلى قوله: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ^٣ أنزلت في المنافقين الذين قذفوا عائشة: [وهم] عبد الله بن أبي وأصحابه، وكان قذفها منافقون ومؤمنون، وهو ما ذكرنا أن المؤمنين لم يقصدوا به قذفها ولكن كان ذلك^٤ زلة منهم أو غفلة. وأما المنافقون فقد قصدوا به القذف والغفلة^٥ فأوجب للمنافقين الحد واللعن والعذاب العظيم على ما ذكر: لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^٦، وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^٧. وأما المؤمنون فقال لهم: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضُتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ^٨. وقال بعضهم: فضله الإسلام، ورحمته القرآن، أي لولا^٩ ذلك لعذبكم كما عذب أولئك. ثم قال: الخبيثات من القول للخبيثين^{١٠} من الناس^{١١} كما ذكر أولئك إلا أنه زاد فيه من القول والعمل. وذلك كله قريب بعضه من بعض^{١٢}. والله أعلم بذلك.

وقال بعضهم: إن الرجل الصالح يتكلم بالكلمة العوراء فيقول القائل: قال فلان كذا وكذا، فيقول الآخر: ما هذا من كلام فلان. وروي عن كعب [أنه قال] بمثل قيل عبد الله فقال: إن الكلمة الخبيثة تخرج من لسان العبد فتصعد إلى السماء فلا تفتح^{١٣} لها أبواب السماء

^١ ر: الذين.

^٢ ع - في الدنيا أعمالاً طيبة فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا والدرجات في النار للذين عملوا.

^٣ سورة النور، ٢٤/٢٣-٢٥.

^٤ ن - ذلك.

^٥ ع: والقربة.

^٦ ن: ذكروا.

^٧ سورة النور ٢٤/٢٣-٢٥.

^٨ سورة النور ٢٤/١٩.

^٩ سورة النور ٢٤/١٤.

^{١٠} م: ولولا.

^{١١} ع: الخبيثين.

^{١٢} ر ع م + نحو.

^{١٣} جميع النسخ: وبين ما؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٥ ظ.

^{١٤} ر م - بعضهم.

^{١٥} جميع النسخ: فلا يفتح.

وترجع إلى الأرض فلا تجد لها مستقرا وتذهب إلى البحور فلا تجد لها مكانا فتقول: ما أجد لي موضعا أشكته غير الموضع الذي خرجت منه فترجع إلى صاحبها، ثم تلا كعب هذه الآية: الخبيثات للخبيثين، الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٢٧]

وقوله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها، روي عن عبد الله بن عباس أنه كان يقرأها: حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها.^١ وقال: تستأذنوا وهُم من الكاتب. وقال بعضهم: الاستئناس الاستئذان. وقال بعضهم: الاستئناس الاستعلام، وهو أن يطلب من أهل البيت الإذن بالدخول. والاستئذان / هو طلب الإذن منهم للدخول. وروي عن أبي أيوب قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام قد عرفناه، فما الاستئذان؟^٢ قال: «أن يرفع صوته بالتحميد أو بالتسبيح أو بالتكبير ليؤذن للدخول.»^٣ فإن ثبت هذا فهو إلى الاستعلام أقرب، وهو من^٤ قوله: فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا، أي علمتم. ثم قال بعضهم: قوله: حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها،^٥ على التقديم والتأخير، أي حتى تُسَلِّمُوا وتستأذنوا، وهو أن يبدأ فيقول: السلام عليكم ورحمة الله، أَدْخَلَ؟^٦ يسلم أولا ثم يستأذن،^٧ وهو ما روي: «السلام قبل الكلام.»^٨ ولكن عندنا أن الاستئذان للدخول، فإذا أذن بالدخول فدخل فعند ذلك يسلم عليهم، كقوله: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً.^٩

^١ كتاب المصاحف للسجستاني، ٢٠٢.

^٢ ن: الاستئناس.

^٣ ورد في سنن ابن ماجه (الأدب ١٧) عن أبي أيوب: قلت: يا رسول الله هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس؟ قال: «يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتختم فيؤذن أهل البيت.» وانظر أيضا: المطا مالك ٣/٣٧٥؛ ومسند أحمد بن حنبل ٥/١٨٤.

^٤ م - من.

^٥ ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٦/٤).

^٦ ن - على أهلها.

^٧ ن ع: أدخل.

^٨ ن: تستأذن.

^٩ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السلام قبل الكلام» وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تدعوا أحدا إلى الطعام حتى يُسَلِّم.» (سنن الترمذي، الاستئذان ١١).
^{١٠} ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).

فإنما أمر بالسلام بعد الدخول، فعلى ذلك^١ هذا يستأذن للدخول، فإذا أذن له فدخل، فبعد الدخول يسلم عليهم، لأنه لو سلم^٢ أولاً ثم استأذن احتاج إلى أن يسلم ثانياً إذا^٣ دخل. فهذا الذي ذكرنا أشبه بعمل الناس وظاهر الآية. والله أعلم.

ثم قوله: لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم، لم يرجع إلى المساجد ونحوها^٤ بل يرجع ذلك إلى بيوت مسكونة، فذلك يدل لقولنا: إن من حلف أن لا يدخل بيتاً فدخل المسجد لم يحنث^٥.

وقوله: ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، أي ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من ترك الاستئذان، لأنه ترك التأدب بما آدبه الله وعلمه. لعلكم تذكرون، أي تتعظون بأدب الله. وروي في بعض الأخبار أن من دخل بيتاً بغير إذن قال له الملك الموكل به: عصيت وآذيت! فيسمع صوته الخلق كله غير الثقيلين ويصعد صوته إلى السماء الدنيا فيقول ملائكة السماء: أقب لفلان، عصى ربه وآذى.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٢٨]

وقوله: فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، هذا يدل على أن الاستئذان وطلب الإذن لا حيث أنفسهم خاصة ولكن لأنفسهم ولما لهم في البيوت من الأموال، لأنه قال: فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها، لم^٦ يأذن لهم بالدخول فيها وإن لم يكن فيها أحد حتى يأذن أرباب الأموال والمنازل بالدخول فيها ليعلم أن النهي عن الدخول للأنفس والأموال جميعاً، لأن الناس يتخذون البيوت والمنازل صونا^٧ للأنفس والأموال جميعاً،

^١ ع + يسلم عليهم كقوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحيةً فإنما أمر بالسلام بالدخول فعلى ذلك يسلم عليهم كقوله.

^٢ ر ع: لأنهم لو سلم؛ م: لأنهم لو سلموا.

^٣ ع: فإذا.

^٤ ر ع م: ونحوه.

^٥ ع: كقولنا.

^٦ ر م: لم تحنث.

^٧ ع: حتى.

^٨ ع: صوتها.

فكما يكرهون اطلاع غيرهم على أنفسهم وعبالاتهم فلا تطيب^١ أنفسهم أيضا على أموالهم وأمتعتهم، فلا يدخل إلا بإذن من أهلها. والله أعلم.

وقوله: وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركى لكم، ذكر في بعض الأخبار أن الاستئذان ثلاث،^٢ من^٣ لم يؤذن^٤ له فيهن فليرجع. أما الأولى^٥ فيستمع الحي، وأما الثانية فيأخذون جذرهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا. وقيل: لا تتعدن^٦ على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن للناس حاجات ولهم أشغال، والله أعذر بالعدر.^٧ وفي بعضها: وما تُنقم من شيء يا ابن آدم هو أركى لك.^٨

وقوله: هو أركى لكم، لأنه إذا لم يؤذن بالدخول فقعده على بابهم ولم يرجع^٩ أوث ذلك معاني تكره. أحدها تهمة على أهل الدار على ما يقعد على أبواب أهل الثهم من الشريطي وغيره، فذلك مكروه عند الناس. والثاني يكون للناس أشغال وحاجات في منازلهم وخارج المنازل، فإن انتظر وقعد على بابهم ضاق بذلك ذرعهم وشغل قلوبهم ذلك، فلعل حاجاتهم لا تلتئم لشغلهم به، لذلك كان الرجوع أركى له وخيرا له^{١٠} من القعود على الباب والانتظار. والله أعلم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لك فيهن، وإلا فارجع».^{١١} وقال بعضهم: معناه: وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول: إن سُكت عنكم فلم يؤذن لكم فقد قيل لكم: ارجعوا، وإن لم يقولوا بألستهم:^{١٢} ارجعوا. وقوله: والله بما تعملون عليم، وعيد كقوله: وَاللَّهُ يَغْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ.^{١٣}

^١ جميع النسخ: يطيب.

^٢ ن: ثلث.

^٣ ع: ما.

^٤ ر ع م: يأذن.

^٥ جميع النسخ: الأول.

^٦ أي أقبل للعدر.

^٧ ر م: يا بن؛ ع: بابن.

^٨ جميع النسخ: لكم. لعل المؤلف رحمه الله يريد أنه إذا ما تُرد في طلبك فلا تتبع إثره فاعلم أنه خير لك في العاقبة.

^٩ جميع النسخ: فقعدهوا على بابهم ولم يرجعوا.

^{١٠} جميع النسخ: أركى لهم وخيرا لهم.

^{١١} انظر: الموطأ للمالك، الاستئذان، ٢-٣؛ وصحيح مسلم، الآداب، ٧؛ وسنن ابن ماجه، الأدب، ١٧؛ وسنن الترمذي،

الاستئذان، ٣.

^{١٢} ع: بألستكم.

^{١٣} سورة النحل، ١٦/١٩.

ثم الاستئذان على محارمه لازم وإن كان يجوز له أن ينظر إلى شعر ذات محرمه ووجهها، فإنه منهي عن النظر إلى ما سوى ذلك من عورتها، لما نُحِشِيَ أن يبدو^١ من عورة المرأة إن دخل عليها بغير إذن. روي أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا أخدم أُمِّي^٢ وأفرشها^٣ أستأذن^٤ عليها؟ قال: «نعم»، فسأله ثلاثاً فقال له: «أيسرُك أن تراها غُرَيَانَةً؟» قال: لا، قال: «فأستأذن^٥ عليها». وكذلك روي عن حذيفة أن رجلاً سأله فقال: أستأذن^٦ على أختي؟ فقال: «إن لم تستأذن عليها رأيت ما يسوءك». وكذلك قال ابن مسعود وابن عباس، عن أحدهما في الأم وعن الآخر في الأخت. لكن أمره في الاستئذان على هؤلاء أسهل وأيسر من أمر الأجنبي، إذ^٧ كان مُطْلَقًا له أن ينظر إلى شعر محرمه ووجهها. والله أعلم.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [٢٩]

وقوله: ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة، يحتمل قوله: بيوتاً غير مسكونة وجهين. أحدهما بيوتاً غير محتلمة للسكنى وهي الخرابات والمواضع^٨ التي يقضى فيها الحوائج. وكذلك ذكر في حرف حفصة: بيوتاً غير معمورة لكم فيها منافع. والثاني بيوتاً غير^٩ مسكونة محتلمة للسكنى،

^١ ن ع م: يبدو.

^٢ م: أمه.

^٣ ر م: وأفرشتها.

^٤ ر ع م: أستأذن.

^٥ ن: ثلثاً.

^٦ جميع النسخ: تريها.

^٧ ر ع م - قال.

^٨ عن عطاء بن يسار أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله رجل فقال: يا رسول الله أستأذن على أُمِّي؟ فقال: «نعم». قال الرجل: إني معها في البيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استأذن عليها». فقال الرجل: إني خادمها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استأذن عليها، أتحب أن تراها غُرَيَانَةً؟». قال: لا. قال: «فأستأذن عليها» الموطأ لمالك، الاستئذان ٤١؛ والسنن الكبرى للبيهقي ٩٧/٧.

^٩ ر ع م: أستأذن.

^{١٠} جميع النسخ: يسوك. انظر: الأدب المفرد للبخاري، ٣٧٤/١.

^{١١} ن: إذا.

^{١٢} ر ع م: الخرابات والموضع.

^{١٣} ر م - غير.

٥٢٠] / إلا أن أهلها لم يسكنوها^١ وتركوها^٢ لنزول الناس فيها، وهي نحو الخانات والرباطات^٣ التي تكون للمارة. وعلى ذلك روي في الخبر أنه لما^٤ نزلت آية الاستئذان قال أبو بكر: يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة وبين المدينة والشام^٥ ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى: ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم^٦. وذكر في حرف ابن مسعود: ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه ساكن أن تدخلوه.

وقوله^٨: فيها متاع لكم، إن كان ذلك البيوت الخانات والبيوت التي ينزل فيها أهل السفر فيكون قوله: فيها متاع لكم، أي فيها منفعة لكم من الدفء^٩ في الشتاء والظل في الصيف^{١٠} ودفع الحر في أيام الحر ودفع البرد في أيام البرد. وإن^{١١} كانت^{١٢} البيوت هي الخربات والأقباب والأمتعات^{١٣} التي كانوا يصنعون في الطريق^{١٤} لقضاء الحوائج، فيكون قوله: فيها متاع لكم، أي الخلاء والبول. والله أعلم^{١٥}.

وقوله: والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، قال ما تبدون من السلام^{١٦} وما تخفون منه^{١٧}. أو في كل شيء كقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ^{١٨}. يذكر هذا ليكونوا^{١٩} أبدا على حذر وخوف. والله أعلم.

^١ ر ع م: تسكنوها.

^٢ ر م - وتركوها.

^٣ ر ع م: والرباط.

^٤ ع: إنما.

^٥ جميع النسخ: نزل.

^٦ ع: إلى الشام.

^٧ انظر: تفسير القرطبي، ٢١٣/١٢؛ وتفسير روح المعاني للألوسي، ١٣٧/١٨.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر ع م: الدف.

^{١٠} ع: بالضيف.

^{١١} ع: فإن.

^{١٢} جميع النسخ: كان.

^{١٣} جميع النسخ: وأقباب وأمتعات؛ ن - والأمتعات.

^{١٤} ر م: في الظهور؛ ع: في الطهر.

^{١٥} ن - والله أعلم.

^{١٦} ع: بالإسلام.

^{١٧} ن - منه.

^{١٨} سورة النحل، ١٩/١٦.

^{١٩} ر م: ليكونن.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [٣٠]

وقوله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، روي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي إن لك^١ كنترا في الجنة وإنك ذو قَوْنِيهَا،^٢ فلا تُتَبِعِ النَّظْرَةَ^٣ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةَ.»^٤ وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابن آدم لك أولُ تَنْظُرَةٍ، فإياك الثانية!»^٥ وعن جرير قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفحاة فأمرني أن أصرف بصري.^٦ وعن ابن عباس قال: يغضوا أبصارهم عن شهواتهم فيما يكره الله.^٧

ثم يحتمل قوله: يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، وجوها ثلاثة. أحدها يُغْضُوا^٨ أبصارهم لكي^٩ يحفظوا فروجهم،^{١٠} فَإِنَّ حَفْظَ الْفَرْجِ إِنَّمَا يَكُونُ بِغَضِّ الْبَصْرِ وَحَفْظِهِ. والثاني يغضوا أبصارهم عن النظر إلى من لا يحل من الأجنبيةات، لأن النظر إلى^{١١} المحارم يحل، ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والأجنبيات إلا الذين استثناهم في آية أخرى.^{١٢}

^١ ع: ذلك.

^٢ «وقال [النبي عليه السلام] لِعَلِيِّ: «إِنَّ لَكَ بَيْنَنَا فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّكَ ذُو قَوْنِيهَا»، أَي طَرَفِي الْجَنَّةِ وَجَانِبِيهَا. قَالَ أَبُو عبيد: وَأَنَا أَحْسِبُ أَنَّهُ أَرَادَ ذُو قَوْنِي الْأُمَّةِ فَأَضْمَر. وَقِيلَ: أَرَادَ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ» (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، «قرن»).

^٣ ع: النظرة.

^٤ مسند أحمد بن حنبل، ١/١٥٩؛ وسنن أبي داود، النكاح ٤٤؛ وسنن الترمذي، الأدب ٢٨.

^٥ ر: وعن القيس.

^٦ انظر لنحوه: مسند أحمد بن حنبل، ٥/٣٥٢.

^٧ انظر: سنن أبي داود، النكاح ٤٤؛ وسنن الترمذي، الأدب ٢٨.

^٨ الدر المنثور للسيوطي، ٦/١٧٧.

^٩ جميع النسخ: غضوا.

^{١٠} ع: لكن.

^{١١} ع - يحفظوا فروجهم.

^{١٢} ع - من لا يحل من الأجنبيةات لأن النظر إلى.

^{١٣} قال الله تعالى في آخر آية التحريم: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ (سورة النساء، ٤/٢٤)؛ وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (سورة المعارج، ٧٠/٢٩-٣١).

والتالث يُعْضُوا^١ أبصارهم عما في أيدي الخلق ولا يفتحوها^٢ إلى ما في أيديهم، كقوله: وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ^٣، الآية.

وقوله: ذلك أذكى لهم، أي أظهر لهم وأدعى لهم إلى الصلاح من النظر. وعلى هذه الوجوه^٤ يخرج قوله:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣١]

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، وقوله: ^٥ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ^٦ إلا ما ظهر منها، ^٧ الرداء والثياب. وعن ابن عباس قال: ^٨ إلا ما ظهر ^٩ منها، ^{١٠} الكحل والخاتم. وفي رواية أخرى: الكف والوجه. وعن عائشة قالت: ^{١١} إلا ما ظهر منها، ^{١٢} القلب ^{١٣} والفتحة ^{١٤} وهي خاتم إصبع الرجل.

^١ جميع النسخ: غضوا.

^٢ ر م: ولا تفتحوها؛ ن ع: ولا تفتحوها.

^٣ ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣١).

^٤ ر م - الوجوه.

^٥ ن: قوله.

^٦ ن - قال.

^٧ ر ع م - منها.

^٨ ن - إلا ما ظهر.

^٩ ر ن م - منها.

^{١٠} القلب من الأشورة: ما كان قلداً واحداً. وقيل: سوار المرأة. والفتحة بسكون التاء وفتحها: خاتم يكون في اليد والرجل بقص وغير فص. وكانت نساء الجاهلية يتخذنها في عشرين. وفي حديث عائشة في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾، قال: القلب والفتحة. (لسان العرب، «قلب»، «فتح»).

^{١١} ن م: والفتحة.

^{١٢} انظر حول جميع الآراء: تفسير الطبري، ١١٧/١٨ - ١٢٠؛ وروح المعاني للألوسي، ١٤٠/١٨ - ١٤١.

وعن عبد الله: الزينة زينتان زينة باطنة، لا يراها^١ إلا الزوج، فأما الزينة الظاهرة فالثياب، والباطنة [هي] الأكليل^٢ والسيوار والخصام^٣. فإن كان التأويل ما روي عن ابن مسعود حيث خصص من الثياب وغيره ففيه دلالة أن لا يحل النظر إلى وجه امرأة أجنبية. وإن كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة حل النظر إلى وجه المرأة لا بشهوة. وإن كان ما قالت عائشة من القلب والفتحة^٤ ففيه دلالة جواز النظر إلى الكفين والقدمين، لأنهما ظاهرتان باديتان. ألا يرى أنهما من الظواهر في فرض غسل الوضوء، وإن كان ذلك ففيه دلالة جواز صلاتها^٥ مع ظهور القدم.

وجائز أن يكون النظر إلى وجه المرأة حلالاً إذا لم يكن بشهوة، لكن غض البصر وترك النظر أوفق وأزكى، كقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ، أَنَّهُنَّ حَرَامٌ،^٦ فَلَا يُؤْذِينَ،^٧ كما تؤذى الإماء. والذي يدل أن للمرأة أن لا تُعْطَى وجهها ولا ينبغي للرجل أن يتعمد النظر إلى وجه المرأة إلا عند الحاجة إليه، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «إنما لك الأولى وليس لك الآخرة.»^٨ وفي بعضها: الأولى لك والآخرة^٩ عليك. لأنه كأنه^{١٠} إنما يتعمد النظر في الثانية لشهوة تحدث في قلبه. وإذنه للذي يريد أن يتزوج امرأة أن ينظر إليها يدل على أن نظر الرجل إلى وجه المرأة غير حرام، لأنه لو كان حراماً لم يأذن فيه النبي لأحد. ونرى - والله أعلم - أن النظر إلى وجه المرأة ليس بحرام إذا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة، فإذا وجد لذلك^{١١} شهوة ولم يأمن أن يؤذيه ذلك إلى ما يكره فمحظور عليه أن ينظر إليها، إلا أن يريد به معرفتها للنكاح^{١٢} فإنه قد رخص في ذلك.

^١ جميع النسخ: لا يريها.

^٢ جميع النسخ: فالأكليل.

^٣ انظر: تفسير الطبري، ١١٧/١٨.

^٤ ن م: والفتحة.

^٥ جميع النسخ: صلوتها.

^٦ م - أنهن حرائر.

^٧ سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣.

^٨ انظر: سنن أبي داود، النكاح ٤٤؛ وسنن الترمذي، الأدب ٢٨.

^٩ ع - وفي بعضها الأولى لك والآخرة.

^{١٠} ن: كان.

^{١١} ع: أن؛ م - إنما.

^{١٢} ع: كذلك.

^{١٣} ر م: والنكاح؛ ن ع: أو النكاح.

روي أن المغيرة أراد أن يتزوج امرأة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم^١ بينكما.»^٢ وقال في بعض الأخبار: «إذا خطب أحدكم المرأة فلا بأس أن ينظر إليها»^٣ إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة، وإن كانت لا تعلم.

فالأحسن للشابة^٤ والأفضل^٥ لها أن تستر وجهها ويديها عن الرجال، ليس أن ذلك حرام^٦ ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة بهن. فإذا لم يكن للناظر في ذلك شهوة بأن كان شيخاً / كبيراً أو كانت المرأة دميمة^٧ أو عجوزة فإنه لا يحظر النظر إلى وجوه أمثالهن، ولا يُنظر إلى ما سوى ذلك.

[٥٢١]

وأصله قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ.^٨ ومما يدل على أن الوجه والكفين جائز أن لا يكونا^٩ بعورة بأن المرأة لا تصلي وعورتها مكشوفة، ويجوز أن تصلي ووجهها ويدها ورجلاها مكشوفة. فإذا كان كذلك دل ذلك على أن النظر إلى ذلك جائز إذا لم يكن ذلك لشهوة. فإذا كان بشهوة^{١٠} دخل في ذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العينان تزنيان»^{١١} لأن زناء^{١٢} العين لا يكون إلا بالنظر^{١٣} للشهوة، فإذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله.^{١٤}

^١ «أي تكون بينكما المحبة والاتفاق. يقال: أدم الله بينهما يأدم أدمًا بالشكون، أي أَلَفَ ووقَّ. وكذلك آدم يؤدم بالمد» (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، «أدم»).

^٢ سنن ابن ماجه، النكاح ٩؛ وسنن الترمذي، النكاح ٥؛ وسنن النسائي، النكاح ١٧.

^٣ عن محمد بن سلمة قال: خطبت امرأة ف جعلت أتخَّيَّ لها حتى نظرت إليها في نخل لها. فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها.» سنن ابن ماجه، النكاح ٩؛ وانظر أيضا: سنن أبي داود، الحدود ١٩؛ وسنن الترمذي، النكاح ٥.

^٤ ر ن م: وأحسن للشبابه؛ ع: فأحسن للشبابه.

^٥ جميع النسخ: وأفضل.

^٦ ر ع م + وإليها للخطبة؛. ع + وإن كانت لا تعلم.

^٧ ن ع: دميمة. رجل دميم: قبيح، وقيل: حقير، وقوم دمام، والأنتى دميمة (لسان العرب، «دمم»).

^٨ سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣.

^٩ ر م: أن لا يكون؛ ع: أن يكون.

^{١٠} ر ع م - فإذا كان بشهوة.

^{١١} عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنى مُدْرِكُ ذلك لا تحالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقَلْبُ يهوى ويتمى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه» (صحيح مسلم، القدر ٢١؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ٨٩/٧).

^{١٢} ن: زنا.

^{١٣} جميع النسخ: إلا النظر.

^{١٤} ن - فإذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله.

وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة، [وهو] ما روي عن عائشة قالت: دخلت عليّ أختي أسماء وعليها ثياب شامية رفاق وهي اليوم عندكم صفاق^١. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه ثياب لا تُحبها سورة النور» فأمر بها فأخرجت، فقلت: يا رسول الله زارتني أختي فقلت لها ما قلت، فقال: «يا عائش^٢ إن الحرة إذا حاضت لا ينبغي أن يُرى منها^٣ إلا وجهها وكفاها.»^٤ فإن ثبت هذا عنه فهو يبين ما ذكرنا. والله أعلم.

وقوله: **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**، قد ذكرنا أن المرأة يُكره لها النظر إلى الرجال من غير محرمها، كما يكره للرجل [النظر] إلى المرأة الأجنبية. ألا ترى أنه روى أن أعمى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه عنده: عائشة وأخرى، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوما»، فقلتا: «إنهما أعميان يا رسول الله»، فقال لهما: «هما وإن كان أعميين فأنتما لستما بأعميين»،^٥ أو كلام نحو هذا، فدل أنه ما ذكرنا. وعلى^٦ ذلك أخبار. روي عن خالد بن معدان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبيت في مكان تسمع فيه نفّس رجل ليس بمحرم، ولا يحل لامرأة يؤمن بالله واليوم الآخر أن تبيت في مكان يسمع نفس امرأة ليست له بمحرم».^٧ وفي بعض الأخبار أنه لم يُرخص للمرأة

^١ ثوب صفيق: متين بين الصفاقة. وقد صُفّق صفاقة كثف نسجه (لسان العرب، «صفق»).

^٢ ن: قال يا عائشة.

^٣ ر م - منها.

^٤ عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه (سنن أبي داود، اللباس ٣٣؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ٢٢٦/٢، ٨٦/٧).

^٥ ع ن: فقلتا.

^٦ روي نحوه في سنن أبي داود (اللباس ٣٦) عن أم سلمة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أبرزنا بالحجاب [فدخل علينا] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احتجبا منه». فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفعميًا وإن أتما، ألتتما تبصرانه؟» وانظر أيضا: سنن الترمذي، الأدب ٢٩.

^٧ ن: وهي.

^٨ انظر لنحوه: صحيح البخاري، جزاء الصيد ٢٦، الجهاد ١٤٠.

أن يَرَى غيرُ ذي محرم منها إلا الوجه والكف وما ظهر.^١ وَقُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على كُوع^٢ عائشة وقال هذا.^٣

وعن الحسن أنه قال في قوله: **إلا ما ظهر منها**، الوجه وما ظهر من الثياب. فإن ثبت ما ذكرنا من المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث رخص النظر إلى الوجه والكف بقوله: ^٤ «إلا الوجه والكف»، استثنى^٥ الوجه والكف من بين سائر الجوارح، كان ذلك تفسيراً لقوله: **إلا ما ظهر منها**؛ كأنه قال: **ولا يبيدين زينتهن**، للأجنبيين **إلا ما ظهر منها** وهو الكحل والخاتم. ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد، فذكر الزينة يكون كناية عن مواضعها، لأن النظر إلى الزينة حلال لكل أحد إذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم، فدل أن المراد بذكر الزينة مواضع الزينة لا نفس الزينة والحلي. ثم رخص للأجنبيين النظر إلى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف^٦ ولم يرخص ما خفي منها وما بطن.

ثم استثنى المحارم منها ورخص [ل]هم [ال]نظر إلى ذلك بقوله: **ولا يبيدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن**، إلى آخر ما ذكر. ثم مواضع الزينة الخفية منها الصدر ومنها الأذنان وهما في الرأس، ومنها الساق. ثم جمع بين الأب ومن سَمِيَ معه وبين الزوج في النظر إلى زينة المرأة، ولا خلاف في أن الأب لا يجوز له أن ينظر من عورة^٧ ابنته إلا إلى رأسها. وفي الرأس الأذنان وقد يكون فيهما القُرْط ونحوه. وإذا جاز له أن ينظر إلى رأسها ولا خمار عليها فله أن ينظر إلى صدرها وهو موضع الزينة، لأنه مما يغطيه الخمار، وينظر إلى ذراعها وموضع الخللحال من قدميها ورجليها، وهي^٨ مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للأجنبي النظر إليها.

^١ ن - وما ظهر.

^٢ الكاع والكوع: طُرْف الرِّئْد الذي يلي أصل الإبهام. وقيل: هو من أصل الإبهام إلى الرِّئْد. وقيل: هما طرفا الزندان في الذراع (لسان العرب، «كوع»).

^٣ روي نحوه في سنن أبي داود، اللباس ٣٣.

^٤ ر ع م: لقوله.

^٥ ر ع م: استثناء.

^٦ ع - من بين سائر الجوارح كان ذلك تفسيراً لقوله إلا ما ظهر منها كأنه قال ولا يبيدين زينتهن للأجنبيين إلا ما ظهر منها وهو الكحل والخاتم ثم الكحل يكون في الوجه والخاتم في اليد فذكر الزينة يكون كناية عن مواضعها لأن النظر إلى الزينة حلال لكل أحد إذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم فدل أن المراد بذكر الزينة مواضع الزينة لا نفس الزينة والحلي ثم رخص للأجنبيين النظر إلى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف.

^٧ ع: أن ينظر عورت.

^٨ جمع النسخ: وهو.

ثم النظر إلى الوجه أحق أن يحْزَمَ النظر إليه للأجنبي^١ من الرأس وغيره من مواضع الزينة، لأن الوجه يُجمَع فيه جميع^٢ المحاسن. وغيره من مواضع الزينة ليس فيها محاسن، لكن إنما حَزَمَ النظر إلى هذه المواضع لأنها عورة في نفسها. فالنظر إلى العورة حرام للأجنبي، ولأن النظر إليه - أعني مواضع الزينة - لا يكون إلا للشهوة، والنظر بالشهوة^٣ حرام^٤. فأما المحارم منها فإنهم لا ينظرون إلى هذه المواضع منها لشهوة ولا يقصدون به ذلك ألبتة فأبيح لهم النظر إليها لحاجة. وكل من يخشى^٥ من المحارم النظر إليها لشهوة لا ينظر إليها، وكذلك الأجنبي حيث أبيح النظر إلى الزينة الظاهرة فإن خشي به الشهوة لم ينظر إليها^٦.

ثم غيرها من العورة^٧ لا يحل لأحد النظر إليها: الأب^٨ وغيره إلا للزوج خاصة وللمولى / إلى مملوكته، وهو ما قال: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ^٩، استثنى الأزواج والموالي^{١٠} من بين غيرهم لأن النظر إلى ذلك لا يكون إلا للشهوة، لا يقع فيه حاجة، فلا يباح ذلك إلا لمن له قضاء الشهوة والوطر^{١١} وهو الزوج والمولى. فانقسمت^{١٢} العورة إلى جهتين. جهة يحل^{١٣} للمحارم منها النظر إليها لحاجة وضرورة تقع لهم، وجهة لا تحل^{١٤} لهم - إلا للأزواج - لما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة بالنظر إلى ذلك. ألا ترى^{١٥} أن الأمة^{١٦} ينظر [الأجنبي] إلى شعرها وذراعيها^{١٧} وساقها وصدرها إذا أراد شراءها،

^١ ن - للأجنبي.

^٢ م - جميع.

^٣ ر ن م: والنظر إلى الشهوة؛ ر: - والنظر بالشهوة.

^٤ جميع النسخ + إليها.

^٥ ن: خشي.

^٦ ع - وكذلك الأجنبي حيث أبيح النظر إلى الزينة الظاهرة فإن خشي به الشهوة لم ينظر إليها.

^٧ ر ع م: من العجزة.

^٨ م: إلا أب.

^٩ سورة المؤمنين، ٥/٢٣ - ٦.

^{١٠} ر م: والمولى.

^{١١} ر ع م: والوطى.

^{١٢} جميع النسخ: فانقسم.

^{١٣} ر م: محل.

^{١٤} ن: لا يحل.

^{١٥} ن: أولا يرى؛ ع - ألا ترى.

^{١٦} ع: الآية.

^{١٧} ع: وذراعيها.

ولا ينظر^١ إلى ما سوى ذلك، فإذا جاز للأجنبي أن ينظر إليه من الأمة جاز لمحرمها النظر إلى ذلك من المرأة للحاجة التي ذكرنا.

ثم ذكر في الآية المحارم جميعاً إلا الأعمام والأخوال. قال بعضهم: إنما لم تذكر^٢ في هذه الآية لأنها تحل لبيئتهما بالنكاح فكُره أن تصفاها لبيئتهما. ولهذا كُره من كره للمرأة المسلمة إبداء الزينة الخفية للكافرة^٣ من اليهودية والنصرانية لما لعلها تصف ذلك للمشركين فيرغبون فيها ويتكفون ذلك، وصُرف قوله: أو نسائهن، إلى^٤ المسلمات. لكن جائر عندنا أن العم^٥ والخال إنما لم يذكرهما للكثرة والتطويل لما يكثر ذلك، أو لما^٦ ذكر^٧ من أجناسهم وأمثالهم فذكر الرخصة في أمثالهم كافية^٨.

وقوله: أو نسائهن، يحتمل وجوها. يحتمل النساء اللاتي^٩ يختلطن بهن، أو نساء قرابتهن^{١٠} وأرحامهن، أو النساء اللاتي^{١١} يوافقن^{١٢} في دينهن وهن المسلمات على ما قاله أولئك.^{١٣} وقوله: أو ما ملكت أيمانهم، قال قائلون: أو ما ملكت أيمانهم كقوله: إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم^{١٤} ونحوه، وقال قائلون: الإماء والعبيد جميعاً. فإن كان المراد به^{١٥} الإماء فهو ظاهر،

^١ ر ع م: فلا ينظر.

^٢ ر م: لم يذكر؛ ع: لم يذكر.

^٣ ن - الخفية للكافرة.

^٤ جميع النسخ: أي.

^٥ ر: العلم.

^٦ ع: ذلك وإنما.

^٧ ر - من.

^٨ ن + والله أعلم؛ ع + كافية.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر ع م - اللاتي؛ ن: التي.

^{١١} ن: قرابتهن.

^{١٢} جميع النسخ: التي.

^{١٣} ر ع م: توافقتن.

^{١٤} ن + والله أعلم.

^{١٥} ن: قوله.

^{١٦} ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ (سورة المؤمنون،

٦٣/٥-٦).

^{١٧} م - به.

وإن كان المراد به^١ الأمة والعبيد^٢ ففيه^٣ إباحة نظر العبد إلى شعر مولاته على ما يقوله^٤ بعض الناس. والأشبه أن يكون المراد به -والله أعلم- الإمام^٥ دون العبيد [على^٦] ما ذكر في آخر الآية: أو التابعين غير أولي الإزبة من الرجال، والعبد من الرجال. أو ذكر التابعين^٧، والتابع -وإن كان خَصِيصًا أو عَتِينًا^٨ أو معتوها على ما قالوا- فإنه لا يحل لهؤلاء^٩ النظر إلى تلك المواضع على حال، فعلى ذلك العبد، فيكون الدخول عليهن مضمراً^{١٠} في الآية، وتكون^{١١} النساء متأهبات وقت دخول العبيد والتابعين عليهن،^{١٢} لأنه ذكر التابعين وهم تابعوا الأزواج، ووقت دخول هؤلاء يكون معلوما عندهن^{١٣} فيتأهبن^{١٤} لهم ويستترن.^{١٥} والله أعلم بذلك. ألا ترى^{١٦} أنه^{١٧} لا يحل للمرأة أن تسافر بعدها^{١٨} دل أنه ليس بمحرم لها، لذلك لم يحل له^{١٩} النظر إلى شعر مولاته.

فإن قيل: ما معنى ذكر إمامهن ونسائهن، وكل النساء يجوز لهن النظر إلى المرأة إلى هذه^{٢٠} المواضع التي ذكرنا؟

- ١ م - به.
- ٢ ن ع: والعبد.
- ٣ ع - ففيه.
- ٤ ع: يقول له.
- ٥ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٦ ظ.
- ٦ جميع النسخ: التابع.
- ٧ ر: عنيا؛ ع: غنيا.
- ٨ ع: هؤلاء.
- ٩ ر ع م: مضمراً.
- ١٠ جميع النسخ: وكن.
- ١١ ن: عليهم.
- ١٢ ع: عنده.
- ١٣ ن: فيتأهبن؛ ع: فيتأهبون.
- ١٤ جميع النسخ: ويستترن.
- ١٥ ن: يرى.
- ١٦ ر م - أنه.
- ١٧ ر م: بعبيدها؛ ع: بعبيدها.
- ١٨ ن - له.
- ١٩ ع: وإلى هذا.
- ٢٠ ع - المواضع.

قيل: خص الله تعالى بالذكر إماءهن ونساءهن دون نساء الأجنبية تأديبا لا حظرا. وذلك أن المرأة قد يَضيق عليها أن تستتر^١ من أمتها ونساء أهل بيتها لكثرة^٢ رؤيتهن لها، وقد تقدر^٣ أن تستر من الأجنبية محاسنها وزينتها لقلّة رؤيتها لها. ألا ترى^٤ أنه قد نهى المرأة أن تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها، وفي ذلك صيانة للرجل والمرأة وإبعاد لهما ما يُحذر عليها ويخاف. فليس يبعد أن يجعل نهيه المرأة أن تُظهر زينتها ومحاسنها للأجنبية لما يُخاف على الأجنبية من فساد قلبها وحدوث الشهوة لها صيانة للنساء والرجال جميعا وإبعادا لهم من الزينة ولئلا تصفها لرجل يفتتن بها ويتكلف الوصول إليها. والله أعلم.

وقوله: **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**، روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت هذه الآية أخذ النساء أزْرَهَن فشقّقنها^٥ من قبل الحواشي فاحتَمَرْنَ^٦ به. وعن ابن عباس: **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** يقول: **وليشددن بخمرهن على جيوبهن**، يقول: **ليُرْخِجْنَ بخمرهن على الصدر والنحر** فلا يُرِين منها شيئا. [و] قال: **وكنّ النساء قبل هذه الآية إنما يشددن خُمُرهن سداً من ورائهن كما يصنع النبت**،^٧ فلما نزلت هذه الآية شددن الخُمُر على النحر والصدر.^٨

وفي الآية دلالة [على] أن دروع النساء كانت ذات جيب، لأن الجيب إنما يكون^٩ للدروع وذلك كان لباس النساء. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى الرجال

^١ ر ع ن: تستر.

^٢ ع: للكثرة.

^٣ ن + أن.

^٤ ن: يرى.

^٥ ع: والمرأة.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر م: فيشقّقنها.

^٨ ع: فاحتمن.

^٩ انظر: صحيح البخاري، تفسير القرآن، ١٣/٢٤؛ وسنن أبي داود، اللباس ٣٢.

^{١٠} ع - وليضربن.

^{١١} ع: لقول.

^{١٢} ن - جيوبهن يقول وليشددن بخمرهن على جيوبهن يقول ليُرْخِجْنَ بخمرهن على.

^{١٣} النَّبِيطُ وَالتَّبْطُ كالتَّبْطِيشِ وَالتَّحْبِيشِ فِي التَّقْدِيرِ: جِيلٌ يَنْزِلُونَ السَّوَادَ، وَفِي الْحَكْمِ: يَنْزِلُونَ سَوَادَ الْعِرَاقِ، وَهَمُّ الْأَنْبَاطِ، وَالتَّسْبُ إِلَيْهِمْ نَبِيطِيٌّ (لسان العرب، «نبت»).

^{١٤} انظر: تفسير ابن كثير ٢٧٤/٣.

^{١٥} ر ع م: تكون.

عن لِبْسَةِ النساءِ وأنه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء. وروي أنه لعن الرجل [الذي] يلبس لبسة المرأة، والمرأة [التي] تلبس لبسة الرجل.^٢ وعن ابن عباس قال: ^٣ لعن النبي المؤنثين من الرجال والمذكّرات من النساء،^٤ وكأنه مكروه للرجل - والله أعلم - أن يلبس دُرَاعَةً^٥ وَحَدَّهَا لا قميص تحتها، لأن ذلك لباس النساء، إلا أن يكون لها شَقٌّ ذَيْلٍ فخرجت من لبس النساء ولم يُكره للرجال. والله أعلم.

وقوله: **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**، جازئ أن يكون قوله: ^٦ **إلا ما / ظهر منها**، [٥٢٢و] إنما يباح النظر إلى الوجه للحاجة، وأما على غير الحاجة فلا يباح لما ذكرنا من قوله: **يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ**،^٧ الآية، وقوله: **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**.^٨ فعلى ذلك ترك النظر إلى وجه المرأة **أظهر**^٩ للنساء وللناس ^{١١} جميعاً فلا يباح ذلك إلا عند الحاجة إليه وهو معرفتها لتقييم به ^{١٣} الشهادة.

فإن قيل: أليس النظر يسع إلى مواضع الزينة الخفية للأجنبي للتداوي بها؟

قيل: يسع ذلك للضرورة وأما للحاجة فلا. ومسألتنا في الحاجة ليست في الضرورة.

ثم قوله: **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن**، إلى آخر ما ذكر، جازئ أن يكون المراد برخصة النظر إلى الزينة لهؤلاء^{١٤} المسمّين في الآية رخصة النظر إلى نفس الزينة في موضع الزينة،

^١ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبستين، هي بكسر اللام الهيبة والحالة؛ وروي بالضم على المصدر، والأول أوجه (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، «لبس»).

^٢ انظر: صحيح البخاري، اللباس، ٦١؛ وسنن النسائي، النكاح ٢٢.

^٣ ر ع م - قال.

^٤ انظر: المعجم الأوسط للطبراني، ١٧٦/٢؛ ومصنف عبد الرزاق، ٣١٩/٤.

^٥ ر ع: فراعة؛ م: فراغة. والدُرَاعَةُ والمُدْرَعُ: ضرب من الثياب التي تُلبَس، وقيل: حُجَّةٌ مشقوقة المُقَدَّم (لسان العرب، «درع»).

^٦ ر ع م - قوله.

^٧ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣).

^٨ سورة الأحزاب، ٥٣/٣٣.

^٩ ع: إلى الوجه.

^{١٠} ع: أظهر.

^{١١} ع: وللنساء.

^{١٢} ع - به.

^{١٣} جمع النسخ: للشهادة.

^{١٤} ع: هؤلاء.

لا موضع الزينة فيدخل في هذه الرخصة من ذكر من التابعين غير أولي الإربة من الرجال ونحوه، لأن الزينة في الصدر، وما ذكر إنما يكون^١ من وراء ثياب تكون على الصدر.^٢ ثم رخص النظر للمحارم إلى مواضع الزينة الخفية بغير^٣ هذه الآية. أو أن يكون رخصة النظر للمحارم إلى مواضع الزينة ولغير المحارم من المماليك والتابعين غير أولي الإربة ومن ذكر رخصة الدخول عليهن، فيكون في الآية إضمارُ الدخول كأنه قال: ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن ومن ذكر من المحارم، ولا يدخل عليهن إلا العبيد والتابعون ومن ذكر من غير أولي الإربة فيكون في وقت دخول هؤلاء متأهبات، لأن وقت دخول هؤلاء يكون معلوما يعرفه^٤ فيتأهبن لهم، لأن العبيد إنما يدخلون على سيداتهم ومولياتهم^٥ عند حاجتهن إليهم، "والتابعين" ومن ذكر إنما يدخلون إذا دخل أزواجهن عليهن فيتأهبن لذلك. ومثل هذا الإضمار جائز في الكلام، يتبين ذلك بالتثنية، كقوله: أُجِلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرٌّ^٦، دل قوله: غَيْرَ مُجَلِّي الصَّيْدِ، على^٧ أنه قد كان الصيد^٨ المذكورا فيه مرارا، إذ لو لم يكن المذكورا لم يكن^٩ استثنى منه. فعلى ذلك جائز أن يكون في الأول إضمارُ الدخول فيه لهؤلاء الذين لا يحل لهم النظر إلى مواضع الزينة منهن ورخصة الإبداء^{١٠} للمحارم،^{١١} أو أن يكون ما ذكرنا فيما تقدم. والله أعلم.

وقوله:^{١٢} أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال، قال بعضهم: [هو] الشيخ الكبير الذي لا حاجة له في النساء. وقال بعضهم: المعتوه الأحمق الذي لا تشتتبه^{١٣} النساء ولا يغار عليه الأزواج.

^١ ر م: تكون.

^٢ ع - وما ذكر إنما يكون من وراء ثياب تكون على الصدر.

^٣ ر م: لغير.

^٤ جميع النسخ: يعرفن.

^٥ جميع النسخ: ساداتهم ومولياتهم.

^٦ ر م: هذه.

^٧ سورة المائدة، (١/٥).

^٨ ر ع م - على.

^٩ م - الصيد.

^{١٠} ع - المذكورا لم يكن.

^{١١} ر ع م: الابتداء.

^{١٢} ع + ان.

^{١٣} ن: قوله.

^{١٤} جميع النسخ: لا يشتتبه.

وقال بعضهم: العَيْنِ والحَصِي وهؤلاء الذين لا يطيقون الجماع. لكن عندنا لا يسع للعَيْنِ ولا للحَصِي أن يخلوا^١ بامرأة أجنبية. وقال الحسن: غير أول الإربة من الرجال، هم المُحْتَثُونَ. روي عن عائشة قالت: كان^٢ يدخل^٣ على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مُحْتَثٌ وكانوا يُعَدُّونه من غير أولى الإربة، قالت: فدخل النبي ذات يوم وهو يَنْعَت امرأةً فقال: «لَا أَرَى هذا يعلم ما ههنا، لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ»، فحجّبوه.^٤ وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مُحْتَثٌ،^٥ فأقبل^٦ على أخ^٧ أم سلمة فقال: يا عبد الله إن فَتَحَ اللهُ لَكُمْ غدا الطائف دلتك على بنت عَيْلان فإنها تُقْبَلُ بأربع وتُدِيرُ بثمان. فقال:^٨ «لَا أَرَى [هذا] يَعْرِفُ مَا ههنا، لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ.»^٩ وقال بعضهم: غير أولي الإربة الذين لا تَهْمُهُمْ إلا بطونهم ولا يُخافون على النساء. وكله واحد وهم الذين ليست لهم الحاجة إلى النساء.

قال أبو عَوْسَجَةَ: الإربة الحاجة، والإرب جميع، وكذلك قال القُتَيْبِيُّ.^{١٠} وقال ابن عباس: هو الذي لا يستحي منه النساء.^{١١}

وقوله: أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، قال بعضهم: هو من^{١٢} الإطلاع، أي لم يطلعوا ولم يعلموا ولم يدروا ما هو من الصَّغَرِ. وقال بعضهم: لم يظهروا على عورات النساء، أي لم يبلغوا الخُلْمَ. والأول أشبه عندنا، وذلك أن الطفل الذي لم يحتلم قد أمر^{١٣} بالاستئذان في بعض الأوقات، لقوله: لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الخُلْمَ مِنْكُمْ،^{١٤}

^١ ر: يخلوا.

^٢ ر ع م: كانت؛ ن + برجل.

^٣ ن - يدخل.

^٤ صحيح مسلم، السلام ٤٣٣؛ وسنن أبي داود، اللباس ٣٥.

^٥ ع + وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة قالت فدخل النبي ذات يوم وهو ينعت امرأة فقال لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجّبوه وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها محتث.

^٦ أي المحتث.

^٧ جميع النسخ: أخي.

^٨ أي النبي عليه السلام.

^٩ انظر: صحيح البخاري، المغازي ٥٨، النكاح ١١٤، اللباس ٦٢؛ وصحيح مسلم، السلام ٣٣؛ وسنن أبي داود، الأدب ٦١.

^{١٠} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٣.

^{١١} انظر: تفسير ابن كثير ٢٧٥/٣.

^{١٢} ر ع م - من.

^{١٣} ر + هو الطفل الذي لم يحتلم وقد يطلع على عورات النساء والذي لا يؤمر.

^{١٤} سورة النور، ٥٨/٢٤.

فالذي يؤمر^١ بالاستئذان هو الطفل الذي لم يحتلم، وقد يطّلع على عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان هو^٢ أصغر من ذلك وهو الذي لا يطّلع على عورات النساء لصغره. **وانه أعلم.**

وقوله: **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**، أي لا يضربن إحدى رجليها على الأخرى ليقرّع^٣ الخلل بالخلل، ليعلم ما يخفين من زينتهن،^٤ أي ما تُورِي^٥ الثياب من الزينة وهو الخلل الذي^٦ قد أخفّته^٧ الثياب. نُهيت المرأة عن ضرب رجليها^٨ ليعلم الرجال ما تخفي^٩ من زينتها. وذلك محظور عليها، لما^{١٠} يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس وحثهم عليها، إذ الزينة في الأصل ما جعلت إلا للترغيب والتحريض على أنفسهم وهي الداعية إلى النظر والشهوة، وفي ترك ذلك وترك إبداء الزينة صيانتها وصيانة الرجال وإبعادهم جميعاً من الزينة والرغبة، فكشفت الشابة عن وجهها ونظر الرجل لشهوة إليها أخرى أن يكون محظوراً عليه منهيّاً عنه. **وانه أعلم بالصواب.**^{١١}

[٥٢٢ظ] / وقوله عز وجل: **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**، هذا يحتمل^{١٢} وجهين. يحتمل قوله: **توبوا إلى الله**، أي ارجعوا إلى الله بالطاعة له والخضوع لتكونوا مفلحين. أو أن يكون قوله: **وتوبوا إلى الله**،^{١٣} أي ارجعوا عما قدّمتم من المعاصي والمساوي واجعلوا مكان ذلك طاعة^{١٤} له ليعفوّ^{١٥} عنكم ما قدّمتم من المعاصي. **وانه أعلم.**

^١ ر م: فالذي لا يؤمر.

^٢ ع - الطفل الذي لم يحتلم وقد يطّلع على عورات النساء والذي لا يؤمر بالاستئذان هو.

^٣ ن + على.

^٤ ن - من زينتهن.

^٥ ر م + من.

^٦ ر ع م - الذي.

^٧ جميع النسخ: أخفاه.

^٨ جميع النسخ: رجلها؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٧.

^٩ ر م: ما يخفي.

^{١٠} ر م: لم.

^{١١} ن - بالصواب.

^{١٢} ر - يحتمل.

^{١٣} ع - أي ارجعوا إلى الله بالطاعة له والخضوع لتكونوا مفلحين أو أن يكون قوله وتوبوا إلى الله.

^{١٤} م: طاعته.

^{١٥} ر م: ليعفوا.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٢]

وقوله: وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، الأمر بالإنكاح وإن خرج مخرج أمر واحد في الظاهر فهو في الحقيقة على أقسام. الأمر في تزويج الإماء والعبيد يخرج مخرج الترغيب والتحريض فيه، وفي الأحرار يخرج مخرج^١ المعونة^٢ والتقوية، لأن من بلغ ولده النكاح ذكراً أو أنثى استشار أقرباءه وأهل أنسابه والمتصلين به في ذلك واستعانهم^٣ على ذلك، ولا كذلك السادات في الممالك. دل أن الأمر في أحدهما يخرج على المعونة، وفي الآخر على الترغيب. ثم تزويج العبد يخرج كأنه فعل المعروف، إذ في ذلك إلزام مؤنٍ بلا عوض يحصل له. ألا ترى^٤ أنه لا يملك [هذا الأمر]^٥ إلا من يملك المعروف من نحو الوصي والأب والمكاتب والعبد المأذون له في التجارة، ولا كذلك تزويج الإماء، إذ يملك هؤلاء ذلك. وكل مكتسبٍ خيرٍ لنفسه أو لغيره. ثم جرى الوفاق^٦ بينهم أن للمولى أن يزوج أمته شاءت هي أو أبت. واختلفوا في تزويج العبد امرأة، قال بعضهم: ليس^٧ له ذلك إلا برضاء العبد. وقال بعضهم: له ذلك^٨ شاء أو أبي. ثم الناس اختلفوا في قوله: وأنكحوا الأيامي منكم. قال بعضهم: ^٩ الأيامي هن^{١٠} الإناث من الأحرار دون الذكور، واستدلوا^{١١} ببطلان النكاح وفساده إذا كان بغير إذن الولي بهذه الآية، لأن الله تعالى أمر الأولياء وخاطبهم أن يزوجهن^{١٢} كما أمر المولى بتزويج أمته، فأوجب للولي الولاية كما أوجبها للمولى وإن كانا مختلفين في الولاية.

^١ ع - الترغيب والتحريض فيه وفي الأحرار يخرج مخرج.

^٢ ر م: المؤنة.

^٣ ع: واستعانتهم.

^٤ ن: يرى.

^٥ الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٥٢٧و.

^٦ جميع النسخ + له.

^٧ ن: الوقات.

^٨ ر ع م - ليس.

^٩ ع - ذلك.

^{١٠} ن + ليس.

^{١١} ر ع م: منهن.

^{١٢} ر: واستدلوا.

^{١٣} ع: يزوجهن.

لكن عندنا لو كانت الآية خرجت على الذي قاله^١ خصومنا: وأنكحوا الأيامى منكم، [هن] الإناث، لم يكن فيه دليل على ما قالوا هم، ويخرج ذلك على وجوه. أحدها على الترغيب في إنكاحهن لما [لا]^٢ تتولى^٣ النساء^٤ النكاح بأنفسهن حياء، ويستحيين^٥ التكلم بذلك، حتى من فعلت^٦ ذلك منهن بنفسها صارت مطعونة عندهن. أو أن يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما ذكرنا. ألا ترى^٧ إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:^٨ «من بلغ ولده^٩ النكاح وعنده ما يُنكحه فأحدث فالإثم بينهما.»^{١٠} فهذا يدل -والله أعلم- على وجه المعونة في تزويج الأب الابنَ البالغ، فإذا كان الأب مأمورا من جهة التأديب على المعونة بتزويج ابنه، ولا يُوجب ذلك عليه ولاية إذا كره ذلك، فكذلك يكون مأمورا بتزويج ابنته عن طريق^{١١} المعونة أو جهة الحياء.^{١٢} أو أن يخرج ذلك على ما قاله^{١٣} خصومنا من إيجاب الولاية له عليها.

ثم رأينا أنها إذا رغبت في النكاح ورضيت^{١٤} به وكره وليها ذلك أجبر^{١٥} الولي على الإنكاح. وإن هي كرهت النكاح وأبت ورغب الولي ذلك وشاء لم تُجبر هي على ذلك. دل ذلك على أن الحق لها عليه دون أن يكون الحق في ذلك له عليها. فإذا كان الحق لها عليه جاز ذلك إذا تولت بنفسها لما ذكرنا أن الخطاب للأولياء يخرج على الوجوه التي^{١٦} ذكرنا. والله أعلم.

^١ ر ع م: على التفسير على ما يقول؛ ن: على اليقين على ما يقول. والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٥٢٧.

^٢ الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٥٢٧.

^٣ ن: يتولى؛ ر ع م: تولى.

^٤ جميع النسخ: هن؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٧.

^٥ ن: حيا وتغيير.

^٦ جميع النسخ: من فعل؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٧.

^٧ ن: يرى.

^٨ ر ع م - قال.

^٩ ن: ولد.

^{١٠} انظر: كثر العمال للهندي ١٦/٥٩٧ (٤٥٣٣٧).

^{١١} ر ع م: من طريق.

^{١٢} ن: العيا.

^{١٣} ر ع م: قال.

^{١٤} ن: ولا رضيت.

^{١٥} جميع النسخ: جبر؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٧.

^{١٦} جميع النسخ: الذي.

هذا إذا كان في الآية ذكر الإناث دون الذكور، فكيف أن ليس في الآية ذكر^١ تخصيص الإناث دون الذكور، واسم الأيم يقع على الإناث والذكور جميعا^٢. ألا ترى^٣ أنه روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: ما رأيت من يحبس^٤ بعد هذه الآية أيمًا^٥ التمسوا الغنى^٦ في الباء^٧. وما روي عن جعدة أن عمر دعانا إلى أن ننكح^٨ من أيائنا^٩. وفي الشعر:

لِللّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ
أَيِّمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحٍ^{١٠}

وفي بعضها:

وَأَيِّمٍ تَأْتِي مِنَ الْقَوْمِ [الكرام] أَيِّمًا.

جمع فيه^{١١} اسم الأيم للرجال^{١٢} والنساء. ومن الدليل^{١٣} أيضا على ذلك قوله: **والصالحين من عبادكم وإمائكم**، فدل ذلك على أنه حث^{١٤} على تزويج البالغين من الأحرار رجالهم ونسائهم.

فإن قيل: فما وجه أمره بتزويج الرجال والأمم إليهم؟ فجواب ذلك ما ذكرنا من المعونة والترغيب فيه.

^١ ع - ذكر.

^٢ الأيامي: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. ورجل أيمٍ سواء كان تزوّج قبل أو لم يتزوج. قال ابن سيده: الأيم من النساء التي لا زوّج لها، بكراً كانت أو نيباً، ومن الرجال الذي لا امرأة له. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامِي مِنْكُمْ﴾ دخل فيه الذكور والأنثى والبكر والنّيب (لسان العرب، «أيم»).

^٣ ن: يرى.

^٤ جميع النسخ: ما رأيت مثل ما يلتمس؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٧ و.

^٥ جميع النسخ: إيما.

^٦ ر ع م: الغناء؛ ن: الغنا.

^٧ ع: في الباء. انظر: أحكام القرآن للجصاص، ٣/٣٢٠.

^٨ ن ع م: ينكح.

^٩ جميع النسخ: من أيائنا.

^{١٠} والبيت لأمية بن أبي الصلت، انظر: ديوان أمية بن أبي الصلت، ٣٥٠. وعبارة السمرقندي هكذا: «وهو المشهور في كلام العرب وأشعارهم. فقال قائل في حث قريش على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر: «لله دَرُّ بني علي أيم منهم وناكح» (شرح التأويلات، ورقة ٥٢٧ ط).

^{١١} ر ع م: فيها.

^{١٢} جميع النسخ: الرجال.

^{١٣} ع: من الدليل.

^{١٤} ع: حص.

ثم قوله: **والصالحين من عبادكم**، جازئ أن يكون قوله: **والصالحين**، أي المؤمنين، وجائز أن يكون **والصالحين** من طلب منكم الصلاح والعفة. أو ذكر الصالحين لما كانت العادة في الملوك^١ أنهم يخاطبون أهل الصلاح منهم والأخيار لا على إخراج غيرهم من حكم ذلك الخطاب. والله أعلم.

وقوله: **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**، من الناس من استدل بهذه الآية أن العبد يُملَّك، لأنه ذكر العبيد والأحرار جميعاً ثم ذكر في آخره الإغناء،^٢ دل^٣ أنه يملك. ويستدل بقوله: **فَأَنْكَحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ**،^٤ [إذ] أضاف الأجور والإيتاء إليهن، دل أنهن يُملَّكن.

لكن عندنا أن المماليك يُملَّكون ملك التوسع^٥ وملك التصرف ويقع لهم عَنَاء التوسيع وعَنَاء التصرف، ولا يقع لهم التملك ولا حقيقة الملك. والدلالة على ذلك قوله: **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي / رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**،^٦ لو كان ما ملكت أيمانهم يُملَّكون ما يُملَّك الموالي والسادات لكان^٧ المماليك يُفَضَّلون على السادات في الملك، إذ هم الذين يتصرفون ويكتسبون الأموال دون السادات، فدل ذكر تفضيل بعض على بعض أنهم لا يُملَّكون ما يُملَّك الموالي. والثاني قوله: **صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَاكِسُونَ**،^٨ الآية، ولو كانوا يُملَّكون^٩ على ما يُملَّك^{١٠} السادات لكانوا لهم فيه شركاء، دل أنهم لا يُملَّكون حقيقة الملك ولكن يُملَّكون ملك التوسع^{١١} والتصرف. أو أن يكون قوله: **يغنهم الله من فضله**، راجعاً إلى الأحرار منهم دون المماليك،

^١ ن - كانت.

^٢ ر: في الملك.

^٣ جميع النسخ: العناء.

^٤ ر: يدل.

^٥ سورة النساء، ٤/٢٥.

^٦ ر ع م: التوسيع.

^٧ سورة النحل، ١٦/٧١.

^٨ م: كان

^٩ ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٢٩).

^{١٠} ع: ولو كان يملك.

^{١١} ع - على ما يملك.

^{١٢} ر ع م: التوسيع.

وذلك جائز في اللسان.^١ ثم روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة حق على الله تعالى عونهم:^٢ المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء». ^٣ وعن عمر قال: ما رأيت مثل الرجل لا يلمس الغني^٤ في الباءة^٥ والله تعالى يقول: إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله.^٦ وروى في الخير^٧ أنه^٨ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^٩ «يا معشر الشباب،^{١٠} من استطاع منكم الباءة^{١١} فليتزوج فإنه أعرض^{١٢} للبصر وأحصن للفرج^{١٣} ومن لم يستطع فعليه الصوم فإنه له وجاء.»^{١٤} وروى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن^{١٥} الخطاب: «ما فعلت بيناتك؟» قال: هن عندي يا رسول الله، قال: «وقد حصن؟» قال: نعم، قال: «إنك لم^{١٦} تحبس واحدة منهن عن كُفء^{١٧} إلا نقص^{١٨} من أجرك كل يوم قيراط.» وفي بعض الأخبار: «من^{١٩} بلغ ولده النكاح وعنده ما يُنكحه فأحدث فالإثم بينهما».^{٢٠}

^١ ر ن ع + كقوله.

^٢ جميع النسخ: أن يغنهم.

^٣ ر ع م: الأدا. سنن ابن ماجة، العتق ٣؛ وسنن الترمذي، فضائل الجهاد ٢٠، وسنن النسائي، الجهاد ١٢، النكاح ٥.

^٤ ر ن م: الغناء؛ ع - الغني.

^٥ ر ع م: في الباءة.

^٦ انظر: كنز العمال للهندي ٦٨٧/١٦ (٤٥٥٨٧)؛ وروح المعاني للألوسي، ١٨/٩١. ولفظ الكنز: «عمر بن الخطاب قال: ما رأيت كرجل لم يلمس الغني في الباءة وقد وعد الله فيما وعده فقال: إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله.»

^٧ ن: في خير.

^٨ ر ن - أنه.

^٩ ر م + للفرج.

^{١٠} م: الشتات.

^{١١} ر ع م: الباءة.

^{١٢} ن: يغض.

^{١٣} ر م: بالفرج.

^{١٤} انظر: صحيح البخاري، الصوم ١٠، النكاح ٢؛ وصحيح مسلم، النكاح ١، ٣.

^{١٥} ع - ابن.

^{١٦} ن: لن.

^{١٧} جميع النسخ: كفو.

^{١٨} نقض.

^{١٩} ن: ومن.

^{٢٠} انظر: كنز العمال للهندي، ١٦/٥٩٧ (٤٥٣٣٧).

﴿وَلِيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَبْتَتُعَوَّنَّ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٣٣]

وقوله: وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله، الاستعفاف هو طلب العفاف كأنه قال: [ل]يطلب الأسباب التي تمنعه عن الزنى وتصيره عفيفا حتى يغنيه الله من فضله. وأسباب العفة تكون^١ [ب]أشياء. أحدها ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ^٢ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة^٣ فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج،^٤ ومن لم يستطع فعليه بالصوم^٥ فإنه له وجاء.»^٦ ونحوه. يكتسب أسباب العفة إن لم يكن عنده ما ينكح حتى لا يقع في الزنى إلى أن يغنيه^٧ الله، كقوله عليه السلام: «من استعف^٨ أعفه الله.»^٩ وجائز أن يكون قوله: وليستعفف، أي يتعفف الذين لا يجدون نكاحا.

لم يجعل الله عز وجل للذي عجز عن النكاح استباحة الفروج والاستمتاع بها^{١٠} إذا لم يكن عنده ما ينكح كما جعل في الأموال وغيرها رخصة^{١١} التناول من مئلك^{١٢} غيره^{١٣} عند الحاجة

^١ جميع النسخ: يكون.

^٢ ر ع م - قال.

^٣ ر م: الباءة.

^٤ جميع النسخ: بالفرج.

^٥ ع: الصوم.

^٦ سبق تخريجه قريبا.

^٧ جميع النسخ: أغناه.

^٨ ع: استعفف.

^٩ ورد عن عمارة بن عَزْرِيَّة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سرحتني أُمِّي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال: «من استغنى أغناه الله عز وجل، ومن استعف أعفه الله عز وجل، ومن استكفى كفاه الله عز وجل، ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحَف.» فقلت: ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت ولم أسأله (سنن النسائي، الزكاة ٨٩؛ وانظر: مسند أحمد بن حنبل، ٣/٣).

^{١٠} جميع النسخ + زنى.

^{١١} ر م: برخصة.

^{١٢} جميع النسخ: في ملك.

^{١٣} ر ع م: غير.

والضرورة بدل^١ لوجوه. أحدها^٢ أن رخصة التناول من مُلك^٣ غير إنما تكون^٤ عند الضرورة، والضرورات لا تقع في الفروج وفي الاستمتاع بها بحال،^٥ لذلك لم يُبيح. والثاني أن^٦ الاستمتاع بالنساء في الأصل كأنه إنما^٧ جعل وأبيح لبقاء النسل والتوالد، لا الحاجة أنفسهم وقضاء الشهوة، فإذا لم يكن عنده ما ينكح ارتفع عنه إبقاء النسل والتوالد. والثالث أن السعة والغناء وأنواع النعم هي الداعية إلى الحاجة وقضاء الشهوة، فإذا كان فقيرا لا يجد ما ينكح زال[ت] عنه الأسباب التي تدعوه^٨ إلى ذلك، لذلك لم يُبيح. وأما الحاجات والضرورات وما ذكرنا كلها تقع في الأموال، وإنما الحاجة في التناول منها لأنفسهم ولإبقائها، لذلك افترقا. والله أعلم.

ثم في قوله: حتى يغنيهم الله من فضله، وقوله: إن يَكُونُوا فقراء يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،^٩ وجهان من المعتبر على نقض قول المعتزلة. أحدهما أنه أضاف الإغناء إلى نفسه، وهو ليس يعطي أحدا شيئا يَطْرُحه ويُلْقِيه في يده بلا سبب منه،^{١٠} ولكن إنما يغنيه ويعطيه^{١١} بأسباب يجعلها له.^{١٢} فدل إضافة الإغناء إلى نفسه على أن له في تلك الأسباب التي بها^{١٣} لهم غنى^{١٤} صنعا وفعلا، ليس على ما يقول^{١٥} المعتزلة أن لا صنع لله في أفعال العباد.^{١٦} والثاني فيه دلالة^{١٧} [على] أن غناهم وسعتهم فضل منه^{١٨} ورحمة، لا شيء يستوجبون هم بأنفسهم ذلك قبله،

١ ع: يدل.

٢ ر ع م - أحدها.

٣ جميع النسخ: في ملك.

٤ جميع النسخ: يكون.

٥ ر ع م: لحال.

٦ ر ع م - أن.

٧ ن - إنما.

٨ ن: يدعوه.

٩ الآية السابقة.

١٠ ر ع م - منه.

١١ م: ويعطيها.

١٢ جميع النسخ: يجعل لهم.

١٣ ر م: ما.

١٤ ر ع م: غناء.

١٥ ن ع: يقوله.

١٦ ر ع ن: عباده.

١٧ م - دلالة.

١٨ م: منهم.

لكن إفضالا منه^١ لهم وإحسانا، إذ لو كان^٢ عليه ذلك لكان^٣ منه عدلا لا فضلا. فدل تسمية الفضل ذلك على أن من أعطاه الله تعالى^٤: ذلك أعطاه فضلا منه وإنعاما^٥ لا استيجابا واستحقاقا، وذلك رد عليهم في الأصلح في الدين.

ثم من الناس من استدل بهذه الآية بقوله: يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^٦ وحتى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ على تفضيل الغناء على الفقر، قالوا: لأنه سماه فضلا بقوله: من فضله، وسماه في غير آي من القرآن رحمة وحسنة، وسماه خيرا أيضا في غير موضع، وسَمَى الفقر والضيق بلاءً مرة، وسيئةً ثانيا، وضُرًا وشدةً ثالثا، بقوله: وَبَلَوْنَا هُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ^٧، وقال: وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً^٨، وقوله: هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي^٩، وغير ذلك من الآيات. وكان ما سَمَى من البلاء والشدة والشر والضر والسيئة كله عبارة وكناية عن الضيق والفقر، وما ذَكَر من الخير والحسنة والرحمة ونحوه كله عبارة عن السعة والغناء.^{١٠} فدل تسمية^{١١} الغناء خيرا وحسنة ورحمة / على أنه أفضل، إذ لا شك أن الخير والحسنة والرحمة خيرٌ من الشر والسيئة والبلاء، لذلك كان الغناء أفضل من الفقر.

فيقال^{١٢} لهم: هو^{١٣} كما قلتم إنها خير مما ذكرتم، إلا أن هذه الأسباب التي ذكرتم هي الداعية إلى الفساد، الباعثة على قضاء الحاجات والشهوات وأنواع المعاصي والتعاطي في أنواع المحرمات، ولا كذلك الفقر والضيق والشدة، بل هن أسباب تمنع صاحبها عن التعاطي في أنواع المعاصي

^١ م: منهم.

^٢ جميع النسخ: كان.

^٣ جميع النسخ: كان.

^٤ ر ع م: يقال.

^٥ ر م: وإنعام.

^٦ الآية السابقة.

^٧ ﴿وَبَلَوْنَا هُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الأعراف، ١٦٨/٧).

^٨ سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

^٩ ﴿قُلْ أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي﴾ (سورة الزمر، ٢٩/٣٩).

^{١٠} جميع النسخ: والغنى.

^{١١} ر ع م: تسمية.

^{١٢} م: ويقال.

^{١٣} ن - هو.

والحرمات^١ فضلا أن تدعوه وتبعته إلى ذلك. فقولنا: إنه أفضل للمعنى الذي ذكرنا، لا للمعنى فهتمموه أنتم. أو أن يكون ما ذكر وسمي خيرا - أعني السعة - عند الناس، وكذلك [يكون] ما ذكر من الضيق شرا وسيئة عندهم، لأنه كذلك عند الناس لا أنهما في الحقيقة كذلك، لما يحتمل أن يكون الغناء والسعة سبب الفساد، والضيق والفقر سبب منعه عن الفساد. أو أن لا يُتكلم في تفضيل أحدهما على الآخر، إذ هما مجتئان يُمتحن بهما العباد: هؤلاء بالصبر على الفقر والضيق، وهؤلاء بالشكر على النعمة والسعة. فالتكلم في فضل أحدهما على الآخر فضول.^٢ **وانه أعلم.**

وقوله: **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم**، ظاهر هذا ليس على الكتابة ولكن على الكتاب المعروف وهو كتاب الله تعالى، لأن الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى، يسألون ساداتهم تعليم الكتاب لهم. إلا أن الناس لم يفهموا من هذا هذا، ولكن فهموا كتابة العبيد والإماء حيث صرفوا الآية إليها. ثم قوله: **فكاتبوهم** ليس على الوجوب والإلزام ولكن على الترغيب فيها والحث. دليله ترك الأمة المماليك بعد موتهم مواريث لورثتهم من لدن رسول الله إلى يومنا هذا. ولو كان على الوجوب واللزوم لم يكونوا يتركون لازما واجبا^٣ عليهم، فدل تركهم ذلك على أنه خرج مخرج الترغيب عليها والحث، لا على الوجوب. **وانه أعلم.**

وقوله: **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا**، اختلف فيه، قال بعضهم: أي كاتبوهم إن علمتم أنهم يرغبون في أنواع الخير وإقامة الصلاة وأنواع الصلاح وفرغوا أنفسهم لذلك. وقال بعضهم: **إن علمتم فيهم خيرا**، أي وفاء وأمانة وصلاحا، وهو قول الحسن. وتأويل هذا أي كاتبوهم إن علمتم أنهم يقدرون على وفاء ما كوتبوا وأداء ذلك. وقال قائلون: خيرا، أي جيلة، وقال قائلون:^٤ مالا، وقال قائلون: خيرا، أي جرفة. ورؤوا في ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرا عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن علمتم فيهم خيرا، أي حرفة، ولا ترسلوهم كلابا على الناس.»**^٥

^١ ع - ولا كذلك الفقر والضيق والشدة بل من أسباب تمنع صاحبها عن التعاطي في أنواع المعاصي والحرمات.

^٢ جميع النسخ: فضل؛ ع - أحدهما على الآخر فضول.

^٣ ع - واجبا.

^٤ ع: فاء.

^٥ ن: بعضهم.

^٦ ن: عن الناس. ورد في السنن الكبرى للبيهقي (٣١٧/١٠) عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله: ﴿فكاتبوهم

إن علمتم فيهم خيرا﴾ قال: إن علمتم منهم حرفة ولا ترسلوهم كلابا على الناس. وانظر: روح المعاني للألويسي،

١٨/١٥٤؛ وأحكام القرآن للحصص، ٣/٣٢٢.

إن ثبت هذا [ف] بلا يحتاج^١ إلى غيره من التفسير. ولو كان قال: إن علمتم لهم^٢ خيرا جاز أن يقال: معنى ذلك مالا، ولكنه قال: إن علمتم فيهم خيرا،^٣ والمال لا يكون فيهم وإنما يكون لهم، فأشبهه ذلك - والله أعلم - أن يكون الخير جرة كما روي^٤ في الخير؛ أو وفاء وأمانة. ثم في الآية دلالة أن العبيد لا يملكون شيئا، لأنهم لو كانوا يملكون لكان يرغبهم ويحثهم على العتاق دون الكتابة، فدل ترغيبه إياهم عليها أنهم لا يملكون حتى تجعل^٥ الكتابة الكسب لهم والخدمة دون المولى.^٦ وفي الكتابة أيضا نظر للموالي، لأنهم إن قدروا على وفاء ما قبلوا أداءه^٧ وإلا كان للموالي ردُّهم إلى منافع أنفسهم. ولو كان عتقا لم يملكوا ردهم إلى منافع أنفسهم ويظل حقهم بلا شيء يصل إليهم. والله أعلم.

وفي قوله: فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا، دلالة [على] القول بالعمل بعلم ظاهر الأسباب^٨ دون تحقيق العلم به حيث قال: إن علمتم فيهم خيرا، وإنما يوصل إلى^٩ ما ذكر من الخير بأسباب تكون لهم على نحو ما ذكروا فيه من الحرفة والوفاء وأداء الأمانة وأمثاله، وتلك^{١٠} أسباب توصل إلى الخير على أكبر الظن والعلم لا على الحقيقة. وفيه دلالة العمل بالاجتهاد على ما يُرى بهم من ظاهر الأسباب. والله أعلم.

وقوله: وآتوهم من مال الله الذي آتاكم، اختلف في خطابه. قال الحسن وغيره: هو شيء حث الناس عليه مولاه وغيره،^{١١} فيخرج ذلك على وجهين. أحدهما ما جعل الله من الحق للمكاتبين في الصدقات،

^١ ع: هذا الاحتياج.

^٢ ر ع م: فيهم.

^٣ ع - جاز أن يقال معنى ذلك مالا ولكنه قال إن علمتم فيهم خيرا.

^٤ ر: الجاء روي؛ م: الجاء وروي.

^٥ ع - لو.

^٦ ن: يجعل.

^٧ ر م: المولى.

^٨ جميع النسخ: وأداءه.

^٩ جميع النسخ: دلالة القول بعلم العمل على ظاهر الأسباب، والتصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٥٢٨ و. وعبارته هكذا: «وفي قوله: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾ دليل على أن العمل بعلم ظاهر الأسباب دون التيقن جائز».

^{١٠} ر م - إلى.

^{١١} ر ن م: وذلك؛ ع: ذلك.

^{١٢} انظر: تفسير الطبري، ١٨/١٣١-١٣٢.

لقوله: ^١ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ، إلى قوله: ^٢ وَفِي الرِّقَابِ، وهم المكاتبون. أمر أرباب الأموال بدفع الصدقات إلى المكاتبين وجعلهم أهلاً لها ليستعينوا بها على أداء ^٣ ما عليهم من الكتابة، فإن كان ذلك فذلك حقاً لهم. والثاني جائز أن يأمر الناس بمعونة هؤلاء المكاتبين على أداء ما عليهم من الكتابة بأموالهم سوى الصدقات ليفكُّوا رقابهم عن ذلِّ الرِّق والكسب.

وقال قائلون: إنما الخطاب للموالي خاصة لما أن أول الخطاب بالكتابة راجع إلى الموالي، ^٤ فعلى ذلك هذا. ثم اختلفوا فيه، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يتزك المولى ^٥ الثلث من مكاتبته له. وروي عنه أنه قال: ربع المكاتبه. ^٦ وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كاتب غلاماً له فحط عنه أول نجومه ^٧ وقال له: حطت عني آخره، فقال

عمر: لعلِّي لا أصل إليه، أو كلاماً نحو هذا، ثم تلا هذه الآية / قوله: والذين يبتغون [٥٢٤] الكتاب، الآية. ^٨ وروي عن غلام لعثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كاتبني عثمان ولم يحط عني شيئاً. ^٩ دل ما روي عن عثمان أنه لم يحط عنه شيئاً، على أن الأمر بالإيتاء للمكاتبين من الأموال أو الحط ^{١٠} عنهم إنما هو على الاختيار والإفضال، ليس على الوجوب واللزوم، لأنه لو كان على الوجوب لكان عثمان بن عفان لا يحتمل أن لا يحط عنه شيئاً. ومن جعل ذلك واجباً على المولى أن يؤتیه من ماله ويعجّله له كان ذلك خارجاً عما روي من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين [و] خلافاً لهم، لأنه روي عن بعضهم ^{١١} الحط عنهم

^١ ع - لقوله.

^٢ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة، ٦٠/٩).

^٣ ع: على داء.

^٤ ع - خاصة لما أن أول الخطاب بالكتابة راجع إلى الموالي.

^٥ م - بن أبي طالب.

^٦ ر م: الموالي.

^٧ انظر: تفسير الطبري، ١٢٩/١٨ - ١٣١.

^٨ جميع النسخ: نجمة. النَّجْم: الوقت المضروب. وَتَحَفَّتْ الْمَالُ: إِذَا أَدَيْتَهُ جُومًا. وَتَنْجِيمُ الدَّيْنِ هُوَ أَنْ يُقَدَّرَ عَطَاؤُهُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ مُتَابِعَةٍ. وَمِنْهُ تَنْجِيمُ الْمَكَاتِبِ وَنَجْوَى الْكِتَابَةِ (لسان العرب، «نجم»).

^٩ جميع النسخ: كلام.

^{١٠} انظر: الدر المنثور للسيوطي ١٩٢/٦.

^{١١} انظر: أحكام القرآن للجصاص، ٣٢٢/٣. وتفسير القرطبي، ٢٥٢/١٢.

^{١٢} ر م: والحط.

^{١٣} ن: عن بعض.

والموضع^١ دون الإيتاء من ماله. وروي عن بعضهم الاستيفاء على الكمال، لا حطاً فيه ولا إيتاء. دل أن قول من يأمرهم^٢ بالإيتاء^٣ من أموالهم دون الكتابة خارج من قولهم جملةً. ثم يبطل ذلك من وجهين. أحدهما أن من قال لبعده: إذا أديت إليّ كذا فأنت حر، فحط عن بعض ذلك فأدى البقية لم يُعتق حتى يؤدّى الكل، فدل أن قوله: وآتوهم من مال الله الذي آتاكم، ليس على الوجوب ولكن على الاختيار. والثاني أنه لا يسمى بعد الأداء مكاتباً وإنما هو^٤ حر، وهو إنما^٥ ذكر الإيتاء إياهم وهم مكاتبون حيث قال: فكاتبوهم، ثم قال: وآتوهم، فلو كان على ما يقوله قوم لكان ذلك باطلاً للوجهين اللذين ذكراهما. والله أعلم.

وقوله: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً، ليس قوله: إن أردن تحصناً، بشرط فيه لأنهن لا يكرهن^٦ على البغاء وإن لم يردن التحصن، دل أن ذلك ليس بشرط فيه ولا يتمكن^٧ الإكراه فيه إذا كنّ أطعن فيه. لكنه خرج ذلك على ما ذكر في القصة بأن الموالى^٨ كانوا^٩ يكرهونهن على الزنى ابتغاء المال وهن كنّ يُردن التحصن، فخرج الخطاب والنهي على فعلهم دون أن يكون ذلك شرطاً فيه. أو أن يكون ذلك إكراهاً [أيضاً] إذا كن مطاوعات في ذلك. وفيه دلالة بطلان المتعة وفسادها، لأنهم كانوا يُكرهون إماءهم على أن يؤاجروا أنفسهن للزنى ابتغاء الأجر وليست المتعة إلا كذلك. وقال أهل التأويل: إن الآية نزلت في نفر من المنافقين: ^{١٠} عبد الله بن أبي وفلان ^{١١} وفلان، كانوا يُكرهون فتياتهم على الزنى ابتغاء عرض الدنيا. ^{١٢} فإن كان ما ذكروا ففيه دلالة أن الزنى حرام في الأديان كلها.

^١ ع: والموضع.

^٢ ع: يأمر.

^٣ ع: من الإيتاء.

^٤ ن: هي.

^٥ ر م: وإنما.

^٦ ن: لا يكرههن.

^٧ ر: يمكن.

^٨ ر ع م - بأن الموالى.

^٩ ع: كا.

^{١٠} جميع النسخ: في المنافقين.

^{١١} ع: فلان.

^{١٢} انظر: الدر المنثور للسيوطي ١٩٢/٦.

وقوله عز وجل: **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم**. هذا يحتمل وجهين. أحدهما يرجع إلى الإمام، يقول: **فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** هن. وكذلك روي في بعض الحروف أنه قرئ: **فإن الله من بعد إكراههن هن غفور رحيم**.^١ والثاني يرجع إلى السادات، فإن الله لهم^٢ غفور رحيم إذا تابوا وأصلحوا. **والله أعلم**.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٤]

وقوله: **ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات، بخفض الياء ونصبها**. ثم يحتمل أن يكون المراد بالآيات آيات القرآن جميعا. وقوله: **مبينات بالخفض، أي تبيّن للخلق ما لهم وما عليهم، وما لله عليهم**،^٣ وما لبعضهم على بعض. **ومبينات بالنصب، أي مبينات أنها من عند الله**. وجائز أن يكون المراد بالآيات الحجج والبراهين. فإن كان هذا فقولها: **مبينات بالخفض، أي تبيّن وحدانية الله تعالى وعلم رسالة رسوله**. **ومبينات بالنصب، أي واضحات بينات أنها حجج وبراهين**.

وقوله: **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين**، أي أنزلنا إليكم أيضا مثل الذين خلوا من قبلكم، ما حل بهم ونزل بالملكذيين من العذاب. **وموعظة، ما يتعظّ المتقون [به]**. أو جعل لكم فيما أنزل من الآيات عليكم أمثالا من الذين خلوا من قبلكم لتتعظوا^٤ به. **والله أعلم**.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣٥]

١ - وقوله: عز وجل: **الله نور السماوات والأرض**، قال بعضهم: **الله هادي السماوات والأرض**. ثم انقطع الكلام فأخذ في نعت^٥ محمد صلى الله عليه وسلم وما ضرب له من الأمثال فقال:

^١ وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وابن جبير، انظر: كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٥، ٢٠٢، ٢٤٩.

^٢ م: هن.

^٣ ع - وما لله عليهم.

^٤ ر: يتعظ.

^٥ جمع النسخ: ليتعظوا.

^٦ ع: في بعث.

مثل نوره، يقول: مثل^١ نور محمد إذا كان في صلب أبيه كمشكاة، أي كؤوة بلغة الحبش، غير نافذة، فيها مصباح، أي سراج. المصباح، يقول -والله أعلم- ذلك^٢ السراج المضيء ضوؤه^٣ في زجاجة. الزجاجَةُ نَعْتُهَا [أنها]^٤ الصافية التامة الصفاء. والمشكاة صُلب أبيه عبد الله، والزجاجة وصفؤها محمد رسول الله طهره^٥ من الأذناس^٦ والمعاصي، والمصباح ونوره هو صفاء قلب^٧ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الإيمان والحكمة والنبوة. [الزجاجة] كأنها كوكب دُرِّيٌّ، أي محمد صلى الله عليه وسلم، ذكره^٨ مع أسماء الأنبياء والرسل في اللوح المحفوظ، [وهو] عند الله في الفضيلة على تلك الأنبياء والرسل^٩ عليهم السلام كفضل الكوكب^{١٠} الدرّي -أي المضيء وهو^{١١} الزهرة- على سائر الكواكب.

وقوله عز وجل: يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ يَقُولُ: -والله أعلم- استنارَ نور محمد من نور إبراهيم، لأن محمداً على دين إبراهيم وعلى سنته ومنهاجه، فمثل إبراهيم مثل الشجرة المباركة، وأصل محمد من نسل إبراهيم صلوات الله عليهم.

[٥٢٤ظ] / وقوله^{١٢} عز وجل: زيتونية لا شرقية ولا غربية، [أراد] بالزيتونة^{١٣} المحاسن وطاعة إبراهيم لربه؛ فنفعه الله بحسن طاعته يوم القيامة وفي غيره من المواطن كما نفعت^{١٤} الزيتونة أهلها في الدنيا، فهي فاكهة وطعام وهي إدام وهي^{١٥} الصَّبَاغُ والدُّهْنُ والِدَبَاغَةُ. يعني زيتونية لا شرقية ولا غربية، يقول: إن إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن نصرانياً لقول النصارى:

^١ ر ع م - مثل.

^٢ م - ذلك.

^٣ ع: ضؤه.

^٤ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٨ ظ.

^٥ جميع النسخ: وطهره.

^٦ م: من الأذناس.

^٧ جميع النسخ: والمصباح ونوره وصفائه قلب.

^٨ ن ع: وذكره.

^٩ م - والرسول.

^{١٠} ر: الكواكب.

^{١١} ر ع م: وهي.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} جميع النسخ: والزيتونة، والتصحيح مع الزيادة من الشرح، ورقة ٥٢٨ ظ.

^{١٤} ر ع م: نفع؛ ن: يقع.

^{١٥} جميع النسخ: وهو.

هو نصراني يصلي [إلى] قبلة النصارى من قِبَل المشرق، ولا يهوديا لقول اليهود: إنه كان على ديننا يصلي قِبَل المغرب ببيت المقدس. يقول الله تعالى: لم يكن كما قال هؤلاء، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا^١ مصليا إلى الكعبة وهي قبلته وإليها حج.

وقوله: يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار، يقول: -والله أعلم- لو أن إبراهيم لم يكن نبيا لأصاب بحسن طاعة الله في الدنيا الفضل مع الأنبياء والرسل في الدنيا، والدرجات العُلى في الآخرة.

وقوله: نور على نور، لأن محمدا وما جاء به من الدين والكتاب أصل نوره^٢ من قِبَل إبراهيم، لأنه على دينه وسنته وكتابه ومنهاجه. ثم قال:

يهدي الله لنوره من يشاء، [أي يهدي الله لنوره]^٤ الذي جاء به^٥ محمد صلى الله عليه وسلم^٦ وهو القرآن، من يشاء ممن سبق في علمه السعادة، ويُضِل^٧ عنه من يشاء ممن سبق له في علمه الشقاء. ثم قال:

ويضرب الله الأمثال للناس، يعني ويصف الله الأمثال للناس^٨ ليؤمنوا بالله ويوحدوه ويعرفوا ربوبيته من صنعه^٩ ويصدقوا بإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، أنهما رسولا^{١٠} الرب. وهو تأويل مقاتل.

وقال أهل الكلام: قوله: الله نور السماوات والأرض، أي أنار الله لأهل السماوات والأرض. مثل نوره الذي به أنار ما ذكر مثل المشكاة التي ذكر إلى آخره.

٢- وجائز أن يكون قوله: الله نور السماوات والأرض، أي بالله نور أهل السماوات والأرض.^{١١} ألا ترى أنه قال: مثل نوره كذا ولم يقل: مثله، ولو كان النور هو الله على ما قاله قوم

^١ ن: بيت.

^٢ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٦٧/٣).

^٣ م - نوره.

^٤ الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٥٢٨ ظ.

^٥ ع - به.

^٦ جميع النسخ + وهو النور.

^٧ ر م: وفضل.

^٨ ع - يعني ويصف الله الأمثال للناس.

^٩ جميع النسخ: نور نبيه من صنيعه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٩ و.

^{١٠} ن: رسول.

^{١١} ر ع م: وأهل الأرض.

وفهموه لقال: الله نور السماوات والأرض مثله كذا، ولم يكن يقول: ^١ **مَثَلُ نوره**، فدل قوله: **مَثَلُ نوره** كذا أنه ^٢ لم يرد بالنور نفسه ولكن ما ذكرنا أنه به نور أهل السماوات ^٣ والأرض. ألا ترى أنه قال في آخره: **يهدي الله لنوره من يشاء**، [دل] ^٤ أنه ^٥ لم يُرد بالنور ما فهموا. [وكذا قال: ^٦ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**، ^٧ دل أنه ليس على ما فهموه به أنه نور كسائر الأنوار التي عاينوها وشاهدوها ^٨ وهم المشبهة. وعلى هذا يخرج تأويل ابن عباس حيث قال: الله هادي أهل السماوات والأرض. ^٩

وقوله: **مَثَلُ نوره** كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري، جائز أن يكون قوله: **مثل نوره**، أي مثل نور المؤمن الذي في قلبه مثل مشكاة فيها مصباح، لأن المشكاة هي الكوة التي لا منفذ لها تدخل ^{١١} فيها الأنوار فتكون مظلمة، فإذا جعل فيها المصباح أضاء ذلك كله وأناره حتى لا يبقى فيها ناحية إلا وقد أصابها ^{١٢} الضياء والنور. فعلى ذلك القلب ^{١٣} وهو مظلم، إذ ليس له منفذ يدخل فيه النور من الخارج، فإذا آمن أنار الله قلبه بإيمانه حتى ظهر ذلك النور وأثره في جميع نواحيه وجوارحه، وهو ما قال: **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**، ^{١٤} أخبر أن من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه. ^{١٥} فهذا يدل أن قوله: **مَثَلُ نوره** إنما هو مثل نور المؤمن، وعلى ذلك روي في حرف أبي بن كعب أنه قرأ:

^١ ر ع م: ولم يقل.

^٢ ع: أي.

^٣ ن ع + وأهل.

^٤ الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٥٢٩و.

^٥ م: وأنه.

^٦ الزيادة مستفادة من الشرح، ورقة ٥٢٩و.

^٧ سورة النور، ٤٠/٢٤.

^٨ جميع النسخ: عاينوه وشاهدوه.

^٩ ر م: على هذا.

^{١٠} انظر: تفسير القرطبي، ٢٥٧/١٢.

^{١١} جميع النسخ: يدخل.

^{١٢} جميع النسخ: أصاب.

^{١٣} م - القلب.

^{١٤} ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ﴾ (سورة الزمر، ٢٢/٣٩).

^{١٥} ن - أخبر أن من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه.

مَثَل نور المؤمن كمشكاة.^١ وفي حرف ابن مسعود: مثل نوره في قلب المؤمن.^٢ وقال الحسن: مثل نوره، قال: مثل القرآن في قلب المؤمن كمشكاة كوة فيها مصباح.

٣- أو أن يكون قوله: الله نور السماوات والأرض، أي به تنجلي^٣ الظلمات وتنكشف الحُجُب والسواتر، إذ النور إنما سمي نورا لما به تنجلي^٤ المظالم وتنكشف السواتر والحُجُب، لا أنه نور. ألا ترى أنه سُمِّي القرآن نورا والرسول نورا لما بهما^٥ تنجلي^٦ الشبهة والظلمات وبهما^٧ ترتفع^٨ السواتر والحجب. وإن كانا في تفسيهما^٩ ليسا بنور سُمِّيَا^{١٠} نورا لما ذكرنا من تجلي الأشياء بهما وارتفاع السواتر. فعلى ذلك جائز أن يُسَمَّى الله نورا لما به يكون تجلي الظلمات والشبه وانكشاف السواتر وارتفاع الحجب لا أنه نور.

وقوله: مثل نوره، قال بعضهم: مثل نور المؤمن على ما ذكرنا فيما تقدم. وقال بعضهم: مثل نوره في صدر المؤمن. وقال بعضهم: مثل نور محمد على ما ذكر مقاتل^{١١} وغيره. وقال بعضهم: مثل نور القرآن.

وقوله: كمشكاة قال: الكوة التي لا منفذ لها للنور على ما ذكرنا. وقال بعضهم: موضع الفتيلة من القنديل، وقال بعضهم: الحدائد التي تعلق بها القنديل.

وقوله: لا شرقية ولا غربية، قال بعضهم: هي شجرة مُصَجَّرَةٌ^{١٢} تطلع عليها الشمس إذا طلعت وتغرب عليها إذا غربت وهي^{١٤} أجود الزيت. وقال بعضهم: هي شجرة في كِنٍ^{١٥}

^١ كتاب المصاحف للسجستاني، ١٤٩.

^٢ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٥.

^٣ ع م: ينجلي.

^٤ ع م: ينجلي.

^٥ جميع النسخ: به.

^٦ ع م: ينجلي.

^٧ جميع النسخ: به.

^٨ م: يرتفع.

^٩ جميع النسخ: أنفسهما.

^{١٠} جميع النسخ: سمي.

^{١١} تفسير مقاتل، ١٩٩/٣.

^{١٢} ن: وقال.

^{١٣} أضحَر المَكَانُ: أي اتَّسع، وأضحَرَ القوم: إذا برزوا إلى فضاء لا يُؤارِبهم شيء (لسان العرب، «صحر»).

^{١٤} جميع النسخ: وهو.

^{١٥} الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ: وقاء كل شيء وسبْثره. والكِنُّ: البيت أيضاً، والجمع أَكْنَانٌ وأَكْنِينَةٌ (لسان العرب، «كنن»).

لا تطلع^١ عليها الشمس إذا طلعت ولا تغرب عليها^٢ إذا غربت. وقال بعضهم: ليست شرقية^٣ لا غرب لها، ولا غربية لا شرق لها / ولكنها شرقية غربية. فكيف ما كان فإنما ذكر الزيت لصفائه وخلوصه فيجب أن يُسأل أهله فيقال: أي الزيت أجود وأصفى، الذي تصيبه الشمس أو الذي لا تصيبه، أو الذي تصيبه في وقت ولا تصيبه في وقت؟

٤- وقال بعضهم: الله نور السماوات والأرض، هو الله سبحانه هادي أهل السماوات وأهل الأرض^٤ [يضيء] هداة في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً^٥ على ضوء. كذلك يكون قلب المؤمن يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور. - وعن أبي بن كعب^٦ قال في قوله: مثل نوره، يقول: مثل نور المؤمن؛ وكذلك يقرأها: مثل نور المؤمن على ما ذكرنا من قبل^٧ - قال فهو عبد قد جعل القرآن والإيمان في صدره. قال: كمشكاة، قال المشكاة صدره، فيها مصباح. قال: المصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره. قال: المصباح في زجاجة، فالزجاجة قلبه. قال: الزجاجة كأنها كوكب دري، يقول: كوكب مضيء. يوقد من شجرة مباركة، قال: الشجرة المباركة أصله، فالمبارك الإخلاص لله وحده لا يُشرك^٨ به. قال: لا شرقية ولا غربية قال: فمثله كمثل شجرة التفت بها الشجر^٩ فهي خضراء ناعمة لا تصيبها^{١٠} الشمس على أي حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت. وكذلك هذا المؤمن قد أُجبر من أن يصله شيء من الفتن وقد ابتلي بها ففتبته الله^{١١} فيها^{١٢} فهو بين أربع خلال: إن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل.

^١ ن: لا يطلع.

^٢ ر ع م: عليه.

^٣ ع: بشرقية.

^٤ جميع النسخ + كما.

^٥ ن: ضوء.

^٦ ر م - فإذا جاءه العلم.

^٧ ر: ابن.

^٨ ع ن: عن قبل.

^٩ ع: لا شريك.

^{١٠} جميع النسخ: الشجرة؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٩ و.

^{١١} ع: لا تصيبه.

^{١٢} ع - الله.

^{١٣} ع م: بها.

فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات. قال: نور على نور، قال: فهو يتقلب في خمسة من النور: كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره^١ إلى النور يوم القيامة إلى الجنة. قال: ثم ضرب مثل الكافر فقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ^٢ وهو يحسب^٣ أن له عند الله خيرا فلا يجده فيدخله الله النار. وقال في آية أخرى له مثلاً^٤ فقال: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ^٥ فهو يتقلب في ظلمات.

٥- وقال بعضهم: في قوله: الله نور السماوات والأرض، أي بنوره يهتدي^٦ من في السماوات ومن في الأرض على ما ذكرنا. مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة، وهي الكوة غير النافذة على ما ذكرنا. فيها مصباح، أي سراج، كوكب دري، مضيء، أي منسوب إلى الدر، وهو قول القتيبي^٧. وقال أبو عؤسة: كمشكاة الكوة التي تكون في الحائط، ومشاك^٨ جماعة، وكوى جماعة الكوة، وكوكب دُرِّيٌّ شديد الضوء، ودري هو أيضا من الضوء، مأخذهما جميعا من الدر، وكواكب درار^٩ مضيئة.

وعن كعب: مثل نوره، قال: صَرَبٌ مِثْلُ مُحَمَّدٍ كَمَشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ فِي زَجَاجَةِ الزَّجَاجَةِ^{١٠} كأنها كوكب دري، مثل لسانه و صدره و قلبه، يكاد زيتها يضيء. قال: يكاد محمد يبين للناس^{١١} وإن لم ينطق^{١٢}.

وعن الضحاك بن مزاحم: كأنها كوكب دري^{١٣} قال: خلقت الكواكب من نار يقال لها دري، فمن ثمة قال: كوكب دري وقد ذكرنا قولهم في المشكاة.

^١ ع + نور.

^٢ سورة النور، ٣٩/٢٤.

^٣ جميع النسخ: يحسبه.

^٤ ع: مثل.

^٥ سورة نور، ٤٠/٢٤.

^٦ ع: ويهتدي.

^٧ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٥.

^٨ ر ع م: ومثال.

^٩ م: مراري؛ ن ع م: دراري.

^{١٠} ع - الزجاجية.

^{١١} ر م: الناس.

^{١٢} انظر: الدر المنثور للسيوطي، ١٩٩/٦.

^{١٣} ع - مثل لسانه و صدره و قلبه يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد يبين للناس وإن لم ينطق وعن الضحاك بن مزاحم كأنها كوكب دري.

قال بعضهم: الكؤوة التي لا منفذ لها، وقال بعضهم: الفتيلة، وقال بعضهم: الفتيلة التي في جوف القنديل، وقال بعضهم: القنديل^٢ نفسه، وقال بعضهم: القائم في وسط القنديل وهو موضع الفتيلة، وقال بعضهم: هي^٣ الحدائد التي يعلق بها القنديل. وأما الزجاج^٤ فهي القنديل. ثم إن كان قوله: مثل نوره، أي نور المؤمن، فليس ذلك وصف كل مؤمن ونعته ولكن وصف المؤمن الذي يجتمع فيه جميع شرائط الإيمان وجميع الأخلاق الحسنة والآداب؛ لأنه وصفه بطهارة نفسه وجسده وقلبه وجميع أعماله وأفعاله، لأنه قال: كمشكاة وهي قلبه، فيها مصباح وهو صدره الذي فيه^٥ قلبه، المصباح في زجاجة وهو الإيمان الذي في صدره. ثم نعت الزجاج فقال: كأنها كوكب دُرِّي، أي مضيء، وقال بعضهم: من الدر. فوصف الكل بالضياء والنور وطهارة الداخل منه والخارج ونقاوته، فهو المؤمن الذي يجتمع فيه جميع^٦ الشرائط والحاصل المحمود. وأما كل مؤمن فلا يحتمل، وهذا أشبه. ألا ترى^٧ أنه ذكر نعت الكافر من بعد وخبثته حيث قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ^٨. وإن كان وصف محمد ففيه جميع ما ذكر ونعته، وإن كان القرآن فهو كذلك أيضا.

وقوله: يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، التي ذكرنا يحتمل المؤمن ويحتمل محمدا ويحتمل القرآن^٩ ويحتمل إبراهيم في كله. نور على نور. وقوله: يهدي الله لنوره من يشاء، يحتمل يهدي الله لنور محمد، ويحتمل القرآن ويحتمل الإيمان والهدى. وقال بعضهم: نور على نور، قال: فالزيت نور، والمصباح نور، والقنديل نور. وقال: المؤمن نور، وعمله نور، وكلامه نور. ويحتمل قوله: يهدي الله لنوره من يشاء، / أي بنوره.

وقال^{١٠} بعضهم: الله نور السماوات والأرض، يقول: بنوره أضاءت السماوات والأرض على ما ذكرنا. مثل نوره، يقول: في قلب المؤمن، وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه:

^١ ن - الفتيلة وقال بعضهم.

^٢ ر م - وقال بعضهم القنديل.

^٣ ن - وقال بعضهم: هي.

^٤ ع: الزجاج.

^٥ جميع النسخ: في.

^٦ م - جميع.

^٧ ن: يرى.

^٨ سورة النور، ٣٩/٢٤.

^٩ ر ع م - ويحتمل القرآن.

^{١٠} ن: قال.

[مثل نوره] في قلب المؤمن^١ وهذا مثل ضربه للإيمان والقرآن والقلب حين يدخله الإيمان. والقرآن كمشكاة يعني الكوة فيها مصباح، يعني الإيمان والقرآن، [المصباح] في زجاجة يعني القلب، والمشكاة الصدر. فكما دخل هذا المصباح في الزجاجة فأضاءه^٢ فكذلك أضاء القلب، ثم خرج من الزجاجة فأضاءت المشكاة فكذلك أضاء الصدر، ثم نزل الضوء من الكوة فأضاء البيت فكذلك نزل النور من الصدر فأضاء الجوف كله فلم يدخله حرام. **وانه أعلم بذلك.**

وقوله: **ويضرب الله الأمثال للناس**، يحتمل ضرب الأمثال لهم وجهين. أحدهما ضرب لأفعالهم وأقوالهم مَثَلًا ليعرفوا مقاديرها في الحُسن والجمال [و] ليعلموا قدرها من الجزاء والثواب. أو ضرب الأمثال لهم للأنفس المكرِّمين المعظمين المستوجبين كلَّ خير ليرغبوا في مثل ذلك فيستوجبوا ما استوجب^٣ أولئك. وكان صَرَبٌ مَثَلُ الإيمان أو القرآن أو محمد أو ما كان -على اختلاف ما قالوا- بالأنوار التي ضربها -والله أعلم- لما أنه قد أقام الحجج والبراهين على الإيمان والقرآن ومحمد حتى صاروا كالأنوار التي شتبههم بها من الحسن والجمال والضياء والبهاء^٤ حتى يعرف حُسن هذه الأنوار وبهائها^٥ كلُّ أحد. فعلى ذلك المضروب بها المثل صار في الحسن والبهاء والضياء بالحجج والبراهين كالأنوار التي لا يخفي حسننها وبهاؤها على أحد ولا ينكرها إلا معاند ومكابِر.

وكان مَثَلُ الكفر والعناد من القبح والفساد والبطلان كالظلمات التي ذكر بعضُها فوق بعض^٦ وكالسراب والزَّبَد الذي ذكر حيث قال: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ**^٧ **وَالظلمات التي ذكر حيث قال: أَوْ كظلماتٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ، الآية، [وقال:] وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**^٨.

^١ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٥.

^٢ جمع النسخ: فأضاء.

^٣ ع - ما استوجب.

^٤ ر م: صار.

^٥ ر ع م: إليها.

^٦ ر ع م: وبهاؤها.

^٧ انظر: سورة النور، ٤٠/٢٤.

^٨ سورة النور، ٣٩/٢٤.

^٩ سورة النور، ٤٠/٢٤.

قال^١ ابن عباس رضي الله عنه:^٢ **كأنها كوكب دري**، قال: الأنجم الخمسة كلهن دري: الزهرة^٣ وعُطاردُ والمشتري وبهرامُ والزُّحل. قال قتادة: الدرّي الضخم المنير. قال الكسائي: من هَمَزَ دِرْيٌ^٤ فهو حُسْنُهُ وظهوره وارتفاعه، يقول: درأ النجم، وهو فاشٍ ظاهر في كلام العرب. ومن رفع الدال ولم يهَمْز فهو ينسبُه إلى الدُرِّ، ومنهم من يرفع الدال ويهَمْز وأظنها لغة.^٥ وقال أبو عمرو بن^٦ العلاء: الدُرِّي النجم الذي تراه يتلألاً كأنه يجيء ويذهب. وقد روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل من أهل عليّين ليُشرف على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه^٧ كأنه كوكب دِرْيٍ، وإن أبا بكر وعمر^٨ لمنهم وَأَنْعَمًا». ^٩ وأيضاً روي دُرِّي بالرفع. وفي خبر آخر عنه: «إن أول زُمرَة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر،^{١٠} والذين يلونهم على أضواء^{١١} كوكب دُرِّي في السماء. لكل امرئ منهم زوجان اثنتان آدميتان يُرى مُخَّ سَوْقَهُمَا من وراء اللحم. والذي نفس محمد بيده ما فيها أَعْرَبُ». ^{١٢}

^١ ر ع م: وقال.

^٢ م: عنها.

^٣ جميع النسخ: زهرة.

^٤ أي المزيخ.

^٥ جميع النسخ: دري.

^٦ انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٣٧٣. وقوله تعالى: ﴿كأنها كوكب دُرِّي﴾ روي عن عاصم أنه قرأها دُرِّي، فضم الدال، وأنكره النحويون أجمعون، وقالوا: دِرْيٌ، بالكسر والهمز، جند على بناء فِعِيل، يكون من النجوم الدُرَّارِي التي تَدْرَأُ، أي تَنحَطُّ وتَسِر (لسان العرب، «درأ»). وكوكب دُرِّي ودِرِّي: ثاقِبٌ مُضِيءٌ. قال أبو إسحاق: من قرأه بغير همزة نسبة إلى الدُرِّ في صفائه وحسنه وبياضه (لسان العرب، «درر»).
^٧ ر: ابن.

^٨ جميع النسخ: بوجهه.

^٩ ر ع م + رضي الله عنهما.

^{١٠} يقال: "أنعم النظر في الشيء" إذا أطال التفكير فيه. ومنه الحديث «وإن أبا بكر وعمر منهم وَأَنْعَمًا»، أي زادا وفضلاً. يقال: أحسنن إلى وأنعمت. أي زدت على الإعام (النهاية لابن الأثير، «نعم»). سنن أبي داود، الحروف والقراءات ٤١؛ وسنن الترمذي، المناقب ١٤.

^{١١} ع + ما استوجب.

^{١٢} ع: على أضوء.

^{١٣} جميع النسخ: عرب. ورد الحديث في صحيح مسلم، (الجنة ١٤): حدثني عمرو الناقد ويعقوب بن إبراهيم الدوزقي جميعاً عن ابن عُليَّة -واللفظ ليعقوب- قال: حدثنا إسماعيل بن عُليَّة أخبرنا أيوب عن محمد قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضواء كوكب دُرِّي في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مُخَّ سَوْقَهُمَا من وراء اللحم، وما في الجنة أَعْرَبُ»؟ وانظر: سنن الترمذي، صفة الجنة ٥-٧. وأَعْرَبُ بالالف وهي لغة، والمشهور في اللغة عَرَبٌ بغير ألف. والعَرَبُ: من لا زوجة له، رجلاً كان أو امرأة.

وقوله: **يوقد من شجرة مباركة**، اختلف في قراءته. قرأ بعضهم **يُوقَد** بالياء ورفعها ونصب القاف^١، يقول: المصباح يوقد. ومن قرأها بالتاء ورفع الدال ونصب التاء رده على الزجاجه أراد **تَتَوَقَّد** ثم طرح إحدى التائين.^٢ ومن قرأ: **تُوقَد** بالتاء ورفعها يعني الزجاجه. وعن الحسن أنه قرأ: **تُوقد**^٣ يعني الزجاجه التي توقد، وأهل مكة: **تُوقَد** بنصب التاء وتشديد القاف يعنون المصباح توقد، فلذلك انتصب. ومن قرأ: **يُوقَد** يعني الكوكب^٧ أو المصباح.

وقوله: **لا شرقية ولا غربية**، قد ذكرنا بعض أقاويلهم فيما تقدم، لكننا نزيد فيها شيئاً. قال قائل: هي شجرة ضاحية^٨ من حين تطلع^٩ الشمس إلى أن تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي، وزيتها أصفى الزيت وأعدبه وأطيبه. وقال قائل: ليست بشرقية يجوزها المشرق دون المغرب، وليست بغربية يجوزها المغرب دون المشرق ولكنها بارزة في صحراء أو في رأس^{١٠} جبل تصيبها الشمس النهار كله، وهو مثل الأول. وقال الكسائي: ليست بشرقية وحدها ولا بغربية وحدها ولكنها شرقية وغربية، كما تقول: لا آتيك ولا آتي فلانا، له معنيان: إن شئت كان معناه: لا تأتي واحدا منهما، وإن شئت كان معناه: إنك تأتيهما معا، ومثله: والله لا أكل ولا يأكل زيد،^{١١} له معنيان.^{١٢} وكذلك^{١٣} يقال: رجل^{١٤} لا يرجو^{١٥} الجنة ولا يخاف النار ويحب الفتنة، إنه رجل صالح.

^١ وهو قراءة نافع وابن عامر وحفص، انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٠٠.

^٢ ر: الطائين. وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو، انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة، ٥٠٠.

^٣ وهي قراءة حمزة والكسائي وأبو بكر، انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة، ٥٠٠.

^٤ ر ع م - وعن الحسن أنه قرأ توقد يعني الزجاجه.

^٥ ع: بالنصب وتشديد.

^٦ ر ع م: يعني.

^٧ ر م: الكواكب.

^٨ والضاحية الظاهرة البارزة من النخيل الخارجة من العمارة التي لا حائل دونها، ويقال للبادية الضاحية، ومفازة ضاحية الظلال: ليس فيها شجر يُسْتَظَلُّ به (لسان العرب، «ضحا»).

^٩ جميع النسخ: يطلع.

^{١٠} ر م: أو رأس؛ ع: ورأس.

^{١١} م - زيد.

^{١٢} ع - إن شئت كان معناه لا تأتي واحدا منهما وإن شئت كان معناه إنك تأتيهما معا ومثله والله لا أكل ولا يأكل زيد له معنيان.

^{١٣} جميع النسخ: وكان؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٩ ظ.

^{١٤} ر: رجلا.

^{١٥} ر ع ن: رجوا.

أما الفتنة فالمال والولد، قال الله تعالى: **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**،^١ وهو يرجو^٢ الجنة ويخاف النار على ما فسرنا.

وقال بعضهم: لا شرقية يقول: لا تضحى للشمس من أول النهار إلى آخره، ولا غربية، عليها ظلٌ من أول النهار إلى آخره، ولكنها شرقية وغربية^٣ تصيبها^٤ الشمس والظل. والعرب تقول: لا خير في شجرة في مَضْوَاة^٥ ولا خير في شجرة في مَضْحَاة^٦. وقائل يقول: لا تطلع الشمس ولا تغرب. وقائل يقول: هي / شجرة بالشام ليست بالمشرق^٧ وليست^٨ بالمغرب. والحسن يقول: والله لو كانت هذه الزيتون في الأرض لكانت شرقية أو غربية، والله ما هي في الأرض ولكن هذا مَثَلٌ ضربه^٩ الله تعالى لنوره وهو هذا القرآن.^{١٠}

وأما قوله: نور على نور، قال بعضهم: إيمان المؤمن نور وعلمه نور، فهو نور على نور. وقال^{١١} بعضهم: نور النار على نور الزيت فذلك نور على نور، وهو وجودته يعني الزيت. وقال بعضهم: نور النار ونور الزيت حين اجتماعا أضاء،^{١٢} ولا يضيء واحد بغير صاحبه. كذلك نور القرآن ونور الإيمان^{١٣} إذا اجتماعا لا يكون أحدهما مضيئا إلا بصاحبه.

^١ سورة التباين، ١٥/٦٤.

^٢ ر: يرجوا.

^٣ ر م: شرقية غربية.

^٤ ر ع م: يصيبها.

^٥ ر م: مضواة؛ ن: في شجرة مضواة؛ ع: في شجرة في مضواة.

^٦ لعله يريد بالمضواة: الموضع الذي تغيب الشمس عنه سريعا. يقول ابن منظور: «التَّضْوَاءُ: أن يقوم الإنسان في ظلمة حيث يرى ضوء النار أهلها ولا يرونه» (لسان العرب، «ضوأ»). والمضْحَاة: الأرض البارزة التي لا تكاد الشمس تغيب عنها (لسان العرب، «ضحأ»).

^٧ ن - ليست بالمشرق.

^٨ ن: ليست.

^٩ ن: ضرب.

^{١٠} قال الفراء وغيره من أهل العربية في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾؛ يقول: هذه الشجرة ليست مما تطلع عليها الشمس في وقت شروقها فقط أو في وقت غروبها فقط، ولكنها شَرْقِيَّةٌ غَرْبِيَّةٌ تُصَيِّبُهَا الشمس بالعادة والعشية، فهو أَنْضَرُهَا وَأَجْوَدُ لَزَيْتُونِهَا وَزَيْتِنِهَا، وهو قول أكثر أهل التفسير. وقال الحسن: لا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ إنها ليست من شجر أهل الدنيا، أي هي من شجر أهل الجنة. قال الأزهري: والقول الأول أولى (لسان العرب، «شرق»).

^{١١} ن ع: قال.

^{١٢} جميع النسخ: أضاء.

^{١٣} ن: نور الإيمان ونور القرآن.

وقال بعضهم ما ذكرنا من نور الإيمان والعمل. ثم معنى تشبيه ما ذكرنا بالزيت،^١ لأن الزيت أصفى شيء وأطهر^٢ وأطيب شيء وأضوأ للسراج، فيه^٣ كل المنافع من الإدام والدواء وغيره. **والله أعلم.**

﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [٣٦]

وقوله عز وجل: **فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ**، اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **أَنْ تُرْفَعَ**، أي تُعَظَّمُ وَيُرْفَعُ قَدْرُهَا - وهي المساجد - على غيرها من البيوت المسكونة بذكر اسم الله فيها والتسبيح والتنزيه، [وبتطهيرها] من الأقدار والأنجاس ومن الأمور الدنيوية. وقال بعضهم: قوله: **أَنْ تُرْفَعَ**، أي تُثَبِّتَ وَتُتَّخَذَ. فَإِنْ كَانَ التَّأْوِيلُ هَذَا فففيه الأمر ببناء المساجد واتخاذها، وإن كان الأول ففيه الأمر بتعظيم المساجد ورفع قدرها بما ذكر من ذكر الله والتسبيح فيها. ثم الإذن في هذا الأمر لوجهين. أحدهما بحق إقامة الجماعات فيها في هذه الصلوات^٤ المعروفة، إذ الأرض كلها في الأصل جعلت مسجدا حيث قال رسول الله^٥ صلى الله عليه وسلم: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا.»^٦ فهي من حق جواز الصلاة مسجد فيخرج الأمر به مخرج الأمر ببنائها لإقامة الجماعات.

والثاني أمر بها خصوصا للمساجد، إذ غيرها من البيوت المسكونة إنما اتخذت وبنيت بالإذن والإباحة، فخص المساجد بالإذن ببنائها خصوصا لها، إذ لو كان إذنا على ظاهر ما ذكر كان المساجد وغيرها من البيوت سواء. **والله أعلم.**

وقوله: **وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ**، فإن كان تأويل قوله: **أَنْ تُرْفَعَ**، أي تُعَظَّمُ ويرفع قدرها فيكون قوله:^٧ **وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ**، تفسيرا لذلك التعظيم والقدر الذي أمر، أي أمر أن تُعَظَّمُ وَيُرْفَعَ قدرها بذكر اسم الله فيها وما ذكر من التسبيح. وإن كان التأويل هو الأمر بالبناء يكن^٨ قوله:

^١ ر ع م: لزيت.

^٢ ن ع: وأطهره.

^٣ ر ع م - فيه.

^٤ ن: المنع.

^٥ ر ع م: المسجد.

^٦ ع: الصلاة.

^٧ ن - رسول الله.

^٨ انظر: صحيح البخاري، التيمم، ١، والصلاة ٥٦؛ وسنن الترمذي، الصلاة ١٢٤، والسير ٥؛ وسنن النسائي، الغسل والتيمم، ٢٦.

^٩ ع - قوله.

^{١٠} جميع النسخ: يكون.

ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها، كذا على الابتداء، أي أمر أن تُبنى بيوت^١ [أي] مساجد^٢ وأمر أن يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال.

ثم اختلف في تلاوة^٣ قوله: يسبح له، قرأ بعضهم: يُسَبِّحُ،^٤ بنصب الباء، وقرأ بعضهم: يُسَبِّحُ بخفض الباء.^٥ فمن قرأها بالنصب صيره على الأول: يُذَكِّرُ فيها اسمه يسبِّحُ له بالغدو والآصال، ثم ابتداءً فقال: رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ.^٦ ومن قرأها^٧ بالخفض، أعني خفض الباء صيره مقطوعاً من الأول مبتدأً به، أي يسبح له فيها رجال بالغدو والآصال، ثم ابتداءً^٨ من قوله: لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ. ثم قوله: وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ، جائز أن يراد بذكر اسمه الصلاة، وكذلك^٩ بالتسبيح.^{١٠} ويحتمل أن يراد^{١١} بذكر اسمه جميع أنواع الأذكار من الخير، ويراد بالتسبيح^{١٢} بالغدو والآصال الصلوات^{١٣} المعروفة^{١٤} المفروضة.

ثم قال بعضهم: الغدو صلاة الغداة، والآصال صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فيجعل الأصيل عبارة^{١٥} عن هذه الصلوات في أوقاتها. وقال بعضهم: الآصال صلاة العصر خاصة، وأما^{١٦} غيرها من الصلوات فإنما^{١٧} عرف لا بهذا ولكن بشيء آخر، والغدو هو^{١٨} صلاة الفجر. والله أعلم.

^١ جميع النسخ: بيوتاً.

^٢ ن ع: مساجداً.

^٣ ر ع م: تلاوته.

^٤ ن ع + له.

^٥ انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة، ٥٠١.

^٦ ر ع م: ابتداء.

^٧ الآية التالية.

^٨ ن: قرأ.

^٩ م: ابتداء.

^{١٠} ن: كذلك.

^{١١} ع ن: التسبيح.

^{١٢} جميع النسخ: أن يريد.

^{١٣} ن: التسبيح.

^{١٤} ر ع م: الصلاة.

^{١٥} ر م + المعروفة.

^{١٦} ع: عبادة.

^{١٧} ن ع - فأما.

^{١٨} ر م: وإنما.

^{١٩} ر ع م: وهو.

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ
يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [٣٧]

وقوله: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع، أي لا تشغلهم تجارة ولا بيع. ذكر التجارة والبيع^١، والبيع تجارة ولكن كان اسم التجارة يجمع كل أنواع التقلب، واسم البيع يقع على خاص؛ وكذلك^٢ يقال^٣ للذي يجمع أنواع التقلب: تاجر، وللذي يبيع شيئاً خاصاً: بائع. أحرر أنه لا يشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. ثم جازئ أن يكون قوله: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، أي لا يشتغلون^٤ بالتجارة والبيع ولكن فرغوا أنفسهم لذكر الله وإقامة الصلاة وما ذكر. وجزئ أن يكونوا يتجرون وبيعون لكن تجارتهم وبيعهم لا تشغلهم ولا تمنعهم عن ذكر الله، يكونون أبداً في ذكر الله.

ثم قوله: عن ذكر الله، يحتمل الصلاة، وقوله: وإقام الصلاة، أي إتمام الصلاة بركوعها وسجودها وقراءتها وجميع أسبابها وشرائطها. وجزئ أن يكون قوله: عن ذكر الله، جميع^٥ أنواع الأذكار، وإقام الصلاة، إقامة الصلاة نفسها، وإيتاء الزكاة. وقال بعضهم: جزئ أن يكون قوله: عن ذكر الله، الخطبة، وإقام الصلاة صلاة الجمعة، لأنه قال: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً^٦، الآية، وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ^٧، وهي^٨ الخطبة، غير مسموع من أهل التأويل ولكنه محتمل. والله أعلم.

وقوله: يخافون / يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، وهو يوم القيامة. يخبر عن شدة هول ذلك [٥٢٦ظ] اليوم وخوفه، لا تثبت^٩ القلوب والأبصار فرعاً منه وخوفاً، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رُؤُوسِهِمْ^{١٠}، الآية،

^١ ر م - والبيع.

^٢ ع - وكذلك.

^٣ ع: ويقال.

^٤ ر ع م - رجال.

^٥ ن م: لا يشغلون.

^٦ ر م: يكون.

^٧ ر م: جميعاً.

^٨ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهواً انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوا كَافِئاً﴾ (سورة الجمعة، ١١/٦٢).

^٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (سورة الجمعة، ٩/٦٢).

^{١٠} ر م: وهو.

^{١١} ر م: لا يثبت؛ ع: لا يثبت.

^{١٢} ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِينَ رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (سورة إبراهيم، ٤٣/١٤).

و كقوله: إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ^١. وجائز أن يكون قوله: يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، يعرفون مرة ويجهلون تارة. أو يعتبرون^٢ يوماً منذ بما لم يعتبروا في الدنيا ويُقزون بما لم يقزوا. وقال بعضهم: يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب، حين زالت عن أماكنها من الصدور فتثبتت^٣ في حلوقهم عند الحناجر. ثم قال: والأبصار، أي تتقلب أبصارهم فيكونون زُرُقاً وهو قول مقاتل.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَبِزَيْدِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [٣٨]

وقوله: ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، يحتمل قوله: ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، أي يجزيهم الله^٤ جزاء إحسانهم ويكفر عن مساوئهم ولا يجزيهم بها، كقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا^٥، الآية، وكقوله: وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ^٦. وقوله: ويزيدهم من فضله، على قدر حسناتهم. والله يرزق من يشاء بغير حساب، قال بعضهم: ليس فوقه ملك يحاسبه فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب لا يخاف من أحد يحاسبه، كقوله: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ^٧. ويحتمل قوله: بغير حساب، أي يعطيهم بلا حساب يحاسبهم ويدخلهم الجنة بلا محاسبة. وجائز أن يكون^٨ بغير حساب، أي يعطيهم بلا حساب^٩ أضعافاً مضاعفة ما لا يُحصى، لا على قدر أعمالهم. والله أعلم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [٣٩]

وقوله: ^{١٠} والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، جائز أن يكون^{١١} ضرب مثل أعمال الكفرة بالسراب الذي ذكر من وجهين. أحدهما أنهم قد عملوا في الظاهر

^١ ﴿وأندرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاطمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/١٨).

^٢ ر م: ويعتبرون.

^٣ تثبت الشيء في الشيء ينشأ تثبتاً: علق فيه ولم يتفقد (لسان العرب، «نشأ»).

^٤ ر ع م + ويزيدهم.

^٥ ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/١٦).

^٦ ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٥).

^٧ سورة الأنبياء، ٢١/٢٣.

^٨ ن: وجائز قوله.

^٩ ن - أي يعطيهم بلا حساب.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ع + في.

أعمالاً طمِعوا أن يَصِلوا إليها في الآخرة وابتغوا^١ بها من نحو الصدقات والنفقات وصلة الأرحام ونحوه مما هي في الظاهر أعمال الخير، فإذا هم حُرِّموا ذلك ولم يجدوا شيئاً، كالذي يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فيسير^٢ إليه فإذا هو لا شيء. فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الأعمال على طمَع منهم أنهم ينتفعون بها، فإذا هم على لا شيء^٣، كالعطشان الذي يرى السراب فيحسب^٤ أنه ماء فإذا هو سراب.

والثاني ضرب مثل أعمالهم بالسراب الذي ذَكَر، وذلك أنهم قد عبدوا الأصنام والأوثان رجاء أن ينتفعوا بشفاعتهم في الآخرة، كقولهم: مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى،^٥ وقولهم: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ.^٦ وكانت^٧ عبادتهم الأصنام لِمَا ذَكَرُوا من شفاعتهم، فإذا هم لم ينتفعوا بها^٨ فصاروا^٩ كالعطشان الذي يرى السراب يحسب أنه ماء فإذا جاءه فوجد سراباً لم يجد^{١٠} ما حَسِبَهُ، إلى هذا تمام المثل.

ثم ابتدأ^{١١} فقال: **ووجد الله عنده فوفاه حسابه**، أي وجد الله يوقيه حساب عمله وجزاءه، أو يقول: قديم على عمله يوم القيامة لم يجد عمله الذي عمل في الدنيا شيئاً إلا كما وجد هذا العطشان^{١٢} هذا السراب. **ووجد الله عنده فوفاه حسابه**، يقول: قديم^{١٣} على الله فوفاه حسابه، أي عمله.

وقال بعضهم: هذا المثل ضُرب للكفار،^{١٤} وذلك أنهم يبعثون يوم القيامة وقد تقطعت أعناقهم من العطش، فيُرفَع لهم سرابٌ بِقِيَعَةٍ من الأرض فإذا نظروا إليه حَسِبُوهُ ماءً فَأَمَّوهُ ليشربوا منه

^١ ن: وابتغوا.

^٢ جميع النسخ: فسار.

^٣ ع + فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الأعمال لا شيء.

^٤ جميع النسخ: فحسبه.

^٥ ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

^٦ سورة يونس، ١٠/١٨.

^٧ ن: فكانت.

^٨ ر م ع - بها.

^٩ ر ع م: فصار.

^{١٠} ن ع: لم يجده.

^{١١} ر ع م: ابتداء.

^{١٢} ع - هذا العطشان.

^{١٣} ع - قدم.

^{١٤} ر م: الكفار.

فلم يجدوا شيئاً ويؤخذون^١ ثَمَّةً فيحاسبون. وكذلك أعمالهم تَضمحلُّ يوم القيامة فلا يصيبون منها خيراً.

[٥٢٧ و ٢] * قال القُتَيْبِيُّ: السراب: ما رأيتُه من الشمس كالماء نصف النهار، والآل: ما رأيتُه في أول النهار

وآخره الذي يرفع كل شيء^٢. والقِيعة القاع. وقال أبو عَوْسَجَةَ: السراب الذي يثيره الحر فتراه

كأنه ماء يجرى وهو الذي يكون نصف النهار إلى السماء، والآل في أول النهار إلى قريب من نصف

النهار. والقِيعة القاع وهي الأرض اليابسة الطيبة التي يَسْتَنقِع فيها الماء؛ وقاعٌ واحد، وقِيعان جمع^٣،

والظمان العطشان، وقوم ظمأ، وامرأة ظمأى^٤ ونسوة ظمأ. وأظمأته أعطشته، وظمأته أيضاً.* [٥٢٧ و ٧]

[٥٢٧ و ٨] * وقال الكسائي: الظمان والصدّيان والعطشان واحد، والسراب قبل الزوال والآل قبل

الزوال^٥، وهو أرفع من السراب، والرّقراق^٦ بعد العصر.* [٥٢٧ و ٩]

﴿أَوْ كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا

فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [٤٠]

وقوله: أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج، هذا مثل آخر ضرب به^٩ الله لأحوال

الكافر، أو كظلمات^{١١} جسد مُسَبَّهَةٍ^{١١} بظلمات. وذلك أن البحر إذا كان عميقاً كان أشد

ظلمة^{١٢} فقال: ^{١٣} [في بحر لجي]، والبحر اللجي قلب الكافر، يغشاه موج فوق الماء،^{١٤}

^١ ع: يؤخذون.

^٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٥.

^٣ ن ع: جميع.

^٤ ع: ظمأ.

* وقع ما بين النحمتين متأخراً عن موضعه، فقد مناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧/و سطر ٢-٧.

^٦ ع - والآل قبل الزوال.

^٧ ر: والرراق. الرّقراق: تَرَقَّرَق السراب، وكل شيء له بصيص وتلاؤ فهو رراق؛ وترقرق الشيء: تلاؤ أي

جاء وذهب (لسان العرب، «ررق»).

* وقع ما بين النحمتين متأخراً عن موضعه، فقد مناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧/و سطر ٨-٩.

^٩ ر م: ضرب.

^{١٠} ن: أو لظلمات.

^{١١} جميع النسخ: جسده شبهه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٠.ظ.

^{١٢} ر ن م: لظلمته؛ ع: كظلمته؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٠.ظ.

^{١٣} ع: وقال.

^{١٤} ع - فوق الماء.

من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات، فهو ظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة السحاب، هذه ظلمات بعضها فوق بعض. فكذا الكافر قلبه مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم لا يبصر^١ الإيمان، كما أن صاحب البحر إذا^٢ أخرج يده في تلك الظلمة لم يكد يراها، أي لم يرها ألبتة. أو أن يكون ضرب المثل بظلمات ثلاث لظلمات أحواله^٣ لا يزال تزداد^٤ ظلمة كفره في كل وقت وفي كل حال بعمله الذي يعمله،^٥ كالظلمات التي ذُكر، فكان كضرب المثل الذي سبق لأنوار أحوال المؤمن^٦ حيث قال: **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ^٧، أَوْ النُّورِ^٨ جَسَدِهِ وَصَدْرِهِ وَقَلْبِهِ.** ثم قوله: **أَوْ كظلمات**، ليس هو حرف شك ولكنه كأنه قال: إن ضربت مثل عمله بالسراب فمستقيم، وإن ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم،^٩ بأيهما ضربت فمستقيم صحيح، لا أنه ذا أو ذا.

ثم ذُكر في أعمال الكفرة **مَثَلَيْنِ**، أحدهما السراب والثاني الظلمات. فجائز أن يكون في المؤمن أيضا مثلين: الظلمة التي ذُكر مقابل النور الذي ذكر في المؤمن، والسراب الذي ذكر لأعمالهم مقابل ما ذكر من أعمال المؤمنين حيث قال: **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعَرِيٍّ حِسَابٍ^{١٠}.**

وقوله: **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.** قال بعضهم: من لم يجعل الله له إيمانا فما له من إيمان، وقيل: هدى فما له من هدى، وهما واحد.

والآية على المعتزلة لأنهم يقولون: لم يجعل الله للمؤمن من النور إلا وقد جعل مثله للكافر. وفي الآية إخبار أنه لم يجعل للكافر النور، إذ لو كان جعل للكافر كما جعل للمؤمن لم يكن لقوله: **ومن / لم يجعل الله له نورا فما له من نور معني**، دل أنه لم يجعل للكافر النور.

[٥٢٧هـ]

^١ جميع النسخ: لا يبصرون.

^٢ ر م - إذا.

^٣ ر م: بظلمات أحوال؛ ع: كظلمات أحواله.

^٤ جميع النسخ: يزداد.

^٥ ع: يعلمه.

^٦ ن ع + من.

^٧ سورة النور، ٣٥/٢٤.

^٨ ر م: والنور؛ ع: أو لنور.

^٩ م - وإن ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم.

^{١٠} سورة النور، ٣٦/٢٤-٣٨.

وقوله: فوفاه حسابه، يقول: فجازاه بعمله فلم يظلمه. وقوله: والله سريع الحساب، قد ذكرناه^١ في غير موضع*.

[قال أبو عؤسجة في] بحر الجني، اللحي الكثير الماء، واللجة وسط البحر. يغشاه موج، أي يصير فوقه. قال: الموج طرائق في الماء تكون إذا هبت الريح.* وقال بعضهم في قوله: إذا أخرج يده لم يكده يراها، يقول: لم يقاربه البصر، كقوله: الرجل لم يُصب ولم يقارب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [٤١]

وقوله: ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض، قوله: ألم تر وألم تعلم ونحوه في الظاهر حرف تعجب واستفهام، يقول الرجل لآخر: ألم تر كذا، وألم تعلم كذا، على^٢ التعجب أو على الاستفهام،^٣ لكنه يخرج من الله على وجهين. أحدهما، أي قد رأيت وعلمت، إذ الاستفهام لا يجوز عنه. والثاني على الأمر، أي اعلم ورا^٤ على ما ذكرنا في غير موضع.

وقوله: يسبح له من في السماوات والأرض، يحتمل يسبح من ذكر، وجهين. أحدهما تسبيح خلقه ووضعه، إذ في خلقه كل أحد دلالة وحدانيته^٥ وتعالیه عن الأشباه وتنزيهه والشهادة له بالربوبية والتفرد بالألوهية له. والثاني يجعل الله تعالى في هذه الخلائق من الطيور والدواب وغيرها معنى يستحون له بذلك، يفهمون هم ذلك من أنفسهم ويعرفون أنه^٦ تسبيح وإن لم يفهم غيرهم من الخلائق، نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطيور في قصة سليمان في قوله: يَا جِبَالُ أَوِيبِي مَعَهُ وَالطَّيْرِ،^٧ وقال في آية أخرى: يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهَا أَوْابٌ.^٨

^١ ع: قد ذكرنا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧ و/سطر ٢-٧.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧ و/سطر ٨-٩.

^٤ ن ع: كقول.

^٥ ن: يعلم.

^٦ ن: حتى.

^٧ ن: أو الاستفهام.

^٨ ر: وارا؛ ن ع: وره؛ م: واره.

^٩ ر: وحدانية.

^{١٠} ع - أنه.

^{١١} ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطيور وألنا له الحديد﴾ (سورة سبأ، ١٠/٣٤).

^{١٢} ﴿إننا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق...﴾ (سورة ص، ٣٨/١٨-١٩).

ولو كان التسبيح ممن ذكر تسبيح خلقة لكان سليمان وغيره من الناس في ذلك شرعا سواء،
والعشبي وغيره من الأوقات سواء. فدل تخصيص سليمان في ذلك وتخصيص الأوقات من بين غيرها^١
على أن تسبيح هذه الأشياء ليس بتسبيح خلقة ولكنه تسبيح عبادة بالمعنى الذي جعل له فيه وإن لم
يفهم غيره من الخلائق تسبيحهم. ألا ترى أن الله تعالى أخبر عن قول^٢ النملة^٣ حيث قال: قَالَتْ
نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ،^٤ الآية. ثم معلوم أنه لم يكن من النملة^٥ حقيقة قول^٦ كقول
الممّيز والملتحن ولكنه معنى فهموا هم^٧ منها ذلك، فعلى ذلك الأول. ألا ترى^٨ أنه أخبر^٩ عن نطق
الجوارح وشهادتها عليه يومئذ حيث قال: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ^{١٠}، الآية، وقال: شَهِدَ عَلَيْهِمْ^{١١}، الآية،
فيفهم هؤلاء من شهادة الجوارح عليهم ما لم يفهم غيرها حتى أنكروا عليها، دل ذلك أنه ما
ذكرنا.^{١٢} وذلك جائز أن يكون لمعنى فيهم فهموا هم^{١٣} ولا يفهم غيرهم، ألا ترى^{١٤} أن الله
جعل في سِرِّيَّةِ الماء معنى يجيى به كل شيء إذا أصابه^{١٥} ووصل إليه، وذلك المعنى لا يعلمه إلا الله
أو من أطلع الله عليه وارتضاه لنفسه رسولا.^{١٦} فعلى ذلك تسبيح من في السماوات والأرض
والطير وغيره، جعل في سِرِّيَّتِهِمْ معنى يعرفون هم من أنفسهم ذلك تسبيحا له وتنزيها وإن
لم يفهم غيره - والله أعلم - كقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.^{١٧}

١ جميع النسخ: غيرهم.

٢ م - قول.

٣ ن ع: عن نملة القول.

٤ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخَاطَبُكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة النمل، ١٨/٢٧).

٥ ر ع م - من النملة.

٦ ر م: قوله.

٧ ر ع م: فهموه.

٨ ن - ألا ترى.

٩ ن: خبر.

١٠ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).

١١ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة فصلت، ٢٠/٤١).

١٢ ع: ذكر.

١٣ م: فهموه.

١٤ ن: يرى.

١٥ ن: أضا.

١٦ ن: وهؤلاء. انظر: سورة آل عمران، ١٧٩/٣؛ وسورة الجن، ٢٦/٧٢-٢٧.

١٧ سورة الإسراء، ٤٤/١٧.

وقوله: يسبح له من في السماوات، حرف "من" إنما يُعبر به عن المميّز،^١ وحرف "ما" يعبر به المميّز وغير المميّز.^٢

[٥٢٧ و ٣٨] * وقوله: والطيور صافات، أي قد صفت^٣ أجنحتها في الطيران، وكذلك قال أبو عؤسجة: [٥٢٧ و ٣٩] أي صفت أجنحتها في الهواء فلا تحركها.^٤ *

وقوله: **كُلُّ قَدِ عِلْمٍ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ**، قال بعضهم: كل من فيها قد علم صلاته وتسبيحه من الملائكة وغيره بلغته ولسانه غير^٥ كفار الإنس والجن. وجائز أن يكون قوله: كل قد علم صلاته وتسبيحه ما ذكرنا أن كلا منهم يعرف ويفهم أنه يسبح له وإن لم يفهم غيره. كأنه يذكر سلطانه وملكه وغناه عن عبادة هؤلاء وتسبيحهم، لأن^٦ من سبّح له كل شيء في السماوات والأرض فتزك عبادة هؤلاء له^٧ وعبادته بمحل واحد لا ينفع ولا يضر. أو أن يقول: من له ملك السماوات والأرض لا يقع له الحاجة إلى عبادة أحد ولا طاعته،^٨ وإنما الحاجة والمنفعة في الطاعة والعبادة لهم دون الله، ولذلك قال: **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**، على أثر ذلك.

وقوله: **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**، جائز أن يكون هذا على الأول، أي عليم بما يفعل من ذكر من التسبيح وغيره. أو أن يكون على ابتداء وعيد للخلق، أي عليم بجميع ما يفعلون.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [٤٢]

وقوله:^٩ **وَاللَّهُ لَمَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**، قد ذكرنا^{١٠} في غير موضع.

^١ جميع النسخ: عن التمييز؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣١.

^٢ ر ع م - وغير المميّز.

^٣ ر ع م: قد صف.

^٤ ر م: فلا يحركها.

* وقع ما بين النحمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧ و/سطر ٣٨-٣٩.

^٥ ن: قوله.

^٦ ع: عن.

^٧ جميع النسخ: والتسبيح أن.

^٨ ن ع - له.

^٩ ر: ولا طاعة.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ر ع م: قد ذكر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [٤٣]

وقوله: ألم تر أن الله يزجي سحابا، قيل: يسوق سحابا، / ثم يؤلف بينه، أي يضم^١ بعضه [٥٢٧] إلى بعض، ثم يجعله ركاما، قال [بعضهم]: فيها تقدم وتأخير. ثم يجعله ركاما، أي قطعها يحمل بعضه على أثر بعض، ثم يؤلف بينه، أي يضم السحاب بعضه إلى بعض بعد الركام. وقال بعضهم: قوله: يزجي [سحابا]، أي يُجرجه من الأرض فيُسخره بين السماء والأرض ثم يجعله ركاما. وقوله: فتري الودق، أي المطر يخرج من خلاله. وقيل: تحلله،^٢ أي من خلال السحاب. ويُنزّل من السماء من جبال فيها من برد، قال^٤ بعضهم: جبال من ثلج، يُنزّل الله على السحاب منها الثلج والبرد. وقال بعضهم: جبال خلقها الله من برد في السماء ثم ينزل. وليس في الآية بيان أن الجبال التي ذكر أنه ينزل من السماء أنها من ثلج أو برد سوى أنه أخبر أن فيها بردا.^٥ فالأشياء تُسبب بالجمال وتُنسب إليها إما للكثرة مرة^٦ وإما للشدّة والغلظ والعظم ثانيا، كقوله: وتري الجبال تحسبها جامدة^٩ الآية. فجائز أن يكون الجبال المذكورة^{١١} في هذه الآية هي الجبال التي أخبر أنه يُنزّل منها،^{١١} إذ لا يُدرى أين هي: في السماء أو فيما بين السماء والأرض. وقوله: فيصيب به من يشاء، في نفسه أو زرعه أو ثمرة فيضره، وبصرفه عن من يشاء فلا يصيبه. فإن^{١٢} كان على هذا فهو يخرج على^{١٣} التعذيب، وكذلك عمل البرد يُفسد في مكان ويترك مكانا،

^١ ع: إلى.

^٢ رع م - يضم.

^٣ انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٣٨١.

^٤ ع: وقال.

^٥ ع: وينزل.

^٦ رع م - ينزل.

^٧ ع - سوى أنه أخبر أن فيها بردا.

^٨ رع م - مرة.

^٩ ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ من السحاب﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٨).

^{١٠} رم: المذكور.

^{١١} جميع النسخ: ينزلها؛ والنصحیح من الشرح، ورقة ٥٣١ ظ.

^{١٢} رع م: وإن.

^{١٣} رم: عن.

لا يَعْثَمُ ولكن يصيب مكانا ويخطئ مكانا. وجائز أن يكون قوله: فيصيب به من يشاء من بركته، ويصرفه عن من يشاء من بركته.^١ يكاد سنا برقه، قيل: ضوء برقه كاد أن يقارب أن يذهب ضوء البرق بالأبصار من شدة نوره.

[٥٢٧ ط س ٢٣] * قال القُتَيْبِيُّ وأبو عَوْسَجَةَ: يُزْجِي، أي يسوق. رُكَّامًا: بعضه فوق بعض. فترى الوُدُقَ، أي المطر، يخرج من خلاله وخلله سَنَا بَرَقِهِ، ضوءه.^٢ قال أبو عَوْسَجَةَ: والرُّكَّام هو^٣ الكثير المتراكم الذي بعضه فوق بعض، يقال: ارتكمت الشيء أي صار بعضه على بعض،^٤ ويقال: رَكَمْتُ المتاع أَرْكَمُهُ رَكْمًا إذا جعلت بعضه فوق بعض. والوُدُقُ المطر، يقال: وَدَقَتِ السَّمَاءُ تَدِيقًا وَدَقًا، أي مَطَرَتْ. يخرج من خلاله،^٥ أي من بينه، وواحد الخلال تحلَّل. يكاد سنا برقه، تَدِيقٌ وَدَقًا، أي السَّنا مقصور وهو الضوء، يقال: السَّنا النار، وهو واحد.* [٥٢٧ ط س ٢٧]

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٤٤]

وقوله:^٦ يقليب الله الليل والنهار، تقليبه الليل والنهار اختلافهما: يأتي بهذا ويذهب بالآخر. يذكر هذا -والله أعلم- صلة [أ]قوله: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،^٧ الآية، يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره وعلمه وحكمته ووحدانيته. أما سلطانه وقدرته ما ذكر من سوق السحاب بين السماء والأرض وتسخييره وضم بعضه إلى بعض. دل ذلك أنه قادر بذاته لا يعجزه شيء. ودل نزول المطر وإصابته في مكان دون مكان وتخطيه موضعا دون موضع مع اتصال السحاب وانضمام بعضه على بعض على السواء أنه على التدبير والعلم كان ذلك لا بطباع السحاب أو على الجُزَاف.^٨ ودل جريان الأمر واتساق التدبير فيما ذكرنا

^١ ع - ويصرفه عن من يشاء من بركته.

^٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٦.

^٣ ر م - هو.

^٤ ع: بعضه.

^٥ ع: جلاله.

^٦ ع: ويقال.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضع في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٢٧ ط/سطر ٢٣-٢٧.

^٨ ر ن م - وقوله.

^٩ م: واختلافهما.

^{١٠} سورة النور، ٤٢/٢٤.

^{١١} ر م: جزاف.

وفي اختلاف الليل والنهار وتقليبهما من حال إلى حال^١ من النقصان إلى الزيادة ومن الزيادة إلى النقصان واتصال منافع السماء بمنافع الأرض - على بعد ما بينهما - أنه تدبير واحد لا عددي، إذ لو كان تدبير عدد لمتع بعض بعضا عما يريد من التدبير والنفع. دل ذلك كله على أنه واحد عليم قادر مدبر لا يعجزه شيء. ولذلك قال: إن في ذلك لعلبة لأولي الأبصار، لما ذكرنا فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار.*

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٤٥]

وقوله: والله خلق كل دابة من ماء، هو - والله أعلم - صلة قوله: وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،^٢ الآية، ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة وذكر أيضا تقليبه الليل والنهار وما فيهما^٣ من التدبير والعلم والحكمة والقدرة، فعلى ذلك قوله: والله خلق كل دابة من ماء، يذكر قدرته وسلطانه وعلمه وتديره. أخطر أنه خلق الخلائق كلهم من هذا الماء على اختلاف أجناسهم وجواهرهم من شيء واحد. دل^٤ أنهم لم يكونوا بالطباع كذلك ولكن بتدبير واحد عالم بذاته لا يعلم^٥ وتدبير مستفاد ولكن [ب]علم ذاتي، إذ لو كانوا بالطباع لخرجوا على تقدير واحد وصفة واحدة. والثاني^٦ أنه لا أحد من حكماء البشر يدرك كيفية إنشاء هذا العالم^٧ وخلق هذه الخلائق من هذه المياه. فإذا^٨ خلق ذلك وليس في تلك المياه معنى ولا شيء من جوهر الخلائق دل إنشاءه إياهم أنه قادر بذاته^٩ لا يعجزه شيء، يخلق بسبب وبغير سبب، وأنه خلق هذه^{١٠} الخلائق بحكمة ذاتية، إذ لم يدرك ذلك حكماء البشر. ودل خلق هذه الخلائق على هذه المعاني

^١ ع - حال.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٢٧/ظ سطر ٢٣-٢٧.

^٢ سورة النور، ٤٢/٢٤.

^٣ ر م: فيها.

^٤ ر م - دل.

^٥ ع: لا يعلم.

^٦ ع + والثاني.

^٧ ع: العلم.

^٨ ر ع م: فإنه.

^٩ ع + أنه.

^{١٠} ر ع م - هذه.

والأسباب أنه لم يخلقهم عبثاً ليركهم سُدىً لا يأمرهم ولا ينهاهم. فإذا ثبت الأمر والنهي ثبت الإحياء من بعد الممات للجزاء. ودل قدرته على خلق^٢ هذه الخلائق من الماء أنه قادر على الإحياء وأنه لا يعجزه شيء^٣، لأن من قدر على هذا لقادر^٤ على ما ذكرنا.

ثم قوله: فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين، يذكر هذا - والله أعلم - لأحد وجهين. إما تذكيراً إياهم^٥ نعمه ومننه وفضله الذي أعطاهم وإحسانه الذي أحسن إليهم، لأنه أخير أنه خلق هذا العالم معتدلاً سويًا من غير أن كان منهم اختبار لذلك أو يستوجبون ذلك قبله، وخلق / غيرهم من الدواب مُنكبين على وجوههم وماشين على بطونهم، وذلك فضل منه ونعمة. أو ذكر مثلاً بحال الكفرة في الآخرة، كقوله: أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى^٦، الآية، أخير أن الكفرة يكونون منكبين على وجوههم وأهل الإسلام يمشون مُتَّصين مستوين. يخلق الله ما يشاء بسبب وبغير سبب. إن الله على كل شيء قدير، لأنه قادر بذاته لا بقدره مستفاد من غيره.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٤٦]

وقوله: ولقد أنزلنا آيات مبيّنات، الآية، قد ذكرنا.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٧] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [٤٨] ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾ [٤٩] ﴿أَبِي قَلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٥٠]

وقوله: ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم، اختلف فيه. قال بعض أهل التأويل: ابن عباس وغيره: إنه وقعت بين علي بن أبي طالب وبين عثمان رضي الله عنهما^٧

^١ ن: فإذا.

^٢ م - خلق.

^٣ ع - شيء.

^٤ ع: القادر.

^٥ ر ع م: إياه؛ ن: لإياه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣١ ظ.

^٦ ﴿أفمن يمشي مكبياً على وجهه أهدى أمّن يمشي سويًا على صراط مستقيم﴾ (سورة الملك، ٢٢/٦٧).

^٧ ر: بعضهم.

^٨ لم ترد هذه الرواية إلا في تفسير القرطبي وفيها أن الخصومة وقعت بين علي بن أبي طالب ومغيرة بن وائل من بني أمية.

انظر: تفسير القرطبي، ٢٩٣/١٢.

خصومة في أرض اشتراها عثمان من علي فاخصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك^١ فقضى لعلي على عثمان وألزمه الأرض، فقال قوم عثمان: إنه ابن عمه وأكرم عليه منك^٢ فقضى عليك له، أو نحو هذا من الكلام، فنزل في قوم عثمان ذلك إلى آخر ما ذكر. لكن هذا بعيد لا يحتمل أن يكون عثمان أو قومه^٣ يخطر ببالهم في رسول الله ما ذكر. وقال بعضهم: نزل هذا في بشر المنافق، وذلك أن رجلا من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة وأن اليهودي دعا بشرا إلى رسول الله^٤ ودعاه بشر إلى كعب بن الأشرف فقال: إن محمدا يحيف علينا^٥ ونحوه من الكلام فنزل هذا. لكننا لا نعلم أنه فيمن نزل،^٦ سوى أن فيه بيانا أنها إنما نزلت في المنافقين. وفي ظاهر^٧ الآية دلالة أنهم علموا أن رسول الله لا يقضي إلا بالحق، ألا ترى أنه ذكر في آخره: وإن لم يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، أي^٨ مسرعين مطيعين، ولو كان عندهم أنه يقضي بالجور لكانوا لا يأتونه للقضاء وإن كان الحق لهم مخافة الجور والظلم عليهم، لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التأويل، وهو قوله: ^٩ أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، في هذا من الدلالة أن عندهم أنه لا يقضي بالحق لهم وأنه يجور حيث قال: ^{١٠} أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، فمن كان على هذا الوصف فهو يخاف جوره وحيفه، إلا أن يجعل الآية في فرق من المنافقين: فرقة^{١١} منهم عرفوا أنه لا يقضي إلا بالحق، وفرقة منهم كان في قلوبهم مرض، وفرقة ارتابوا فيه،^{١٢} وفرقة خافوا جوره، وهم كانوا فرقا، ألا ترى أنه قال: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ^{١٣} ومنهم من قال كذا، ومنهم قال كذا. أو أن يكون^{١٤} تأويل قوله:

^١ ر ع م: في تلك.

^٢ ر م - منك.

^٣ ر م: وقومه.

^٤ ن: إلى النبي عليه السلام.

^٥ انظر: تفسير القرطبي، ٢٩٣/١٢.

^٦ ر: ننزل.

^٧ ع: في ظاهر.

^٨ ر م - أي.

^٩ ر ع م: وقوله.

^{١٠} ر: فرق.

^{١١} ر ع م - فيه.

^{١٢} ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَتَصَّدَّقَنَّ وَلَتَكُونُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة التوبة، ٧٥/٩).

^{١٣} ع: وأن يكون.

وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين، أي وإن^١ يكن لهم القضاء بالحق أتوه مدعين، أي إذا عرفوا أنه يقضي لهم لا محالة أتوه وإلا لا يأتونه. فإن كان على هذا فما ذكر على^٢ سياقه من المرض والارتباب والحواف في الحيف فمستقيم. على هذين الوجهين يتم أن يخرج تأويل الآية، وأما على غير ذلك فإننا لا نعلم. والله أعلم.^٣

وقوله: وما أولئك بالمؤمنين، لأن من ارتاب أو شك في رسالته أو خاف جوره وحيفه^٤ فهو كافر ليس بمؤمن.

وقوله: ^٥ أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون، يخرج^٦ على وجهين وإن كان ظاهره حرف شك. أحدهما على الإيجاب والتحقيق، أي في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا؛^٧ على ما ذكرنا في حرف الاستفهام أنه في الظاهر وإن كان استفهاما فهو في التحقيق علم وإيجاب، أي قد علمت ورأيت ونحوه لما لا يجوز الاستفهام منه، فعلى ذلك هذا. والثاني ما ذكرنا أنه في فرق: فرقة عرفت أنه لا يقضي^٨ إلا بالحق، وفرقة منهم ارتابت، وفرقة منهم خافت جوره وظلمه. قال القتيبي: قوله: مدعين، أي [مقرين] خاضعين.^٩ وقال أبو عؤسجة: مسرعين مطيعين، يقال: ناقة مدعان، أي سريعة، ونوق مداعين. والحيف^{١٠} الجور، حاف يحيف^{١١} حيفا فهو حائف.^{١٢}

وقوله: وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، قوله: دُعوا إلى الله، يحتمل إضافة الدعاء إلى الله وجهين. أحدهما دعوا إلى كتاب الله، وإلى رسوله إذا فريق منهم معرضون، كقوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَأَفِّفِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا.^{١٣}

^١ ع + م.

^٢ ع: في.

^٣ ن: وحيله.

^٤ ر ع م: وفي قوله.

^٥ ع - يخرج.

^٦ ع: أو خافوا.

^٧ ر م: لا يقتضي.

^٨ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٦.

^٩ ع: والخوف.

^{١٠} ع: خاف يخيف.

^{١١} ع: خائف.

^{١٢} سورة النساء، ٦١/٤.

والثاني إضافته^١ إلى الله هي إضافة^٢ إلى رسوله، كقوله: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ،^٣ جعل طاعة الرسول طاعة لله،^٤ فعلى ذلك جائز أن يراد بإضافة الدعاء إلى الله دعاء إلى الرسول،^٥ وعلى ذلك يخرج قوله: أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، لا يحتمل أن يكونوا يخافون حيف الله وجوره^٦ لكن إنما يخافون جور رسوله أو كتابه. والله أعلم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥١]

وقوله: إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله، قد ذكرنا إضافة الدعاء إلى الله في قصة المنافقين وعتهم، فعلى ذلك^٧ نعت المؤمنين.^٨ وقوله:^٩ أن يقولوا سمعنا وأطعنا، يحتمل قوله: سمعنا، أي سمعنا الدعاء، وأطعنا الأمر. ويحتمل سمعنا أجبنا، وأطعنا الأمر. وجائز أن يكون قوله: سمعنا وأطعنا ليس على حقيقة القول منهم والنطق به ولكن / إخبار من الله تعالى عما هم عليه واعتقدوا به، إذ كل مؤمن^{١٠} يعتقد [٥٢٨ظ] في أصل اعتقاده طاعة الله وطاعة رسوله، فيكون كما ذكر في آية أخرى: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا،^{١١} هذا إخبار عما أطعمواهم،^{١٢} ليس أنهم قالوا باللسان: إنما نطعمكم لكذا، ولكن إخبار عما في قلوبهم، فعلى^{١٣} ذلك الأول.

^١ ع: إضافة.

^٢ ن: إضافته.

^٣ سورة النساء، ٤/٨٠.

^٤ ر ع م: الله.

^٥ ر ن ع: إلى رسول الله.

^٦ ع: جوره.

^٧ ع + في؛ م + في جائز.

^٨ ن - وقوله إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله قد ذكرنا إضافة الدعاء إلى الله في قصة المنافقين وعتهم فعلى ذلك نعت المؤمنين.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ع: من.

^{١١} سورة الإنسان، ٧٦/٩.

^{١٢} ر م: أطعموهم.

^{١٣} ن: فعل.

وقوله عز وجل: **وأولئك هم المفلحون**، المفلح هو الذي يظفر بحاجته دنيوية^١ [كانت] أو أخروية؛^٢ يقال: فلان أفلح، أي ظفر بحاجته. **والله أعلم**.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [٥٢]

وقوله:^٣ **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقّه**، يحتمل قوله: ويخش الله، أي يخشى الله على ما مضى من ذنوبه، **ويَتَّقْهِ** فيما بقي من عمره. أو يخشى الله على ما يكون منه من التقصير والتفريط، **ويَتَّقْهِ** ذلك وكل معصية الله ومخالفته. **فأولئك هم الفائزون**، وفي حرف ابن مسعود وأبي وحفصة: **فأولئك هم المؤمنون**،^٤ فهما^٥ واحد.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٥٣]

وقوله:^٦ **وأقسموا بالله جهد أيمانهم**، قال بعضهم: كل يمين بالله فهو **جهد اليمين**، لأنهم من عادتهم أنهم كانوا لا يخلصون بالله إلا في العظيم من الأمر والخطير، فأما الأمر الدون فإنما يخلصون بغيره، فيكون على هذا كل يمين بالله فهو **جهد اليمين**. ويحتمل أن يكونوا حلفوا بإيمان^٧ غليظة شديدة على ما يغلظ الناس في أيمانهم، ربما سُمي^٨ ذلك **جهد اليمين**. أو أن يكون **جهد اليمين** ما ذكر على إثره وهو قوله: **لئن أمرتهم ليخرجن**. قوله: **لئن أمرتهم ليخرجن**^٩ هو **جهد أيمانهم**. **والله أعلم**. وقوله:^{١٠} **لئن أمرتهم ليخرجن**،^{١١} يحتمل وجوها. [يحتمل] **لئن أمرتهم ليخرجن** من أرضهم التي تحاصموا إليه فيها، أي ليخرجن ويسلمونها إلى خصمهم. ويحتمل: **لئن أمرتهم ليخرجن**

^١ جميع النسخ: دنيوية.

^٢ ر م: وأخروية.

^٣ ن: قوله.

^٤ ع + فأولئك هم المفلحون.

^٥ ن: هما؛ ع: فيهما.

^٦ ن: قوله.

^٧ ع: فهي؛ م: فهم.

^٨ جميع النسخ: يمين.

^٩ جميع النسخ: فسمي.

^{١٠} ع - قوله لئن أمرتهم ليخرجن.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ر ن + قوله لئن أمرتهم.

من جميع أملاكهم وما تحويه أيديهم تعظيماً لأمرِك وإجلالاً، فكيف لا يتبعون لقضائك وينقادون لحكمك. وجائز أن يكون قوله: ليخرجن من المدينة بعيالاتهم وجميع حواشيهم إلى بلدة^١ أخرى. وقال بعضهم: لئن أمرتهم ليخرجن، أي [إن] أمرتهم أن يخرجوا في الجهاد ليخرجن، لأنهم كانوا يتخلّفون. ثم أمر رسوله أن ينهاهم عن القسّم الذي أقسموا فقال:^٢

قل لا تُقسموا طاعةً معروفةً، اختلف فيه، قال بعضهم: لا تقسموا فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم^٣ تبلغوه.^٤ ثم قال: طاعة معروفة^٥ يقول: أطيعوه وقولوا له المعروف. وقال بعضهم: قوله: لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تُقسموا، تم الكلام ثم قال: طاعة معروفة. وفي هذا الكلام حذف الإيجاز^٦ يُستدلّ بظاهره^٧ عليه، كأن القوم^٨ كانوا ينافقون ويحلفون^٩ في الظاهر على ما يضمرون خلافه ف قيل لهم: لا تقسموا هي طاعة معروفة صحيحة لا نفاق فيها، لا طاعةً فيها نفاقاً. وقال بعضهم: لا تحلفوا ولتكن هذه منكم للنبي طاعة معروفة^{١٠} حسنة. وقال بعضهم: طاعة معروفة، يقول: طاعة يعرف أنها طاعة بالقول والعمل، لا تكونوا كاذبين فيها بالقول دون العمل. وبعضه قريب من بعض.

إن الله خبير بما تعملون، فلا تقسموا. وفيه دلالة إثبات رسالته لأنهم كانوا يُسرون ويُضمرون فيما بينهم التوليّ والإعراض عن حكمه، ثم أخبرهم بذلك فعلموا أنه بالله عرف ذلك.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [٥٤]

وقوله: قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا، أي تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم، قال: فإنما على النبي ما أمر بتبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم

^١ ن - بلدة.

^٢ ع: فقالوا.

^٣ ن: ثم.

^٤ أي إن الله لو طلب منكم أن تبلغوا أقصى جهدكم لن تبلغوه.

^٥ ع - اختلف فيه قال بعضهم لا تقسموا فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم تبلغوه ثم قال طاعة معروفة.

^٦ ن ع م: للإيجاز.

^٧ ع: ظاهره.

^٨ جميع النسخ: القول.

^٩ ن - ويحلفون.

^{١٠} ع - معروفة.

وأمرتم من الطاعة لله^١ ورسوله. ويحتمل: فإنما عليه أداء ما حمل من الفرائض وعليكم أداء ما حملتم وأمرتم^٢ من الفرائض. وجائز أن يكون قوله: فإنما عليه ما حمل، أي لا يُسأل هو ولا يؤاخذ^٣. بما عليكم ولا تسألون^٤ أنتم ولا تؤاخذون أيضا بما عليه؛ إنما يسأل كلُّ عما عليه، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،^٥ وَإِنَّهُ أَعْلَمُ. وقوله^٦: وَإِنْ طَاعُوهُ تَهْتَدُوا، لا شك أنهم إن أطاعوه اهتدوا. وما على الرسول إلا البلاغ المبين، ظاهر.^٨

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٥٥]

وقوله^٩: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، قال بعضهم: مكث رسول الله بمكة سنين من بعد ما أوحى إليه خائفا هو وأصحابه يدعون الناس إلى الله تعالى سرا وعلانية، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فكانوا بها خائفين يصبحون في السلاح ويُمسئون^{١٠} في السلاح. فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله! أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله: «لن تلبثوا^{١١} إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء^{١٢} العظيم محتبيا^{١٣} ليس فيهم حديدة»، فأنزل الله هذه الآية على إثر ما ذكر.^{١٤}

^١ ع - الله.

^٢ ن - وأمرتم.

^٣ م: يؤخذ.

^٤ ن: ولا يسألون.

^٥ ن - بما.

^٦ سورة الأنعام، ٥٢/٦.

^٧ ن: قوله.

^٨ ر: ظاهره.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر م: ويمشون.

^{١١} ر م: لن تلبثوا؛ ن: لن يلبثوا؛ ع - تلبثوا.

^{١٢} جميع النسخ: في البلاء.

^{١٣} ر: محتبيا؛ م: مخبيا. احتى: جلس على أليتيه وضم فحدييه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند (المعجم الوسيط، «حبا»؛ قارن: لسان العرب، «حبا»).

^{١٤} انظر: تفسير ابن كثير، ٢٩١/٣؛ والدر المنثور للسيوطي، ٢١٥/٦.

وقال بعضهم: لما صدَّ المشركون رسول الله وأصحابه يوم الحديبية وعد الله المسلمين أن يُظهرهم وأن يفتح^١ لهم مكة؛ وقالوا: ^٢ وتصديق ذلك ما ذُكر في سورة الفتح وهو قوله: هُمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ^٣ الآية، حتى قال في آخر ذلك: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، ^٤ الآية. وعد رسوله في القرآن أنه يستخلفهم في الأرض ويُنزلهم^٥ فيها كما استخلف الذين من قبلهم فجعلهم خلفاء في الأرض. وقال قائلون: كان وعده إياهم في التوراة^٦ / والإنجيل والزبور أنه يجعلهم^٧ خلفاء في الأرض [٥٢٩و] كما فعل بالذين من قبلهم. ولكن كيف ما كان ذلك الوعد لهم في القرآن أو في الكتب المتقدمة ففيه^٨ أمران اثنان. ^٩ أحدهما البشارة للمسلمين والحجة على الكافرين، لأنه وعد لهم الأمن^{١٠} والنصر^{١١} في وقت^{١٢} لا يرجون ولا يطمعون النجاة، فضلا أن يطمعوا الاستخلاف والتمكين^{١٣} في الأرض وإظهار الدين الذي ارتضى لهم - وهو الإسلام - على الأديان كلها. فإذا^{١٤} كان مثل ذلك الوعد والبشارة لا يطمع ولا يرجى في مثل ذلك الوقت والخوف عليم أنه إنما^{١٥} بشرهم بذلك بوحى^{١٦} من الله ووعد منه فكان ما وعد. دل أنه بالله وعد ذلك وبشر، فذلك^{١٧} حجة على أولئك وبشارة للمؤمنين. والله أعلم.

١ ع: تفتح.

٢ جميع النسخ: وقال.

٣ ﴿هُمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدِينَةِ مُهَدًى﴾ (سورة الفتح، ٢٥/٤٨).

٤ ر م - كله. سورة الفتح، ٢٨/٤٨.

٥ جميع النسخ: وينزل.

٦ ع: بالتوراة.

٧ م: يجعله.

٨ ع: وفيه.

٩ ع: اسلام.

١٠ ر: الا.

١١ جميع النسخ: في النصر.

١٢ ع - في وقت.

١٣ ر ع م: والتمكين.

١٤ ع: إذا.

١٥ م - ذلك.

١٦ ع: وحي.

١٧ ر م + على.

وقوله: **ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**، قوله: **ومن كفر بعد ذلك** ليس بشرط^١ فيه، لأنه لو كفر قبل ذلك أيضا فهو فاسق. ثم من الناس من قال: **ومن كفر بعد^٢** هذه النعم التي أنعمها عليهم ولم يشكره عليها فهو كذا. وجائز أن يكون قوله: **ومن كفر بعد ذلك** وليس له جواب.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٥٦]

وقوله: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول فيما أمركم به^٤** ونهاكم عنه، **لعلكم ترحمون**، أي ترحمون.^٥ هو ظاهر، قد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع. ثم قال:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [٥٧]

لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض، قال بعضهم: معجزين، أي فائتين في الأرض هربا من عذابه^٦ فلا يدركهم. وقال بعضهم:^٧ [معجزين] سابقين في الأرض هربا أيضا حتى لا يجزؤون^٨ بكفرهم، وهو واحد. ومأواهم النار ولبئس المصير، قد ذكرنا أيضا.

وقوله:^٩ **لا تحسبن**، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنهم ليسوا بفائتين ولا بسابقين^{١٠} عنه، لكنه ذكر له هذا كما ذكر في قوله: **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**،^{١١} هما واحد. وفي حرف ابن مسعود وأبي وحفصة: **إحسب^{١٢}** الذين كفروا أن يعجزوا^{١٣} الله في السماوات والأرض. إنه وإن اختلفت^{١٤} الحروف فالمعنى واحد. والله أعلم.

^١ م: شرط.

^٢ ع - من قال.

^٣ ع: بعده.

^٤ ع - به.

^٥ م - أي ترحمون.

^٦ ر م: من عذاب.

^٧ ن - بعضهم.

^٨ ع: لا يجزعوا.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ن ع: لا سابقين.

^{١١} سورة إبراهيم، ٤٢/١٤.

^{١٢} جميع النسخ: حسب. وهي قراءة ابن مسعود فقط، انظر: كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٦.

^{١٣} ر م: يعجزه.

^{١٤} جميع النسخ: اختلف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصْعُونَ نِيَابَتَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٥٨]

وقوله^١ تعالى: يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم، قال بعضهم: ذكر أن رجلا وامرأته تسمى أسماء بنت^٢ مرثد^٣ اتخذ^٤ طعاما للنبي، فجعل الناس يدخلون بغير إذن. فقالت^٥ أسماء: ما أقبَح^٦ هذا يا رسول الله أن يدخل على الرجل وامرأته بغير إذن وهما في ثوب واحد غلامهما^٧ المملوك فأنزل الله: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم.^٨ وقال بعضهم: نزل هذا في شأن عمر بن^٩ الخطاب وهو مما قال: وافقت ربي في ثلاث. ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث^{١٠} غلاما من الأنصار يقال له مُدْلج إلى عمر بن^{١١} الخطاب ظهيرة^{١٢} ليدعوه، فانطلق الغلام إليه ليدعوه^{١٣} فوجده قائلا قد أغلق عليه الباب فسأل الغلام عنه فأحبر أنه في هذا البيت. قال: فدفع^{١٤} الغلام الباب إلى عمر وسلم [عليه] فلم يستيقظ عمر، فرجع الغلام ورد الباب فقام^{١٥} من خلفه^{١٦} وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام: اللهم أيقظه لي. قال: ودفع الباب ثم ناداه ودخل فاستيقظ عمر فجلس^{١٧}

^١ ن: قوله.

^٢ جميع النسخ: ابنت.

^٣ ن ع: مرشد.

^٤ ع: اتخذوا.

^٥ ن: وقالت.

^٦ ن: ما أفتح.

^٧ م: غلامها.

^٨ انظر: تفسير القرطبي، ٣٠٢/١٢، وتفسير ابن كثير، ٢٩٣/٣.

^٩ ر: ابن.

^{١٠} ع - بعث.

^{١١} ر: ابن.

^{١٢} ع - فانطلق الغلام إليه ليدعوه.

^{١٣} ع: فوق.

^{١٤} ع: فقال.

^{١٥} جميع النسخ: من خلف.

^{١٦} م - فجلس.

فانكشف منه شيء فرآه الغلام، وعرف عمر أن الغلام قد رأى ذلك منه فقال عمر: وددت والله أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن.^١ ثم انطلق^٢ معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد نزل عليه هذه الآية وأمر بالاستئذان على دخولهم في هذه الساعات.^٣ لكن لا حاجة لنا^٤ إلى أن نتعرف أنها نزلت في شأن فلان أو فلان^٥ أو في أمر فلان وسببه سوى أن نتعرف المودع^٦ فيها وما ذكر^٧ من أنواع الآداب والأحكام.

ثم خاطب^٨ بالاستئذان المستأذن عليه لا المستأذن والسادات والآباء ومن يقول^٩ الصغار حيث قال: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم. وذلك الخطاب -والله أعلم- يخرج مخرج الأمر للآباء والسادات بتعليم أمور الدين والقيام بما يحتاجون إليه والتأديب على ذلك إن أبت أنفسهم. وكذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرة وفرقوا بينهم في المضاجع»،^{١٠} خاطب به الآباء والأولياء أن يأمرهم بأمور الدين أمر عادة والتعليم لهم والتأديب إن امتنعوا عن ذلك ولم يخاطبهم في أنفسهم^{١١} لجهلهم وقلة معرفتهم بأمرهم، وإذا بلغوا وعرفوا الأمر والأمر فعند ذلك خاطبهم بأنفسهم بالاستئذان، حيث قال: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا،^{١٢} خاطبهم إذا بلغوا وأمرهم بالاستئذان في أنفسهم.^{١٣} وما داموا صغارا خاطب به الآباء والأولياء لما لا يجري عليهم القلم، وليس الخطاب والأمر والنهي إلا الجزية القلم عليهم،

^١ ر م: بإذنه؛ ن: بالإذن.

^٢ ع: فانطلق.

^٣ انظر: تفسير القرطبي، ٣٠٢/١٢، ٣٠٤.

^٤ ر م: لها.

^٥ ر م: وفلان.

^٦ م: الورع.

^٧ أي قول الله.

^٨ ع - ثم خاطب.

^٩ جميع النسخ + به؛ ع: ويعول.

^{١٠} انظر: مسند أحمد بن حنبل، ١٨٠/٢؛ وسنن أبي داود، الصلاة ١.

^{١١} ر م: في ذلك.

^{١٢} الآية التالية.

^{١٣} ع - حيث قال وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا خاطبهم إذا بلغوا وأمرهم بالاستئذان في أنفسهم.

وترك الأمر والخطاب لرفع^١ القلم عنهم. وأما^٢ أمر الآباء لهم بذلك يخرج مخرج الشفقة^٣ عليهم^٤ والقيام لبعض مصالحهم وذلك^٥ جائز.

ثم اختلف فيما ملكت أيماننا. قال جماعة: هن النساء^٦ دون الرجال. وأما الرجال فإنهم يستأذنون^٧ في جميع الأوقات. وقال بعضهم: هم النساء والرجال جميعاً، فالنهي^٨ عن الدخول [٥٢٩ظ] في هذه الأوقات الثلاث، إذ هي أوقات غيرة وساعات غفلة للذكور والإناث جميعاً. ومنهم من يقول: هم الكبار منهم دون الصغار. والأشبه أن يكون في الصغار منهم، لأن الكبار منهم والأحرار سواء في حظر النظر إلى العورة وإباحته. ألا ترى^٩ أنه قال: والذين لم يبلغوا الحلم منكم وهم الأحرار والصغار، فعلى ذلك قوله: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الصغار منهم، أمر السادات بتعليم ما ذكرنا من الأمور. والله أعلم.

وقوله: والذين لم يبلغوا الحلم منكم، هذا يحتمل وجهين. يحتمل قوله: لم يبلغوا الحلم، أي لم يحتلموا.^{١٠} ويحتمل: والذين لم يبلغوا الحلم، أي لم يبلغوا مبلغ الحلم بعد ما جعلهم في مراتب ثلاث أعني الصغار: في حال لا يؤمرون ولا يُنهون وهي الحال التي لا يميزون بين العورة وبين غير العورة، وهو ما قال: أو الطفيل الذين لم يظهروا على عورات النساء،^{١١} أي لا يعرفون العورة من غير العورة؛ وحال يعرفون ذلك إلا أنه لا يقع لهم الحاجة إليها

^١ ر م: لدفع.

^٢ م: وما.

^٣ ر ن م + لهم.

^٤ م - عليهم.

^٥ ع: ذلك.

^٦ ع: جماعتهن النساء.

^٧ ع: يستأذون.

^٨ ر ع م: والنهي.

^٩ ن + منهم.

^{١٠} ن: يرى.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ع + أي.

^{١٣} ع: لم يحتمل.

^{١٤} ع: أو يحتمل.

^{١٥} سورة النور، ٣١/٢٤.

فيؤمرون بالستر^١ عنهم؛ وحال^٢ تقع^٣ الحاجة إليها وقضاء الوَطْرِ فيؤمرون بالحجاب والتفريق في المضاجع. والله أعلم.

وقوله: ثلاث مَرَاتٍ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث^٤ عَوْرَاتٍ لكم. يحتمل قوله: ثلاث عورات لكم وجهين.^٥ أحدهما ثلاث أوقات لكم وساعاتها، ويحتمل ثلاث عورات، أي ثلاث حالات يظهر فيها العورة، كقوله: إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ،^٦ أي ليس مما يمنع الشَّرَاقِ^٧ عن السرقة منها.^٨ وفيه أن العمل بالاجتهاد في الأغلب^٩ والأكبر من الرأي، والأمر ليس على الحقيقة جارياً،^{١٠} لأنه قد سُمِّيَ ثلاث^{١١} عورات من الأمر، ونَهَى عن الدخول^{١٢} بلا استئذان وإن كان يجوز أن تكون^{١٣} العورة مستورة، وأباح في غيرها من الأوقات الدخول بلا استئذان.

ويجوز أن يكون هنالك كشف العورة حيث قال: ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، أي بعد ثلاث ساعات. طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، لكنه أباح وحظر بالأغلب والأكبر لا على الحقيقة. وهكذا العمل بالاجتهاد. والله أعلم.

وقوله: طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ، أي يخدمونكم بعد هذه الثلاث ساعات، يدخلون عليكم بغير إذن. بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْخِدْمَةِ فَلَا إِذْنَ عَلَيْهِمْ، لما ذكرنا أن الأغلب أن تكون^{١٥} العورات مستورة في غير هذه الثلاث ساعات وفي الثلاث لا.

١ م: بالستر.

٢ م: رجال.

٣ جميع النسخ: يقع.

٤ ر ن ع + أوقات.

٥ ع - وجهين.

٦ ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).

٧ م: السرقة.

٨ ر ع م: فيها.

٩ ع: وفي الأغلب.

١٠ جميع النسخ: جائز.

١١ ر م: بثلاث.

١٢ ع: لدخول.

١٣ جميع النسخ: يكون.

١٤ م: الله.

١٥ جميع النسخ: يكون.

قال القُتَيْبِيُّ: الذين ملكت أيمانكم، أي يعني العبيد والإماء.^١ ثلاثُ عَوَزَاتٍ لَكُمْ يريد هذه الأوقات لأنها أوقات التجرد وظهور العورة. أما قبل صلاة الفجر فللخروج من ثياب النوم وليس ثياب النهار، وأما عند الظهر فلو وضع الثياب للقبولة، وأما بعد صلاة العشاء فلو وضع الثياب للنوم. بعدهن، أي بعد هذه الأوقات. ثم قال: طوافون عليكم، يريد أنهم حَدمكم فلا بأس بأن يدخلوا، قال الله تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِذَلِكَ مُخَلَّدُونَ،^٢ أي يطوف عليهم في الخدمة. وقال أبو عَوَزَسَجَةَ: الظهرية نصف النهار وظهائر جمع،^٣ واطهرت، أي دخلت في الظهرية.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٥٩]

وقوله:^٤ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، قد ذكرنا أنه خاطب به الأولياء في تعليم الآداب^٥ وأمور الدين الصغار ولم يخاطبهم هو^٦ حيث قال:^٧ لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ،^٨ وإذا بلغوا خاطبهم بأنفسهم حيث قال: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا. ثم^٩ يحتمل قوله: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم وجهين. يحتمل إذا احتلموا، ويحتمل إذا بلغوا وقت الحلم. فالأول على حقيقة الاحتلام، والثاني على قرب بلوغ الاحتلام. فكان الأول أشبهه، لأنه خاطبهم في أنفسهم وأمرهم بالاستئذان، فلو لم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الأولياء كما خاطبهم في الآية الأولى. وفيه دلالة أن الحد في بلوغ الصغير الاحتلام، وعلى ذلك اتفاق القول منهم، ألا ترى أنه قال:

^١ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٦.

^٢ سورة الواقعة، ١٧/٥٦.

^٣ ن: ع: جميع.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر: ع: م: فقد.

^٦ ع: الأدب.

^٧ ع + من.

^٨ ع - قال.

^٩ الآية السابقة.

^{١٠} ر: م: لم.

فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم يقول -والله أعلم- كما أمر^١ به قبل هذه الآية البالغين أن لا يدخلوا بيتا حتى يستأذنوا على أهلهم.^٢ أو أن يكون قوله: كما استأذن الذين من قبلهم،^٣ يعني الكبار، إذ^٤ يكون الاستئذان^٥ في الكبار معروفا ظاهرا وفي الصغار لا، فأمر إذا بلغوا أن يستأذنوا. كما يستأذن الكبار منهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ظاهر الآية وهو ما قال: «رُفِعَ القلم عن ثلاث، أحدهم الصبي حتى يحتلم.»^٦ وأما إذا بلغ خمس عشرة سنة^٧ فمما اختلف^٨ أصحابنا فيه. رآه أبو يوسف ومحمد بالغاً لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أجازه في القتال وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يُجز له وهو ابن أربع عشرة سنة.^٩ لكن ليس فيه أنه أجازه^{١٠} لبلوغه ولم يُجزه لأنه لم يبلغ. جازت إجازته في العام الثاني لقوته وطاقته^{١١} على القتال، ولم يجزه^{١٢} في العام الأول لضعفه ووهنه وعجزه عن القتال. واحتج بعض مشايخنا رحمهم الله لقول^{١٣} أبي حنيفة في تحديده بثماني عشرة سنة لبلوغ الغلام إذا لم يحتلم، قال: لأن الوسط من احتلام الغلمان أن يبلغوا / خمس عشرة سنة، وربما احتلموا قبل ذلك وربما^{١٤} تأخر احتلامهم عنه، [٥٣٠]

^١ جميع النسخ: ما أمر.

^٢ ر م: على أصله.

^٣ ع - يقول والله أعلم ما أمر به قبل هذه الآية البالغين أن لا يدخلوا بيتا حتى يستأذنوا على أهلهم أو أن يكون قوله كما استأذن الذين من قبلهم.

^٤ جميع النسخ: أن.

^٥ م + أن.

^٦ الحديث ورد في سنن أبي داود (الحدود ١٦) ولفظه: «رُفِعَ القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يُفريق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم.» وانظر أيضا: سنن ابن ماجه، الطلاق ١٥؛ وسنن الترمذي، الحدود ١؛ وسنن النسائي، الطلاق ٢١.

^٧ ن + فيه.

^٨ والحديث ورد في صحيح مسلم (الإمارة ٩١) ولفظه: «عن ابن عمر قال عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُخِذَ في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني، وعرضني يوم الحندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني.» وانظر أيضا: سنن ابن ماجه، الحدود ٤؛ وسنن أبي داود، الحدود ١٧؛ وسنن النسائي، الطلاق ٢٠.

^٩ ع: أجازه.

^{١٠} ر: لتقويته وطاقته؛ م: لتقويته وطاقته.

^{١١} ر: ولم يجز.

^{١٢} ر: لقوله؛ م: بقوله.

^{١٣} ر م: ربما.

ووجدوا^١ المعروف فيمن نقصت سنَّه^٢ عن اثني^٣ عشرة سنة^٤ أن لا يحتلم، فإذا بلغها فرما احتلم.
فجعل حد الزيادة على الخمس عشرة^٥ سنة^٦ التي هي وسط^٧ بين المختلفين^٨ ثلاث سنين كما
كان^٩ مقدار النقصان عنها ثلاث سنين. وهذا القول من قوله استحسان. والله أعلم.
وقوله: كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم. قوله: كذلك يبين الله لكم آياته،
أعلامه، أي يبين لكم الأعلام التي تحتاجون^{١٠} إليها، وتعرفون^{١١} ما يتسع لكم مما لا يسع^{١٢} وما
يؤتى^{١٣} مما^{١٤} يتقى. وقال بعضهم: آياته ههنا أمره ونهيه. والله أعلم.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِرِزْقٍ وَآلٍ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٦٠]

وقوله: والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا، قال أهل التأويل: قوله: لا يرجون
نكاحا، أي^{١٥} لا يريدون نكاحا. لكن الأشبه أن يكون قوله: لا يرجون نكاحا، أي لا يطمعن
أن^{١٦} يرغب^{١٧} فيهن الرجال لكبرهن، وإلا كن يردن النكاح وإن كبرن وعجزن.
وقوله: فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة، قال^{١٨} بعضهم: ثيابهن
الرداء، وكذلك وروي في حرف ابن مسعود أنه قرأ: ^{١٩} أن يضعن من ثيابهن، وهو الرداء،

١ ر: ووجدوا.

٢ ر: اثني.

٣ ر م - سنة.

٤ ر: عشر.

٥ ع: الوسط.

٦ ر م: المختلفين.

٧ ر: يقال.

٨ ر ع م: يحتاجون.

٩ ر ع م: ويعرفون.

١٠ ع - مما لا يسع.

١١ ع: وما.

١٢ ر م - أي.

١٣ ع: لا.

١٤ ع: يرغبن.

١٥ ر ع م: وقال.

١٦ م: قراء.

١٧ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٦.

وقال بعضهم: هو الجلباب؛ يقال: ^١ الجلباب هو القناع الذي يكون فوق الخمار فلا بأس أن تضع ذلك عند أجنبي وغيره بعد أن يكون عليها خمار ضيق؛ غير متبرجات بزينة، يقول -والله أعلم- من غير أن يكون وضعت الرداء أو الجلباب ^٢ تريد بذلك إظهار الزينة والتبرج. وقوله: ^٤ وأن يستعففن خير لهن، أي ^٥ وأن لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن من أن يضعن. وقال بعضهم: [الثياب هي] الخمار، لكنه لا يحتمل لأنه معلوم أن المرأة وإن كبرت وعجزت لا تكشف عورتها لأحد.

ثم الزينة ربما تُكشف للمحارم ولا تكشف للغريب، وهي ^٦ الرأس والصدر ونحوه. ^٧ فإذا بلغت في السن مبلغا لا تطمع أن يُرعب في نكاحها لا تتزين. ومع ما ^٨ لا تفعل لا يحل للأجنبي أن ينظر إلى شعرها ولا إلى صدرها ^٩ ولا إلى ساقها، وإنها إن ^{١٠} صلت ورأسها مكشوف فصلاتها ^{١١} فاسدة. وإذا كان كذلك فليس يجوز أن يُجعل تأويل وضع الثياب الخمار لما ذكرنا، ولكن الرداء أو الجلباب ^{١٢} الذي يلبس إذا خرجن من منازلهن.

فإن قيل: إنما أطلق لها بهذه الآية أن تضع خمارها عن رأسها إن ^{١٣} لم يرها أحد. قيل: الشابة ^{١٤} أيضا يجوز لها أن تضع الخمار عن رأسها إذا حلت في البيت، فذلك يدل على أن العجوز إذن لها أن تضع ثوبها وهو الجلباب أو الملاءة ^{١٥} التي ^{١٦} كانت تغطي بها

^١ ع: هو.

^٢ ر م - الجلباب.

^٣ ر: والجلباب.

^٤ ن: قوله.

^٥ ع - أي.

^٦ جميع النسخ: وهو.

^٧ ع - ونحوه.

^٨ جميع النسخ: ومعما.

^٩ ع - ولا إلى صدرها.

^{١٠} ر ع م: وإن.

^{١١} ر م - فصلاتها.

^{١٢} ر ع م: والجلباب.

^{١٣} جميع النسخ: إذ.

^{١٤} ع م: الشبابة.

^{١٥} ن: والملاءة.

^{١٦} ر ع: الذي.

وجهها إذا خرجت. وإذا كان المُطْلَق لها^١ هذا فالواجب على الشابة أن لا تُظهر وجهها إذا كانت تُشْتَهَى ولا يَدِّيها. فإذا كان كذلك كان قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وهو الزينة التي لا يمكن سترها بحال وهو الكحل. والله أعلم.

وقوله:^٤ غَيْرِ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ، قال بعضهم: أي غير مُظْهِراتٍ محاسنهن. وقال بعضهم: غير مُتَبَرِّجَاتٍ، أي غير مُتَزَيِّنَاتٍ بِزِينَةٍ. والمُتَبَرِّجَةُ المُتَزَيِّنَةُ لإظهار الزينة. والزينة هي الداعية المرغبة إلى النظر إليها وقضاء الشهوة. فكأنه أباح لها وضع الثياب إذا كانت غير مُتَزَيِّنَةٍ، وإذا كانت مُتَزَيِّنَةً فلا. وأباح لها أيضا إذا لم يكن بها محاسن يُرْعَبُ فيها، وإذا كان بها ذلك لم يُبَح.

وقوله: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرَ لَهْنٍ، يحتمل وجهين. يحتمل وأن يستعففن ولا يبدین محاسنهن خیر لهن من أن يبدین. والثاني وأن يستعففن ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علما بين معرفة الحرمة من الأمة خیر لهن من الوضع، كقوله: يُدَيِّنَ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ،^٧ أَنْ يُعْرَفْنَ أَنَّهُنَّ حَرَائِرٌ فَلَا يُؤْذَيْنَ كما تؤذى الإماء. والله أعلم.

وقوله:^٨ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، كأن قوله: وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ههنا صلة قوله: لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ،^{١١} وإلا ليس في هذه الآية ما يوصل به، أو أن يكون جوابا له. قال الْقَبِّي: القواعد من النساء، هن العُجْر، واحدها قاعد، ويقال: إنما قيل لها^{١١} قاعد

^١ ن: له.

^٢ م - هذا.

^٣ ﴿وَلَا يُدَيِّنُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (سورة النور، ٣١/٢٤).

^٤ ن: قوله.

^٥ ر م: يرغبه.

^٦ م - بها.

^٧ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدَيِّنُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ (سورة الأحزاب، ٥٩/٣٣).

^٨ ن: قوله.

^٩ ع - والله.

^{١٠} سورة النور، ٥٨/٢٤.

^{١١} ر: لهما.

لعودها عن المحيض^١ والولد، ومثلها ترجو^٢ النكاح، أي^٣ تطمع فيه، ولا أراها سميت قاعدا [إلا] بالعود عما ذكر^٤ لأنها إذا أسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعود فليل لها: قاعد بلا هاء ليدل بحذف الهاء^٥ على أنه فُعود^٦ كبر كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليعرف على أنه يحمل حبل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها وحاملة على^٧ ظهرها.^٨ وقال: العرب^٩ تقول: وامرأة واضع إذا كبرت فوضعت الثياب، ولا يكون هذا إلا في الهرمة. وقال أبو عؤسجة: غير متبرجات، أي غير مظهرات محاسنهن، والمتبرجة المتزينة بإظهار الزينة.

وحاصل قوله: ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة يخرج على وجهين، والله أعلم. أحدهما يكون معنى قوله: لا يرجون نكاحا غير متبرجات بزينة، كل واحد من الحرفين يكون معناه معنى الآخر، كقوله: مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ؛^{١١} إذا كن محصنات كن غير مسافحات [٥٣٠] وإذا كن غير^{١٢} مسافحات / كن^{١٣} محصنات. فعلى ذلك قوله: لا يرجون نكاحا، إذا كن لا يرجون النكاح كن غير متبرجات - والله أعلم - لأن التزين إنما يكون منهن طمعا في النكاح. والثاني مع ما لا يرجون النكاح يتزين ويتبرجن فقال: ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير مظهرات الزينة. على هذين الوجهين جائز أن يخرج تأويل الآية.

وقوله:^{١٤} وأن يستعففن عن ذلك كله خير لهن. والله أعلم.

^١ جميع النسخ: من الحيض.

^٢ ر: ترجوا.

^٣ ع: أن.

^٤ ن - عما ذكر.

^٥ جمع النسخ: إلا أنها.

^٦ ع - الهاء.

^٧ م: قعود.

^٨ ر م: في.

^٩ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٧-٣٠٨.

^{١٠} ن م: والعرب.

^{١١} ﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مَحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَخَدَّاتٍ أُخْدَانٍ﴾ (سورة

النساء، ٢٥/٤).

^{١٢} ع - غير.

^{١٣} ع + غير.

^{١٤} ن: قوله.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٦١]

وقوله^١ عز وجل: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج، الآية. اختلف في تأويله، قال بعضهم: إن الرجل الصحيح كان يتحرج مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض إشفاقاً عليهم ورحمة، يقول: إنه لا يبصر طيب الطعام فلعله يأكل الخبيث وأنا أكل الطيب، ويقول: إن الأعرج لا يستوي جالساً إذا قعد فلا يقدر على^٢ أن يتناول مما^٣ أتناول^٤ أنا، وإن المريض لا يأكل مثل ما يأكل الصحيح. وكان الرجل لا يأكل من بيت أبيه ولا من بيت أمه إذا لم يكونا فيه، وكذلك من^٥ ذكر^٦ إلى آخره حتى يكونوا فيه، وكذلك الصديق وهؤلاء، فأنزل الله هذه الآية في رخصة ذلك كله.

وقال بعضهم: إن هؤلاء الرِّمَى^٧ والعُمَيَانُ^٨ والعُزْجُ والمرضى وأولى الحاجة^٩ منهم، يستبعمهم رجال إلى بيوتهم ويستضيفونهم، فإن لم يجدوا لهم طعاماً أو شيئاً يأكلونه ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم ومن عَدَّد^{١٠} معهم^{١١} فكره ذلك المستبعمون، [أي] التناول من غير بيوت أولئك بلا دعوة ولا إذن سبق منهم، فأنزل الله في ذلك إباحة لهم ورخصةً وأحل لهم الطعام حيث وجدوه. وقال بعضهم: ^{١٢} إن الأعمى والأعرج والمريض وهؤلاء الذين كانت بهم

^١ ن: قوله.

^٢ ر ع م - على.

^٣ ن ع: فيما.

^٤ ر: فيما تناول.

^٥ جمع النسخ: ما.

^٦ أي من ذكرهم الله في الآية الكريمة.

^٧ جمع الرِّمَى، وهو ذو العاهة (القاموس المحيط، «زمن»).

^٨ ع: وفي العميان.

^٩ ع: وأو في الحاجة.

^{١٠} ن: ومن عند.

^{١١} أي الذين عدَّهم في الآية الكريمة.

^{١٢} ر ع م - بعضهم.

رَمَانَةٌ كانوا يتحرجون مؤاكلة الأصحاء مخافة أن يتقرزوا^١ ويستقدروا. يقول الأعرج: لا أواكل الناس لأني آخذُ من المجلس^٢ مكان الرجلين وأضيق عليهم؛ وقال الأعمى: إني أفسد عليهم طعامهم، وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك. فأنزل الله الرخصة في ذلك ورفع عنهم الجُنَاح في مؤاكلتهم فيقول: إن الحق عليهم أن يترحموكم^٣ لما بكم من الرمانة وأن يدعوا لكم بالرفع^٤ عنكم^٥ لا التقرُّز والاستقدار عنكم.

وقال بعضهم: إن^٦ الرجل الغني كان يدخل على الرجل الفقير والزَّيْمَنُ^٧ فيدعوه إلى طعامه فيقول: والله إني لأَجْتَحُ^٨ وأُحْرَجُ^٩ أن أكل من طعامك وأنا غني وأنت فقير،^{١٠} فأنزل الله هذه الآية^{١١} في ذلك: ولا على أنفسكم، إلى آخر الآية.

وقال بعضهم: كان هذا في أهل الجهاد، وإن^{١٢} الرجل كان يخرج إلى الجهاد فيُخْلِيفُ آخر في منزله في حفظ ماله وأهله والقيام بكفائيتهم، فكان يتحرج ولا يأكل من ماله شيئاً ولا من طعامه لما لم يَسْبِقْ منه الإذن في ذلك، فأنزل الله في ذلك^{١٣} رخصةً وأباحةً تناول من ذلك. إلى هذا انتهت أقاويل أهل التأويل وتأويلهم.

والأشبه عندنا أن يكون تأويل الآية في غير ما ذهبوا هم إليه، وهو أن يكون قوله: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج، أي ليس على هؤلاء حرج أن يأكلوا من بيوت آبائهم أو أمهاتهم^{١٤} أو بيوت إخوانهم أو بيوت أخواتهم

^١ ع + منهم؛ م: يتقدروا. وتقرز الرجل من الشيء: لم يتطعمه ولم يشربه بإرادة (لسان العرب، «قرز»).

^٢ ع: في المجلس.

^٣ ر: يرحموكم؛ م: يرحموكم.

^٤ ن: بالدفع.

^٥ ع: عنهم.

^٦ م - إن.

^٧ ر م: والزيمني.

^٨ في حديث ابن عباس في مال اليتيم: إني لأجتح أن أكل منه، أي أرى الأكل منه جناحاً، وهو الإثم (لسان العرب،

«جتح»).

^٩ ر ع: وأخرج.

^{١٠} انظر: تفسير الطبري، ١٨/١٧٢.

^{١١} ر ع م - هذه الآية.

^{١٢} ع: إن.

^{١٣} ع - فأنزل الله في ذلك.

^{١٤} ر ع م: وأمهاتهم.

أو بيوت أعمامهم إلى قوله: **أو بيوت خالاتكم**، لأنهم إنما يأكلون بالحق، لأن من كان به^١ زمانة كان له تناول من أموال^٢ من^٣ ذكّر من الآباء والأمهات والقربات، إذ تفرض لهم النفقة في أموالهم. فيكون في ذلك دلالة وجوب النفقة لهم في أموالهم ويكون قوله: **ولا على أنفسكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم...** أو ما ملكتم مفاتيحه أو صديقيكم، أي لا بأس أن تأكلوا من بيوتكم أو ما ملكتم مفاتيحه أو من بيوت صديقيكم، إذ ليس يباح^٤ للرجل^٥ تناول من مال نفسه ومن مال صديقه في حال عذر ولا يباح في حال الصحة والسلامة بل يباح في الأحوال كلها. دل أن التأويل الذي ذكرنا أشبه فيصرف تناول الرّمّي^٦ في^٧ أموال القربات بحق النفقة والحق، و[يصرف تناول] من ليس به زمانة في ماله ومال صديقه بحق الملك والصدقة، لأن الزمانة ترفع الصداقة من بينهم. وكذلك وجوب النفقة في مال الصديق يرفع الصداقة^٨ ولا يرفع القرابة ولا تزول^٩ صلّتها.

ثم اختلف في قوله: **ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم**، قال بعضهم: من بيوت^{١٠} أولادكم. وقال بعضهم: من بيوت أزواجهم ونسائهم، وقال بعضهم: من بيوت أنفسهم، وهو مما يجد الرجل في بيته من طعام فإنه لا بأس أن يأكله. وكذلك لا بأس للرجل أن يتناول من بيت زوجته، لأنه لم يذكر في الآية بيت الولد وبيت الزوجة على الإشارة والتفسير، فيصرفون تأويل قوله: **أن تأكلوا من بيوتكم** إلى هؤلاء.

وقوله: **أو ما ملكتم مفاتيحه**، أي خزائنه، يحتمل العبيد لأن السيد يملك مال عبده. ويحتمل الوكيل والخازن: أن يأكل من طعامه وأذمه بغير إذن السيد. ويحتمل قوله: **أو ما ملكتم مفاتيحه**، السيد نفسه صاحب الخزانة ومالكها.

^١ ر ع - به.

^٢ ع: من الأموال.

^٣ م: ما.

^٤ ر م - قوله.

^٥ ع: يباح.

^٦ ر ع م: الرجل.

^٧ م - في.

^٨ ع - لأن الزمانة ترفع الصداقة من بينهم وكذلك وجوب النفقة في مال الصديق يرفع الصداقة.

^٩ جمع النسخ: ولا يزول.

^{١٠} ع: أو بيوت.

ثم ذَكَرَ الأَكْلَ من بيوت من ذكر على التأويل الذي ذكرنا. واستدللنا^١ على إيجاب النفقة لهؤلاء الزماني في أموال من^٢ ذكرنا من القرابات [فهو] يخرج على وجهين. أحدهما ذَكَرَ البيوت لأنهم إذا كانوا زماني يستوجبون^٣ السكنى أيضا مع النفقة فذكر البيوت لكونهم فيها وسكناهم معهم. والثاني ذكر الأكل من بيوتهم لثلا يفهم من الأكل الأخذ منها،^٤ لأنه ذكر في الآيات^٥ الأكل والمراد / المفهوم منه الأخذ كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ،^٦ وقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا،^٧ وقوله: لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا،^٨ مفهوم المراد من الأكل المذكور في هذه الآيات الأخذ لا الأكل نفسه. فذكر ههنا الأكل من بيوتهم لثلا يفهم منه^٩ الأخذ كما فهم من تلك. وعلى تأويل أهل التأويل مستقيم ظاهر ذكر البيوت، إذ لا يجعلون ذلك الأكل والتناول منه أكلا وتناولاً بحق.

وقوله: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا، قال بعضهم: ذكر هذا لأن قوما كانوا لا يأكلون وحدهم^{١٠} ولا يرون ذلك حسنا في الخلق ويتحرجون ذلك حتى يكون معهم غير، فرخص الله تعالى لهم ذلك ورفع عنهم الحرج فقال: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا. وعلى تأويل من يقول: إنهم استضافوا قوما فلم يجدوا في بيتهم شيئا يأكلون، ذهبوا بهم إلى بيوت هؤلاء فيتخرج أولئك الأضياف الأكل من بيوت من ذكر وأرباب البيوت ليسوا فيها، فرخص لهم في ذلك. وعلى تأويل من يقول: إنهم كانوا يتحرجون الأكل مع الأعمى ومن ذكر^{١١} إشفافا عليهم وترخما لما لا يبصرون طيب الطعام ولا يأكلون ما يأكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخص لهم في ذلك. وعلى تأويل من يقول:

^١ ع: واستدل لنا.

^٢ ع: ما.

^٣ م: ليستوجبون.

^٤ ر: منهما.

^٥ ر ن م: في آيات.

^٦ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).

^٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (سورة النساء، ١٠/٤).

^٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (سورة آل عمران، ١٣٠/٣).

^٩ ع: من.

^{١٠} جميع النسخ: وحده.

^{١١} جميع النسخ: ذلك.

إنهم كانوا يتحرجون الأكل^١ مع هؤلاء تقززا واستقذارا يرغبهم في الأكل مع أولئك وترك التقزّر عن ذلك. ويدل للتأويل^٢ الأول ما روي عن أصحاب رسول الله، رُوي عن محمد بن علي قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى أحدهم أنه أحق بالدنانير^٣ والدرهم من أخيه المسلم.^٤ قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على^٥ الناس زمان يكون الدينار والدرهم أحب إلى الرجل من أخيه المسلم.»^٦ وعن ابن عمر قال: لقد رأيتني ومال الرجل المسلم^٧ أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم.^٨

وقوله: فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم، يحتمل قوله: فسلموا على أنفسكم،^٩ أي يسلم بعضهم على بعض، فصيّر المسلمين أجمع بعضهم لبعض كأنفسهم، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،^{١٠} أي لا يقتل^{١١} بعضهم بعضا. وقوله ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ،^{١٢} ونحو ذلك من الآيات، فصيّر بعضهم لبعض كأنفسهم لأنهم كشيء واحد يتألم بعضهم بألم بعض ويحزن بعضهم بحزن بعض ويُسّر بعضهم بسرور بعض ونحوه، فهم^{١٣} جميعا كشيء واحد وأنفسهم جميعا كنفس واحدة، لذلك جعل سلام بعضهم على بعض في حق السلام واحدا.

ويحتمل وجها آخر وهو أن بعضهم إذا سلم على بعض يردّ عليه مثله فيصير^{١٤} كأنه

^١ ع - مع الأعمى ومن ذلك إشفاقا عليهم وترحما لما لا يبصرون طيب الطعام ولا يأكلون ما يأكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخص لهم في ذلك وعلى تأويل من يقول إنهم كانوا يتحرجون الأكل.

^٢ ع: التأويل.

^٣ م: بالدنانير.

^٤ انظر: أحكام القرآن للحصاص، ٣/٣٣٦.

^٥ ر ع م: عن.

^٦ روى الإمام أحمد بنحوه، انظر: المسند، ٢/٨٤.

^٧ م - المسلم.

^٨ انظر: مسند أحمد بن حنبل، ٢/٨٤.

^٩ ع - يحتمل قوله فسلموا على أنفسكم.

^{١٠} ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (سورة النساء، ٤/٢٩).

^{١١} ن: لا تقتل.

^{١٢} سورة البقرة، ٢/٨٥. وجميع النسخ: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ وهي بداية الآية الأولى.

^{١٣} ر م: منهم.

^{١٤} ع: يصير.

هو يسلم على نفسه، وكذلك قوله: **ولا تقتلوا أنفسكم**، أي ' لا يقتل أحد آخر فيقتل به فيكون قاتل نفسه، إذ لولا قتله إياه لم يُقتل به. وكذلك قوله: **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**،^٣ أنه إذا أكل مال غيره بغير رضاه ضمنه فإذا ضمنه فكأنه أكل مال نفسه بالباطل. ويحتمل أنه^٤ أراد به السلام على أنفسهم، أي يسلم كل على نفسه وإن لم يكن فيه أحد. وكذلك روى عن ابن عباس قال: أراد المساجد، إذا دخلتها فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.^٥ وعلى ذلك رويت الأخبار: من دخل بيتا أو مسجدا ليس فيه أحد فيقل: السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله الصالحين.^٦ وعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **ولا تقتلوا أنفسكم**،^٧ بترك الإنفاق عليها وغيره.^٨ وجائز أن يراد بالأنفس أهلهم، أي سلموا على أهليكم وهو الأولى.

ثم اختلف في السلام. قال بعضهم: السلام من السلامة، أي عليك السلامة من جميع الآفات والنكبات. وقال بعضهم: السلام هو اسم من أسماء الله، فتأويله: عليك اسم الله الذي لا يضرك معه^٩ شيء ولا يلحقك به أذى، كقوله: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء».^{١٠}

وقوله: **تحية من عند الله**، التحية كأنها الكرامة، كأنه قال: كرامة من عند الله لكم. وقوله: **مباركة**، المبارك هو الذي يُنال به كل خير وبِرّ. أو أن يسمّى مباركة لما به ينمو الشيء ويزكو.^{١١} وقوله: **طيبة**، أي^{١٢} ما يستطيبه^{١٣} كل أحد. وقال بعضهم: طيبة، أي حسنة،

^١ ع - أي.

^٢ ع: ولا يقتل.

^٣ سورة النساء، ٢٩/٤.

^٤ ع: إذا.

^٥ ن - كل.

^٦ انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٢٧٠؛ والدر المنثور للسيوطي، ٦/٢٢٧-٢٢٨.

^٧ انظر: تفسير الطبري، ١٨/١٧٣.

^٨ سبق قريبا.

^٩ جميع النسخ + وكذلك قوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فهو ابتداء الآية التي سبقت قريبا.

^{١٠} ر ع م: لا يضر معك.

^{١١} انظر: سنن ابن ماجه، الدعاء ١٤؛ وسنن أبي داود، الأدب ١١٠؛ وسنن الترمذي، الدعوات ١٣.

^{١٢} ع: ويدكو.

^{١٣} ع - أي.

^{١٤} جمع النسخ: ما يستطيب به.

فتأويله ما يستحسنه^١ كل أحد. وقال بعضهم: قوله: تحية من عند الله، يقول: سلام من أمر الله لكم مباركة بالأجر طيبة بالمغفرة. والله أعلم.

وقوله: كذلك يبين الله، أي مثل الذي^٢ يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون، أي كي^٣ تعقلون ما لكم وما عليكم وما لله عليكم وما لبعضكم على بعض. وقوله: بيوتنا،^٤ ما ذكرنا. قال بعضهم: المساجد، وقال بعضهم: البيوت المسكونة كقوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ.^٥

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٦٢]

وقوله: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، وقال^٦ في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا،^٧ الآية، وقال في آية أخرى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ / الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ [٥٣١] زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،^٨ هذا -والله أعلم- ليس أن ما ذكر من الاستئذان وترك الارتباب وزيادة الإيمان بالتلاوة ونحوه من شرط الإيمان. ولكن -والله أعلم- أن الأولى بالمؤمنين هذا: أن لا يذهبوا حتى يستأذنوا رسوله وأن لا يرتابوا وأن يجاهدوا وأن يزداد لهم بالتلاوة^٩ ما ذكر، ليس على جعله شرطاً للإيمان ولكن ما ذكرنا من الأولى بهم والاختيار لهم ما ذكر. والله أعلم.

ثم ذكر في هذه الآية أن المؤمنين لا يذهبون عنه ولا يفارقونه^{١٠} إلا بالاستئذان منهم من رسول الله، وذكر أن المنافقين يذهبون ويفارقونه تسليلاً ولو اذا حيث قال: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا،^{١١}

^١ جمع النسخ: ما يستحسن به.

^٢ ر م: الذين.

^٣ ر - كي.

^٤ جمع النسخ: بيوتكم.

^٥ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٧).

^٦ م: قال.

^٧ سورة الحجرات، ٤٩/١٥.

^٨ سورة الأنفال، ٨/٢.

^٩ ر ع م: التلاوة.

^{١٠} ع م: ولا يفارقون.

^{١١} الآية التالية.

وقال في آية أخرى: لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،^١ ذكر أنهم لا يستأذنونك^٢ وإنما يستأذئك المنافقون، بقوله: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.^٣ فهذه الآيات في ظاهر المخرج مختلفة وإن كانت في المعاني المُدرّجة فيها موافقة. فهذا يبطل قول من يحتج بظاهر المخرج، إذ للملحدة^٤ أن تقول: هو مختلف في الظاهر وإنه من عند غير الله، بقوله: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.^٥ فدل ما ذكرنا أن الاحتجاج بظاهر المخرج باطل والاعتقاد به فاسد خيال.

ثم جائز أن يكون ما ذكر من استئذان المؤمنين وترك استئذان أولئك للخروج^٦ منه لما لا يستأذنه المؤمنون للخروج من عنده^٧ إلا لعذر^٨ وأولئك يستأذنونهم للخروج لا للعذر، كقوله تعالى: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ^٩ ونحوه،^{١٠} وأما المؤمنون فلا يستأذنونهم إلا بعذر. أو أن يكون ذلك في نوازل مختلفة أو في فرق. أو أن يكون المؤمنون يُظهرون له عذرهم ويفوضون أمورهم إلى رسول الله على أن ينظر في ذلك؛ فإن رأى الصواب أن ينصرفوا صرفهم وإن رأى الصواب الكون والمقام معه أقاموا معه، والمنافقون لا على ذلك كانوا يفعلون. وعلى^{١١} هذا - والله أعلم - جائز أن يخرج تأويل الآيات التي ذكرنا.

ثم قوله: وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ، أي مع رسول الله، على أمر جامع، اختلف فيه. قال بعضهم: يوم الجمعة ويوم العيد، وقال بعضهم: في الغزو والجهاد في سبيل الله. يخبر أن المؤمنين يكونون^{١٢} معه لا يذهبون عنه إلا بإذن، والمنافقون يتسللون ويذهبون مُستخفين منه أو يقعدون^{١٣} ويخرجون من عنده.

^١ ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (سورة التوبة، ٤٤/٩).
^٢ ن: لا يستأذنونهم.
^٣ سورة التوبة، ٤٥/٩.
^٤ م: للملاحدة.
^٥ سورة النساء، ٨٢/٤.
^٦ ر: للمخرج.
^٧ ع - من عنده.
^٨ ع ن: بعذر.
^٩ ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (سورة الأحزاب، ١٣/٣٣).
^{١٠} ع - ونحوه.
^{١١} ع ن: على.
^{١٢} ن - يكونون.
^{١٣} ر م: ويقعدون.

وأصله وإذا كانوا معه على أمر جامع، أي على أمر طاعة^١ لم يذهبوا حتى يستأذنه. وقال^٢ بعض من أهل التأويل: هذه الآية نسخت الآية التي في سورة براءة حيث قال في ذلك: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ^٣ الآية، وقال في سورة النور: فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، أَذْنُ لَهُ بِالْإِذْنِ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ بِالْإِذْنِ لَهُمْ، لَكِنَّ الْوَجْهَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقوله: واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم، الأمر بالاستغفار لهم يخرج مخرج الأمر بالتشفع لهم.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّأ فَلْيَخْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦٣]

وقوله: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا، هذا يحتمل وجهين. أحدهما لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم إلى ما يدعوكم إليه كدعاء بعضكم بعضا، مرة تجيبونه^٤ ومرة لا تجيبونه، كما يجيب بعضكم بعضا إذا دعاه مرة ولا يجيبه تارة. بل أحيوا رسول الله في جميع ما يدعوكم إليه وفي^٥ كل حال تكونون.

والثاني لا تجعلوا دعاءكم الرسول إذا دعوتهم^٦ كما يدعو^٧ بعضكم بعضا: يا فلان ويا فلان! ولكن ادعوه^٨ باسم هو مخصوص به: يا رسول الله، ويا نبي الله، على ما أقرتم أنه مخصوص من بينكم ليس كمثلكم، فعلى ذلك في الدعاء والإجابة اجعلوه مخصوصا تعظيما له وإجلالا خصوصية له وفضيلة، وهو ما ذكر في آية أخرى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ^٩.

^١ ن ع + لله؛ ع: الله.

^٢ ر م: قال.

^٣ ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (سورة التوبة، ٤٣/٩).

^٤ ع - مرة تجيبونه.

^٥ ع: مرة.

^٦ ر م: في.

^٧ ر ع م: يكونون.

^٨ م: دعتموه.

^٩ ر: يدعوا.

^{١٠} ر م: ادعوا.

^{١١} سورة الحجرات، ٢/٤٩.

وقوله: **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا**، قال بعضهم: إن المنافقين إذا كانوا في أمر جامع فيسمعون رسول الله يذكر مثاليهم ومساويهم^١ وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا، يلوذ بعضهم ببعض. وقال بعضهم: نزل هذا^٢ في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استئذان منهم إياه.^٣ وقوله: **لو اذا**، أي يستترون بالشيء ويلوذ بعضهم ببعض^٤ ويستتر^٥ بعضهم ببعض ويخرجون.

وقوله: **فليحذر الذين يخالفون عن أمره**، يحتمل قوله: **يخالفون عن أمره**، أي يخالفون أمره. وحرف "عن" يكون صلة فيه. وجائز^٦ أن يكون على ظاهر ما ذكر **يخالفون عن أمره**. فإن كان على هذا كأنه قال: **يخالفون عن أمره**، أي يعدلون عن أمره^٧ ويترغون عنه كقوله: **وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**.^٨

وقوله: **أن تصيبهم فتنة**، يحتمل الفتنة الكفر، ويحتمل الفتنة / القتال والتعذيب في الدنيا، أو **يُصِيبُهُمْ عَذَابِ أَلِيمٍ فِي الآخِرَةِ**. **وانذ أعلم**. [٥٣٢و]

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٦٤]

وقوله: **ألا إن لله ما في السماوات والأرض**، ليس ههنا ما يستقيم أن يجعل قوله: **ألا إن لله ما في السماوات والأرض**، صلة له، اللهم إلا أن يجعل ذلك صلة قول: **من يجعل له الولد والشريك**، أو صلة قوله: **ما هذا إلا بشر مثلكم**.^٩ فيقول: **من له ما في السماوات والأرض**

^١ جميع النسخ: ومساءاتهم.

^٢ ر م: هذه.

^٣ ر - إياه.

^٤ ع - وقال بعضهم نزل هذا في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده بغير استئذان منهم إياه وقوله لو اذا أي يستترون بالشيء ويلوذ بعضهم ببعض.

^٥ جميع النسخ: ويستتر.

^٦ ع: جائز.

^٧ ر م: من أمره.

^٨ سورة سبأ، ١٢/٣٤.

^٩ جميع النسخ: قوله.

^{١٠} ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤).

لا يحتمل أن يقع له^١ الحاجة إلى الولد أو الشريك، أو من له ملك ما في السماوات والأرض يختار لرسالته من يشاء بشرا أو ملكا،^٢ ليس لأحد القول في ذلك.^٣ والله أعلم.

وقوله: قد يعلم ما أنتم عليه، هذا وعيد منه وإعلام أنه مراقبهم مطّلع عليهم في جميع أحوالهم ليكونوا أبدا على حدّ، لأن من علم أن عليه رقبيا وحافظا كان أنبى وأيقظ وأحذر ممن لم يعلم ذلك. أو أن يكون على علم بأحوالكم وما أنتم عليه من الخلاف لأمره. خلقكم وأرسل إليكم^٤ رسولا لا على جهل بذلك وغفلة، أو يؤخر عنكم العذاب على علم^٥ بما أنتم عليه لليوم الموعود لا بسهو وغفلة، كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ^٦ الآية. فعلى ذلك قوله: قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا، أي إنما يؤخر ذلك عنهم إلى يوم الرجوع إليه فعند ذلك ينبئهم بما عملوا. والله بكل شيء عليم.

قال أبو عؤسجة: يتسللون، أي^٧ يذهبون^٨ مستخفين. ويقال: انسل الرجل، أي انسرق من الناس، أي فارقهم ولا يعلمون به. والتسلل [إنما يستعمل إذا كان الاستخفاء]^٩ من الجماعة. وقوله: لو اذا، يقال لاذ^{١٠} مني، أي احتبأ^{١١} مني^{١٢} واختفى^{١٣}. ويقال: لاذ بي، أي استتر بي. وقال القتيبي: قوله: يتسللون منكم لو اذا، أي من يستتر بصاحبه في انساله ويخرج، يقال: لاذ^{١٤} فلان [يفلان]، واللواذ مصدر.^{١٥}

^١ ر ع م - له.

^٢ ع: ملك.

^٣ ر + القول في ذلك.

^٤ جمع النسخ: أو أرسل.

^٥ ع: إليهم.

^٦ ع: عمل.

^٧ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).

^٨ ع - أي.

^٩ ع: ويذهبون.

^{١٠} الزيادة من الشرح، ورقة ٥٣٥ و.

^{١١} ر ع م: اختبئ.

^{١٢} ع - أي احتبأ مني.

^{١٣} ن: واختفا.

^{١٤} ع: إذ لا.

^{١٥} ع + والله تعالى أعلم. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٠٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفرقان كلها^١ مكية

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١]

قوله^٢ عز وجل: تبارك، قال أهل التأويل: تبارك، من التفاعل وهو من تعالى، لأن البركة هي اسم كل رفعة وفضيلة وشرف فكان تأويله: تعالى، من التعالي والارتفاع. وقال أهل الأدب: تبارك، هو من البركة، والبركة هي اسم كل فضل وبز وخير، أي به يُنال^٤ كل فضل وشرف وبز. قال^٥ أبو عؤسجة: تبارك،^٦ هو تنزيهه مثل قولك: تعالى. وقال الكسائي والقشيري: هو من البركة،^٧ وهو ما ذكرنا.

وقوله^٨: نزل الفرقان على عبده، سماه فرقانا؛ قال بعضهم: لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال الحرام، وبين ما يؤتى وما يُتقى. وعلى هذا جاز أن يسمى جميع كتب الله التي أنزلها على رسله فرقانا، لأنها كانت تفرق بين الحق والباطل، وبين ما يحل وما يحرم، وبين ما يؤتى وما يتقى، ولذلك سُمي التوراة فرقانا بقوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ.^٩ وأما القرآن [ف] هو من قرن بعضه إلى بعض؛ يقال: قرنت الشيء إلى الشيء، إذا ضمته إليه؛ [و] قرن يقرن قرنا.

^١ ن + ذكر أن.

^٢ ن ع + نزلت بمكة وهي.

^٣ ن: وقوله.

^٤ ر م: نيل.

^٥ ر: وقال.

^٦ ع - تبارك.

^٧ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٠.

^٨ ن: قوله.

^٩ ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين﴾ (سورة الأنبياء، ٤٨/٢١).

وقال بعضهم: سُمِّي القرآن فرقانا لأنه أنزل بالتفاريق مفزقا، وسائر الكتب أنزلت بمجموعة، لكن الوجه فيه ما ذكرنا بدءا، وهو أقرب وأشبه.

* وقال القُتَيْبِيُّ: تبارك، مشتق من البركة،^١ وكذلك قال الكسائي وقد ذكرنا ذلك. وقال

أبو عَوْسَجَةَ: [تبارك] تنزيه مثل قولك: تعالى على ما ذكرنا. وقال: الفرقان، هو الحق فزق بين الحق والباطل، والقرآن هو من قرن بعض إلى بعض، والزبور هو اسم كتاب، والزُّبُر جمع،^٢ وَزَبْرَتْ كَتَبْتُ، والزُّبْرُ قَطْعُ الْحَدِيدِ، كقوله: آتُونِي زُبْرَ الْحَدِيدِ،^٣ أي قَطَعَ الْحَدِيدِ،^٤ الواحدة زُبْرَةٌ، والتوراة اسم كتاب لا أظنه بالعربية.*

وقوله: ليكون للعالمين نذيرا، جائز أن يكون قوله: للعالمين نذيرا، أي القرآن الذي أنزله على عبده^٥ يكون نذيرا لمن ذكر. ويحتمل قوله: ليكون للعالمين نذيرا،^٦ أي ليكون^٧ محمد بالقرآن الذي أنزل عليه^٨ نذيرا، كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ،^٩ وكقوله: وَأَوْجِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ،^{١٠} أي من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره.

ثم قوله: للعالمين، جائز أن يراد به الإنس والجن. ثم ذكر النذارة فيه ولم يذكر البشارة، فإن كان على هذا فهو حجة لأبي حنيفة رحمه الله، أن^{١١} ليس للجن ثواب إذا أطاعوا سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب بالأجرام، لأن الله تعالى لم يذكر لهم الثواب في الكتاب، وذكر لهم العقاب بالعصيان حيث قال: يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ،^{١٢} الآية.

^١ ر ع م: أنزل.

^٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٠.

^٣ ع: عما.

^٤ ر ن ع: جميع.

^٥ ﴿آتُونِي زَبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُجُوا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٩٦).

^٦ ر م - أي قطع الحديد.

^٧ ر م: الواحد.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٣ و/سطر ٢٢-٢٦.

^٨ ع: عليه.

^٩ ع + لمن ذكر.

^{١٠} ع + للعالمين.

^{١١} ع - محمد بالقرآن الذي أنزل عليه.

^{١٢} ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٢٤).

^{١٣} سورة الأنعام، ١٩/٦.

^{١٤} م: أي.

^{١٥} ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٣١).

جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب أليم. وجائز أن يكون في النذارة^١ بشارة أيضا، [بشارة] ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لأنهم إذا اتقوا مخالفة الله ومعاصيته كانت لهم العاقبة، فلهم^٢ بشارة في ذلك ونذارة، كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.^٣

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [٢]

وقوله: ^٤الذي له ملك السماوات والأرض، جائز أن يكون قوله: له ملك السماوات والأرض صلة قوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ، ووجهه -والله أعلم- أي تعالى من أن يكون النذير الذي بعثه إليهم إنما بعثه لحاجة نفسه: لجر منفعة إليه أو لدفع مضرة عنه على ما يبعثه^٥ ملوك الأرض من الرسل لحوائج أنفسهم إما لجر منفعة إليهم أو لدفع مضرة عنهم. ولكن إنما يبعث النذير والبشير إلى الخلق لمنافع أنفسهم، إذ لا يتمل أن يكون من له / ملك السماوات والأرض أن يبعث النذير والبشير لمنافع نفسه ولحاجته، [وذلك] لغناه. وأما ملوك الأرض [فهم] لا يملكون ذلك فيما يرسلون وبعثون من الرسل، إنما يبعثون ويرسلون لمنافع أنفسهم وحوائجهم لدفع مضرة أو جر منفعة. وجائز أن يكون قوله: تبارك، أي تعالى من أن يتخذ ولدا أو شريكا في الملك، على ما نسبوا إليه من الولد والشريك فقال: تعالى من أن يكون له الولد أو الشريك، إذ له ملك السماوات والأرض، فالولد في الشاهد إنما يتخذ لإحدى خلال ثلاث، وقد ذكرنا.^٦ وبعد فإن الولد في الشاهد إنما يكون من جنس الوالد ومن جوهره ويكون من أشكاله، وكل ذي شكل وجنس يكون فيه منقضة وآفة.^٧ وكذلك الشريك إنما يكون من جنسه ومن شكله، وإنما يقع الحاجة إلى الولد^٨ إما لعجز^٩ أو آفة،^{١٠} فإذا كان الله سبحانه له ملك السماوات والأرض وهو خالقهما فأنى يقع له الحاجة إلى الولد والشريك؟

^١ ع: في النذارة.

^٢ ن: ولهم.

^٣ سورة سبأ، ٢٨/٣٤.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر: على يبعث؛ ع: على يبعثه.

^٦ انظر مثلا: تفسير الآية ١١٦ من سورة البقرة.

^٧ ر: منقضة أو آفة.

^٨ ر ع - الولد؛ ن: الشريك.

^٩ ع: لعجزه.

^{١٠} ع: وآفة.

وقوله: ^١ **وخلق كل شيء**، فيه دلالة نقض قول المعتزلة، لأنه أخبر أنه ^٢ خلق كل شيء. وعلى قولهم: أكثر الأشياء لم يخلقها من الحركات والسكون والاجتماع والتفرق وجميع الأعراس، لأنهم يقولون: إنها ليست بمخلوقة لله ولا صنع له فيها. ^٣

وقوله: ^٤ **فقدره تقديرا**، جائز أن يكون قوله: **فقدره تقديرا**، لحكمته، أو قدره ^٥ تقديرا لوحداية الله وألوهيته. أو قدره تقديرا، أي جعل له حدا لو اجتمع الخلائق على ذلك ما عرفوا قدره ولا حده من صلاح وغيره ما لو لم يقدر ذلك لفسد.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [٣]

وقوله: ^٦ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾، أي معبودا، ثم تسميته إياها - أعني الأصنام التي عبدوها - آلهة على ما عندهم وفي زعمهم أنها آلهة. والإله عند العرب المعبود، يسمون كل معبود إلهًا. وكذلك قوله: **فَرَأَى إِلَى آلِهَتِهِمْ**، ^٧ عندهم وفي زعمهم، وقول ^٨ موسى: **وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**. ^٩ في زعمهم وعندهم أن كل معبود إله، ^{١٠} وإلا قد عابهم بتسميتهم الأصنام آلهة. ثم بين سفههم وقلة فهمهم في عبادتهم الأصنام وتسميتهم إياها آلهة حيث قال: **لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**، أي يتركون عبادة من يعلمون أنه خالق كل شيء ويعبدون من يعلمون أنهم لا يخلقون وهم يخلقون، ويتركون عبادة من يعلمون أنه يملك النفع والضرر ويعبدون من لا يملك النفع لهم ولا الضرر.

^١ ن: قوله.

^٢ ع - أنه.

^٣ أي ما كانت منها من أفعال العباد.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر: وقدره.

^٦ ع: لما.

^٧ ن: قوله.

^٨ ﴿فَرَأَى إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١).

^٩ ع: وفي قول.

^{١٠} ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِقَهُ أَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لِنَنْفِثَنَّ فِيهِ الْيَمِّمَ شَسْفًا﴾ (سورة طه، ٢٠/٩٧).

^{١١} ع: إلهًا.

ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، أي يعبدون من يعلمون أنه لا يملك النفع لهم إن عبده^١ ولا الضر إن تركوا عبادته، ولا يملكون^٢ النفع والضر لأنفسهم أيضا وهو قوله: ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، لغيرهم. فعلى هذا الظاهر يجيء أن يكونوا هم^٣ سَمَوْا أنفسهم آلهة، لا الأصنام، لأنهم يملكون ضرر الأصنام ونفعها، والأصنام لا تملك ذلك لهم ولا لأنفسها.

وقال بعضهم في قوله: لا يملكون موتا، أي الموت الذي كان قبل أن يُخْلَقَ الناس، كقوله تعالى: ^٤ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا. ^٥ وأما قوله: ولا حياة، يقول: لا يملكون أن يزيدوا في هذا الأجل المؤجل. ولا نشورا، أي بعثا بعد الموت. وقال بعضهم: لا يملكون أن يميتوا حيا قبل أجله، ولا حياة، ولا يُحْيُونَ ميتا إذا جاء أجله، ولا نشورا، أي بعثا على ما ذكرنا. وبالله العصة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [٤] ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٥]

وقوله: وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه، يعنون هذا القرآن الذي أنزل على رسول الله وكان يقرأه عليهم، يقولون: ما هذا إلا إفك، أي كذب افتراه من تلقاء نفسه ويخترعه^٦ من نفسه. إن أهل الشرك كانوا يكذبون الأنباء والأخبار من غير أن كانت لهم الأسباب^٧ التي بها^٨ يوصل إلى معرفة صدق الأخبار وكذبها، وذلك كانت عاداتهم وهمتهم. والأسباب التي يعرف بها صدق الأخبار وكذبها هي الكتب السماوية والرسول التي نطقوا عن وحي السماء. فكفار مكة لم يكن لهم واحد من هذين، فكيف ادَّعَوْا على رسول الله

^١ ن: عبده.

^٢ ر م: ولا تملكون؛ ع: وهم تملكون.

^٣ م: يكونونهم.

^٤ ن: كقول الله تعالى.

^٥ سورة البقرة، ٢/٢٨.

^٦ ر: أي.

^٧ ر: ويخترعه؛ ن ع م: ويخترعه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٥ ظ.

^٨ جميع النسخ: أسباب؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٦ و.

^٩ ر م + ما.

اختلاق هذا القرآن واختراعه من نفسه وأنه مفترى على غير كون أسباب معرفة الكذب والصدق لهم في الأخبار. مع ما ظهرت لهم آيات رسالته وأعلام صدقه في الأخبار، حيث لم يؤخذ عليه كذب قط ولا رأوه اختلف إلى أحد من أهل الكتاب ولا كان يُحسن أن يُخطب بيده كتابا، وما قرع أسماعهم من أول الأمر إلى آخر الأبد [من التحدي والتفريع كما في] ^١ قوله: فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، ^٢ وقوله: فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ. ^٣ فدل عجزهم وترك تكلفهم ^٤ ذلك على أنهم عرفوا أنه من عند الله وأنهم كذّبه في قولهم: إنه إفاك مفترى.

وقوله: وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، وقالوا: إنه إفاك مفترى وأعانه على ذلك قوم آخرون في افتراءه واختراعه. وهم قوم من أهل الكتاب أسلموا، وقد كانوا يجدون في التوراة والإنجيل نغته وصفته وما كان أنبأهم رسول الله وأخبرهم ^٥ من / الأنبياء المتقدمة والأخبار الماضية فاخبروا ^٦ [٥٣٣ر] بذلك حين سألهم أولئك المشركون عما يخبرهم رسول الله وقالوا: إنه كما يقول وإنه صادق في ذلك كله وإنما نجد ذلك كله ^٧ في كتابنا. فلما سمعوا ^٨ من أهل الكتاب ما ^٩ سمعوا من تصديقهم إياه فعند ذلك ^{١٠} قالوا: ^{١١} وأعانه عليه قوم آخرون.

ثم أخرج أنهم جاءوا ظلما وزورا. أما ^{١٢} قوله: ظلما، لأنهم كذبوه و[قالوا]: إنه مفترى من غير أن كان لهم أسباب معرفة ^{١٣} الكذب والصدق، فهو ظلم حيث وضعوا ذلك غير موضعه.

^١ التصحيح مستفاد من الشرح، ورقة ٥٣٦و.

^٢ ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢٣/٢).

^٣ ﴿أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة هود، ١١/١٣).

^٤ ن: كلفهم.

^٥ جميع النسخ: ويخبرهم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٦و.

^٦ جميع النسخ: فاخبروهم

^٧ ر م - كله.

^٨ جميع النسخ +لك.

^٩ ع: فما.

^{١٠} جميع النسخ: عند ذلك.

^{١١} ع: وقالوا.

^{١٢} ع: وأما.

^{١٣} ر م - معرفة.

وأما قوله: وزورا، لأنهم قالوا: إنه مختلق^١ وإنه سحر،^٢ وإنه إنما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،^٣ وإنه أعانه عليه قوم آخرون وإنه: أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، قد ظهر كذبهم بهذا فيما بينهم، لأنهم متى رأوه^٤ اختلف إلى أحد^٥ منهم يعلمه ذلك أو متى رأوه^٦ كتب شيئا قط أو يُحسن الكتابة قط وقالوا:^٧ أساطير الأولين؟ فإذا عَرَفَ تلك الأنبياء والأحاديث التي كانت من قبل -ولا شك أنها لم تكن بلسانه وإنما كانت بلسان أولئك- دل إخباره عما في كتبهم بلسانه أنه إنما عرف ذلك بالله.

وقوله:^٨ فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، قال أهل التأويل: غدوا وعشيا. فلو كان على ذلك لكانوا^٩ يحضرونه في البكرة والعشي فيسمعونه ويشاهدون^{١٠} ما يُملى عليه، إذ الوقت وقت الحضور. ولكن عندنا كأنهم أرادوا بالبكرة والعشي أول الليل وآخره: الأوقات التي هي ليست بأوقات^{١١} الحضور والجلوس؛ يقولون: يأتيونه سرا فتُملى عليه وتُعلم.^{١٢} فلو كان ذلك أيضا لكانوا يراقبونه ويحافظونه سرا ليعرفوا ذلك ويشاهدوه، فإذا^{١٣} لم يفعلوا ذلك دل أنهم كانوا يعرفون صدقه وأنهم كذبة في زعمهم، لكنهم كابروه وعاندوه في ذلك.

ثم أخبر أنه إنما أنزله^{١٤} عليه الذي يعلم السر في السماوات والأرض حيث قال:

^١ ع م: مختلف. ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ (سورة ص، ٧/٣٨).

^٢ انظر: سورة الأنعام، ٦/٦٧؛ وسورة سبأ، ٤٣/٣٤؛ وسورة الصافات، ١٥/٣٧.

^٣ ﴿ولقد تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٣).

^٤ ع: رواه.

^٥ ن: واحد.

^٦ ع: رواه.

^٧ جميع النسخ: وقولهم.

^٨ ع: فا.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر م: لكان.

^{١١} جميع النسخ: ويشاهدونه.

^{١٢} ن: أوقات.

^{١٣} ر ن م: وتعلمه.

^{١٤} ر م: فإذا.

^{١٥} ر م: أنزل.

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٦]

قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ليس بمحتلّق منه ولا مفترى. ثم قوله: يعلم السر في السماوات والأرض، أي يعلم الأعمال الخفية والسرّية من أهل السماوات والأرض، أي يعلم الكوامن التي في السماوات والأرض وخفّياتهما. وقال بعضهم: قوله: قل أنزله الذي يعلم السر، أي قل لهم يا محمد: أنزله، أي هذا القرآن الذي يعلم السر، وذلك أنهم قالوا بمكة سرا: هل هذا إلا بشر مثلكم، بل هو شاعر، أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون. ففي ذلك دلالة إثبات رسالته، لأنهم قالوا سرا فيما بينهم ثم أخبرهم بذلك، [٥] دل أنه بالله عرف ذلك. وقوله: إنه كان غفورا رحيمًا، في تأخير العذاب عنهم، رحيمًا حين لا يعجل عليهم بالعقوبة إذا تابوا ورجعوا عن التكذيب إلى التصديق على ما ذكرنا. وقوله: إنه كان غفورا رحيمًا، يحتل قوله: غفورا رحيمًا، إذا تابوا عن ذلك وآمنوا به ورجعوا إلى الحق. أو غفور رحيم لا يعجل بالعقوبة، أي برحمته وفضله لا يعجل بعقوبتهم لعلمهم يتوبون.* قال أبو معاذ: الأساطير الأحاديث، واحدها أسطورة كأرجوزة وأراجيز وأحدثه وأحاديث وأعجوبة وأعاجيب. وفي حرف حفصة: وهي تمل عليه، وهما لغتان، وفي سورة البقرة: أَنْ يُمَلَّ هُوَ قَلِيلٌ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ.^{١٤}

- ^١ م - في السماوات والأرض أي يعلم الأعمال الخفية والسرّية من أهل السماوات والأرض أي يعلم الكوامن التي في السماوات والأرض وخفّياتهما وقال بعضهم قوله قل أنزله الذي يعلم السر.
- ^٢ ع - يا محمد.
- ^٣ ع + في.
- ^٤ ن: ذلك.
- ^٥ ع: أنه.
- ^٦ جميع النسخ: ما هذا.
- ^٧ ﴿وَأَسْرُوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (سورة الأنبياء، ٣/٢١). هذا القول منسوب في القرآن إلى قوم نوح. وفي سورة المائدة (٢٣/٧٤-٢٥) ذكر حكاية عن الوليد بن المغيرة: «ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر.» انظر: تفسير الطبري، ١٥٧/٢٩.
- ^٨ ر ن م: بل هو ساحر؛ ع - بل هو شاعر. ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ (سورة الأنبياء، ٥/٢١).
- ^٩ ن: قوله.
- ^{١٠} ع: إلى.
- ^{١١} ر ع م + في تأخير العذاب.
- * وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٣/و سطر ٢٢-٢٦.
- ^{١٢} ر ع م: تملّى. انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٣٩٤.
- ^{١٤} سورة البقرة، ٢/٢٨٢.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [٧]

وقوله: ^١ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. كان الكفرة يطعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين. أحدهما أنه من البشر، بقولهم: ^٢ هل هذا ^٣ إلا بشرٌ مثلكم أفتأتون السحرة [وأنتم تُبصرون]، ^٤ وإن أنتم إلا بشرٌ مثلنا. ^٥ كانوا لا يرون أن يكون من البشر رسول، كقوله: وقالوا لولا أنزل علينا ملكٌ، ^٦ الآية، وقولهم: لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا، ونحو ذلك. والثاني كانوا يطعنونه ^٧ بالفقر والحاجة وصفارة اليد حيث قالوا: أو يلقي إليه كثرٌ أو تكون له جنة [يأكل منها]، ^٨ وحيث قالوا: يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. كأنهم ينكرون الرسالة في الفقراء وذوي الحاجة ويرونها في ذوي الملك والأموال، ولذلك قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القويتين عظيم، ^٩ فعلى ذلك قولهم: يأكل الطعام كما يأكل الفقراء ^{١٠} ويمشي في الأسواق في حوائجه كما يمشي الفقراء، ولو كان رسولا لكان مليكا غنيا يأكل طعام الملوك ولا يقع ^{١١} له الحاجة إلى أن يمشي في الأسواق في حوائجه. ^{١٢} فأجاب لهم في طعنهم فيه أنه بشر مثلهم وإنكارهم ^{١٣} الرسالة في البشر بوجوه. أحدها قوله: لولا أنزل علينا ملكٌ، قال: ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر، ^{١٤} الآية، معناه - والله أعلم - أنه لا يُنزل الملك إلا بالعذاب، فلو أنزل لأنزل بالعذاب فأهلكوا.

^١ ن: قوله.

^٢ ر م: بقوله.

^٣ جميع النسخ: ما هذا.

^٤ سورة الأنبياء، ٣/٢١.

^٥ ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ (سورة إبراهيم، ١٠/١٤). هذا القول منسوب في القرآن الكريم إلى الأقوام الماضية.

^٦ ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦).

^٧ ر م: يطعنون.

^٨ الآية التالية.

^٩ سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

^{١٠} ع - كما يأكل الفقراء.

^{١١} ر م: لا يقع.

^{١٢} ن: في حوائجه في الأسواق.

^{١٣} ع: وإنكار لهم.

^{١٤} ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦).

والثاني ما قال: **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**،^١ تأويله -والله أعلم- أنه لم يجعل في وسع البشر رؤية الملك على صورته وعلى ما هو عليه، / إذ جنس هذا غير جنس أولئك، وجوهرهم غير جوهر أولئك. ولو جعلناه^٢ هكذا كنا لبسنا عليهم^٣ ما كان بليس أولئك القادة على الأتباع، كقوله:^٤ إنه ساحر،^٥ وإنه كذاب،^٦ وإنه مجنون،^٧ فكان في ذلك تلبس عليهم.

والثالث ما قال: **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ**،^٨ الآية، أي لو كان أهل الأرض ملائكة لكننا أنزلنا عليهم بالرسول ملكا من جنسهم وجوهرهم، لأنهم أعرف به وأظهر صدقا عندهم ممن هو من غير جوهرهم وجنسهم. فإذا كان أهل الأرض بشرا فالرسول إذن^٩ كان منهم، فهم^{١٠} أعرف به، وصدقه^{١١} أظهر عندهم، وقلوبهم إليه أميل إلى من هو من غير جنسهم.

وأجاب لطعنهم في أكله ومشيه في الأسواق حيث قال: **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ**،^{١٢} في حوائجهم، أي غيره من الرسل الذين تؤمنون أنهم كانوا فقراء يأكلون الطعام ويمشون في حوائج أنفسهم، ثم لم يمنع ذلك عن أن يكونوا موضعاً لرسالته، فعلى ذلك محمد. والفقير وذو^{١٣} الحاجة أحق أن يكون موضعاً لرسالته من الغني المثري، لأن الناس يتبعون الغني ومن له الملك والثروة، فلو كان الرسول غنيا مثريا ملكا لكان لا يظهر متبع الحق من غيره، وإذا كان فقيرا محتاجا لظهر ذلك، اللهم إلا أن يكون ملكا هو آية الرسالة نحو ملك سليمان ودادود، وذلك لنفسه آية لرسالته على ما قال: **وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**.^{١٤} **وَاللهُ أَعْلَمُ**.

^١ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (سورة الأنعام، ٩/٦).

^٢ ن: جعلناه.

^٣ ر ع م - عليهم.

^٤ ر ع م: لقولهم.

^٥ انظر: سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨.

^٦ الآيات المتعلقة بتكذيب المشركين رسول الله كثيرة، وفي هذه الآية تصريح به: سورة ص، ٤/٣٨.

^٧ انظر مثلا: سورة الحجر، ٦/١٥؛ وسورة الصافات، ٣٦/٣٧.

^٨ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (سورة الإسراء، ٩٥/١٧).

^٩ جميع النسخ: إذا.

^{١٠} م - فهم.

^{١١} ر ع: وأصدقه.

^{١٢} سورة الفرقان ٢٥/٢٠.

^{١٣} ع: والفقير وذو.

^{١٤} ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة ص، ٣٥/٣٨).

وقوله: لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا، كأنهم قالوا ذلك لما نزل قوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا^١ قالوا عند ذلك: لولا أنزل إليه ملك، الآية.

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [٨]

وقالوا: أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها، عند سماع قوله: الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^٢ أي قالوا: لو كان محمد رسول من له ملك السماوات والأرض ونذيرا للعالمين على ما يقول لكان أنزل معه ملك^٣ نذير، أو لكان أُعطي هو^٤ كنزا، أي مالا، أو تكون له جنة يأكل منها، على ما يكون لرسول ملوك الأرض. لكن الجواب لهم ما ذكر: ° تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ^٥ الآية، أي لو شاء أعطاك خيرا مما يقولون من البستان والقصور على ما أعطى غيرك، لكن ليس فيما^٦ منع مَنقُصَةً لَكَ وَلَا فِيمَا أَعْطَاهُمْ^٧ فضيلة.

وقوله: ^٨ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا، لا تزال عادتهم بنسبة الرسول إلى السحر والجنون والكذب.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [٩]

وقوله: ^٩ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا، فتأويله -والله أعلم- أي انظر إلى سفههم أن كيف ضربوا لك الأمثال وشبهوك بها؛ نسبوك^{١٠} مرة إلى السحر وقالوا: إنك ساحر،

^١ سورة الفرقان ١/٢٥.

^٢ سورة الفرقان ٢٢/٢٥.

^٣ ر ع م: ملكا.

^٤ ع: به.

^٥ ن: ذكرنا.

^٦ سورة الفرقان ١٠/٢٥.

^٧ ع: فيها.

^٨ ع: أعطى هم.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} م: ونسبوك.

ومرة إلى الجنون وقالوا: إنك مجنون، ومرة إلى الشعر وقالوا: ^١ إنك شاعر، ومرة إلى الكذب حيث قالوا: بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ، ^٢ ونحو هذا مما كانوا ينسبونه إليه. فيقول -والله أعلم- انظر إلى سفههم أن كيف ضربوا لك الأمثال، ونسبوك إلى ما ذكروا، على ^٣ علم منهم أنك لست كذلك ولا على ذلك، وأنك على الحق وهم على باطل وكذب. أو أن يكون قوله: انظر كيف ضربوا لك الأمثال ما قالوا: لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنُزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا، ^٤ وأمثال ما سألوها. ^٥ فيقولون: لو كان ما يقول إنه رسول لكان ذلك له أعلام الرسالة وأمارات صدقه؛ فيخبر أن الأعلام والآيات ليست تأتي على شهوات سؤال المعاندين وأمانيتهم، ولكن إنما تجيء على ما توجه الحكمة مما يدل على صدق ما ادعى ويظهر كذب من عاند وتولى. وقد آتاهم بحمد الله بحجج ^٦ وبراهين ما أظهر لهم صدق ما ادعى من الرسالة والنبوة لكنهم عاندوها وكابروا فلم يقروا بها خوفاً أن يذهب عنهم رياستهم.

وقوله: فضلوا، لا شك أنهم قد ضلوا عن ^٧ الهدى، أو ^٨ ضلوا، أي عدلوا ^٩ بضرهم الأمثال له ^{١٠} ونسبتهم إياه إلى ما نسبوه إليه، فلا يستطيعون سبيلا، إلى الهدى ^{١١} أو إلى ما سألوها ^{١٢} من الأشياء. وفي حرف حفصة: فلا يهتدون ^{١٣} سبيلا. ^{١٤} وقال بعضهم: فلا يستطيعون مخرجا من الأمثال التي ضربوها لك. ^{١٥} والله أعلم.

^١ ر ع م - وقالوا.

^٢ ﴿الَّذِي الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ﴾ (سورة القمر، ٢٥/٥٤).

^٣ جميع النسخ: وعلى.

^٤ سورة الفرقان ٧/٢٥-٨.

^٥ ن ع: ما سألوها.

^٦ ع: آتاهم محمد صلوات الله عليه وسلامه بحجج.

^٧ ن: من؛ ع: على.

^٨ ر ن ع: أي.

^٩ ر: عدلو.

^{١٠} م - له.

^{١١} ع - الهدى.

^{١٢} ن: سألوها؛ ع: سألوها.

^{١٣} ع: يستطيعون.

^{١٤} لم أجد هذا الحرف في كتاب المصاحف لابن أبي داود.

^{١٥} وهو قول مجاهد، انظر: تفسير الطبري، ١٨٥/١٨.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُورًا﴾ [١٠]

وقوله: 'تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك، قد ذكرنا أنه خرج جواب ما سأله من الأشياء من الملك والكنز والجنة وأنواع الطعن الذي طعنوه، أي لو شاء لأعطاك خيرا من ذلك. ثم أخبر أن الذي حملهم على ذلك السؤال وأنواع الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة حيث قال:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [١١]

بل كذبوا بالساعة، حيث^٢ لم يروا لأمرهم عاقبة ينتهون إليها [و] يثابون عليها^٣ أو يعاقبون. ثم أخبر ما أعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال: وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا، ثم وصف ذلك السعير فقال:

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [١٢]

إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا، وقوله: رأتهم من مكان بعيد، يحتمل وجهين. أحدهما يجعل لها أسبابا تراهم كما يرونها. و[الثاني] إذا صاروا في مكان بحيث / يرونها كأنها رأتهم. [٥٣٤و] * وقال القتيبي: تغيظا وزفيرا، أي تغيظا عليهم، كذلك قال المفسرون. وقال بعضهم: [٥٣٤و ٢٧ سر] بل يسمعون فيها تغيظ المعدبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقول الله تعالى: هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ^٤ واعتبره الأولون بقوله: تَكَاذُؤُا تَمَيِّزُ مِنَ الْعُغَيْظِ^٥ هذا أشبه التفسيرين^٦ إن شاء الله، لأنه قال: سمعوا لها ولم يقل: سمعوا فيها، ولا [سمعوا] منها، وقال: [دعوا هنالك] ثُبُورًا^٧ أي بالهلكة كما يقول القائل: وا هلاكاه!^٨ والله أعلم.*

^١ ن: قوله.

^٢ ع - حيث.

^٣ ع: إليها.

^٤ ع: لهما + لما.

^٥ ع: أو إذا.

^٦ ع: كأنهم.

^٧ سورة هود، ١١/١٠٦.

^٨ سورة الملك، ٦٧/٨.

^٩ ع: المفسرين.

^{١٠} من الآية التالية.

^{١١} م: وا هلاكاه. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٠.

* وقع ما بين النحمتين متأخرا عن موضعه، فقد مناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤ و / سطر ٢٧-٣١.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [١٣]

وقوله: وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا، قيل: إن النار ترفع^١ وتُعلى^٢ لهبها ويرد^٣ من كان في أعلاها^٤ إلى أسفلها ويرد من كان^٥ في أسفلها إلى أعلاها فيجمعهم جميعا فيضيق عليهم المكان^٦ ويشتد بهم العذاب، [و] كلما ضاق عليهم المكان كان العذاب لهم أشد.

وقوله: ^٧مُقَرَّنِينَ، قال بعضهم: مُقَيَّدِينَ بعضهم ببعض، ثم قال بعضهم: الشيطان يُقَرَّن ويُقَيَّد، كلُّ بشيطانه الذي دعاه إلى ما دعاه واتبعه، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا^٨ الآية. وقال بعضهم: يَقَرَّن العابد والمعبود من دون الله وهو الأصنام التي عبدوها، كقوله: أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا^٩ الآية.

* وقال بعضهم في قوله: وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مُقَرَّنِينَ، في السلاسل، وذلك أنهم إذا ألقوا فيها تضايق^{١٠} عليهم كتضايق الرُّج^{١١} في الرمح، فالأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يُخفضهم اللهب فيزدحمون في تلك الأبواب الضيقة فتضايق^{١٢} عليهم، فعند ذلك يدعون بالثبور يقولون: يا ثُوراه ويا ويلاه! وروى مثله عن عبد الله بن عمر وكان^{١٣} يقول: إن جهنم لتضيق^{١٤} على الكافر كضيق الرُّج^{١٥} في الرمح.*

^١ ر ع م: يرفع.

^٢ جميع النسخ: ويعلا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٦ ظ.

^٣ ر ع م: وترد.

^٤ جميع النسخ: من مكان من أعلاها.

^٥ ن: من مكان.

^٦ ن: قوله.

^٧ ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٦).

^٨ ﴿احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَكِيمِ﴾ (سورة الصافات، ٢٣/٢٢-٢٣).

^٩ ع: الزوج. الزوج: الحديدية في أسفل الرمح.

^{١٠} ر م: فضايق؛ ن ع: تضايق.

^{١١} ع: كان.

^{١٢} ع: لجهنم لتضيق.

^{١٣} ع: الزوج.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤ و/ سطر ١٩-٢٣.

* وقوله: **دَعُوا هَنَالِكَ ثُبُورًا**، يقول: ويلا وهلاكًا! قال الله تعالى: **لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا** **وَاحِدًا** **وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**.^١ ثم قيل عند ذلك:^٢ **[قُلْ] أَذَلِكُمْ حَيْرٌ**، يعني الذي ذكر، أم حَيْثُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً، لأعمالهم، وَمَصِيرًا،^٣ أي منزلا. قال أبو عَوْسَجَةَ: الغَيْظُ من الغَيْظِ، والزفير الشهيق يكون في الحلق؛^٤ وشَهَقَ يشهق شهيقًا وشَهَقًا وهو نَفَسٌ في الحلق شديد له صوت. وقال: ثُبُورًا، أي هلاكًا، وَصَرْفُهُ ثَبْرٌ يَثْبُرُ ثَبْرًا وَثُبُورًا فهو ثُبُورٌ.* **دَعُوا هَنَالِكَ ثُبُورًا**، أي هلاكًا، والثبور الهلاك، كقوله: **وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا**، أي هالكا. والثبور والويل هما حرفان يدعوا^٥ بهما^٦ كل من كان في الهلكة والشدة فقال:

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [١٤]

لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا، أي لا تدعوا هلاكًا واحدا كما يكون في الدنيا أن من هلك مرة لا يهلك ثانيا.^٧ وأما في النار فإن لأهلها هلكاتٍ لا تُحصى، كقوله: **وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**، أي أسباب الموت تأتيهم^٨ من كل مكان، **وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ**،^٩ وكقوله: **كُلَّمَا نَضَحَتْ جُلُودُهُمْ**،^{١٠} الآية. وإنما يسألون ويدعون باهلاك لما يرجون من الهلاك النجاة من ذلك العذاب، وهكذا كل من ابتلى ببلاء^{١١} شديد يتمنى^{١٢} الهلاك والموت.

^١ الآية التالية.

^٢ ر ع م - عند ذلك.

^٣ سورة الفرقان، ١٥/٢٥.

^٤ ر م: في الحلق.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٤٣٤ و/ سطر ٢٣-٢٧.

^٦ ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾ (سورة الإسراء،

١٧/١٠٢).

^٧ ع: يدعوا.

^٨ م: بها.

^٩ ر: ثابتا.

^{١٠} ن: يأتيهم.

^{١١} ﴿يَتَحَرَّغُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرِثَهُ عَذَابَ غُلِيظٍ﴾ (سورة إبراهيم،

١٤/١٧).

^{١٢} ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

(سورة النساء، ٥٦/٤).

^{١٣} ع - ببلاء.

^{١٤} ع: ويتمنى.

﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ [١٥]

وقوله: قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون، يُشبه أن يكون قال هذا لقولهم: لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها، فيقول: أذلك الذي سألتموه أتم خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون: أو [قد] يكون قال ذلك لهم لما رأوا لأنفسهم الفضل والمنزلة في الدنيا لما وسع عليهم الدنيا وأعطوا من حطامها فقال: أذلك الذي أعطيتكم في الدنيا من السعة خير أم جنة الخلد التي أعطى المتقون. والله أعلم.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [١٦]

وقوله: لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا، يحتمل قوله: وعدا مسئولا مما^١ سألتهم الملائكة، كقوله: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ^٢ الآية. أو [يحتمل] سؤال^٣ الرسل، كقوله: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ]^٤ الآية. أو وعدا مسئولا مما سألوهم^٥ ربهم فوعد^٦ لهم ذلك. فهذا يدل أنهم إنما يدخلون الجنة بالسؤال والتشفع لهم والتضرع، لا أنهم^٧ يستوجبون ذلك بأعمالهم.*

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ

ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [١٧]

وقوله: ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل، اختلف فيه. قال بعضهم: يحشر أولئك الذين عبدوا دون الله والمعبودين وهم الملائكة،

^١ سورة الفرقان ٧/٢٥-٨.

^٢ ع: عطى.

^٣ ع: فما.

^٤ ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(سورة المؤمن، ٨/٤٠).

^٥ ع: وسؤال.

^٦ سورة آل عمران، ١٩٤/٣.

^٧ جميع النسخ: سألوهم.

^٨ ر: ووعد.

^٩ ع: لأنهم.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ و ١٣ فقلناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٤٣٤ و/ سطر ١٩-٣١.

لأن من العرب من قد عبدوا الملائكة، كقوله في آية أخرى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليتنا من دونهم^١، وقال بعضهم: هو عيسى، يحشر بينه وبين من عبده، لأنه قد عُبد دون الله فيقول له ما ذكرك، كقوله: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ^٢ الآية. وقال بعضهم: يحشر الأصنام ومن عبدها^٣ ثم يأذن لها في الكلام فيقول: أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل، كقوله: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ^٤ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ، إلى قوله: إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ^٥. ولو كان عيسى عليه السلام أو الملائكة لكانوا^٦ عالمين بعبادتهم إياهم غير غافلين، دل^٧ ذلك أنها الأصنام التي عبدوها / دون الله وإياها يسألون، [٥٣٤ظ] وكل ذلك محتمل، إذ قد كان منهم ذلك كله. **وانه أعلم.**

وقوله: فيقول أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل، والله عز وجل: كان عالما بما^٨ كان منهم، لكن السؤال إياهم - والله أعلم - يخرج مخرج توييخ أولئك الكفرة وتعييرهم، لأنهم يعبدون من ذكر من دون الله ويقولون هم أمرهم بذلك، وكانوا مقبولي القول عندهم صادقين فيما^٩ يخبرون ويقولون، فأراد أن يظهر كذبهم عند الخلائق لذلك سألهم؛^{١٠} والله أعلم^{١١} بالكائن منهم من أنفسهم لكنه يخرج^{١٢} على ما ذكرنا.

^١ ﴿قالوا سبحانك أنت وليتنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٤٠-٤١).

^٢ ع - يحشر بينه وبين من عبده لأنه قد عبد دون الله فيقول له ما ذكر كقوله وإذ قال الله يا عيسى.

^٣ ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة المائدة، ١١٦/٥).

^٤ ع: عبدوها.

^٥ ن - للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون [إلى قوله] كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول، صح هـ.

^٦ ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزئلتنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨-٢٩).

^٧ ع: كانوا.

^٨ ن - دل.

^٩ ر م: لما.

^{١٠} ن: فما.

^{١١} ع - سأهم.

^{١٢} ن + وإلا كان أعلم.

^{١٣} ع: مخرج.

ثم نزهوه عن جميع ما لا يليق به وبرزوا أنفسهم عن أن يكون^١ منهم أمر أو شيء مما نسبوا أولئك إليهم وهو أعلم بهم فقالوا:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [١٨]

سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، قال أهل التأويل: أولياء، أي أربابا، وهم لم يتخذوا أربابا من دونه، لكنه عندنا يخرج على وجهين. أحدهما ما كان ينبغي لنا أن نتخذ^٢ من دون^٣ أوليائك^٤ أولياء، وهم^٥ المؤمنون. أو أن يكون: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دون ولايتك ولاية سواك. وفي بعض القراءات: أن تُتَّخَذَ من دونك أولياء برفع النون، لكن أهل الأدب يقولون: هو خطأ^٦.

وقوله: ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن آباءهم قد أمهلوا ومتعوا في هذه الدنيا حتى ماتوا على ذلك من غير أن أصابهم شيء مما أوعدوا في كتابهم أو ما أوعدهم الرسل من العذاب والهلاك على ما اختاروا من الدين وصنيعهم، فظنوا أنهم على حق من ذلك حيث لم يصبهم من المواعيد المذكورة في كتابهم ما أوعدهم رسلهم بشيء. فعلى هذا التأويل الذكر الذي إنهم نسوه هو كتابهم أو ما أوعدهم^٧ رسلهم^٨. والله أعلم. فإن كان على هذا فالآية في أهل الكتاب منهم. ويحتمل أن تكون^٩ الآية في الفراعنة والقادة من هؤلاء الكفرة، متعوا في هذه الدنيا بأموال^{١٠} ورياسة^{١١} ووسع عليهم المعيشة

^١ ن: كان.

^٢ ر م + من دونك من أولياء قال أهل التأويل أولياء أي أربابا وهم لم يتخذوا أربابا من دونه لكنه عندنا يخرج على وجهين أحدهما ما كان ينبغي لنا أن نتخذ.

^٣ ر م: من دونه.

^٤ ر ع م - أوليائك.

^٥ ر م: أولياء هم؛ ع: أولياؤهم.

^٦ ر ع م: خطأ.

^٧ ن: ما ذكر لهم.

^٨ ع + بشيء.

^٩ جميع النسخ: أن يكون.

^{١٠} ر ع م: بأحوال.

^{١١} ع: رياسة.

حتى دعوا^١ الناس وأتباعهم إلى ما هم عليه من التكذيب برسوله وما أنزل عليه، فأجيبوا بالأموال التي^٢ عندهم فَنَسُوا ما في القرآن من الوعيد.

وكانوا قوما بورا، يحتمل قوله: كانوا، أي صاروا قوما بورا. ويحتمل أن كانوا عند الله قوما بورا،^٣ والبور قال بعضهم: الهلاك، وقال بعضهم:^٤ البور الفساد.

﴿فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [١٩]

وقوله: فقد كذبوكم، أي فقد كذبكم أولئك المعبودون بما تقولون: إنهم أمرونا بذلك، وكانوا عندهم صدقة.

وقوله:^٥ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا، هذا يحتمل وجوها. أحدها، أي^٦ ما^٧ يستطيع أولئك الكفرة صرف قول من عبدوهم^٨ وتكذيبهم حين كذبوهم في^٩ قوله. ولا نصرا، أي ولا استطاعوا الانتصار منهم حين كذبوهم. وعلى ذلك يخرج قراءة من قرأ بالتاء: فما يستطيعون صرفا ولا نصرا. و[الثاني] يحتمل فما يستطيعون أولئك المعبودون صرف عذاب الله ونقمته عنهم^{١٠} ولا كانوا لهم نصراء^{١١} لأنهم قالوا: هؤلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ،^{١٢} مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى.^{١٣} والثالث فما يستطيعون صرفا، أي فداء^{١٤} ولا نصرا، أي ولا ناصرا،^{١٥}

^١ ر: دعوا.

^٢ ر ع م - التي.

^٣ ر ع م - يحتمل قوله كانوا أي صاروا قوما بورا ويحتمل أن كانوا عند الله قوما بورا.

^٤ ع - وقال بعضهم.

^٥ ن: قوله.

^٦ م - أي.

^٧ ر: فما.

^٨ جميع النسخ: عبدوه.

^٩ ر ع م - في.

^{١٠} جميع النسخ: عنكم.

^{١١} ر ع: نصرا.

^{١٢} سورة يونس، ١٠/١٨.

^{١٣} سورة الزمر، ٣٩/٣.

^{١٤} ع: قدا.

^{١٥} ر م: ولا نصرا.

أي لا يقبل منهم الفداء ولا كان لهم ناصر ينصرهم في دفع العذاب عنهم، كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ^١.

وقال القُتَيْبِيُّ وأبو عَوْسَجَةَ: قال بعضهم: الصرف الحيلة من قولهم: [إنه] لَيَتَصَرَّفُ^٢ [أي يحتال].^٣ وقال بعضهم: الصرف النافلة، سميت صرفاً لأنها زيادة على الواجب، والعدل الفريضة. وقد روي في الخبر: ^٤ من طلب صرف الحديث ليبغي به إقبال وجوه الناس لم يَرِحْ رائحة الجنة،^٥ أي من طلب تحسينه بالزيادة فيه. وقال بعضهم: الصرف اللدّية، والعدل رجلٌ مثله؛ كأنه يريد لا يقبل منه أن يفتدى برجل مثله وعدله ولا يصرف عن نفسه بديّة.^٦ ومنه قيل: صِرْفِي،^٧ وصرفت^٨ الدراهم بالدنانير، لأنك تصرف هذا إلى هذا، وأصله ما ذكرنا.

قال القُتَيْبِيُّ وأبو عبيدة: قوما بورا، أي هَلَكى وهو من بارَ يبور إذا هلك وبطل، يقال: بار الطعام إذا كسد، وبارت الأتم إذا لم يُرغب فيها.^٩ وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الأتم.^{١٠} قال أبو عبيدة: يقال: ^{١١} رجل بُور وقوم بُور، لا يُثنى ولا يجمع.^{١٢}

^١ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).

^٢ جميع النسخ: لينصرف؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٧ ظ. «والصرف: التقلب والحيلة. يقال: فلان يصرف ويتصرف ويصرف لعياله: أي يكتسب لهم» (لسان العرب، «صرف»).

^٣ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١١.

^٤ م - في الخبر.

^٥ لم أعر على خير بهذا اللفظ، إلا أنه ورد في سنن ابن ماجه (المقدمة ٤٥): «من طلب العلم ليُمَارِي به السقهاء أو ليُتَابِهِي به العلماء أو ليُتَصَرَّفَ وجوه الناس إليه فهو في النار». وفي حديث أبي إدريس الخولاني: «من طلب صرف الحديث يبتغي به إقبال وجوه الناس إليه...». أراد بصرف الحديث ما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه على قدر الحاجة. وإنما كره ذلك لما يذخله من الرياء والتصنع ولما يُخالطه من الكذب والتزئد. يقال: فلان لا يُحْمِسُ صَرْفَ الكلام: أي فَضَّلَ بعضه على بعض. وهو من صَرْفِ الدَّراهم وتفاضلها. هكذا جاء في كتاب الغريب عن أبي إدريس (النهاية لابن الأثير، «صرف»).

^٦ ن ع: بديته.

^٧ ر ن: صارفي؛ ع م - صرفي، صح. ه.

^٨ ر ع م: وصرف.

^٩ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١١.

^{١٠} «نعوذ بالله من بوار الأتم»، أي كسادها، من بارت الشوق إذا كسدت. والأتم التي لا زَوْج لها وهي مع ذلك لا تَزَوَّج فيها أحد (النهاية لابن الأثير، «بور»).

^{١١} ر م: فقال.

^{١٢} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١١.

وقال أبو عؤسجة: قوما بورا لا خير فيهم، ورجل بائر. وكذلك قال أبو زيد: بورا، أي ليس فيهم من الخير شيء. وقال قتادة: بورا فاسدين بلغة أهل عَمَان. وقال: ما نسي قوم ذكر الله قط إلا باروا وفسدوا.

وقوله: ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا. أما على قول بعض الخوارج كل ظلم ارتكبه فهو في ذلك الوعيد على أصل مذهبهم. وعلى قول المعتزلة كل صاحب كبيرة في ذلك الوعيد. وأما على قول المسلمين^١ فذلك الوعيد لمرتكي الظلم ظلم كفر وشرك. وأما ما دون ذلك فهو في مشيئة الله تعالى، / إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه.

[٥٣٥ر]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [٢٠]

وقوله: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قد ذكرنا فيما تقدم أن هذا إنما أُخْرِجَ^٢ جوابا لقول أولئك: مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ،^٣ فأخبر أن الرسل الذين^٤ كانوا من قبل محمد كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق على ما يأكل هو ويمشي في الأسواق.^٥

ثم من الناس من كره الركوب في الأسواق لهذا^٦ وقال: إنه أخبر عن الأنبياء والرسل جملة أنهم كانوا يمشون في الأسواق، لم يذكر منهم الركوب، فدل ذلك منهم أنه مكروه منهي. فيشبه أن يكون ما قال هؤلاء^٧ بأنه^٨ يكون مكروها لأنه يخرج الركوب في الأسواق مخرج التعزير^٩ والمباهات. فالواجب على كل مسلم أن يكون تعززه بالإسلام وبدينه الذي^٩ اختاره الله تعالى، وخاصة على^{١٠} العلماء يجب أن يكون تعززه وتباهيهم^{١١} بالعلم الذي

١ أي أهل السنة.

٢ ن: خرج.

٣ سورة الفرقان، ٧/٢٥.

٤ ر م: الذي.

٥ ر ع م - في الأسواق.

٦ ر م: بهذا.

٧ جميع النسخ: وإنه.

٨ م: التفرز.

٩ ع: التي.

١٠ م - على.

١١ ر ع م: ونباهتهم.

أعطاه الله^١ لهم وأكرمهم [به] فإنه عزّ لا يَغْتُفُّهُ دُلٌّ ولا يورث^٢ صغاراً ولا قهراً. وأما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو إلى دُلٍّ ما يصير سريعاً كأنه ليس بعز في الحقيقة لو^٣ تُوْمَل. ^٤ والله أعلم.

وقوله: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة، الفتنة كأنها هي المحنة التي فيها شدة وبلاء. ثم قال بعض^٥ أهل التأويل: إنه لما أسلم عبد الله وأبو ذرّ وعمار وبلال وصهيب وأمثال هؤلاء قالت^٦ الفراعنة من قريش نحو أبي جهل والوليد وأمثالهما: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمداً، [الذين] اتبعوه [هم] من مواليينا وأعرابنا: رُذالة كل قوم؛ فازدروهم وآذوهم واستهزؤوا بهم، فأنزل الله هذه الآية لهؤلاء الفقراء^٧ الذين اتبعوا رسول الله ليصبرهم على أذاهم فقال: [وجعلنا بعضكم لبعض فتنة] فتنة أتصبرون، أي اصبروا، على [معنى] الأمر، هذا محتمل. وقال الحسن: قوله: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة، جعل أهل البلوى فتنةً لغيرهم وغير أهل البلوى فتنةً لأهل البلوى؛^٨ يقول الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان، ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان، وكذلك يقول^٩ السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحاً مثل فلان. لكنه أعطى لأهل البلوى البلوى وأمرهم بالصبر عليه، وأعطى لأهل النعمة النعمة وأمرهم بالشكر عليها.

وجائز أن يكون غير هذا، وهو قريب من هذا، وذلك أنه أعطى بعضاً النعمة والسعة وجعل بعضهم أهل ضيق وشدة. ثم جعل كل فريق محتاجاً إلى الفريق الآخر، جعل الغني والمُشْرِي محتاجاً إلى الفقير في بعض أموره، والفقير محتاجاً إلى الغني لغناه، وجعل لبعض على بعض مؤنة ما لولا فقر الفقير لم يعرف الغني قدر غناه ولا الفقير قدر فقره ولا قام بعض بكفاية مؤنة بعض. ثم أمر كلا بالصبر على تحمل مؤنة الآخر بقوله: أتصبرون، أي اصبروا،^{١٠} على الأمر يخرج وإن كان ظاهره استفهاماً وسؤالاً. والله أعلم.

^١ م - الله.

^٢ جميع النسخ: ولا يورثه.

^٣ رع م: ولو.

^٤ جميع النسخ: تأمل.

^٥ رع م - بعض.

^٦ ع: إنما.

^٧ رع م: قال.

^٨ م - الفقراء.

^٩ رع م - فتنة لأهل البلوى.

^{١٠} ع + يقول.

^{١١} ع: إنما صبروا.

وقوله: ^١ وكان ربك بصيرا، أي على بصر وعلم جعل بعضا فتنه لبعض ليس على سهو وغفلة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ [٢١]

وقوله: ^٢ وقال الذين لا يرجون لقاءنا، قال أهل التأويل: لا يرجون، أي لا يخافون ولا يخشون لقاءنا، أي البعث بعد الموت. وقال أهل الكلام: الرجاء هو الرجاء لا الخوف، ^٣ لكن جائر أن يكون في الرجاء خوف وفي الخوف رجاء، لأن الرجاء الذي لا خوف فيه هو أمن، والخوف الذي لا رجاء فيه إياس، فكلاهما مذمومان: الإياس والأمن جميعا.

وقوله: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا، جائر أن يكون قولهم: لو لا أنزل علينا الملائكة، رسلا دون أن^٤ أنزل البشر رسلا إلينا، لإنكارهم البشر رسولا، كقولهم: ما هذا إلا بشرٌ مثلكم^٥. ويحتمل قولهم: لو لا أنزل علينا الملائكة، بالوحي والرسالة لنا دونك، ونحن الرؤساء والملوك والقادة دونك. يقولون: لو كان ما تقول حقا وصدقا إنك رسول وإنه ينزل عليك الوحي والملك^٦ فنحن أولى بالرسالة منك، إذ نحن الملوك والرؤساء، كقولهم: لولا أنزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم^٧، وأمثال هذا، لإنكارهم الرسالة لمن هو دونهم في الدنياوية. أو أن يكون ذلك كقولهم: لولا أنزل إليه ملكٌ فيكون معه نذيرا^٨، ويكون له شاهدا^٩ أنه رسول. [وقوله:] أو نرى ربنا، عيانا ونكلمه^{١٠} ونسأله عن ذلك. والله أعلم.

وقوله: لقد استكبروا في أنفسهم، الاستكبار هو أن لا يرى غيره مثلا له^{١١} ولا عدلا

^١ ن: قوله.

^٢ ن: قوله.

^٣ ع: لأن الخوف.

^٤ م - هو.

^٥ ع - أن.

^٦ ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢٤).

^٧ ع: والملوك.

^٨ سورة الزحرف، ٤٣/٣١.

^٩ سورة الفرقان، ٧/٢٥.

^{١٠} ر ع م: ويكون له شاهد؛ ن: أو يكون له شاهد.

^{١١} م: نكلمه.

^{١٢} ع: لها.

ولا شكلاً في نفسه وأمره. ^١ فإن كان هذا فهو لما ^٢ لم يروا رسول الله أهلاً للرسالة ^٣ وموضعاً لها
لِصَفَرٍ ^٤ يده وحاجته ورأوا أنفسهم أهلاً لها. فاستكبارهم هو ما لم يروا غيره مثلاً ولا شكلاً ^٥
لأنفسهم فاستكبروا. أو استكبروا ^٦ ولم يخضعوا لرسول ^٧ الله ولم يطيعوه ولم يتبعوه أنفًا منه ^٨
بعد علمهم أنه محق لذلك وأنه رسول إليهم.

وقوله: ^٩ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا، قال بعضهم: العتو هو الجرأة، وهو ^{١٠} أشد من الاستكبار.
وقال بعضهم: العتو هو ^{١١} الغلو في القول غلوا شديداً. وقال بعضهم: / هو من التكبر.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [٢٢]

وقوله: ^{١٢} يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً، قال
الحسن: حجراً محجوراً، كلمة من كلام العرب، إذا كره أحدهم الشيء قال: حجراً حراماً هذا.
فإذا رأوا الملائكة كرههم ^{١٣} وقالوا: ^{١٤} حجراً محجوراً، فعلى هذا القول الكفرة هم يقولون:
حجراً محجوراً، إذا رأوا الملائكة وما معهم ^{١٥} من المواعيد.

^١ م - وأمره.

^٢ جميع النسخ: ما.

^٣ ع - له.

^٤ ع: الصغر. يقال: صغر الإناء من الطعام والشراب يَصْفَرُ صَفِيرًا وَصُفُورًا: أي خلا، فهو صَفْرٌ. ورجل صَفْرٌ
اليدين، أي ليس عنده مال ولا متاع (لسان العرب، « صفر »).

^٥ ر م: ولا أشكالا.

^٦ ر ع م - أو استكبروا.

^٧ ع: الرسول.

^٨ أي كرها من النبي.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ن: وهي.

^{١١} ر ع م: هي.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} جميع النسخ: كرهنهم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ و.

^{١٤} ر ع م: وقال.

^{١٥} ع - وما معهم.

^{١٦} قال الأزهري: أما ما قاله الليث من تفسير قوله تعالى: ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾، إنه من قول المشركين للملائكة
يوم القيامة، فإن أهل التفسير الذين يُعتمدون مثل ابن عباس وأصحابه فتمروه على غير ما فسره الليث. قال ابن عباس:
هذا كله من قول الملائكة، قالوا للمشركين: ﴿حجراً محجوراً﴾، أي حُجِرَتْ عليكم البُشْرَى فلا تُبَشِّرُون بخير
(لسان العرب، «حجر»).

وقال^١ بعضهم: إن الملائكة يتلقون المؤمنين بالبرى على أبواب الجنة ويقولون للكفرة: لا بشرى لكم ويقولون حجرا محجورا، أي تقول^٢ الملائكة: حرام البشرى للمجرمين، أو حرام عليهم الجنة أن يدخلوها. والحجر على هذا القول هو الحرام. وقال بعضهم: الحجر ههنا هو^٣ المنع والحظر يقولون: إنهم يمنعون ويحظرون عما طمعوا وقصدوا بعبادتهم الملائكة والأصنام التي عبدوها حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.^٤ وما تعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلّقى،^٥ فيقول: يُمنع عنهم ما قصدوا وطمعوا بعبادتهم. أو يكون المنع ثواب الخيرات التي عملوها في هذه الدنيا من صلة الأرحام والصدقات ونحوها مما هي في الظاهر خيرات مُنعوا ثوابها في الآخرة، كقوله: وَلَئِن رُّدِّدْتَ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،^٦ وقوله: وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَى،^٧ ونحو ذلك، فقال: يمنعون عن ذلك^٨ كله. والله أعلم.

* وقال بعضهم: قوله: حجرا محجورا، أي عَوْدًا مُعَادًا، يقول: المجرمون يستعيدون من الملائكة. [٥٣٥ ط س ١٥] قال أبو عؤسجة: وَعَتَوْا عُنُوقًا كَبِيرًا،^٩ هو من التكبر،^{١٠} ويقال من الخلاف: عتا عتيا إذا خالف، يقال في الكلام: لا تَعْتُ عليّ، أي لا تخالفني. وقال بعضهم: هو من الشدة واليبس كقوله: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا،^{١١} أي يابسا. وقال: حجرا محجورا، أي حراما محزما. وحجرت عليه ماله، أي منعته من ماله،^{١٢} أحجر حجرا. ويقال حجرت عينه،^{١٣} أي لطّخت أجفانها بشيء من الدواء.* [٥٣٥ ط س ١٩]

^١ ر ع م: قال.

^٢ ع: يقولون؛ ن: يقول.

^٣ م - هو.

^٤ جميع النسخ: يقولون.

^٥ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

^٦ ﴿ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

^٧ ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلباً﴾ (سورة الكهف، ١٨/٣٦).

^٨ ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد صرّاء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده

للحسنى﴾ (سورة فصلت، ٤١/٥٠).

^٩ ر ع م - فقال يمنعون عن ذلك.

^{١٠} من الآية السابقة.

^{١١} ع: من التكبير.

^{١٢} م + وقوله. ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ (سورة مريم، ١٩/٨).

^{١٣} ع - ماله.

^{١٤} ع: عيشه.

* وقع ما بين النحمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٥ ط/سطر ١٥-١٩.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [٢٣]

وقوله: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا»، هو ما ذكرنا من الأعمال التي عملوها في هذه الدنيا رجاء أن يصلوا إليها في الآخرة. فجعلناه هباء منثورا، قال أهل التأويل: وقدمنا، أي عمدنا وقصدنا إلى ما عملوا من عمل، لكن عندنا أي^١ جعلنا أعمالهم تلك في الأصل. هباء منثورا، قال بعضهم: منبثا وهو رَهَج^٢ الدواب. وقال بعضهم: الهباء المنثور هو^٤ غبار الثياب. وقال بعضهم: هو الغبار الذي يكون في شعاع الشمس، وهو^٥ الذي يسمى الدر*.
وقوله: هباء منثورا، أي لا شيء، والهباء هباء النار، أي رمادا يكون على أعلى النار إذا تحمّدت. ويقال: هبت النار تهبّو هبّوا إذا حمدت والجمرة على حالها، إلا أنه قد غطّاه ذلك الهباء، وكل شيء ليس بشيء^٦ فهو هباء. وتقول: هذا هباء، أي لا شيء. ومنثور: قد نُثِر.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [٢٤]

وقوله: «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا». وصف عز وجل أعمال الكفرة مرة بالهباء المنثور،^١ ومرة بالرماد،^{١١} ومرة بالسراب،^{١٢} ومرة بالتراب الذي يكون على الصفوان وهو الحجر الأملس إذا أصابه الوبال.^{١٣} ووصف أعمال المؤمنين بالثبات

^١ ر ع م - التي.

^٢ ر ع م - أي.

^٣ الريح: الغبار.

^٤ ر م: وهو.

^٥ ر ع م: هو.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية التالية برقم ٢٠، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٥ ظ/سطر ١٥-١٩.

^٧ ع: وإذا.

^٨ ر ع م: لشيء.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} انظر: الآية السابقة.

^{١١} ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٨/١٤).

^{١٢} ﴿والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).

^{١٣} ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلته كمثّل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرّون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٤).

والقرار ونحوه.^١ وعن ابن مسعود رضي الله عنه [قال:] لا يتنصف النهار يوم القيامة حتى يَقبل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة ثم قرأ: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا. وكذلك ذُكر في حرفه في سورة الصافات: ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ،^٢ قرأ هو [ثم]^٣ إن مقيلمهم لإلى الجحيم.^٤ ويشبه أن يكون ذكر هذا القولهم: أَوْ يَلْقَى إِلَيْهِ كَثْرًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،^٥ أي لنا أموال وحنان وليس له من ذلك شيء، فقال جوابا لهم: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [٢٥]

وقوله:^٦ وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا، وَصَفَ السَّمَاءَ لِهَوْلٍ^٧ ذلك اليوم بأوصاف، وذكر لها أحوالا فقال في آية أخرى: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ،^٨ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ،^٩ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،^{١٠} وقال: يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءُ،^{١١} وَيَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضُ،^{١٢} ونحو ذلك. وذلك في اختلاف الأوقات، تكون^{١٣} في كل وقت على الحال التي وصف. وكذلك ما وصف الجبال^{١٤} مرة بالهباء المنبث^{١٥} ومرة كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،^{١٦} ومرة كَثِيْبًا مَهِيْلًا،^{١٧} ومرة قال:

^١ يقول الله تعالى أيضا: ﴿يَهَيِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة إبراهيم، ٢٧/١٤).

^٢ سورة الصافات، ٦٨/٣٧.

^٣ ر م - ثم.

^٤ ر ن م + أي إلى الجحيم. كتاب المصاحف لابن أبي داود ٨٠.

^٥ سورة الفرقان، ٨/٢٥.

^٦ ن: قوله.

^٧ ع: الهول.

^٨ سورة التكويد، ١١/٨١.

^٩ سورة الانشقاق، ١/٨٤.

^{١٠} سورة الانفطار، ١/٨٢.

^{١١} ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجَلِ لِلْكَتَبِ﴾ (سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١).

^{١٢} ﴿يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (سورة إبراهيم، ٤٨/١٤).

^{١٣} ر: يكون.

^{١٤} ر م - الجبال.

^{١٥} ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ (سورة الواقعة، ٤/٥٦-٦). جميع النسخ:

بالهباء المنبثورة. ورد قوله: ﴿هباء منشور﴾ في سورة الفرقان، ٢٣/٢٥، ولكنه متعلق بالأعمال، لا بالجبال.

^{١٦} سورة القارعة، ٥/١٠١.

^{١٧} ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا﴾ (سورة المزمل، ١٤/٧٣).

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً^١، الآية، ونحوه من الأوصاف التي وصفها. وذلك في أوقات مختلفة، تكون في كل وقت على حال ووصف [ب] التي وصف. فعلى ذلك السماء لشدة هول ذلك اليوم وفرّعه. وقوله: تَسْقُفُ السَّمَاءَ بِالْغَمَامِ، أي تنشق عن الغمام فتبقي بلا غمام، كقوله: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ^٢. وجائز أن يكون قوله: بِالْغَمَامِ، أي تبقى الغمام فوق رعوس الخلائق يُظْلَمُ. وهذا يدل أن^٣ قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ^٤، إنما معناه بظلل من الغمام، فإن كان على هذا فيرتفع الاشتباه فيه.^٥ والله أعلم.

﴿الْمَلِكُ يُومِنِدِ الْحَقِّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [٢٦]

وقوله: الملك يومئذ الحق للرحمن، يحتمل إضافة ملك ذلك اليوم^٦ إليه - وإن كان الملك له في جميع الأيام في الدنيا والآخرة - وجوها. أحدها لِمَا أن ملك الآخرة ملك دائم باقٍ لا فناء^٧ له، وملك الدنيا جعله فانيا لا دوام^٨ له^٩ ولا بقاء.

[٥٣٦]

والثاني يُقر له جميع الخلائق بالملك له في ذلك اليوم وإن لم يُقر له البعض بملك الدنيا. والثالث لِمَا لا ينازعه أحد في ملك ذلك اليوم وإن كان له منازع في الدنيا. أو أن يكون المقصود بخلق هذا العالم في ذلك اليوم^{١٠} يظهر للخلق. ويومئذ^{١١} يعلم كلُّ أن خلقهم في الدنيا لذلك اليوم كان، لا للدنيا خاصة.

وقوله: للرحمن، ذكر هنا^{١٢} الرحمن، وقال في آية أخرى: لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^{١٣}، لتعلم العرب أن الرحمن المذكور في^{١٤} هذه الآية هو الله الذي^{١٥} ذكر في تلك الآية،

^١ وت ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴿ (سورة النمل، ٢٧/٨٨).

^٢ تقدم قريبا.

^٣ ع - أن.

^٤ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴿ (سورة البقرة، ٢/٢١٠).

^٥ ر ع م - فيه.

^٦ ن + اليوم.

^٧ ر ع م: بلا فناء.

^٨ ر ع م - له.

^٩ م - اليوم.

^{١٠} جميع النسخ + يتم.

^{١١} ر م: هنا.

^{١٢} ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/١٦).

^{١٣} ر: وفي.

^{١٤} ر م + لا إله إلا هو.

لأن العرب تُسَمِّي وتعرف كل معبود لها ولا تعرف الرحمن معبودا ولا تسمية الرحمن، فعزفهم^١ أن الله والرحمن الذي ذكرهما^٢ واحد.

وقوله عز وجل: وكان يوما على الكافرين عسيرا، ظاهر لا شك فيه فكذلك^٣ يكون.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [٢٧]

وقوله: ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، الآية. قال بعض أهل التأويل: نزلت الآية في عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ،^٤ كان يواخي رسول الله ويؤاذه، وكان رسول الله يجيبه إذا دعاه إلى طعامه. فدعا يوما رسول الله إلى طعامه فقال: لا حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فشهد بذلك فطعم من طعامه فبلغ ذلك أُبَيَّ بن خَلْفٍ فأتاه فقال: صَبَوْتُ^٥ يا عُقْبَةُ [إلى] محمداً وأجبتة إلى ما دعاك إليه، فغيره^٦ على ذلك حتى رجع^٧ عُقْبَةُ عن ذلك وارتد عن دينه. وفي الحديث طول،^٨ فنزلت الآية في شأنه وصنيعه وندامته وحسرتة^٩ على ما فعل فقال: ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، إلى آخر ما ذكر. وذكر أن عُقْبَةَ وأبَيَّ بن خَلْفٍ قُتِلَ^{١٠} أحدهما يوم بدر والآخر يوم أحد. ولكن الآية في كل ظالم وكل كافر يكون على ما دُكِّرَ.

ثم يحتمل قوله: يعض الظالم على يديه، على التمثيل والكناية عن الندامة والحسرة، لأن من اشتدت^{١١} به الندامة والحسرة والغيط على شيء كاد أن يعصّ يديه غيظا منه على ذلك، كما كَتَبَ يَعْجَلُ اليد عن ترك الإنفاق وباليسر عن كثرة الإنفاق والمجاورة فيه،^{١٢}

^١ ر: نعرفهم.

^٢ ر م: ذكرها.

^٣ ن: وكذلك.

^٤ ر: معط.

^٥ ر: صيرت.

^٦ جميع النسخ: محمداً؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ ظ.

^٧ ع: فغيره.

^٨ ر ع م: يرجع.

^٩ انظر: تفسير الطبري، ٨/١٩؛ والدر المنثور للسيوطي، ٦/٢٥١-٢٥٢، ٧/٣١٠؛ وتفسير القرطبي، ١٥/٢٩٦.

^{١٠} ر ع م: وحيرته.

^{١١} جميع النسخ: قتلا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ ظ.

^{١٢} جميع النسخ: اشتد؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ ظ.

^{١٣} ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٢٩).

وكما كئى بالنبد وراء الظهر عن ترك الانتفاع وقلة النظر فيه والاكتراث إليه،^١ وكقوله: **نَكَصَ عَلَيَّ عَقْبِيهِ**،^٢ عن الرجوع ونحوه، وقوله **يُرْدُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**،^٣ وقوله: **فَتَنَزَّلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا**،^٤ وأمثال هذا. كل هذا على التمثيل والكناية عن الرجوع والثبات والأخذ والترك. فعلى ذلك جائز أن يكون عض الأيدي كناية عن شدة الندامة والغيظ على ما حل به. ويشبه أن يكون على التحقيق، تحقيق عض^٥ اليد [حيث] يجعل الله عقوبته بعض اليد كما جعل عقوبة أنفسهم بأنفسهم حيث جعل أنفسهم حطبا للنار، بها^٦ يعذبون^٧ ويعاقبون. **والله أعلم.**
وقوله: **يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، السبيل الذي دعاه الرسول^٨ إليه:**

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [٢٨]

يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا، يحتمل الإنسان ويحتمل الشيطان، أي لم اتخذ الشيطان خليلا ولم أطعه فيما دعاني^٩ أو الإنسان الذي قلده فيما قلده.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [٢٩]

وقوله: لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، يحتمل قوله: عن الذكر، أي الشرف الذي يذكر به المرء، أضلني عن ذلك الشرف. أو أضلني عما يذكرني هذا. وأضلني عن الذكر، أي عن القرآن وما فيه من الذكر.^{١٠} **والله أعلم.**

^١ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لئنبيته للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).

^٢ ر ن م: كقوله.

^٣ ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٍ لكم فلما تراءت الفتنان نكص على عقبيه وقال إني بريئ منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٤٨/٨).

^٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٩/٣).

^٥ ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدمٌ بعد ثبوتها وتدوروا حولها وما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ٩٤/١٦).

^٦ ر م - كل هذا.

^٧ ع: غض.

^٨ ر ع م - بها.

^٩ م: ويعذبون.

^{١٠} ر م - الرسول.

^{١١} جميع النسخ: دعاه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ ظ.

^{١٢} ر ع م: من الذكرى.

وقوله: ^١ وكان الشيطان للإنسان خذولاً، أي تاركا له متبرئاً منه، يقول كما قال في آية أخرى حكاية عنه: ^٢ إني بريء منك، ويقول كما قال: ^٣ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ، الآية. أو أن يكون كما ذكر: ^٤ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، الآية. أو أن يكون ذلك الخذلان منه له ^٥ في الدنيا، يُمْنِيهِ ^٦ بِأَمَانِيٍّ وَيَزِينُ لَهُ ^٧ أَشْيَاءَ ثُمَّ لَا يوصله إليها.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [٣٠]

وقوله: وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا، قال بعضهم: المهجور هو الذي لا يُتُّفَعُ به ^٨ ولا يُعْمَلُ [به]. وقال أبو عؤسجة والفتي: مهجورا، أي تركوه مهجورا، أي متروكا. ويقال: مهجورا، أي جعلوه ^٩ كالهذيان، والهَجْرُ الاسم؛ يقال: فلان يهجر في منامه، أي يهذي. ^{١٠} وهو بالفارسية: بلايه كفتن. ^{١١}

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [٣١]

وقوله: ^{١٢} وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين، أي مثل الذي جعلنا لك من العدو من الكفرة ^{١٣} جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا. ثم العداوة تكون ^{١٤} في الدين مرة، ومرة في الأنفس وأحوالها.

^١ ن: قوله.

^٢ ر: تبرأ.

^٣ ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ (سورة الحشر، ١٦/٥٩).

^٤ ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

^٥ ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

^٦ ع - له.

^٧ م - يمنيه.

^٨ جميع النسخ: ويزينه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٨ ظ.

^٩ ر ع م - به.

^{١٠} ر م - جعلوه.

^{١١} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٣.

^{١٢} ر ع م: كفتي. ومعنى الجملة: التكلم بغير معقول وبغير مشروع.

^{١٣} ن: قوله.

^{١٤} م: ومن الكفرة.

^{١٥} ر ع م: يكون.

فإن كان العدو عدوا في الدين فجميع^١ الكفرة له أعداء لخلافهم له في الدين ويكون حرف "من" صلة، أي جعلنا لكل نبيّ المجرمين أعداءً. وإن كان على تحقيق "من" وإثباتها فالعداوة عداوة في الدين والأحوال، وذلك راجع^٢ إلى الفراعنة وأضداد الرسل. ما^٣ من رسول إلا وله قراينة وأضداد^٤ ينازعونه ويقاتلونه ويهيمون^٥ قتله. ثم بشر رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على أعدائه وهو قوله: وكفى بربك هاديا ونصيرا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [٣٢]

وقوله: وقال الذين كفروا / لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، ذكر بعض^٦ أهل التأويل أن أهل مكة كانوا يأتون رسول الله فيتعنتونه ويسألونه ويقولون: يا محمدا! أتزعم أنك رسول من عند الله؟ أفلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود؟ فقال: كذلك لنثبت به فؤادك، أي بمثل الذي نثبت به فؤادك.^٧

ثم يحتمل قوله: لنثبت به فؤادك، وجهين. أحدهما أنزلناه متفرقا لنثبته في فؤادك، [ف]تحفظه وتذكره، لأن حفظ الشيء إذا كان سماعه بالتفاريق كان حفظه أهون^٨ وأيسر من حفظه إذا سُمع جملة واحدة، وخاصة إذا كان الكلام من أجناس وأنواع.

والثاني لنثبت به فؤادك، أي لنثبت بما في القرآن من الحكمة والمعاني فؤادك. ثم يحتمل قوله: فؤادك أنه يراد به فؤاد من يستمع إليه ويسمعه، فإن كان هذا فهو كقوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ^٩ الآية، على ما ذكرنا أنه يكون أسرع حفظا وأهون ثباتا من سماعه جملة. وجائز أن يكون أراد فؤاده، كقوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ^٩

^١ ر م: جميع.

^٢ م - راجع.

^٣ ع - ما.

^٤ ر ع: وأضداده.

^٥ ر م: ويهيمونه.

^٦ ر م - بعض.

^٧ م + أي بمثل الذي نثبت به فؤادك.

^٨ سورة الإسراء، ١٧/١٠٦.

^٩ سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٧.

وقوله: سَنُقَرِّؤُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ^١، كان يعجل بحفظه إذا قرئ عليه خوفاً أن يذهب فأخبره أنه [ي]ثَبَّتْ^٢ فؤاده ويُنزله بالتفريق لكي يحفظه ويذكره.^٣

ثم إن كان المراد بتشبيته^٤ في الفؤاد هو ما فيه من الحكمة والمعاني وقراءته على الناس على مكث كذلك فهو - والله أعلم - يُنزله على قدر النوازل والحوائج ليكونوا أحفظ لتلك المعاني وأعرف بمواضعها وتقدير غيرها من النوازل به من أن نزل جملة في دفعة واحدة. والله أعلم.

* قال أبو عؤسجة: ورتلناه ترتيلاً، أي أنزلنا^٥ بعضه بعد بعض وعلى إثر بعض، لم ننزله في مرة واحدة. وكذلك قال في قوله: وَتَرْتَلَاهُ تَنْزِيلاً^٦. وقال بعضهم: قوله: ورتلناه ترتيلاً، أي بيناه تبياناً.*

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [٣٣]

وقوله: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ، أي بصفة يُشَبِّهُونَ بها على الخلق إلا جئناك بصفة هي^٧ أحق مما أتوها هم فترفع تلك الشبهة عنهم، أعني عن الخلق. أو أن يقال: وَلَا يَأْتُونَكَ بصفة هي باطلة^٨ إلا جئناك بالحق، أي بصفة هي حق فَتَبْطُلُ تلك وتضمحل. وأحسن تفسيرا، أي بيانا من الأول على التأويل الأول. وعلى التأويل الثاني ظاهر لا شك أنه أحسن وأحق.*

وقال بعضهم في قوله: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا، قال: لا يخاصمونك بشيء ولا يجادلونك إلا جئناك بالحق، يعني القرآن، وأحسن تفسيرا، يقول: جئناك بالقرآن بأحسن مما جاءوا به تفسيرا، وهو قريب مما ذكرنا بدءا. وفي حرف حفصة: إلا جئناك بأحق منه وأحسن تفسيرا، وهو شبيه ببعض التأويلات التي ذكرنا.

^١ سورة الأعلى، ٧-٦/٨٧.

^٢ ن: تثبت.

^٣ ن: وتذكره.

^٤ ر: تشبيبه؛ م: تشبيته.

^٥ ع: أنزلناه.

^٦ سورة الإسراء، ١٧/١٠٦.

^٧ ع - قوله.

* وقع ما بين النحمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٦/سطر ١٨-٢٠.

^٨ م: ع: هو.

^٩ ر: م: باطل.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٦/سطر ١٨-٢٠.

﴿الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٣٤]

وقوله: ^١ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا، يشبه أن يكون ذكر هذا على مقابلةٍ سبقت، وإلا على الابتداء لا يستقيم ذكره. فحائز أن يكون ذكره على مقابلةٍ قوله: ^٢ أصحاب الجنة يومئذ خيرٌ مستقرًا، ^٣ الآية. هذا ذكر مقام أهل الجنة، فذكر مقابل ذلك مكان أهل النار فقال: الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا، أي شر مكانا في الآخرة وأضل سبيلا في الدنيا. أو يكون مقابل قوله: ^٤ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا، ^٥ فقال: الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا، من الذين آمنوا، بل مقامهم الجنة، أعني المؤمنين، ومقام الكفرة النار، فهم شر مكانا منهم. وفي بعض الأخبار أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه».^٦

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [٣٥]

وقوله: ^٧ ولقد آتينا موسى الكتاب، أي التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا. ذكر هاهنا أنه كان وزيرا له، وذكر في آية أخرى: ^٨ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ، ^٩ وفي آية أخرى: ^{١٠} إِنَّهُ كَانَ [مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا] نَبِيًّا، ^{١١} حيث قال: ^{١٢} وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا، ^{١٣}

^١ ن: قوله.

^٢ سورة الفرقان، ٢٤/٢٥.

^٣ ر: مقاتل؛ ر: مقاتل + قوله.

^٤ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ (سورة مريم، ٧٣/١٩).

^٥ ع: فهم شركاءنا.

^٦ ن ع: أنشأه.

^٧ انظر: صحيح البخاري، التفسير ١/٢٥، الرقاق ٤٥.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر: ذكرها.

^{١٠} ﴿فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ (سورة طه، ٤٧/٢٠).

^{١١} ن - فأتياه فقولا إنا رسولنا ربك وفي آية أخرى.

^{١٢} ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولنا نبيا﴾ (سورة مريم، ٥١/١٩).

^{١٣} ن + وقال في آية أخرى فأتياه فقولا إنا رسولنا ربك. سورة مريم، ٥٣/١٩.

فكان [في] ما ذكر ذلك كله نبيا ورسولا وكان له وزيراً. والوزير هو العون والعُضد، كأنه قال: وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً، أي عونا وعضداً، كقوله: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي،^١ الآية. سأل^٢ ربه المعونة له والإشراك في أمره وقال: فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي.^٣ وقال الزجاج: الوزير هو الذي يلجأ إليه في النوائب^٤ ويُعْتَصَمُ بأمره. وهو واحد.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاَهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [٣٦]

وقوله:^٥ فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً، كأنه قال: فقلنا اذهبا إلى القوم فادعوهم^٦ إلى توحيد الله، فذهبا إليهم فدعوا فكذبوا بآياتنا ثم دمرناهم تدميراً^٧ أي أهلكتناهم إهلاكاً.

﴿وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٣٧]

وقوله:^٨ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم، جائز أن يكون قوله: لما كذبوا الرسل، / نوحاً خاصة، لأنه ذكر قوم نوح. فإن كان ذلك ففيه دلالة جواز تسمية الواحد باسم الجماعة. [٥٣٧و] وجائز أن يكون نوح دعاهم إلى الإيمان به^٩ وبجميع الرسل فكذبوه وكذبوا الرسل جميعاً. والله أعلم. وقوله:^{١٠} أغرقناهم، لم يغرقهم على إثر تكذيبهم إياه ولكن إنما أغرقهم بعد^{١١} ما دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.^{١٢}

^١ سورة طه، ٢٠/٢٩-٣١.

^٢ ر: سئل.

^٣ ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٤).

^٤ ر ع: يلتجأ.

^٥ ع: في الثراب.

^٦ ن: قوله.

^٧ ن: فادعواهم.

^٨ ر ع م - كأنه قال فقلنا اذهبا إلى القوم فادعوهم إلى توحيد الله فذهبا إليهم فدعوا فكذبوا بآياتنا ثم دمرناهم تدميراً.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر م - به.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ع - بعد.

^{١٣} يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾

(سورة العنكبوت، ٢٩/١٤).

وقوله: ^١ وجعلناهم للناس آية، يحتمل قوله: وجعلناهم للناس آية، ^٢ أي آية للمكذبين والمصدقين لما بين حكمه في المكذبين منهم الإهلاك والإستئصال، وفي المصدقين منهم النجاة والخلص منه. فذلك آية لكل مكذب ومصديق لِمَا إليه تقول ^٣ عاقبة أمرهم؛ عاقبة المكذبين الإهلاك وعاقبة المصدقين النجاة.

فإن قيل: إنهم جميعا قد هلكوا: ^٤ المصدقون منهم والمكذبون؟
قيل: أهلك المكذبون منهم إهلاك عقوبة وتعذيب، وهلاك المصدقين ^٥ بانقضاء آجالهم لا هلاك عقوبة.

ثم ذكر: وجعلناهم للناس آية، فمعنى جعل أنفسهم آية ^٦ ما ذكرنا. وقال في آية أخرى: وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ، ^٧ أي السفينة. قال بعضهم: جعل السفينة آية، لأن من طبع السفن أنها إذا امتدت ^٨ الأوقات وطال الزمان أنها تفسد وتتلاشى، فهي بعد باقية كما هي، أعني سفينة نوح. لكن ذلك لا يُعلم أنه كما ذكر أولا، فالوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله: ^٩ واعتدنا للظالمين عذابا أليما، هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك أن يُعَدَّ له ^{١٠} العذاب الأليم.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [٣٨]

وقوله: وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرون بين ذلك كثيرا، أخبر أنه أهلك هؤلاء كلهم بالتكذيب: عادا وهم قوم هود، وثمود ^{١١} وهم قوم صالح، وأصحاب الرس. قال بعضهم:

^١ ن: قوله.

^٢ ع - يحتمل قوله وجعلناهم للناس آية.

^٣ جميع النسخ: يؤل.

^٤ ع: هلك.

^٥ جميع النسخ: والمصدقين هلاك؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٣٩ ظ.

^٦ ر - آية.

^٧ ﴿فأجنيها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ (سورة العنكبوت، ١٥/٢٩).

^٨ ر م: أمتد.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ن: لهم.

^{١١} ع - وقوله واعتدنا للظالمين عذابا أليما هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك أن يعد له العذاب الأليم.

^{١٢} جميع النسخ: وثمرودا.

سُمُّوا أصحاب الرسّ لأنهم رسّوا^١ نبيهم في بئر، أي رسّوه^٢ فيها. وقال^٣ بعضهم: الرسّ هو اسم البئر كانوا نُزُولًا عليها فبعث [الله] إليهم شعيبا فكذبوه فسموا بذلك ونُسبوا إلى تلك البئر. وعن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أصحاب الرس فقال: إنكم معاشر العرب تدعون البئر رسّا والقبر رسّا وتدعون الخد رسّا، فخذّوا أخدوداً^٤ في الأرض فأوقدوا فيها النيران للرسولين اللذين ذكر الله في يس: إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِتَالِثٍ^٥. والله أعلم.

﴿وَكَلَّا صَبْرْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَلَّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ [٣٩]

وقوله: ^٦ وكلا ضربنا له الأمثال، أي ذكرنا لأهل مكة أمثال من تقدّم منهم من الأمم من المكذبين والمصدقين وما حلّ بهم وما إليه آل عاقبة أمورهم بالتكذيب حيث قال: وكلا تبرنا تبيرا، أي أهلكنا إهلاكا. وقال بعضهم: تبرنا، أي كسرنا بالنبطية، يقول أحدهم للشيء إذا أراد أن يكسره: ^٧ أتّره.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا فَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ

نُشُورًا﴾ [٤٠]

وقوله: ^٨ ولقد أتوا، يعني - والله أعلم - أهل مكة، على القرية التي أمطرت مطر السوء، وهي الحجارة، يعني - والله أعلم - قرىات لوط، أي يمر عليهم أهل مكة في تجارتهم ويأتونها، وهو كما قال في الصافات: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ^٩. أفلم يكونوا يرونها، ما حلّ بهم بالتكذيب فيعتبروا. بل كانوا لا يرجون نشورا، أي بعثا^{١٠} بعد الموت وإحياء، أي إنما كذبوا الرسل لأنهم لا يؤمنون بالبعث ولا يخافون نشورا.

^١ ع: رسو.

^٢ ر: رسوة.

^٣ ع: قال.

^٤ ر ن م: خدودا؛ ع: خددا.

^٥ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِتَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ (سورة يس، ١٤/٣٦). انظر: الدر

المشور للسيوطي، ٥١/٧.

^٦ ر + بذلك.

^٧ ن: قوله.

^٨ ر: أن يكره.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} سورة الصافات، ١٣٧/٣٧.

^{١١} جميع النسخ: بعثنا.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [٤١]

وقوله: ^١ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي^٢ بعث الله رسولا، كانوا إذا رأوه هزءوا^٣ به وإذا خلا بعضهم إلى بعض يقولون فيما بينهم: ^٤ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا، هكذا كانت عادة الكفرة يهزءون به إذا حضروه وإذا غابوا عنه قالوا ما ذكر.^٥

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ [٤٢]

وقوله: ^٦ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها، وفي قوله: [إن] كاد ليضلنا عن، عبادة آلهتنا، دلالة أنه إنما أراد أن يضلهم عن عبادتهم الأصنام بالحجج والآيات، إذ ليس في وسع النبي صرفهم ومنعهم عن ذلك إلا من وجه لزوم الآيات والحجج، إلا أنهم عاندوا^٧ تلك الآيات والحجج وكابروها وثبتوا على عبادة الأصنام والأوثان، وإلا علموا من جهة الآيات والحجج التي أقامها عليهم أنه على الحق وأنهم على باطل.

ثم قوله عز وجل: ^٨ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا، أي يعلمون حين لا يقدر^٩ون على الإنكار إذا نزل^{١٠} بهم العذاب ووقع من أضل سبيلا: هم أو^{١١} المؤمنون، لأنهم وإن علموا بالآيات والحجج أنه على الحق وأنهم على باطل وعلموا الموعود من العذاب فأخبر أنهم يعلمون عند وقوعه بهم علما لا يقدر^{١٢}ون على جحوده ولا إنكاره، كقوله: فَكَلَّمَا رَأَوْا بُأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ،^{١٣} الآية، وقوله: أَوْ نُزِدْ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،^{١٤}

^١ ن: قوله.

^٢ م + يذكر.

^٣ ر ع م: هزؤه.

^٤ ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٤).

^٥ ن: ذكرنا.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر ع م- عاندوا.

^٨ ع: عن.

^٩ ر م: أنزل.

^{١٠} ر - أو.

^{١١} ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

^{١٢} ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٣).

وقوله: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا^١، وأمثال ذلك. إذا عاينوا الموعود في الدنيا يقزون به ولا يقدر^٢ون على الجحود فكذلك قوله: وسوف يعلمون علما لا يقدر^٣ون على الإنكار والجحود حين يرون العذاب من أضل سبيلا.

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [٤٣]

وقوله: أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، قال بعضهم: إنهم كانوا يعبدون أشياء حجرا أو غيره، فإذا / رأوا أحسن منه في رأي العين والمنظر^٤ تركوا عبادة ذلك وعبدوا ما هو أحسن منه. وقال [٥٣٧ظ] بعضهم: كلما هوت أنفسهم شيئا عبدهه وكلما اشتتها شيئا أتوه، لا يَحْجِزُهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَرِعٌ وَلَا تَقْوَى اللَّهِ^٥. ويحتمل وجهين آخرين سوى ما ذكر^٦ هؤلاء. أحدهما أنهم تركوا عبادة الإله الذي قامت الحجج والآيات بألوهيته وربوبيته^٧ ولزموا عبادة من لم يُقَمَّ له الآيات والحجج بذلك بهواهم. والثاني أنهم عبدوا ما عبدوا من الأصنام بلا أمر كان لهم^٨ بالعبادة، [إذ] لا بد من أمر يؤتمر بها، بل عبدوا بهواهم أو كلام نحو هذا.

وقوله: أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا، أي لست أنت بوكيل^٩ ولا مسلط عليهم ولا حافظ، أي لا تسأل أنت عن أعمالهم ولا تحاسب عليها، بل هم المسئولون عنها وهم محاسبون عليها، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ^{١٠}، وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ^{١١}، الآية. والله أعلم.

^١ ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾ (سورة السجدة، ١٢/٣٢).

^٢ ر ع م: لا يقدر^٣ون.

^٣ ر: او المنظر.

^٤ ر ع م: لله.

^٥ ر ع م: سوى ذكر.

^٦ ر م ع - أنهم.

^٧ ر ع م: بألوهية وربوبية.

^٨ ع م: منهم.

^٩ ن + عليهم.

^{١٠} ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فطردهم فتكون من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٥٢/٦).

^{١١} ع: وقوله.

^{١٢} ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [٤٤]

وقوله: أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، قوله: أم تحسب، وإن كان في الظاهر استفهاما فهو في الحقيقة على الإيجاب. وهكذا كل استفهام من الله يخرج على الإيجاب أو على النهي، كأنه قال: قد حسبت^١ أن^٢ أكثرهم يسمعون أو يعقلون. أو أن يكون على النهي، أي لا تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون،^٣ أي لا ينتفعون^٤ بما يعقلون.

إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل، قال بعضهم: هم^٥ كالأنعام لأن همتهم ليست إلا كهمة الأنعام وهو الأكل والشرب، ليست لهم همة سواه، ليس للأنعام همة العاقبة. فعلى ذلك الكفرة فهم كالأنعام من هذه الجهة. وقوله: بل هم أضل، قال قائلون قوله: أضل، لأن الأنعام تعرف ربها وخالقها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرون. أو هم أضل،^٦ لأنهم^٧ ينسبون إلى الله ما لا يليق به من الولد والشريك ويشركون غيره في العبادة،^٨ والأنعام لا [تفعل شيئا من ذلك] فهم أضل.^٩ وقال بعضهم: هم أضل، لأن الأنعام إذا هُديت الطريق اهتدت وهم يُهدون ويُدعون إلى الطريق فلا يهتدون ولا يجيبونه فهم أضل. أو أن يقال: هم أضل، لأنهم يضلون ويضلون غيرهم ويمنعونهم^{١٠} عن الهدى، والأنعام لا^{١١} [تفعل شيئا من ذلك]. والله أعلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٤٥]

وقوله: ألم تر، قد ذكرنا في غير موضع أن حرف "الم تر"^{١٢} هو^{١٣} حرف تعجب^{١٤} واستفهام،

^١ م: حسب.

^٢ ر م ع - أن.

^٣ ر م ع - أو أن يكون على النهي أي لا تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون.

^٤ ن + ولا ينتفعون.

^٥ ر م - هم.

^٦ ع + لأن.

^٧ ع: إلا أنهم.

^٨ ع: في العبادات؛ م: ويمنعوهم.

^٩ م: والأنعام لأنهم أضل.

^{١٠} ر: ويمنعون.

^{١١} ع - لا.

^{١٢} ن - تر.

^{١٣} م - هو.

^{١٤} ن: تعجب.

لكن في الحقيقة على الإيجاب، أي قد رأيت. وقوله: ألم تر إلى ربك، أي إلى تدبير ربك ولطفه أن كيف مد الظل وهو لا يؤذي ولا يضر ولا يمس ولا يشعر به أحد بكونه فيه ولا يثقل ولا يخف ولا يستر ولا يكشف عن وجوه الأشياء - إنما النور هو الكاشف عن وجوه الأشياء، والظلمة هي الساترة لذلك - ونحو ذلك مما يكثر ذكره مما يحيط^١ بالخلائق كلها ليُعلم أن من^٢ المحسوسات التي تقع^٣ عليها الحواس ما^٤ لا تدرك^٥ حقيقته،^٦ من نحو الظل الذي ذكرنا، هو ما^٧ لا تدرك^٨ حقيقته،^٩ ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق باللسان ونحو ذلك من المحسوسات وهو لا يدرك حقيقته.^{١٠} ليُعلم أن الذي سبيل معرفته^{١١} الاستدلال - وهو منشىء هذه الأشياء - أحق أن لا يدرك ولا يحاط بتدبيره ولطفه، [و] ليُعلم أن من بلغ تدبيره ولطفه هذا المبلغ لا يحتمل أن يعجزه شيء أو يخفى عليه شيء. يخبر عن قدرته وتدبيره ولطفه ليُعلم أنه قادر ومدبر بذاته [و] لطيف.

وقوله: ^{١١} ولو شاء لجعله ساكنا، أي دائما^{١٢} لا يذهب أبدا ولا تصيبه^{١٣} الشمس ولا يزول.

وقال بعضهم: ساكنا، أي مستقرًا دائما لا تنسخه الشمس كظل الجنة.

وقوله: ^{١٤} ثم جعلنا الشمس عليه دليلا، قال بعضهم: أي تتلوه وتتبعه^{١٥} حتى تأتي على كله.^{١٦}

^١ ر ع م: يخلط؛ ن: يحاط؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٠ و٥٤١.

^٢ ع - من.

^٣ ر ع م: يقع.

^٤ ر ن ع: مما.

^٥ ر م: حقيقة.

^٦ ع - ما.

^٧ جميع النسخ: لا يدرك.

^٨ ر م: حقيقة؛ ع + من نحو الظل الذي ذكرنا هو ما لا يدرك حقيقته.

^٩ ر م: حقيقة؛ ر ع م + ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق.

^{١٠} ع: معرفة.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ن ع: دايبا.

^{١٣} جميع النسخ: ولا يصيبه.

^{١٤} ن: قوله.

^{١٥} م - وتتبعه.

^{١٦} ن: على كل.

وقال بعضهم: قوله: [ثم] جعلنا الشمس عليه دليلاً، يقول: حيث ما تكن الشمس يكن الظل.^١ وأصله أنه بالشمس يعرف الظل أنه ظل، ولولا الشمس ما عُرف الظل، فهي^٢ دليل معرفته وكونه أنه ظل.

* وقال^٣ أبو معاذ: قال مقاتل: مد الظل، يعني الفَيء من أول وقت صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، و[قد] أخطأ، [إذ] لا يسمى ذلك الظلُ فينا. وقال الكسائي: العرب تقول "الظل" من حين يصبح إلى انتصاف النهار، فإذا زالت الشمس عن كبد السماء فمأخُرج من ظل فذلك الفَيء. ويقال للفَيء الظل، ولا يقال للظل فَيءٌ قبل الزوال.*

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [٤٦]

وقوله:^٤ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً، قال بعضهم: هينا خفياً. وأصله أنه يقبض بالشمس الظل وينسخه^٥ شيئاً فشيئاً حتى تأتي على كله.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [٤٧]

وقوله: وهو الذي جعل لكم الليل لباساً، قيل: سَكَنًا يسكن فيه الخلائق. وقيل: لباساً، أي سِتراً. والنومُ سُبَاتًا، قال بعضهم: أي راحة، يقال: سَبَتَ الرجل يسبُت سُبَاتًا فهو مسبوت. وقال بعضهم: أصل السبت التمدد، وقال بعضهم: سَبَتَ الرجل إذا نَعَسَ. وقيل: رجل مسبوت لا يعقل كأنه مَيّت. وجعل النهار نشوراً، فمن جعل السبات النوم جعل قوله: والنهار نشوراً، أي حياة يَحْيُونَ فيه. ومن يقول: السبات راحة يجعل النهار نشوراً، ينتشرون^٦ فيه للمعاش والكسب وابتغاء الرزق. وقال بعضهم: يذكر نعمه ومِنَّه على عباده يستأدي به شكره.^٧

^١ جميع النسخ: حيث ما يكون الشمس يكون.

^٢ ر ع م: فهو.

^٣ ن: قال.

^٤ م: مما.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٣٧/سطر ٣٦-٣٩.

^٥ ن: قوله.

^٦ ن: وينسخه.

^٧ ر م: ينشر.

^٨ ر م: لتأدي شكره.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤٥، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٣٧/سطر ٣٦-٣٩.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [٤٨]

وقوله: ^١ وهو الذي أرسل الرياح بشرا، قال بعضهم: نُشْرًا، أي حياة. ^٢ وقال / بعضهم: [٥٣٨] نُشْرًا للسحاب، تنشر [السحاب]، أي تبسطه. وعلى التأويل الأول تنشر، أي تحييها. وقوله: بين يدي رحمته، أي بين يدي المطر، سَمَّى المطر رحمة لما برحمته يكون. وكذلك ما سَمَّى الجنة رحمةً لأنه ^٣ برحمته يدخل من دخل فيها. وقوله: بين يدي رحمته، هذا يدل أنه لا يفهم باليد اليد المعروفة التي هي الجارحة ^٤ حيث ذكر للمطر ذلك ^٥ ولا يعرف ^٦ [له جارحة] ^٧ أعني اليد، ليعلم أنه لا يفهم من قوله: "بيد الله"، ^٨ أو: "بين يدي الله" ^٩ ذلك. **وبأنه العصاة.** وقرأ بعضهم: بُشْرًا، بالباء وهو من البشارة، كقوله: **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ**، ^{١٠} أي تبشرهم بالرحمة والسعة. **وانه أعلم.**

وقوله: **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**، أي ما يُطَهَّر به الأنجاس والأفذار الظاهرة منها **والباطنة** [٥٣٨]، وكذا ^{١١} الطهور أنه يطهر حيث ما أصابه.

^١ ن: قوله.

^٢ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾. وقرئ: نُشْرًا ونُشْرًا. والنُّشْر: الحياة. وأنشُر الله الرياح: أحياها بعد موت وأرسلها نُشْرًا ونُشْرًا. فأما من قرأ: نُشْرًا، فهو جمع نُشور، مثل رسول ورسول. ومن قرأ: نُشْرًا، أسكن الشين استخفافاً. ومن قرأ: نُشْرًا، فمعناه إحياءً ينشر السحاب الذي فيه المطر الذي هو حياة كل شيء. وقال الزجاج: من قرأ: نُشْرًا، فالعني: وهو الذي يرسل الرياح مُنْشِرَةً نُشْرًا، ومن قرأ: نُشْرًا فهو جمع نُشور. قال: وقرئ: بُشْرًا، بالباء، جمع بَشِيرَةٌ، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ (لسان العرب، «نشر»). قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿يرسل الريح﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون بالألف. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نُشْرًا بين﴾ بضم النون والشين، جمع نُشور. وقرأ الباقون: نُشْرًا بضم النون وسكون الشين. وقرأ حمزة والكسائي: نُشْرًا بفتح النون وسكون الشين. انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٢٨٥، ٥٣١، ٥٣٤.

^٣ جميع النسخ: لأنها.

^٤ جميع النسخ + ما.

^٥ ع: الجارحة.

^٦ أي اليد.

^٧ ن + ذلك.

^٨ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٤٠ و.

^٩ سورة آل عمران، ٧٣/٣.

^{١٠} ر ع م: وبين.

^{١١} م - الله. سورة الحجرات، ١/٤٩.

^{١٢} سورة الروم، ٤٦/٣٠.

^{١٣} ن: هكذا.

﴿لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُنْقِئَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا﴾ [٤٩]

وقوله: ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا، فيه لغتان: أسقى وسقى بالألف وبغير الألف. ^١ يقال: سقى به حرثه وماشيئته، وسقيته، أي ناولته ما يشرب، وهو قول القتيبي ^٢ وأبي عؤسجة.

وقوله: وأناسي كثيرا، قال بعضهم: الأناسي هي جمع إنسي، وقال بعضهم: هي جمع إنسان. وأصله بالنون: أناسين لكن أبدلت النون ياءً. وقال أبو عؤسجة والقتبي: ^٣ أناسي مشددة يعني أناس، وأناسي جماعة الإنسان على ما ذكرنا.

ثم يحتمل قوله: ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا، أي نسقيه من الماء الطهور المنزل من السماء كثيرا من الأنعام وكثيرا من الأناس وكثيرا مما يسقى من المياه المنتزعة من الأرض.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لَهُمْ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [٥٠]

وقوله: ولقد صرفناه بينهم ليذكروا، أي صرفنا المطر والسحاب بينهم، يُمطر في مكان ولا يمطر في مكان، ^٤ ويسوق السحاب إلى مكان ولا يسوقه [إلى مكان آخر، كقوله: وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ^٥ الآية، وكقوله: فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ، ^٦ الآية. يذكرهم في هذه الآيات من قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ، ^٧ إلى قوله: ولقد صرفناه بينهم ليذكروا، تدبيره وقدرته وحكمته ونعمه.

^١ قال الخليل: سقيته كقولك: ناولته فشرب. وأسقيته: جعلت له سقياً. وقال الفراء: العرب تقول: كل ما كان من بطون الأنعام ومن ماء السماء أو نهر أسقيت. وفي (سورة الفرقان): ﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاما﴾. وتقول: سقيته إذا ناولته ماء يشربه، لا يقولون غيره. انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٣٩١.

^٢ لم أجده في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

^٣ ر م: وأبو.

^٤ ر ع م - هي.

^٥ ع: جميع.

^٦ لم أجده في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

^٧ ر ع م - ولا يمطر في مكان.

^٨ ﴿...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون﴾ (سورة البقرة، ١٦٤/٢).

^٩ ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ (سورة فاطر، ٩/٣٥).

^{١٠} سورة الفرقان، ٤٥/٢٥.

أما تديبره حيث ترى السحاب في موضع ولا تراه في موضع، وتراه منبسطا في الآفاق كلها،^١ ثم يُمطر في موضع ولا يُمطر في موضع^٢ آخر ولا يرسل في مكان ويرسل في مكان آخر، ليعلم أنه عن تديبر كان هكذا، لا^٣ بالطبع؛ لأنه لو كان بالطبع^٤ كان ذلك لكان لا جائز أن^٥ يُمطر في مكان ويترك في مكان آخر، دل أنه بالتدبير كان ما كان وبالأمْر.

وأما قدرته ما ذكر من إحياء الأرض الميتة بعد موتها وإماتتها بعد حياتها مما يعلم كل أحد حياتها وموتها ويقرّ بذلك. فمن قدر على هذا [فهو] قادر على إحياء الموتى بعد الموت ولا يُعجزه شيء. وأما حكمته أن ما خلق مما ذكر وأنشأه^٦ لم ينشئه عبثا: يُهلهم لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بشيء، ولا يجعل لهم عقابا يثابون [بها] ويعاقبون ولا يستأدي منهم شكر ما أنعم عليهم من أنواع النعم مما تعجز^٧ عقولهم عن إدراكه وتَقْصُر^٨ أفهامهم عن تقدير مثله، ليعلم أنه قادر بذاته لا يُعجزه شيء.

ثم قال: فأبي أكثر الناس إلا كُفورا، قال الكسائي: الكُفور برفع الكاف الكفر، والكفور بفتح الكاف الكافر؛ والشُّكور بضم الشين الشُّكر، والشُّكور بفتح الشين الشاكر وهو المؤمن. فيكون تأويله: فأبي أكثر الناس إلا كفرا بالله وتكذيبا لنعمه بصرفهم العبادة إلى غيره ولتفاؤلهم^٩ وتطيرهم أن هذا من نوء كذا أو نوء كذا.^{١٠} والله أعلم.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [٥١]

وقوله:^{١١} ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا، هذا يحتمل وجهين. أحدهما: لو شئنا لرفعنا عنك

^١ ر ع م - كلها.

^٢ ر م - ولا يُمطر في موضع.

^٣ ع: إلا.

^٤ ع - لأنه لو كان بالطبع.

^٥ ر: لكان لجائز؛ ع: لا جائزا أي.

^٦ ع: ما.

^٧ ر م: ذكروا انشاء.

^٨ جميع النسخ: مما يعجز

^٩ جميع النسخ: ويقصر.

^{١٠} ن: أو لتفاؤلهم.

^{١١} ر م - أو نوء كذا.

^{١٢} ن: قوله.

بعض^١ ما حملنا عليك من المؤون: من مئونة التبليغ والقيام بذلك وحملناها^٢ غيرك، فيكون عليك أيسر وأهون من القيام بالكل.

والثاني: لو شئنا لجعلنا غيرك أيضا أهلا للرسالة وموضعا لها في زمانك وحينك فبعثناه في بعض القرى والمدن، لكننا لم نجعل غيرك أهلا لها وخصصناك لها من بين غيرهم من الناس. فهو على الامتنان يخرج والاختصاص له. ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فيهم من يصلح للرسالة ويصلح أن يكون أهلا لها وموضعا فلم يرسل. أو كان لم يكن فيهم من يصلح لذلك فيكون تأويله: لو شئنا لجعلنا فيه من يصلح للرسالة ويصلح أن يكون أهلا لها وموضعا.

فأبى الوجهين كان فهو ينقض على المعتزلة قولهم [في الأصلح]، لأنه إن كان فيهم من يصلح لها فأرسل^٣ كان أصلح له، فلم يرسل فقد ترك ما هو أصلح له وأخير. أو أن يكون لأ^٤ ويصلح فيهم أحد لذلك لكنه يملك أن يصلحه ويجعله أهلا لها فهو أصلح له وأخير، ثم لم يفعل. دل أن له أن يترك الأصلح والأخير في الدين.

﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [٥٢]

وقوله: فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا، فيه وجهان. أحدهما أنه لا يجوز للرسالة التقية والامتناع عن التبليغ إليهم والقيام بمجاهدتهم وإن خافوا على أنفسهم الهلاك، حيث قال: فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا، ولم يكن معهم يومئذ إلا قليل^٥ ممن اتبعه، إذ^٦ كان ذلك بمكة لأن سورة الفرقان فيها نزلت. والثاني فيه دلالة إثبات رسالته^٧، لأنه أمر بالخلاف لهم والقيام بمجاهدتهم بالحجج والآيات، وهم يعلمون أن لا يكون في وسع واحد القيام لذلك لأمتالهم، وكانت همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم، فعملوا أنه إنما قام لذلك بالله لا بنفسه، إذ لا يملك^٨ واحد القيام لذلك. والله أعلم.

^١ ر ع م: يعني.

^٢ ر م: وحملنا.

^٣ ر ع م: وأرسل.

^٤ ع: فلا.

^٥ ع: قليلا.

^٦ ع: إذا.

^٧ ر م: لرسالته.

^٨ ع: إذا يملك.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [٥٣]

وقوله: وهو الذي مرج البحرين، قال بعضهم: مرج، أي خلع ماء المالح على ماء العذب. وقال بعضهم: مرج، أي أرسل البحرين؛ أحدهما عذب والآخر أجاج. وقال بعضهم: مرج، أي أفاض أحدهما على الآخر. قال أبو معاذ: العرب تقول: مرحت الدابة إذا خلعتها وتركتها تذهب حيث شاءت. و[تقول: مرج الوالي الناس من السجون إذا أرسلهم، فإذا أُرعيت دابة في المروج قلت: أمرحت دابتي أمرجها إمراجا. وإنما سُمي المَرَجُ^٢ مرجا لأنه متروك للسباع غير معمور. والمَرَجُ^٣ الذي يرعى دابته في المَرَج، والدابة الممرجة. وقال أبو عؤسجة: مرج البحرين، مرجهما، أي خلطهما فهو مارج. وقال: فَهُمُ فِي أَمْرِ مَرِيحٍ^٤ أي مختلط. ويقال: مرحت عن كل شيء إذا خلطت. والله أعلم.

ثم اختلف في البحرين، قال بعضهم: أحدهما بحر الأرض والآخر بحر السماء. وجعل بينهما برزخا، أي^٥ حاجزا عن أن يختلط أحدهما بالآخر وهو الهواء.^٦ وقال بعضهم: أحدهما بحر السماء والآخر بحر تحت الأرض. وجعل بينهما برزخا، وهو الأرض. وقال بعضهم: بحران على وجه الأرض، أحدهما بحر الروم والآخر بحر الهند. وقال بعضهم: بحران أحدهما بحر الشام والآخر بحر العراق، أحدهما ملح أجاج والآخر عذب. وكان الأجاج هو الذي بلغ في الملوحة غايته، والفرات هو الذي بلغ في العذوبة والحلاوة^٨ غايته. ذكر مننه وفضله ولطفه حيث لم يخلط أحدهما بالآخر،^٩ بل حفظ كلا على ما هو عليه إلى أن تقوم الساعة، فعند ذلك يصير الكل واحدا، كقوله: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ.^{١٠}

^١ ر ع م - أي.

^٢ م - المرج.

^٣ ر: المريج.

^٤ ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريح﴾ (سورة ق، ٥٠/٥).

^٥ ع - أي.

^٦ م - وهو.

^٧ ر ع م - الهواء.

^٨ ر ع م - والحلاوة.

^٩ ع: الآخر.

^{١٠} سورة التكويد، ٦/٨١.

ثم إن كان أحدهما بحر السماء والآخر بحر الأرض فالحاجز بينهما الأرض.^١ وإن كان بحرين في الهواء فالحاجز بينهما ليس إلا اللطف، وكذلك إن كان الثالث، ليعلم أن من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حجاب ولا حاجز باللطف لقادر على إحياء الموتى وبعثهم، ولا يعجزه شيء وله الحول والقوة. وقال أبو عؤسجة: ماء^٢ أجاج شديد الملوحة، ويقال: أجاج الماء يأج أجاج فهو أجاج. ويقال: ماء^٣ أجاج، أي ماء^٤ روي.^٥

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [٥٤]

وقوله:^٦ وهو الذي خلق من الماء بشرا، أي من النطفة. يخبر عن فضله ومنته وقدرته ولطفه. أما لطفه وقدرته حيث خلق البشر من النطفة. ولو اجتمع جميع حكماء البشر على أن يعرفوا أو يدركوا البشر [خلق] من النطفة أو يدركوا كيفيته لم يقدروا على ذلك. دل أنه قادر بذاته لطيف لا يعجزه شيء. وأما فضله ومنته ما أخبر أنه جعل لهم نسبا وصهرا. أما النسب [ف]فيه يتعارفون ويتواصلون ما لولا ذلك ما تعارفوا ولا تواصلوا. وأما الصهر فلما به يتزوجون ويؤادون^٧ ويتوالدون، كقوله: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ نِسَبًا وَحَفَدَةً،^٨ وقال: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً.^٩ يذكر فضله ومنته ليستأدى^{١٠} به شكره، ليعلم أن خلق مثل هذا لا يخرج عبثا باطلا بلا محنة ولا عاقبة. وكان النسب مما لا يجري بينهم التناكح والتزواج. والصهر هو^{١١} ما يُجَلُّ ويُجْرَى بينهم التناكح والتزواج. وفي حرف حفصة: وهو الذي خلق من الماء نسبا وصهرا.

^١ ر ع م - فالحاجز بينهما الأرض.

^٢ ع: اماء.

^٣ ر ع م - ماء.

^٤ ر ع م: عاج؛ ن: عاجا.

^٥ ماء روي وماء زواجا: الكثير المروي.

^٦ ر م + به.

^٧ ن: قوله.

^٨ ع: ولا يوادون.

^٩ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ نِسَبًا وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٢).

^{١٠} ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢١).

^{١١} ر ع م: لتأدى.

^{١٢} ر ع م - هو.

قال أبو معاذ: الصهر الفتى وآله، والختن^١ أبو^٢ المرأة، والختنة أم المرأة، والأختان آل المرأة وأهلها، والأصهار آل الفتى وأهله. وقال أبو عؤسجة: وصهرا، من المصاهرة وكلهم أصهار من الجانبين جميعا. والمعروف عندنا أنه إنما يسمى^٣ قرابة الزوج أختانا، وقرابة المرأة أصهارا. وذلك لسان فهو على ما تعرفوه بينهم. والله أعلم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [٥٥]

وقوله: ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم، أي يعبدون من دون الله ما يعلمون أنه لا ينفعهم في الآخرة إن عبدوه ولا يضرهم في الدنيا إن تركوا عبادته. يذكر سفهم عبادتهم من يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر وتزكهم العبادة لمن ينفعهم إن عبدوه ويضرهم إن تركوا عبادته.^٤ وهو كما ذكر: هل هن كاشفات ضره،^٥ الآية وأمثال ما ذكر في غير آي من القرآن سفة أولئك الكفرة^٦ بعبادتهم للأصنام وتركهم عبادة الله تعالى.

وقوله:^٧ وكان الكافر على ربه ظهيرا،^٨ تأويله - والله أعلم - وكان الكافر للكافر ولوليه ظهيرا على من أطاع ربه. يكون بعضهم ببعض عوننا وظهيرا على أولياء الله، وإلا لا يكون الكافر على الله ظهيرا ولكن على أوليائه. ويكون ذكر الرب^٩ على إرادة وليه ومن أطاعه، كقوله: إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ،^{١٠} وكقوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ،^{١١} ونحو ذلك مما يراد به أولياؤه لا نفسه.

^١ ع: الختن.

^٢ رع: أبوا.

^٣ ن: سمي.

^٤ ع - يذكر سفهم عبادتهم من يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر وتركهم العبادة لمن ينفعهم أن عبدوه ويضرهم إن تركوا عبادته.

^٥ ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادي الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادي برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).

^٦ رع م - الكفرة.

^٧ ن: قوله.

^٨ جميع النسخ + أي.

^٩ رع م: الذي.

^{١٠} ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٧).

^{١١} ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (سورة البقرة، ٨/٩).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٥٦]

وقوله: ^١ وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا، مبشرا لمن أطاعه ونذيرا لمن عصاه. والبشارة هي الإعلام لما يلحق من السرور والفرح في العاقبة بالأعمال الصالحة. والندارة هي الإعلام لما يلحق من المكروه والحذور في العاقبة بالأعمال السيئة القبيحة.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [٥٧]

وقوله: قل ما أسألكم عليه من أجر، أي ما أسألكم / على الدين الذي أدعوكم إليه [٥٣٩ر] من أجر، كقوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ، ^٢ أي لا أسألكم أجرا على ذلك حتى يمنعكم ثقل المغرم ^٣ عن إجابتي. فعلى ذلك قوله: قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا، كأن فيه إضمارا، ^٤ أي لا أسألكم عليه أجرا إلا من شاء، ^٥ ولكن إنما أسألكم أن تتخذوا ^٦ إلى ربكم سبيلا. أو أن يكون ^٧ قوله: إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا، أي ^٨ ولكن من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا أطاعني وأجابني.

ويحتمل قوله: قل ما أسألكم، على تبليغ الرسالة إليكم وما ^٩ أدعوكم إليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا، فيبزي. أو أن يكون قوله: إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا فيؤاذي، كقوله: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ. ^{١٠}

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدُوبَ عِبَادِهِ حَبِيرًا﴾ [٥٨]

وقوله: ^{١١} وتوكل على الحي الذي لا يموت، أي توكل على الله. والتوكل هو الاعتماد عليه بكل أمر.

^١ ن: قوله.

^٢ سورة الطور، ٤٠/٥٢.

^٣ جميع النسخ: الغرم.

^٤ ر: ع: إضمار.

^٥ ن ع + أي.

^٦ ر: ع: وما.

^٧ جميع النسخ: إلى ربه.

^٨ جميع النسخ: أو أن يقول؛ والنصحیح من الشرح، ورقة ٥٤١ و.

^٩ ر - أي.

^{١٠} ر م: أو ما.

^{١١} سورة الشورى، ٢٣/٤٢.

^{١٢} ن: قوله.

وقوله: وسبح بحمده، أي نزهه ربك وبزئته عن الآفات كلها والعيوب بشاءٍ تُثني عليه، وهو التسبيح بحمده. وقال أهل التأويل: أي صلّى بأمر ربك، لكن التأويل ما ذكرنا.
وقوله: ^١ وكفى به بذنوب عباده خبيرا، أي كفى به علما بذنوب عباده، أي لا أحد أعلم بها منه.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [٥٩] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [٦٠]

وقوله: الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، قد ذكرنا هذا.
وقوله: ^٢ فاسأل به خبيرا، ^٣ قال قائلون: ^٤ فاسأل بالله خبيرا، لما يسأل عنه محمد. وذلك أن بعض كفار مكة قالوا: يا محمد! إن كنت تعلم الشعر فنحن لك. فقال النبي: أفشعر^٥ هذا؟ إن هذا [إلا] كلام الرحمن. فقالوا: أجل، لعمر الله إنه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك. فقال النبي: الرحمن هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، من عنده يأتي ذلك. فقالوا: أيزعم^٦ أن الله واحد، وهو يقول: الله يعلمني، والرحمن^٧ يعلمني، ^٨ أأستم تعلمون أن هذين^٩ إلهان، أو كلام نحو هذا.^{١٠}

^١ ن: قوله.

^٢ ن: قوله.

^٣ ن + أي.

^٤ جميع النسخ + قوله.

^٥ ر ع م: الشعر.

^٦ جميع النسخ: أترعم.

^٧ ر م: الرحمن.

^٨ ع - الرحمن.

^٩ جميع النسخ: هذا.

^{١٠} أورد السيوطي في الدر المنثور (٣٣٩/٥) خلال تفسير آية الإسراء (٩٠/١٧): ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إلى الله، إن شاء فعل بكم ذلك. قالوا: يا محمد قد علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك ونطلب منك ما نطلب. فيتقدم إليك ويعلمك ما نرجعنا به ويخبرك بما صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به. فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وأنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعجزنا إليك يا محمد. أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى تهلكك أو تهلكنا.

وجائز أن يكون قولهم: وما الرحمن، لما لا يعرفون الرحمن وعرفوا الله، فأنكروا ذلك لما لم يكونوا يسمعون ذلك، فعرفهم بقوله: قُلْ اذْعُوا لِلَّهِ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ^١ الآية. أو أن يكونوا يعرفون كل معبود إلها، وكذلك يسمون الأصنام التي عبدوها آلهة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى عبادة الرحمن فظنوا أنه غير فقالوا: فلئن جاز أن يُعبد غير الله فنحن نعبد الأصنام، فلم تمنعنا عن ذلك؟ فأخبر أن^٢ الرحمن والإله واحد ليس هو غيرا،^٣ حيث قال: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا^٤ - إلى آخر ما ذكر-^٥ [من] أن يكون^٦ الرحمن غير الإله، بل الرحمن هو الذي جعل في السماء بروجًا. وقد كانوا يعلمون أن الذي جعل في السماء البروج^٧ وهي النجوم وجعل فيها الشُّرُج وهي الشمس والقمر هو الله. فأخبر أن الرحمن هو ذلك لا غير. وفي قول بعضهم: إن قوله: الذي خلق السماوات والأرض، الآية من المكتوم.^٨ وفي الآية دلالة أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يُعلم ويُفسر حيث قال: فاسأل به خبيرًا، ولو كان مما لا يعلم لكان لا يأمره أن يسأل به خبيرًا. أو لو^٩ أمره بالسؤال لكان لا يحتمل أن لا يخبره. دل ذلك أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم، لكن لا يعلمه إلا الخبير، والخبير هو العالم.^{١٠} ثم يحتمل الله أو جبريل أو من يعلمه. والله أعلم.

وقوله: فاسأل به،^{١١} قال بعضهم: بالله، وقال بعضهم: بالذي سبق ذكره من قوله: ثم

استوى على العرش.

وقوله:^{١٢} وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن، قد ذكرنا. أنسجد لما تأمرنا،

بالباء والتاء جميعًا.^{١٣}

^١ ﴿قُلْ اذْعُوا لِلَّهِ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١١٠).

^٢ ر م - أن.

^٣ م: غير.

^٤ الآية التالية.

^٥ جميع النسخ + يقول الله تعالى.

^٦ م: يكن.

^٧ ع: بروجًا.

^٨ ع: من مكتوم.

^٩ جميع النسخ: أن.

^{١٠} ن: القائل.

^{١١} م + خبيرًا.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٥١١-٥١٢.

وقوله: ^١ وزادهم نفورا، زادهم دعاؤه إلى عبادة^٢ الرحمن نفورا عن رسول الله. وقال بعضهم في قوله: فاسأل به خبيراً، يقول: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك لا شك فيه. والله أعلم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [٦١]

وقوله: ^٣ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً، قوله: تبارك قد ذكرنا أن بعضهم يقولون: هو من البركة، وقال بعضهم: هو^٤ من التعالي. جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمرًا منيراً، هو ما ذكرنا أنه خرج جواباً لقولهم: وَمَا الرَّحْمَنُ^٥. وكذلك قوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [٦٢]

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً، أي جعل أحدهما خلف الآخر، إذا ذهب هذا جاء هذا. لمن أراد أن يذَّكَّرَ أو أراد شكوراً، أي يُذَكِّرُ الليل والنهار لمن أراد أن يتذكر لمواعظ^٦ أو يشكرَ لنعمه، لأنهما يُذَكِّرَانِ قدرته وسلطانه حيث يَقَهْرَانِ^٧ الجبابرة والفراعنة ويغلبانهم حيث يُظَلِّلَانِهِمْ ويأتیانهم شاءوا أو كرهوا، لا يقدران دفعهما عن أنفسهم^٨. وفيهما دلالة البعث والإحياء^٩ بعد الفناء والهلاك، حيث ذهب بهذا [و] أتى بآخر بعد أن لم يبق من أثره شيء. فمن قدر على هذا قدر على البعث والإحياء بعد الموت وذهاب أثره. ويذكران أيضاً نعمه وآلاءه، لأنه جعل النهار متقلباً / لمعاشهم ومطلباً لرزقهم وما به قوام أنفسهم، وجعل الليل مستراحاً لأبدانهم وسكونهم، لا قواماً للأبدان بأحدهما^{١٠} دون الآخر. ألا ترى أنه كيف ذكر نعمه فيهما حيث قال: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^{١١} الآية،

^١ ن: قوله.

^٢ ع: عادة.

^٣ ن: قوله.

^٤ ر م - هو.

^٥ الآية السابقة.

^٦ ع: لموعظة.

^٧ ر م: يقهر. أي الليل والنهار.

^٨ ن - عن أنفسهم.

^٩ ر ع م: الإحياء والبعث.

^{١٠} ر ن م: لأحد؛ ع: لأحدهما؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤١ ظ.

^{١١} ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بضياء أفلا تسمعون﴾ (سورة القصص، ٧١/٢٨).

وقال: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ التَّهَارَ سَبْعًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ،^١ الآية. يذكرهم^٢ عظيم نعمه فيهما - أعني في الليل والنهار - ليستأدى^٣ به شكره. فعلى ذلك^٤ قوله: جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، النعمة التي جعل فيهما. وقال بعضهم: قوله: خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، أي يكون كل واحد منهما خلفا للآخر فيما يفوت فيه من التذكر والتشكر له، أي ما فات في أحدهما من التذكر والتشكر^٥ يُقْضَى في الآخر. وقال الحسن قريبا مما ذكرنا، وقال: من فاته شيء بالليل أدركه بالنهار ومن فاته شيء بالنهار^٦ أدركه بالليل. وعلى مثل ذلك روي عن عمر أن رجلا قال له: يا أمير المؤمنين إني فاتتني الصلاة الليلة، فقال عمر: أدرك^٧ ما فاتك من ليالك في نهارك وما فاتك في نهارك من ليالك، ثم قرأ: وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه. وقال بعضهم: خلفه من الاختلاف، أي يخالف^٨ أحدهما الآخر. ثم يحتمل الاختلاف وجهين. أحدهما مجيء هذا وذهاب الآخر على ما ذكرنا، كقوله: وَاخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ.^٩ والثاني هو اختلاف اللون من السواد والبياض، أحدهما أسود والآخر أبيض. والله أعلم.

وقوله: جعل في السماء بروجاً، قال بعضهم: البروج هي النجوم العظام، والواحد برج، وهو قول أبي عؤسجة الأعرابي. وقال بعضهم: البروج القصور في السماء فيها تنزل الشمس في^{١٠} كل ليلة. وروي مثل قول^{١١} عمر عن سلمان أن رجلا أتاه فقال: يا سلمان إني لا أستطيع قيام الليل، قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز^{١٢} [عنه] بالنهار.^{١٣} وذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم

^١ سورة القصص، ٧٢/٢٨.

^٢ ر ع م: يتذكرهم.

^٣ ر ع م: ليتأدى.

^٤ جميع النسخ + هذا؛ ر ع م + ما ذكرنا.

^٥ ن + له.

^٦ ع - بالنهار.

^٧ ع: درك.

^٨ ر ع م: يخالف.

^٩ سورة البقرة، ١٦٤/٢.

^{١٠} م - في.

^{١١} ع - قول.

^{١٢} ر م: تعجزه.

^{١٣} عن قتادة أن سلمان جاءه رجل فقال: لا أستطيع قيام الليل، قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار (الدر المنثور للسيوطي، ٢٧١/٦).

كان يقول: «أصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين أو أربعاً.»^١ وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده إن في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أُعطي له في هذا الليل والنهار، فإنهما مطّيتان تحملان^٢ الناس إلى آجالهم، تُقربان كل بعيد وتُلبيان كل جديد وتُجَيِّتان بكل موعود حتى يؤدي ذلك إلى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يصير الناس بأعمالهم إلى الجنة وإلى النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت.»^٣

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٦٣]

وقوله: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وصف عز وجل أهل الصفوة والإخلاص من عباده أنهم يمشون على الأرض هونا إلى آخر ما ذكر، وإلا كانوا كلهم عباد الرحمن، لكن وصف أهل الصفوة منهم والإخلاص والثقى. وقوله: يمشون على الأرض هونا، قال بعضهم: حُلماء أتقياء بغير مَرَح ولا بَطَر. وقال بعضهم: هونا، أي متواضعين لا حُيلاء ولا كبرياء ولا مَرَحاً. وعن الحسن قال: هم المؤمنون قوم دُلل، ذَلَّتْ^٤ الأسماع والأبصار والحوارج [منهم] حتى يحسبهم الجاهل مرضى، والله ما بالقوم من مرض وإنهم لأَصْحَةُ القلوب، ولكن^٥ دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم. وفي بعض الأخبار مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمنون هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كالجمل الأنيف^٦ إن قيده انقاد

^١ جميع النسخ: ولو؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤١ ظ.

^٢ عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلوا من الليل أربعاً، صلوا ولو ركعتين. ما من أهل بيت تُعْرَف لهم صلاة من الليل إلا ناداهم مناد: يا أهل البيت قوموا لصلاتكم» (شعب الإيمان للبيهقي، ١٦٢/٣؛ ومصنف ابن أبي شيبة، ٧٢/٢).

^٣ جميع النسخ: تقحمان؛ والتصحيح مستفاد من رواية الحديث.

^٤ ع - إلى.

^٥ عن قتادة أن سلمان جاءه رجل فقال: لا أستطيع قيام الليل: قال: إن كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار. قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده إن في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يصلي فيها يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه» قال قتادة: فأزوا الله من أعمالكم خيراً في هذا الليل والنهار فإنهما مطّيتان تحملان الناس إلى آجالهم تقربان كل بعيد وتلبيان كل جديد وتجَيِّتان بكل موعود إلى يوم القيامة (الدر المنثور للسيوطي، ٢٧١/٦).

^٦ ع: وقال.

^٧ ر ع م + والله.

^٨ ع: لكن.

^٩ أي الذي جعل الزمام في أنفه.

وإن أُنيخ على صخرة استناخ.^١ وأصله أنهم يمشون هونا من غير أن يتأذى بهم أحد أو يلحق بأحد منهم ضرر.^٢ والله أعلم.

وقوله:^٣ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، قال بعضهم: إذا جاهلهم الجاهلون وسافههم^٤ السفهاء لا يجاهلون أهل الجهل والسفه ولكن قالوا: السلام عليكم. وقال بعضهم: وإذا سمعوا الشتم والأذى قالوا: سلاما، أي سدادا وصوابا من القول وردا معروفا. أعرضوا^٥ عن سفههم وجهلهم بهم ولم يكافئوهم، كقوله: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ،^٦ الآية. يخبر عز وجل عن صحبتهم أهل السفه والجهل وحسن معاشرتهم إياهم ورفقهم بهم.^٧ فكيف يعاملون أهل الخير والعقل منهم ويصاحبونهم^٨ فهذه معاملتهم الخلاق على الوصف الذي وصفه. ثم أخرج عن صنيعهم لله وركونهم إليه فقال:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [٦٤]

والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما. عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله الذين يبيتون الليل وأيديهم على رُكبهم». ثم قال: «من صلى ركعتين بعد العشاء فقد بات لله تعالى ساجدا قائما».^٩ وقال^{١٠} الحسن: كانوا يبيتون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم سُجَّدا لربهم، تجري^{١١} دموعهم على خدودهم فَرَقًا^{١٢} من ربهم.^{١٣} وقال: لأمرٍ ما سهر له ليلهم ولأمرٍ ما خشع له نهارهم.

^١ عن ابن المبارك قال: أخبرنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنون هيتون لبتون كالجمال الأنف الذي إن قيد انقاد وإذا أُنيخ على صخرة استناخ.» انظر: كتاب الزهد لابن المبارك، ١٣٠/١ (٣٨٧)؛ وحلية الأولياء لأبي نعيم، ١٨٠/٥.

^٢ جميع النسخ + أو معنى.

^٣ ن: قوله.

^٤ ن م: وشافههم.

^٥ ر ع م: عرضوا.

^٦ ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ (سورة القصص، ٥٥/٢٨).

^٧ ر م - بهم.

^٨ ر م: ويصاحبون.

^٩ ن ع: وقائما.

^{١٠} ع: قال.

^{١١} ر ع م: يجي، ن: يجهر.

^{١٢} ن: خوفًا.

^{١٣} انظر: تفسير الطبري، ٣٥/١٩.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [٦٥] ﴿إِنَّهَا

سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [٦٦]

وقوله: والذين يقولون / ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، يحتمل أن يكون هذا إخبارا [٥٤٠] من الله تعالى عما في ضميرهم، ليس على حقيقة القول منهم^١ والدعاء، لأن من بلغ في العبادة والورع المبلغ الذي وصفهم لا يشغلون أنفسهم بالسؤال عن دفع المضار أو جز النفع. ويحتمل على الدعاء والقول على ما أخبر. والله أعلم.

ثم أخبر عن عذابها فقال: إن عذابها كان غراما، قال الحسن: الغرام اللزوم الذي لا يفارق صاحبه، وكل غريم^٢ يفارق غريمه غير^٣ عذاب جهنم. وقال بعضهم: الغرام الهلاك.

وقال: إنها ساءت مستقرا ومقاما، أي جهنم بئس المستقر وبئس المقام لأهلها. هو مقابل ما ذكر لأهل الطاعة الجنة حيث قال: حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا.^٤ وقال بعضهم: غراما غرِموا في الآخرة ما نَعِموا في الدنيا. وفي حرف ابن مسعود: كان غراما إنا أنبئنا أنها ساءت مستقرا ومقاما.^٥ وقال أبو عؤسجة: هَوْنًا^٦ هو^٧ من الرفق، يقال: هان يهون هونا فهو هائن. ومنه يقال: إذا عزَّ أخوك فهن، أي إذا اشتد فارفق به. والغرام الهلاك. وكذلك^٩ قال^٨ القتيبي: غواما، أي هلكة. وقال مشيا هونا: رويدا.^{١١} سلاما، أي سدادا من القول لا رقت فيه ولا هجر.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [٦٧]

وقوله:^{١٢} إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، قال بعضهم: لم يسرفوا في غير حق،

^١ ر ع م - منهم.

^٢ ع: غريمه.

^٣ ع: غيره.

^٤ سورة الفرقان ٧٦/٢٥.

^٥ كتاب المصاحف لابن أبي داود ٦٧.

^٦ من الآية السابقة برقم ٦٣.

^٧ ر م - منهم.

^٨ جميع النسخ: وقوله؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٢و.

^٩ ر - وكذلك.

^{١٠} ر: وقال.

^{١١} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٥.

^{١٢} ن: قوله.

كسبوا طيباً وأنفقوا قَصداً وأعطوا فضلاً وأَنْجَحُوا^١ واستبشروا. ولم يقتروا، أي ولم يمسكوا عن الحق.^٢ وقوله: وكان بين ذلك قواما، أي بين الإسراف والتقتير مقتصدًا^٣ وهو تأويل مقاتل. وقال بعضهم: الإسراف هو الإنفاق في معصية الله. لم يسرفوا، أي لم ينفقوا في معصية الله،^٤ ولم يَقْتَرُوا، أي لم يمنعوا عن طاعة الله. وكان بين ذلك قواما، أي عدلا لا يمسك عن حق ولا ينفق^٥ في باطل ولكن نفقةً في طاعة الله. وقال بعضهم: الإسراف في النفقة هو الإنفاق فيما لا ينتفع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة التي كانوا يتركونها سدى ولا ينتفعون بها.^٦ والإقتار هو الإمساك عن الإنفاق فيما ينتفع به. وقال بعضهم: الإسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له في الإنفاق في الإكثار، والإقتار هو المنع عن^٧ الحد الذي جعل له.

وكان بين ذلك قواما، أي وسطا، كقوله: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،^٨ ولكن بين ذلك. وأصله لم يسرفوا، أي لم ينفقوا^٩ ولم يضعوا إلا في ما أمروا أن يضعوا أموالهم^{١٠} فيه. ولم يَقْتَرُوا، أي ولم يمنعوا عما أمروا أن يضعوا فيه.^{١١} وكان بين ذلك قواما، أي قائما في ذلك. أخصر^{١٢} أن ما يفعلون لا يفعلون إلا بأمر وأخصر أنهم لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ.^{١٣}

[٥٤٠ ط س ٤] * وقال أبو عؤسجة: الإسراف الفساد، والتقتير التضييق. ولم يقتروا، أي لم ينفقوا قليلا لا يكفي عيالهم. قال: والقوام الوسط، ويقال: لا قوام لي في هذا الأمر، أي لا طاقة لي فيه،

^١ ر م: والجمود؛ ع: والحمد. أنجح الرجل: صار ذا نجح وظفر (لسان العرب، «نجح»).

^٢ ن + والله أعلم.

^٣ ر ع م: مقصدا.

^٤ ر ع م - لم يسرفوا أي لم ينفقوا في معصية الله.

^٥ ر ع م: ولا ينفقون.

^٦ انظر: سورة المائدة، ١٠٣/٥.

^٧ ن: من.

^٨ سورة الإسراء، ٢٩/١٧.

^٩ ر م: لم ينتفعوا.

^{١٠} ر ع م - أموالهم.

^{١١} ر ع م - ولم يقتروا أي ولم يمنعوا عما أمروا أن يضعوا فيه.

^{١٢} ع ن: يخبر.

^{١٣} من الآية التالية.

ولا أقاموا هذا الأمر، أي لا أطيعوه. والقوام القصد. قال أبو معاذ في قوله: ولم يقتروا، لغات أربع: لم يُقْتَرُوا برفع الياء وبخفض التاء غير مثقل، ويُقْتَرُوا مثقل،^١ ويُقْتَرُوا بنصب الياء وخفض التاء، ويُقْتَرُوا برفع التاء، والمعنى كله واحد.*

[٥٤٠ ط س ٨]

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [٦٨]

ثم يحتمل هذا وجهين. لا يدعون [مع الله إلها آخر]، أي لا يعبدون دون الله غيره، أو لا يسمون^٣ غير الله إلها.^٤ ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، أخبر في الآية الأولى في قوله: [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ] يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،^٥ عن معاملتهم الخلق^٦ وصنيعهم بينهم وبين العباد حيث أخبر أنهم يمشون هونًا لا يؤذون^٧ أحدا ولا يضرونه، وإذا آذاهم أهل الجهل والسفه لا^٨ يكافئوهم^٩ لأذاهم ولكن احتملوا ذلك عنهم وتجاوزوا وقالوا^{١٠} لهم قولاً سديداً. هذه معاملتهم فيما بينهم وبين الخلق بالنهار. وأخبر عن معاملتهم ودعائهم ربهم بالليل حيث قال: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ،^{١١} الآية. ثم أخبر عن صنيعهم في أموالهم التي في أيديهم أنهم لا يضعونها إلا فيما أمروا بالوضع فيها، وأخبر عن صفوتهم^{١٢} وإخلاصهم لله في العبادة وكفهم عن محارم الله حيث قال: [وَالَّذِينَ] إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا.^{١٤}

^١ ر م - ويقتروا مثقل.

* وقع ما بين النحمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠ ط/سطر ٤-٨.

^٣ ع: أو يسمون.

^٤ ر ع م - إلها.

^٥ الآية ٦٣ من هذه السورة.

^٦ ع: الحق.

^٧ ر م: ولا يؤذون.

^٨ ر م: لم.

^٩ ع: يكافواهم.

^{١٠} م: وقولوا.

^{١١} الآية ٦٤-٦٥ من هذه السورة.

^{١٢} ر: عن صفوتهم.

^{١٣} ر: قالوا.

^{١٤} الآية السابقة.

وقوله: والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، وقوله: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ^١، موصول بهذا أيضاً ومقدم عن قوله: ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً. كأنه قال: ولا يزنون ولا يشهدون الزور ومن يفعل ذلك، أي ما ذكر من قتل النفس المحرمة والزنى وشهادة الزور والشرك يلقى أثاماً. قال بعضهم: أثاماً، أي وادياً في جهنم. وقال بعضهم: أثاماً عذاباً في النار.^٢

وفي قوله: ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، دلالة نقض قول الخوارج [٥٤٠هـ] بإكفارهم أصحاب الكبائر، لأنه أخبر أنها محرمة بعد ارتكابها^٣ / كالزنى^٤ والقتل كما هي قبل ارتكابها، إلا بالحق حيث قال: ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، دل أنها محرمة بعد غير كافرة. إلا بالحق: إما بحق القصاص وإما بحق الزنى وإما بحق الارتداد، على^٥ ما ذكر في الخبر: «لا يحل قتل امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث خصال: زنى بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفس بغير حق.»^٦ ولو كانت كافرة بارتكاب ما ذكر لكانت غير محرمة، فدل أنه ما ذكرنا.*

﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [٦٩]

وقوله: ^١ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. فإن قيل: أخبر ههنا أنه يضاعف له العذاب، وقال في آية أخرى: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَى إِلَّا مِثْلَهَا،^٢ فما معنى الضَّعْف ههنا؟

^١ الآية ٧٢ من هذه السورة.
^٢ انظر تأويل أبي عوسجة لكلمة "أثاماً" عند تفسير الآية ٧٢ من هذه السورة. وقع هنا مقطع متقدماً على موضعه من تفسير الآية رقم ٧٢، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٠/سطر ٣٤-٣٨.
^٣ أي الكبائر.
^٤ جميع النسخ: الزنا.
^٥ ر: أنهما.
^٦ ر: م: وعلى.
^٧ انظر: مسند أحمد بن حنبل، ١/٦١؛ وصحيح البخاري، الدييات ٢٢؛ وسنن ابن ماجه، الحدود ١؛ وسنن النسائي، القسامة ١٣.
* وقع هنا مقطعان: مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ ومقطع متقدماً على موضعه من تفسير الآية رقم ٧٣، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٠/سطر ٤-١٣.
^٩ ن: قوله.
^{١٠} سورة المؤمن، ٤٠/٤٠.

قيل: يحتمل هذا وجهين. أحدهما أنه يضاعف العذاب للذين تقدم ذكرهم إذا كفروا بالله بعد ما بلغوا المبلغ الذي وصفهم والرتبة التي^١ ذكر، وهو قوله: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ^٢ الآية. إن واحدا منهم إذا كفر يضاعف له العذاب، يتضاعف عذابه على قدر منزلته ومرتبته عند الله وعلى قدر نعم الله عليه إذا كان منه عصيان وكفران لذلك، وهو كما قال لرسول^٣ الله صلى الله عليه وسلم: وَلَوْلَا أَنْ نَبَتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَدْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ^٤، أي ضعف عذاب الحياة و ضعف عذاب الممات؛ وما ذكر أيضا لأزواجه حيث قال: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ^٥. كل من كان أعظم قدرا وأكثر نعمة عليه فعقوبته إذا عصى ربه أكثر وأشد من الذي لم يبلغ ذلك المبلغ^٦ ولا تلك الرتبة، فيكون ضعف غيره وجزاء مثله.

والثاني أن يكون ذلك للأئمة، أعني الكفرة والرؤساء دون الأتباع، لأنهم عملوا هم بأنفسهم ودعوا^٧ غيرهم إلى ذلك، كقوله: وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَآلَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ^٨. أو أن يكون ذلك لهم للعناد^٩ الذي كان منهم والمكابرة، ثم استثنى من تاب منهم فقال:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٧٠]

إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا، الآية، فإن كانت^{١١} الآية^{١١} في الذين قال: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا^{١٢} فكان فيه دلالة قبول توبة المرتد إذا تاب ورجع إلى الإسلام حيث استثنى من تاب منهم.

^١ ع - النبي.

^٢ الآية ٦٣ من هذه السورة.

^٣ م: رسول.

^٤ سورة الإسراء، ١٧/٧٤-٧٥.

^٥ سورة الأحزاب ٣٣/٣٠.

^٦ ر م - المبلغ.

^٧ ع: داعوا.

^٨ ﴿وليحملن أثقالهم وأنتالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ (سورة العنكبوت، ١٣/٢٩).

^٩ ر م: العناد.

^{١٠} ع ن: فإن كان.

^{١١} ر م - فإن كانت الآية.

^{١٢} سورة الفرقان ٢٥/٦٣.

وقوله: ^١ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يوفقههم ^٢ الله إذا تابوا وندموا على ما فعلوا من السيئات في الدنيا حتى يعملوا مكان كل ^٣ سيئة عملوها حسنة، ^٤ فذلك معنى تبديل ^٥ الله سيئاتهم ^٦ حسنات، أي يوفقههم على ذلك. والثاني يبدل الله سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم الندامة والحسرة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا. وعلى ذلك روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ليأتين أقوام يوم القيامة ودُّوا أنهم استكثروا من السيئات. فقيل له: يا أبا هريرة ومن هم؟ قال: هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات؛ ^٧ وكأنه روي مثله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [٧١]

وقوله: ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أن يكون على الأمر ^٨ كأنه قال: ومن تاب فليتب إلى الله متابا ^٩ لا يرجع عنها أبدا. وعلى ذلك يخرج قوله: ^{١٠} إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ، ^{١١} أي إن يكن منكم عشرون فيثبتوا ^{١٢} يغلبوا مائتين على الأمر، دليله قوله حيث قال: ^{١٣} الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ، الآية. والثاني أن يكون ذلك لقوم خاص علم الله أنهم إذا تابوا توبة لا يرجعون عنها أبدا، وإلا ليس كل من تاب يكون على توبته أبدا. ^{١٤}

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [٧٢]

* وقوله: [والذين] لا يشهدون الزور، قال بعضهم: لا يشهدون مكان الزور وهو الغناء، أي لا يشهدون المكان الذي يتغنى فيه. وقال بعضهم: لا يشهدون بشهادة الزور وهو الكذب.

[٤٠٥٠ س ٣٤]

^١ ن: قوله.

^٢ جميع النسخ: يوفق؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٢ ظ.

^٣ ر م - كل.

^٤ ر ع م - حسنة.

^٥ ع: تبدل.

^٦ ر ع م - سيئاتهم.

^٧ تفسير القرآن لابن كثير، ٣/٣١٦؛ و الدر المنثور للسيوطي، ٦/٢٨١.

^٨ ن: أن يكون إلا من؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٢ ظ.

^٩ ر ع م - يحتمل هذا وجهين أحدهما أن يكون على الأمر كأنه قال ومن تاب فليتب إلى الله متابا.

^{١٠} سورة الأنفال، ٦٥/٨.

^{١١} ع ن: فليثبتوا.

^{١٢} ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا

أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال، ٦٦/٨).

^{١٣} ر ع م + وقوله: ن + وقوله.

وقوله: ^١ وإذا مروا باللغو مروا كراما، مرور الكرام، أي إن قدروا على تغيير ما عاينوا من اللغو والمنكر غيروه ومضوا على وجههم من غير أن دخل في ذلك فساد، وإن لم يقدروا مضوا ولم يعثوا به ولا اشتغلوا به، كقوله: ^٢ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ. *^٣

والذين لا يشهدون الزور، ^٤ وإذا مروا باللغو مروا كراما. ^٥ وقال بعضهم: إذا أودوا صفحوا. وقال بعضهم: إنهم كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح أو غيره كئوا عنه. وقال ^٦ أبو عؤسجة والفُتَيْي: يَلْقَى أَثَامًا، ^٧ أي عقوبة الأثام. ^٨

وقوله: مروا كراما، أي لم يخوضوا فيه وأكرموا أنفسهم عنه. ^٩

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [٧٣]

* وقوله: والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانًا، قال بعضهم: [٥٤٠ ط ٨] يقول: إذا ذكروا بآيات ربهم لم يصموا عن الحق ولم يعموا. قال: هم والله قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتاب الله. وقال الحسن: من يقرأها بلسانه يختر عليها أصمَّ وأعمى، كأنه يخبر أن أولئك - أعني أهل صفوة الله وإخلاصه - لم يخزوا على تلك الآيات صمًا ولا عميانًا كالكفرة العتدة ولكن خزوا عليها متذكرين متفقهين ^{١٠} متيقظين عالين بما فيها عاملين، كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ، ^{١١} الآية. *

^١ ن: قوله.

^٢ ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لننا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ (سورة القصص، ٥٥/٢٨).

* وقع ما بين النجنتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠/و سطر ٣٤-٣٨.

^٤ جميع النسخ + قد ذكرناه.

^٥ جميع النسخ + قد ذكرناه أيضا. ونحن قد نقلنا إلى هنا ما ذكر في الآية السابقة برقم ٦٨ في كلا الموضعين.

^٦ ر م - وقال.

^٧ ع: قال.

^٨ من الآية ٦٨ من هذه السورة.

^٩ جميع النسخ + العقوبة. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٥.

^{١٠} جميع النسخ: عنهم.

^{١١} ر م: ومتفقهين.

^{١٢} ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٢/٨).

* وقع ما بين النجنتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٠/ظ سطر ٨-١٣.

صما وعميانا، أي لم يتغافلوا عنها. وقال^١ بعضهم: إنهم إذا وُعطوا بالقرآن لم يخروا عليها صما وعميانا، عند تلاوة القرآن فلا يسمعون ولا يبصرون، ولكن يخزون عليها مُمَعَاءً وَبُصْرَاءً، وهو واحد.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [٧٤]

وقوله: ^[٥٤١] والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا، / قرّة أعين، قد نعتهم عز وجل في معاملتهم ربهم^٢ أن كيف عاملوا ربهم بالليل والنهار، ونعتهم^٣ أيضا في معاملتهم عباده أن كيف عاملوا عباده. ثم نعتهم في معاملتهم أهليهم ودعائهم لهم فقال: يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين، فهو -والله أعلم- لما أمرهم أن يَقُوا^٤ أنفسهم وأهليهم النار بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،^٥ الآية، فعند ذلك دعوا ربهم وسألوه أن يَهَبَ^٦ لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تَقَرَّرَ به أعينهم في الدنيا والآخرة. وقال بعضهم: اجعلهم صالحين مطيعين لك^٧ فإن ذلك يُقَرَّرُ أعيننا. قال الحسن: والله ما شيء أحب إلى العبد المسلم من^٨ أن يرى ولده أو ولد ولده^٩ أو حميمه يطيع الله. وقال: نراهم يعملون بطاعة الله فَتَقَرَّرَ بذلك أعيننا. والله أعلم.

وقوله: واجعلنا للمتقين إماما، قال بعضهم: أي اجعلنا أئمة هُدى وتقوى يُقتدى بنا. وقال بعضهم: واجعلنا بحال يقتدي بنا المتقون. وأصله -والله أعلم- كأنهم^{١٠} سألوا ربهم أن يجعلهم بحال من اقتدى بهم صار متقيا، لا من اقتدى بهم^{١١} صار ضالا فاسقا. هذا -والله أعلم- تأويله،

^١ ع: قال.

^٢ ن: قوله.

^٣ ر ع م - ربهم.

^٤ ر م: نعتهم.

^٥ ر م: يتوبوا؛ ع: يقول.

^٦ سورة التحريم، ٦٦/٦.

^٧ ع: يهيب.

^٨ ر ع م - لك.

^٩ ع - من.

^{١٠} ر ع م - أو ولد ولده.

^{١١} ر ع م: فإنهم.

^{١٢} ر ع م - بهم.

وإلا سؤا لهم^١ أن اجعلنا إماما للمتقين لا معنى له أن يطلبوا لأنفسهم الإمامة، ولكن على الوجه الذي ذكرنا. والله أعلم.

ثم أخبر عن جزائهم في الآخرة بصنيعهم في الدنيا وصبرهم على ما أمروا فقال:

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [٧٥]

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، والغرفة^٢ هي أعلى المنازل وأشرفها. أخبر أنهم يجزون ذلك ويكونون فيها. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: أولئك يجزون الجنة بما عملوا.^٣ فحائز أن يكون الغرفة المذكورة في الآية كناية عن الجنة، يدلّه حرف ابن مسعود. وحائز أن يراد به نفس الغرفة وهو لا ارتفاعها وعلوها على غيرها من المنازل، وذلك مما يُختار الكون فيها في بعض الأوقات في الدنيا. والناس يرغبون فيها لإشرافها وارتفاعها على غيرها، فرغبهم بذلك في الآخرة. وقوله: ويلقون فيها، بالتخفيف والتشديد، ويلقون^٤ تحية وسلاما، أي تلقاهم^٥ الملائكة بالتحية والسلام، كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، بِمَا صَبَرْتُمْ^٦، وقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ^٧، أو يلقى بعضهم بعضا بالتحية والسلام ويحيي بعضهم بعضا ويسلم بعضهم على بعض.^٨

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [٧٦]

وقوله: خالدین فيها دائمین، حسنت مستقرا ومقاما، تأويله - والله أعلم - أي حسنت لهم الجنة مستقرا ومقاما حتى لا يملوا فيها ولا يسأموا ولا تأخذهم الوحشة والكآبة كنعيم الدنيا يمل عنها^٩ ويسأم عند الكثرة وطول المقام فيها.

﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [٧٧]

وقوله: قل ما يعجب بكم ربي لولا دعاؤكم، قال بعضهم: ما يعجب بكم ربي، أي ما يعتد بكم ربي

^١ ع: ولا سؤا لهم.

^٢ ع - والغرفة.

^٣ كتاب المصاحف لابن أبي داود ٦٧.

^٤ انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ٥١٥-٥١٦.

^٥ جميع النسخ: يلقبهم.

^٦ ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد، ١٣/٢٣-٢٤).

^٧ ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٧٣).

^٨ ع: بعضهم بعضا.

^٩ ر م - عنها.

لولا دعاؤه إياكم إلى التوحيد لتوجدوه وتطيعوه. وقال بعضهم: ما يعبأ، أي ما يصنع بكم ربي، وتأويله - والله أعلم - أي ما يصنع ربي بعدابكم إن وحدتموه وأطعتموه، بقوله: مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ.^١

وقوله:^٢ فقد كذبتم فسوف يكون لزاما، اختلف فيه، قال بعضهم: هو عذاب يوم بدر، يعني ألزم بعضهم بعضا. وكذلك قال ابن مسعود قال: مضت آية الدخان والبطشة، والزامٌ يوم بدر.^٣ وقال بعضهم:^٤ لزاما، أي عذابا ملازما غير مفارق، وهو عذاب الآخرة. وقال أبو عؤسجة: ما يعبأ بكم ربي، أي ما يصنع، يقال: عَبَأَ يَغْبِئُ عَبِيئًا، فهو عابئٌ إذا احتاج إليكم. ويقال: ما أعْبَأُ بهذا الأمر، أي ما أصنع به. ويقال: عَبَأَتْ بفلان، أي احتجت إليه، وكذلك قول القُتَيْبِيِّ.^٥

^١ ر ع م - وحدتموه وأطعتموه بقوله ما يفعل الله بعدابكم.

^٢ سورة النساء، ١٤٧/٤.

^٣ ن: قوله.

^٤ وهما: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، و﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ (سورة الدخان، ١٠/٤٤، ١٦). انظر: صحيح البخاري، التفسير ٥/٢٥، وتفسير الطبري، ٥٦/١٩، ١٧/٢١، ١١٢/٢٥، ٨٥/٢٧، والدر المنثور للسيوطي، ٧٠/٦.

^٥ ر ع م - بعضهم.

^٦ ر ع م: عباء.

^٧ ر + والله أعلم بالصواب؛ ن ع + والله أعلم. انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ٤٣٨. «ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَغْبِئُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾. قال: وهذه الآية مشكلة. روى ابن نجیح عن مجاهد أنه قال في قوله: ﴿قُلْ مَا يَغْبِئُ بِكُمْ رَبِّي﴾، أي ما يفعل بكم ربي لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه وتطيعوه، ونحو ذلك. قال الكلبي: وروى سلمة عن الفراء: أي ما يَضُنُّ بكم ربي لولا دعاؤكم، ابتلاكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿قُلْ مَا يَغْبِئُ بِكُمْ رَبِّي﴾، أي ما يفعل بكم لولا دعاؤكم: معناه لولا توجيدكم. قال: وتأويله: أي وزن لكم عنده لولا توجيدكم، كما تقول: ما عَبَأْتُ بفلان، أي ما كان له عندي وزنٌ ولا قَدْرٌ» (لسان العرب، «عبأ»).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء قيل مكية^١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

﴿طَسَمَ﴾ [١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [٢]

قوله عز وجل: طسم، قد ذكرنا تأويل الحروف المعجمة فيما تقدم.^٢ وكذلك قوله: تلك آيات الكتاب المبين،^٣ قد ذكرنا تأويله أيضا.

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٣]

وقوله:^٤ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تركهم الإيمان وتكذيبهم إياه إشفاقا وخوفا عليهم وتعظيما لله وإجلالا لحقه، حتى كادت نفسه تهلك حزنا على ذلك، وكقوله: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا؛^٥ والأسف هو النهاية في الحزن، كقول يعقوب: يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ.^٦ وقال بعضهم: الأسف هو النهاية في الغضب، كقوله: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ،^٧ قيل: أغضبونا. وقد ذكرنا في^٨ ما [تقدم] ذكر الله رسوله^٩ ووصفه [بأنه] كان مطبوعا بحزن وتأسف لمكان كفرهم وتكذيبهم،

^١ ر - سورة الشعراء قيل مكية؛ ن ع: قيل سورة الشعراء مكية.

^٢ انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية أواخر المجلدات السابقة، «الحروف المعجمة أو المقطعة».

^٣ انظر: أوائل سورة البقرة، ويونس، ويوسف.

^٤ ن م: قوله.

^٥ سورة الكهف، ٦/١٨.

^٦ ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ١٢/٨٤).

^٧ سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.

^٨ جميع النسخ + سورة يوسف على.

^٩ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٤٣ و٥.

^{١٠} ر م: ورسوله.

كقوله: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ^١، الآية. يَحْزَنُ عَلَيْهِمْ إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ وَيَغْضَبُ عَلَيْهِمُ اللَّهُ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِجْلَالًا لِأَمْرِهِ لَمَا ضَيَعُوا أَمْرَهُ وَنَهَيْهِ. وهكذا الواجب على كل من رأى آخر في فاحشة أو كبيرة أن يحزن ويترحم عليه ويغضب لله لما ارتكب من الفاحشة.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [٤]

وقوله: ^٢ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ، قالت^٣ المعتزلة: قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً، مشيئة قسر وقهر حتى يضطروا لها فيؤمنوا. لكن عندنا مشيئة الإيمان والاختيار، أي إِنْ نَشَأْ^٤ إيمانهم نزل عليهم آية فيؤمنوا، [٥٤١ ط] لأن الآية لا تضطر أحداً ولا تقهر على الإيمان، / دليله قوله: وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى^٥، الآية. أخبر أنهم لا يؤمنون وإن فعل ما ذكر ولا يضطرهم ذلك على الإيمان. وكذلك ما أخبر عنهم في الآخرة حيث^٦ قال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ^٧، الآية، وقوله: ^٨ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ^٩ الآية، أخبر عن حلفهم وإنكارهم في الآخرة أنهم لم يكونوا على ما كانوا. ولا تكون^{١٠} آية أعظم مما عاينوا من أنواع العذاب. ثم لم يمنعهم ذلك عن التكذيب ولا اضطهرهم على الإقرار والتصديق. دل أن الآية وإن كانت عظيمة لا تضطر أهلها على الإيمان والتصديق. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم ما يغنينا عن ذكرها في هذا الموضوع.

^١ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (سورة التوبة)، ١٢٨/٩.

^٢ ن: قوله.

^٣ ن: قال.

^٤ ر ع م: أي إنشاء.

^٥ ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).

^٦ ر ع م - حيث.

^٧ ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ١٨/٥٨).

^٨ ن: وقولهم.

^٩ ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).

^{١٠} ن: ولا يكون.

وقوله: ^١ **فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**، أي مالت وحضعت لها أعناقهم، ^٢ والأعناق كأنها كناية عن أنفسهم. وعن ابن عباس قال: **فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**، قال: سيكون لنا دولة على بني أمية فتدل لنا أعناقهم بعد صعوبة وهوانا بعد عزة، فقد كان ذلك. وقال بعضهم: الأعناق السادة والقادة، والواحد عُتُق، أي إذا أسلم القادة أسلم الأتباع أتباعاً لهم. **وَأِنَّهُ أَعْلَمُ**. * قال القتيبي وأبو عوسجة: **فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ**، كما تقول: **ظَلَّلْتُ** اليوم. قالوا: والأعناق السادة، والواحد منه عُتُق. *

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [٥]

وقوله: ^٤ **وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ**، قال بعضهم: يقول: كلما نزل شيء بعد شيء ^٥ من الموعظة والذكر فهو مُحَدَّث من الأول. وجائز أن يكون قوله: **وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ**، أي ما يأتِيهِمْ من ذكر ^٦ مما ^٧ فيه ذكرهم في الآخرين وشرفهم في الخلق **إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**، لأنهم لو آمنوا لذكروا ^٨ في الناس وبقي لهم ذكر وشرف كذكر الأنبياء والرسل فيهم إلى آخر الدهر. وقوله: **مُحَدَّثٍ** هو مُحَدَّث على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما. *

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦]

وقوله: ^٩ **فَقَدْ كَذَّبُوا**، الآية، هي ظاهرة قد ذكرنا تأويله فيما تقدم. ^{١١}

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [٧]

وقوله: **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قد رأوا ما ^{١٢} أنبتنا وأخرجنا منها.

^١ ن: قوله.

^٢ ن - أعناقهم.

* وقع ما بين النجمتين متأخراً عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤١ ط/سطر ١٤-١٥.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر م - بعد شيء.

^٦ ر ع م - أي ما يأتِيهِمْ من ذكر.

^٧ جميع النسخ + به.

^٨ ر: الذكور؛ ع: الذكورا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٤، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤١ ط/سطر ١٤-١٥.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} انظر مثلاً: تفسير الآية ٥ من سورة الأنعام.

^{١٢} ع: أما.

والثاني على الأمر، أي رُوا^١ ما أنبتنا في الأرض وأخرجنا منها من كل زوج كريم. قال الحسن: الكريم الحسن كالبهيج.^٢

وقوله: ^٣ من كل زوج [كريم]، أي جنس حسن.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٨]

وقوله: إن في ذلك آية، يحتمل قوله: آية لوحداية الله وألوهيته وآية لسلطانه وقدرته وآية لعلمه وتدييره، لأن من قدر على إحياء النبات والأرض بعد ما يبس وجف لقادر على إحياء الموتى وبعثهم. ودل إخراج النبات من الأرض في كل عام على حد واحد وعلى قدر وميزان واحد على أنه إنما خرج ذلك عن تدير وعلم ذاتي وقدره ذاتية، ليست بمستفادة. فدل ذلك كله أنه فعل واحد قادر مدبر عالم لا يُعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء. والله الموفق.

وقوله: وما كان أكثرهم مؤمنين، يحتمل قوله: وما كان أكثر^٤ الذين بُعث إليهم محمد مؤمنين، وهم الذين كانوا وقت بعثته. وجائز أن يكون: [وما كان أكثرهم، أي] وما يكون أكثرهم^٥ مؤمنين [في المستقبل].^٦

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٩]

وقوله: ^٧ وإن ربك هو العزيز الرحيم. جائز أن يقال: العزيز المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه. ويحتمل: العزيز على الخلائق كلهم وهم أذلاء دونه، به^٨ يعجز من عز.

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [١٠] ﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنُ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [١١]

وقوله: ^٩ وإذ نادى ربك موسى، أي أمر ربك موسى وأوحى، أن أنت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون، فيه دلالة أن موسى صلوات الله عليه كان مبعوثا مرسلا إلى فرعون وقومه،

^١ جميع النسخ: ر.أ.أ.

^٢ انظر: تفسير الطبري، ٦٣/١٩.

^٣ ن: قوله.

^٤ ع م: أكثرهم.

^٥ جميع النسخ: وما أكثر ما يكونون.

^٦ الزياتان والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٣ هـ ظ.

^٧ ن: قوله.

^٨ م: وبه.

^٩ ن: قوله.

وإن كان لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال: **إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**^١، وقال في بعضها: **إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ**^٢ فهذا لأنهم^٣ كانوا الرؤساء والقادة، فإذا آمنوا هم^٤ أتبعهم الأتباع في ذلك، وإلا كان مبعوثا في الحقيقة رسولا إليه وإلى قومه جميعا: الأتباع والمتبوعين كما ذكر^٥ في الآية.^٦

وقوله^٧: **قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ أَلَا يَتَّقُونَ**، كأنه على الإضمار: أن اتت القوم الظالمين [قوم فرعون] وقل لهم: **أَلَا يَتَّقُونَ**. ثم قوله: **أَلَا يَتَّقُونَ** يحتمل وجهين. أحدهما ألا يتقون مخالفة أمر الله ونهيه. أو يقول:^٨ **أَلَا يَتَّقُونَ** نعمة الله وعقوبته. **وَاللَّهُ أَعْلَمُ**.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [١٢]

وقوله^٩: **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ**، لم يقطع موسى القول في التكذيب ولكنه على الرجاء قال ذلك، وذلك - والله أعلم - كقوله: **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**^{١٠}. فكأنه رجا ذلك منه لهذا. **وَاللَّهُ أَعْلَمُ**. وجائز أن يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب، كأنه قال: **إِنِّي أَعْلَمُ أَنْ يُكَذِّبُونِي**^{١١}، وذلك جائز في اللغة.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [١٣] ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ

أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [١٤]

وقوله^{١٢}: **وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي**، لأنَّ عليه أن يغضب الله^{١٣} إذا كذبه، فإذا اشتد بالمرء الغضب ضاق صدره وغلَّ لسانه، وهو^{١٤} ما دعا ربه وسأله، حيث قال:

^١ سورة طه، ٢٠/٢٤.

^٢ انظر مثلا: سورة الأعراف، ٧/١٠٣؛ وسورة يونس، ١٠/٧٥.

^٣ ر ع م: فهذه إلا أنهم.

^٤ م: آمنوهم.

^٥ جميع النسخ: لما ذكر.

^٦ ر م - في الآية.

^٧ ن: قوله.

^٨ ر ع: تقول.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} سورة طه، ٢٠/٤٤.

^{١١} جميع النسخ: أن يكذبون.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ع: الله.

^{١٤} ر: هو.

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي^١، الآية، فيكون ضيق الصدر وغلالة اللسان هو للغضب الذي اشتد به بالتكذيب، لا لآفة كانت بلسانه^٢، وهو ما ذكرنا أن الغضب إذا اشتد بالمرء يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويكَلِّل لسانه حتى يمنعه عن العبارة والبيان. [٥٤٢] وجائز أن يكون ذلك لآفة كانت / بلسانه. ثم ضيق^٣ الصدر يكون لوجهين. أحدهما لعظم^٤ أمر الله وجلال قدره إذا كذبه وردوا رسالته وأمره، ضاق^٥ لذلك صدره. أو يضيق لما ينزل عليهم من عذاب الله ونقمته بالتكذيب إشفاقاً عليهم منه. والله أعلم.

وقوله: ^٦ فأرسل إلى هارون وهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون، قوله: فأرسل إلى هارون، كسؤاله إياه حيث قال: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَجِي أُشْدُّ بِهِ أَرْزِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي^٧، فعلى ذلك قوله: فأرسل إلى هارون يكون معي في الرسالة، وكقوله: وَأَجِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلُهُ مَعِيَ رِدْءًا^٨، الآية. وذنبه الذي ذكر أنه عليه هو قتل ذلك^٩ القبطي وهو قوله: فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ^{١٠}. ذلك ذنبه الذي لهم عليه. ثم قال:

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [١٥]

[قال] كلا فاذهبا بإياتنا إنا معكم مستمعون. وقوله: كلا، رد على قول موسى: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ، كأنه قال: لا تخف، وهو ما قال في آية أخرى حيث^{١١} [قال:]: قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى، فقال عند ذلك: قَالَ لَا نَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى^{١٢}.

^١ سورة طه، ٢٥/٢٧.

^٢ ر ع م - فيكون ضيق الصدر وغلالة اللسان هو للغضب الذي اشتد به بالتكذيب لا لآفة كانت بلسانه.

^٣ ع: يضيق.

^٤ ن: لعظيم.

^٥ ر: ضايق.

^٦ ن: قوله.

^٧ سورة طه، ٢٩/٣٢.

^٨ ﴿وَأَجِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٢).

^٩ ع: كذلك.

^{١٠} ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةً مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

(سورة القصص، ٢٨/١٥).

^{١١} م - حيث.

^{١٢} سورة طه، ٤٥/٤٦.

فعلى ذلك قوله: **كَلَّا فَادْهَابَا، أَي لَا تَخَافَا، فَادْهَابَا بآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ.** وقال في تلك الآية: **إِنِّي مَعَكُمْ أَصَمُّ وَأَرَى، أَي أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ لَكَمَا وَأَرَى مَا يَفْعَلُونَ بِكَمَا،^١ فَأَمْنَعُهُمْ عَنْكُمْ؛ لِأَنَّهَا ذِكْرُ الْخَوْفِ مِنْهُ مِنْ شَيْئِينَ: مِنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ^٢ حَيْثُ قَالَا: إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا، بِالْفِعْلِ، أَوْ أَنْ يَطْغَى، بِاللِّسَانِ.**

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦] ﴿أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [١٧] وقوله: **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** أن أرسل معنا بني إسرائيل. وقوله: **فَأَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبُهُمْ،^٣ أَي خَلِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اسْتِحْدَامِكْ^٤ إِيَّاهُمْ وَاسْتِعْبَادِكْ. وَإِنَّهُ أَعْلَمُ.**

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [١٨] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [١٩]

ثم قال له فرعون: **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ،** يذكر نعمه^٥ التي أنعمها عليه بتربيته إياه صغيرا وكونه^٦ فيهم دهرا، وكفران موسى لما أنعم عليه وهو ما قال: **وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ.** وهو قتل ذلك القبطي الذي وكزه^٧ موسى ففضى عليه، فأقر له موسى بذلك^٨ فأخبر أنه فعل ذلك حيث قال:

^١ جميع النسخ: بكم.

^٢ جميع النسخ: ذكر.

^٣ ن: من القول والفعل والقول.

^٤ ن: قوله.

^٥ ع: الإنسان.

^٦ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنَ رَبِّكَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ مِنْ آتِيَةٍ﴾ (سورة طه، ٤٧/٢٠).

^٧ ر: اتخذامك.

^٨ ر م: نعمته.

^٩ م: أو كونه.

^{١٠} ع: ذكره.

^{١١} م - بذلك.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [٢٠]

[قال] فعلتها إذا وأنا من الضالين. وقوله: فعلتها إذا وأنا من الضالين، أي فعلت ذلك وأنا كنت^١ من الجاهلين. لأنه لم يعلم^٢ أن وَكَّرْتَهُ تلك تقتله، وإلا لو علم [ل]ما وَكَّرَهُ، لأنه لم يكن يحل له قتله حيث قال: هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ،^٣ دل ذلك منه أنه كان لم يحل قتله، إلا أنه جرى ذلك على يده خطأً وجهلاً. * وقال موسى:^٤ فعلتها إذا وأنا من الضالين، أي من الجاهلين بذلك. لم يعلم^٥ أنه يتولد من وكزته الموت. وكذلك روي في بعض الحروف: وأنا من الجاهلين. دل أنه على الجهل^٦ فعل ذلك لا على القصد.*
وفيه دلالة أن الرجل قد يُنْهَى ويؤاخذ بما يجري على يده خطأً وجهلاً ويخاطب بذلك حيث قال: فعلتها إذا وأنا من الضالين. ثم قال:

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٢١]

ففررت منكم لما خفتكم، وهو حين قال له ذلك الرجل: [يا موسى] إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَيَّرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ، الآية، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ،^٧ وذلك فراره منهم.
وقوله:^٨ فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين، قال بعضهم: قوله: فوهب لي ربي حكماً، أي نبوة، وقال بعضهم: حكماً، أي علماً^٩ بالحكم، وجعلني من المرسلين، وقد كان ذلك له كله.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [٢٢]

وقوله:^{١٠} وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل، وهو استعبادك إياهم، أي إذا

^١ م - كنت.

^٢ ر ع م - لا يعلم.

^٣ سورة القصص، ١٥/٢٨.

^٤ ن + فقهرتهم.

^٥ ر ع م - لم يعلم.

^٦ جميع النسخ + ما.

* وقع ما بين النجمتين متأخراً عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٢/و سطر ٣٠-٣٢.

^٨ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملائكة ياتمرون بك ليقتلوك فاجرح إني لك من الناصحين

فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴿ (سورة القصص، ٢٨/٢٠-٢١).

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر م: علي.

^{١١} ن: قوله.

ذكرت هذا فاذا ذكر ذلك.^١ هذا يحتمل وجوها. أحدها أن تُذكر ما أنعمت علي وتمنَّها^٢ ولا تذكر مساوئك ببني إسرائيل وهو استعبادك إياهم، أي إذا ذكرت هذا فاكر ذلك. والثاني أن تلك نعمة تمنها علي حيث لم تُعِدني^٣ وعبَدت بني إسرائيل. يخرج علي قبول المنة منه.^٤ والثالث وتلك نعمة لو خلّيت عن بني إسرائيل ولم تستعبدهم^٥ لولا ذلك عنك. وتماز هذا بقول موسى لفرعون: أئمنَّ علي يا فرعون بأن اتخذت بني إسرائيل عبيدا وكانوا أحرارا فقهرتهم؟* وقال بعضهم: في قوله: وتلك نعمة تمنها علي، يقول: وهذه منة تمنها علي^٦ بقوله: ألم نُزِبْكَ فينا وليدا^٧ يقول: تمنَّ بها علي أن تستعبد بني إسرائيل وتمنَّ علي بذلك.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٣] ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوتَهُمُ مُوقِنِينَ﴾ [٢٤] ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ﴾ [٢٥]

ثم قال فرعون لموسى: وما رب العالمين؟ فقال له^١ موسى: رب السماوات والأرض وما بينهما من خلقٍ إن كنتم موقنين. ثم قال لمن حوله ألا تستمعون. إنما قال اللعين هذا -والله أعلم- لما وقع عنده أن موسى تحدّ عن جواب ما سأله، لأنه إنما سأله عن ماهيته فهو إنما أجابه عن فعله وربوبيته فظن أنه حائد عن جواب ما سأله. ولذلك قال لقومه: ألا تستمعون إلى ما يقول موسى تعجبا منه: إني أسأله عن شيء وهو يجيبني عن شيء آخر.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [٢٦] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [٢٧]

ثم قال موسى: ربكم ورب آبائكم الأولين، فقال عند ذلك: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. نسبته إلى الجنون لما ذكرنا أنه ظن أنه حائد عن الجواب في كل ما ذكر، إنما كان السؤال منه عن ماهية وهو لم يجبه عنها، فعند ذلك

^١ ن - وهو استعبادك إياهم أي إذا ذكرت هذا فاذا ذكر ذلك.

^٢ م - وتمنَّها.

^٣ ع: لم تعتدي.

^٤ ن - منه.

^٥ م: ولم يستعبدهم.

^٦ جميع النسخ: لولوا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٢/و سطر ٣٠-٣٢.

^٨ ر ع م - علي.

^٩ الآية ١٨ من هذه السورة.

^{١٠} م - له.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٢٨]

[٥٤٢هـ]

/ قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون، لم يُجبه^١ موسى في كل ما ذكر [له] عن الماهية ولكن^٢ أجابه في الأول عن بيان^٣ ربوبيته وألوهيته حيث قال: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ^٤، ذلك. فعرف اللعين أنه ليس هو رب السماوات والأرض لما يعلم أنه^٥ لا صنَع له في ذلك وأنه لم يُنشئهما ولكن أنشأهما رب العالمين على ما ذكر موسى. لكن كأنه لم يعرف حَدَثَهُما ولا فناءهما بما دَكر له موسى لما لم يشاهد حَدَثَهُما وفناءهما فلم يتقرّر ذلك عنده، لما يقع عنده أنهما كذلك كانا ويكونان^٦ أبدا. فعند ذلك احتاج إلى أن يذكر^٧ له ما يشاهد حَدَثَهُما وفناءهما وهو ما قال: قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ^٨، ذكر له ما شاهد حَدَثَهُ وفناؤه. فإذا عرف حَدَثَ ما ذكر وفناؤه^٩ يعرف^{١٠} أنه^{١١} لم يكن بنفسه ولا كَوْن^{١٢} نفسه، ولكن بِمُحَدِّثِ أَعْدَائِهِ وبعديّ دبره. ثم قال:

رب المشرق والمغرب وما بينهما، دَكر ههنا قدرته وسلطانه، وهو ما يأتي بالنهار من المشرق وبالليل^{١٣} من المغرب ويُطلع الشمس من المشرق ويُغربها من المغرب، وكذلك القمر والنجوم. ففيه دلالة البعث، لأن مَنْ قدر على أن يأتي بالنهار من كذا وبالليل من ناحية كذا والشمس والقمر من كذا قادرٌ على البعث، لا يُعجزه شيء. ففي كل حرف من هذه الأحرف دلالة واستدلال على شيء ليس ذلك في الأخرى.

^١ ر: لم يجبه.

^٢ ن: ولكنه.

^٣ جميع النسخ: في بيان.

^٤ سورة الشعراء، ٢٤/٢٦.

^٥ ر ع م: أن.

^٦ جميع النسخ: ويكونون؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٤ هـ.

^٧ جميع النسخ: ذكر.

^٨ سورة الشعراء، ٢٦/٢٦.

^٩ ر م: وفناه.

^{١٠} م - يعرف.

^{١١} ر ع م + إذا.

^{١٢} ن: يجوز.

^{١٣} ع: ومن الليل.

وفي قوله: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،^١ دلالة ربوبية الله وألوهيته، وفي قوله: رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ^٢ دلالة حدث ما ذكر وفنائه^٣ ودلالة مُحَدِّث له^٤ ومدبر. وفي قوله: رب المشرق والمغرب، دلالة قدرته وسلطانه على البعث، على الوجه الذي ذكرنا. وفي^٥ ذلك دلالة [على] أن الله تعالى لا يُعرف بالماهية ولا بما يُحَسَّن، ولكنه إنما يُعرف من جهة الاستدلال بخلقه وبالآيات التي تدل على وحدانيته، حيث سأل فرعون موسى عن الماهية فأجاب له^٦ على الاستدلال بخلقه.

﴿قَالَ لَنْ اِتَّخَذتَ اِلٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ [٢٩]

ثم قال اللعين: لئن اتخذت إلها غيري لأجعلك من المسجونين، قال بعضهم: إنما أوعده السجن ولم يوعده القتل لأنه طلب منه الحججة على ما ادعى من الرسالة حيث قال^٧ له: ^٨ فَأَتَرِبِهِ، الآية، ولو قتله لكان لا يقدر على إتيانها. وقال بعضهم: لا ولكن كان سبحانه أشد من القتل ومن كل عقوبة.

﴿قَالَ أَوْلُوْا جِنَّتِكَ بِشْيءٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٠]

فقال له موسى: أولو جنتك بشيء مبین، أي ما يبين^٩ ربوبية الله وألوهيته، أو ما يبين^{١٠} أني رسول الله.

﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٣١]

فقال له فرعون: فأت به إن كنت من الصادقين، بالرسالة وبما ادعيت. فدل قول فرعون لموسى حيث قال له: فأت به إن كنت من الصادقين، أنه قد عرف أنه رسول وأنه ليس بإله على ما ادعى وأن الإله غيره حيث طلب منه^{١١} الآية.

^١ سورة الشعراء، ٢٤/٢٦.

^٢ سورة الشعراء، ٢٦/٢٦.

^٣ ع + ودلالة حدث ما ذكر وفنائه.

^٤ ر ع م - له.

^٥ ع: ذكرناه في.

^٦ ر ع م - له.

^٧ م - قال.

^٨ ر ع م - له.

^٩ ﴿قَالَ أَوْلُوْا جِنَّتِكَ بِشْيءٍ مُّبِينٍ قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٣٠-٣١).

^{١٠} ر ع م: بين.

^{١١} ر ع م: بين.

^{١٢} ر م - منه؛ ر ع م + هذه.

وقوله: **إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ**^١ ، بالآيات التي تدل^٢ على وحدانية الله تعالى ومشيتته، ذكر هذا مقابل إنكارهم الصانع. والإيقان هو العلم الذي يستفاد من جهة الاستدلال، ولذلك لا يقال لله: موقن. وقوله: **إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**^٣ ذكر [هذا] مقابل^٤ قوله: **إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُزِيلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**^٥.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [٣٢]

وقوله^٦: **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ**، قال بعضهم: الثعبان هي^٧ الكبيرة العظيمة من الحيات؛ وقال في موضع آخر: **تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌ**^٨، وقال في موضع آخر: **فَأَلْقَاهَا** [فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى]؛^٩ فجائز أن تصير^{١٠} كالثعبان بعد ما طرحها^{١١} وألقاها، وقبل أن يطرحها كالجان، وهي الحية الصغيرة. والله أعلم.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [٣٣]

وقوله^{١٢}: **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**، بياضا خارجا عن حلقة البشرية وخارجا عن الآفة، على ما ذكر في آية أخرى: **مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**^{١٣}.

﴿قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حِوَلَةٌ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [٣٤] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [٣٥]

وقوله^{١٤}: **قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حِوَلَةٌ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره،

^١ ﴿قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٤).

^٢ ر م: يدل.

^٣ سورة الشعراء، ٢٦/٢٨.

^٤ ر ع م - ذكر مقابل.

^٥ سورة الشعراء، ٢٦/٢٧.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر ع م: وهو.

^٨ ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تهتت كأنها جان ولى مُدْبِرًا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾

(سورة النمل، ٢٧/١٠).

^٩ سورة طه، ٢٠/٢٠.

^{١٠} ر ع م: يكون.

^{١١} ع: طرحهما.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ﴿واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ (سورة طه، ٢٠/٢٢).

^{١٤} ن: قوله.

هذا إغراء وتحريش منه لقومه على موسى لئلا ينظروا إليه بعين التعظيم، لعظم^١ ما آتاهم من الآيات وأراهم حيث قال: يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره، وموسى كان^٢ لم يُرد إخراجهم من أرضهم^٣ ولكن ذلك إغراء منه لهم عليه لئلا يتبعوه، كأنه يقول: يريد أن يخرجكم من أرضكم فيفسد عليكم معاشكم ويضيق عليكم مقامكم ومثقلبكم.

وقوله: فماذا تأمرون، هذا يبين أنه كان [قد] عرف أنه^٤ ليس بإله، فبيّن^٥ دنايته وقلة معرفته، لأنه لا يقول ملك من الملوك لقومه: ماذا تأمرون؟ وخاصة من يدعي لنفسه الألوهية، بقوله: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي.^٦ فدل أنه كان خسيس الهمة ديني الرأي والبال.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [٣٦] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ [٣٧]

وقوله:^٧ قالوا أرجه وأخاه، أي^٨ أحيسه وأجزه. وابعث في المدائن حاشرين، الحاشر الجامع، والحشر الجمع. يأتوك بكل سحار عليم، وكان يجب^٩ أن يعرف أن السحر يُقابل بسحر مثله ولا يحتاج إلى أن يسأل قومه ذلك، لكنه كان اللعين [ك] ما ذكرنا من قلة البصر^{١٠} في الأمر وخساسة الهمة ودناءة الرأي.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٣٨] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [٣٩]

﴿لَعَلَّنَا تَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْعَالِينَ﴾ [٤٠]

وقوله:^{١١} فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع

السحرة إن كانوا هم الغالين، قال اللعين: / [لعلنا] نتبع السحرة إن كانوا هم الغالين ولم يقل: [٥٤٣ر]

^١ ر ن م + منه؛ ع + من.

^٢ جميع النسخ: لعظيم.

^٣ ر م: كأنه.

^٤ ر ع م: أرضكم.

^٥ م - عرف أنه.

^٦ ن: ويبين.

^٧ ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلني أطلع

إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٣٨).

^٨ ن: قوله.

^٩ ع + وأخاه.

^{١٠} ر م - أي.

^{١١} ر: يجيب.

^{١٢} ر ن م: بالبصر.

^{١٣} ن: قوله.

نتبعهم إن كانت معهم الحجة، لِيُعْلَمَ أنه قد علم وعرف أن لا حجة معهم وأن الحجة مع موسى حيث وعد أتباع الغالبيين دون من^١ معهم الحجة. وفي حرف ابن مسعود: وقال^٢ للناس هل أنتم مستمعون إلى السحرة إن هم يغلبون^٣ لعلنا نتبع منهم الغالبيين.^٤

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [٤١] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ [٤٢]

وقوله^٥: فلما جاء السحرة قالوا لفرعون إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبيين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين. هذا ظاهر، لكن أهل التأويل قالوا: كان السحرة كذا كذا عددا وإن موسى قال لأكبرهم سحرا: أتؤمن بي إن غلبتك؟ وقال الساحر كذا، وغير ذلك من الكلام مما ليس^٦ ذلك في الكتاب ذكره وليس ينبغي لهم أن يشتغلوا بشيء من ذلك أو أن [يتناولوا^٧ شيئا ليس في القرآن، لما يدخل في ذلك من الزيادة والنقصان فيكون للكفرة مقال في ذلك وطعن في رسالة رسول الله، لأن هذه الأنباء كانت في كتبهم فذكرت لرسول الله لتكون آية له في الرسالة. فإن زادوا أو نقصوا يقولون: هذا كذب لم يذكر في كتبنا ذلك. فلهذا الوجه ما ينبغي لهم أن يزيدوا على ما ذكر^٨ في الكتاب أو ينقصوا لئلا يجد أولئك مقالا في تكذيب رسول الله.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [٤٣]

وقوله^٩: قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون. فإن قيل: كيف قال موسى لأولئك السحرة ألقوا وهو يعلم أن ما يلقون هو سحر فكيف أمرهم بالسحر؟

^١ ع - من.

^٢ ر ع م: قال.

^٣ جميع النسخ: أنهم يتغالبون. والتصحيح من مرجع الرواية.

^٤ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٨.

^٥ ن: قوله.

^٦ جميع النسخ: ساحرا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٤ ظ.

^٧ م - ليس.

^٨ ر ع م: يتأولوه.

^٩ ر ع م: كتابنا.

^{١٠} ن - ذكر.

^{١١} ن: قوله.

قيل: هذا وإن كان في الظاهر أمراً فهو في الحقيقة ليس بأمر، إنما هو تهديد وتوعد، أي أَلْقُوا لَتَرُوا عَجَزَكُمْ وَضَعْفَكُمْ، وذلك كثير في القرآن؛^١ ظاهره أمر وهو في الحقيقة توعد، كقوله لإبليس: ^٢ وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتِطْعَتٍ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ،^٣ الآية. ليس^٤ يخرج على الأمر ولكن على التوعد والتهديد، أي وإن فعلت ذلك فلا سلطان لك عليهم، كقوله: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ،^٥ وقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ.^٦

والثاني أمرهم بذلك ليظهر عجزهم وكذبهم^٧ ويتبين صدقه وحقته إذ بذلك يظهر. أو قال لهم ذلك لما كان ذلك سبب إيمان أولئك السحرة. والله أعلم.

﴿فَأَلْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾ [٤٤]

وقوله: فَأَلْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ، هذا يدل أن السحرة كانوا يعبدون فرعون حيث قالوا: بعزة فرعون، وقد علموا عجز فرعون وضعفه حيث فرغ إليهم وقال: ^٨ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ.^٩

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [٤٥]

وقوله: فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، وقد قرئ: [تَلْقَفُ، بالتشديد و] تَلْقَفُ بالتخفيف. قال أبو عؤسجة تقول: تَلْقَفْتُ^{١٠} الشيء والتَقَفْتَهُ، أي أخذته. وقال غيره: تَلْقَفُ، أي تَلْقِمُ، وهو واحد. وقوله: يَأْفِكُونَ، هو^{١١} الفاعل بمعنى المفعول، أي مأفوك، وذلك جائز في اللغة وأمثاله كثير، كقوله: [فَهُوَ] فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ،^{١٢} ونحوه.

^١ ن ع: وذلك في القرآن كثير.

^٢ ع: إلا إبليس.

^٣ ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتِطْعَتٍ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِّلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِذَّهُمْ وَمَا يَعْدَهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (سورة الإسراء، ٦٤/١٧).

ر م - ليس.

^٤ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (سورة الحجر، ٤٢/١٥).

^٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).

^٦ ر ع م: ليظهر كذبهم.

^٧ ر ع م: وقالوا.

^٨ سورة الشعراء، ٣٥/٢٦.

^٩ ر ع م: تلقف.

^{١٠} ر ع م: وهو.

^{١١} سورة الحاقة، ٢١/٦٩.

﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ [٤٦] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٧] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [٤٨]

وقوله: ^١ فألقى السحرة ساجدين، أخبر عن سرعة^٢ ما سجدوا كأنهم ألقوا لما بان لهم من الحق وظهر فقالوا: آمنا برب العالمين. قال أهل التأويل: إن فرعون قال عند ذلك: أنا رب العالمين فقالت السحرة: رب موسى وهارون، لكن الامتناع عن هذا وأمثاله مما لم يذكر في الكتاب أولى لما ذكرنا أنه إنما يُحتج عليهم بهذه الأنباء على تصديق من أهل الكتاب له في ذلك لما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه^٣ في ذلك فيذكر القدر الذي في الكتاب لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان فيُفَرِّق به ويكذب إلا ما ظهر عن رسول الله القول به فيقال، وإلا الامتناع والكف أولى.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٤٩] ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [٥٠]

ثم قال فرعون: آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، إن فرعون^٤ قد علم أن ما جاء به موسى هو حجة لكنه كان يُلْبَس على قومه وأصحابه ويغريهم عليه فقال مرة: ^٥ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، وقال: ^٦ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُزِيلَ إِلَيْكُمْ لَمَخْنُونٌ، وقال مرة: إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون، وقال: ^٧ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُهُ فِي الْمَدِينَةِ [إِخْرَجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا]،^٨ الآية.

ثم أوعدهم بوعائد فقال: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين. فقالوا هم: لا ضير لنا إلى ربنا منقلبون، أي لنا إلى ثواب ربنا الذي وعد لنا لراجعون، لا يضرنا ما توعدهنا به.

^١ ن: قوله.

^٢ جميع النسخ: لسرعة.

^٣ م - وأمثاله مما لم يذكر في الكتاب أولى لما ذكرنا أنه إنما يحتج عليهم بهذه الأنباء على تصديق من أهل الكتاب له في ذلك لما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه.

^٤ ن + لعنه الله.

^٥ سورة الشعراء، ٣٤/٢٦.

^٦ سورة الشعراء، ٢٧/٢٦.

^٧ سورة الأعراف، ١٢٣/٧.

قال أبو عؤسجة والقُتي: لا ضمير، هو من صَّارَه يَصُورُه وَيَضِيرُه بمعنى ضَرَه. وقد قرئ [بها]: وَإِنْ تَصِيرُوا [وَتَتَّقُوا] لَا يُضِرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا^١، بالتخفيف بمعنى لا يضركم.^٢

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥١]

فقالوا: إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين، قال بعضهم: أن كنا أول المؤمنين من قومهم.^٣ وقال بعضهم: أن كنا، أي إذ كنا أول أهل مصر إيماناً. وجائز أن كنا أول المؤمنين للحال. وقال بعض أهل التأويل: إن فرعون قد فعل بهم ما أوعد من قطع الأيدي والأرجل والصلب، لكن ليس في الآية بيان حلول ما أوعد بهم، فلا نقول^٤ به مخافة الكذب.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ [٥٢]

وقوله: ° وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون، السرى^٦ سير الليل وهو ما^٧ قال في آية أخرى: فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ^٨، أي يتبعكم فرعون وقومه.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [٥٣] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [٥٤]

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ [٥٥] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ [٥٦]

وقوله: ° فأرسل فرعون في المدائن حاشرين، أي أرسل في المدائن من يحشر الجنود والعساكر.

وقالوا: إن هؤلاء، يعنون أصحاب موسى، لشردمة قليلون، قال بعضهم: الشردمة

الجماعة [و]العصابة، أي عصابة قليلة.^٩ وقال بعضهم: إن هؤلاء / لشردمة قليلون، أي [٥٤:٣] طائفة قليلة.

^١ م + بالتخف. سورة آل عمران، ١٢٠/٣. انظر: حجة القراءات لابن زنجلة، ١٧١.

^٢ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٧.

^٣ ر ع م - من قومهم.

^٤ ر: فلا تقول.

^٥ ن: قوله.

^٦ ن: اليسرى.

^٧ ر ع - ما.

^٨ سورة الدخان، ٢٣/٤٤.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر م: قليل.

وإنهم لنا لغائظون،^١ في الحثي^٢ الذي استعاروه منا، أي ذهبوا به مغايطةً لنا. وقال بعضهم: وإنهم لنا لغائظون بما فعلنا [ب]هم من قتل أولادهم واستعباد نسائهم ورجالهم، يفعلون بنا ما فعلنا بهم إن ظفروا بنا.^٣

وقوله:^٤ وإنا لجميع حاذرون، و[قرئ] حذرون.^٥ قال^٦ بعضهم: من الحذر، وقال بعضهم: وإنا لجميع حاذرون، أي مؤذون،^٧ أي مُقوون، أي معنا أداة أصحاب الحرب، والمُقوَى الذي دابته قوية. وقال بعضهم: حاذرون، أي مستعدون للحرب. وقال بعضهم: حاذرون، لما حدث لهم من الخوف، والحذر للحال حذر المعاودة، أي حذروا أن يعودوا إليهم. وحذرون، أي كنا [و] لم نزل منهم على حذر. وقال أبو معاذ: حاذرون، مؤذون من الأداة، أي تأم [وا] السلاح.

وفي خروج موسى ببني إسرائيل مع كثرتهم على ما ذكر أنهم كانوا ستمائة ألفٍ من بين أظهرهم^٨ فصاعداً من غير أن علم القبط بذلك آيةً عظيمة، إذ لا يقدر نَقْرُ الخروج من محلة أو ناحية إلا ويعلم أهلها بخروجهم. ففي ذلك كان^٩ آية عظيمة حيث خرجوا من بينهم من غير أن علم أحد منهم بذلك.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٥٧] ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [٥٨] ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [٥٩] ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مَشْرِقِينَ﴾ [٦٠]

وقوله:^{١٠} فأخرجناهم، يعني فرعون وقومه، من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم، أي حسن. كذلك وأورثناها بني إسرائيل فاتبعوهم مشرقين، أي تبع فرعون وقومه حين شرقت الشمس،

^١ ن + أي لغائظون.

^٢ ع: في الخل.

^٣ ر ع م - بنا.

^٤ ن: قوله.

^٥ انظر: حجة التمرات لابن رُبَيْلَة، ٥١٧-٥١٨.

^٦ ع: وقال.

^٧ وأداة على كذا يُؤديه إيداء: فَوَّاه عليه وأعانه. ومن يُؤديني على فلان: أي من يُعينني عليه؛ يقال: آدني عليه، بالمد، أي قوِي. ورجل مؤدٍ: تأم السلاح كامل أداة الحرب؛ وفي حديث الأسود بن يزيد في قوله تعالى: وإنا لجميع حاذرون، قال: مُقوون مؤذون، أي كاملو أداة الحرب (لسان العرب، «أدو»).

^٨ ر ع م - من بين أظهرهم.

^٩ م: لكان.

^{١٠} ن: قوله.

أي طلعت. ومشرقين، أي كانوا في الشمس،^١ أي قوم موسى صاروا في الشمس، يقال: أشرقوا،^٢ إذا صاروا فيها.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [٦١] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي

سَيَهْدِينِ﴾ [٦٢]

وقوله: ^٣ فلما تراء الجمعان، جمع موسى وجمع فرعون، أي إذا رأى^٤ بعضهم بعضا قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال موسى: كلاً إن معي ربي سيهدين. كأن قوم موسى لم يعلموا بالبشارة التي بشرها الله موسى أنهم لا يدركونكم،^٥ وهو ما قال: لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى،^٦ أي لَا تَخَافُ دَرْكَهُمْ وَلَا تَخْشَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، لذلك قالوا: إنا لمدركون، وكانت البشارة لهم جميعاً^٧ لا لموسى خاصة. يدل على^٨ ذلك قول موسى: كلاً إن معي ربي سيهدين، على إثر قولهم: إنا لمدركون، أي^٩ كلاً إنهم لا يدركونكم.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [٦٣]

وقوله: ^{١٠} فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق، أي انشق. كذلك ذكر في حرف ابن مسعود: ^{١١} فانشق، فكان كل فرق كالطود العظيم، أي كاجبل العظيم، والطود واحد وأطواد^{١٢} جماعة.

^١ م + أي كانوا في الشمس.

^٢ جميع النسخ: أشرقنا.

^٣ ن: قوله.

^٤ جميع النسخ: تراءى.

^٥ ر م: لا يدركون؛ ع: لا يدركونكم.

^٦ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعَادِي فَاسْتَرَبْتُمْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (سورة طه، ٧٧/٢٠).

^٧ ر م - جميعا.

^٨ ر ع م - على.

^٩ ن - أي.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ورد في قراءة ابن مسعود أنه قرأ: فكان كل "فريق" بدل "فرق"، انظر: كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٨. لم يتمكن من العثور على رواية لقراءة "فانشق".

^{١٢} ع: وطواد.

﴿وَأَرْزَلْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ﴾ [٦٤]

وقوله: ^١ وأرزلنا تَمَّ الْآخِرِينَ، قال الحسن: أرزلنا، أي أهلكتنا، تَمَّ الْآخِرِينَ. وقال بعضهم: جمعنا، ومنه قيل: ليلة المزدلفة، أي ليلة الازدلاف وهو الاجتماع. ^٢ وكذلك قيل للموضع: ^٣ جمع. فإن كان التأويل هذا ففيه دلالة أن الله تعالى في فعل العباد صنعا وتدبيراً، لأنه أضاف الجمع إليه وهم إنما كانوا خرجوا للمعصية، ^٤ فدل ذلك أنه على ما ذكرنا.

وقال بعضهم: وأرزلنا تَمَّ الْآخِرِينَ، أي أذنبنا وقربناهم. ومنه: أرزلك الله، أي قربك الله. ويقال: أرزني كذا عند فلان، أي قربني منه. والرُّزْفُ المنازل والمرابي، لأنها تدنو بالمسافر. ومنه: وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ، ^٥ أي أدنيت وقربت، وكذلك قال أبو عؤسجة والقتبي. ^٦

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [٦٥] ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ [٦٦]

وقوله: ^٧ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أعرفنا الْآخِرِينَ، الآية ظاهرة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٦٧]

وقوله: ^٨ إن في ذلك لآية، أي في إهلاك ^٩ فرعون وقومه وإنجاء موسى ومن معه مُتَّعِظٍ ومَرَّجِرٍ لمن بعدهم حيث رأوا أنه أهلك الأعداء وأبقى الأولياء.

وقوله: ^{١٠} وما كان أكثرهم مؤمنين، هذا يحتمل وجوها. قال بعضهم: لم يكن أكثر أهل ^{١١} مصر بمصدقين بتوحيد الله، إذ لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعددوا في الدنيا. ولكن غير هذا كأنه أشبه،

^١ ن: قوله.

^٢ ع: في الجماعة.

^٣ أي للزدلفة.

^٤ ر ع م: الله.

^٥ أي إن فرعون وقومه كانوا خرجوا لقتل موسى عليه السلام وقومه المؤمنين، وهذا فعل معصية. فأضاف الله تعالى هذا الفعل بقوله ﴿وَأَرْزَلْنَا﴾ إلى نفسه، فكان هذا دليلاً على أن الله صنعا في أفعال العباد، خيراً كان أو شراً. وهذا رد على المعتزلة.

^٦ سورة الشعراء، ٩٠/٢٦.

^٧ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٧-٣١٨.

^٨ ن: قوله.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} جميع النسخ: هلاك.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ع + أكثر.

أي لو لم يهلكهم^١ الله تعالى ولكن أبقاهم لم يؤمن أكثرهم. وقال بعضهم: وما كان أكثرهم من بني إسرائيل، مؤمنين، أي لم يدم أكثرهم على الإيمان بل ارتد أكثرهم من بعد ما أُنجاهم، حيث قالوا لموسى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.^٢ **وَأَنَّهُ أَعْلَمُ.**

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦٨]

وقوله:^٤ وإن ربك هو العزيز الرحيم، المنتقم من فرعون وقومه، الرحيم بموسى ومن معه من المؤمنين. هذا في هذا الموضع يستقيم: أن يُصْرَفَ تأويل العزيز إلى الأعداء والرحيم إلى الأولياء؛ كل حرف من ذلك إلى الفريق الذي يستوجب ذلك: الرحمة إلى المؤمنين والنقمة إلى الأعداء.

﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [٦٩]

وقوله: واطل عليهم نبأ إبراهيم، أي أتل على أهل مكة نبأ إبراهيم وخبره، لأنهم كانوا من أولاد إبراهيم ومن نسله وهم يقلدون^٥ آباءهم في عبادتهم الأصنام. وإبراهيم^٦ وبعض^٧ أولاده إسماعيل وإسحاق وهؤلاء كانوا مسلمين عبّاد رب العالمين لا عبّاد الأصنام، فهلا اتبعوا إبراهيم ومن كان معه على دينه من آبائهم دون من اتبعوا^٨ من عبد الأصنام. يُسَفِّهَ أحلامهم في عبادتهم الأصنام^٩ وتقليدهم أولئك الذين عبدوا من آبائهم الأصنام/ وتزكهم تقليد من لم يعبدها وعبد الله. [٥٤:٥٥]

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [٧٠] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَاكِفِينَ﴾ [٧١]

ثم قول إبراهيم حيث قال: [إذ قال] لأبيه وقومه ما تعبدون، يحتمل قوله: ما تعبدون، أي ماذا تعبدون،^{١٠} على ما ذكر في آية أخرى: مَاذَا تَعْبُدُونَ أَفْكَأ.^{١١} ويحتمل ما تعبدون،

^١ ع + يكن.

^٢ ر: لم يهلكهم.

^٣ سورة الأعراف، ١٣٨/٧.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر ع م + في.

^٦ ع + فهلا اتبعوا إبراهيم ومن كان معه.

^٧ ع: في بعض.

^٨ ع: عبد.

^٩ ع - الأصنام.

^{١٠} ر ع م - أي ماذا تعبدون.

^{١١} ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَفْكَأ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ﴾ (سورة الصافات، ٨٥/٣٧ - ٨٦).

أي من تعبدون؟ فقالوا: نعبد أصناما فنظل لها عاكفين، أي نقيم لها عابدين، أي ندعم على عبادتها. والعكوف على الشيء هو الإقامة عليه والدوام [له].

قال أبو معاذ النحوي: [لفظ] ظل، لا يقال إلا بالنهار، ومحال أن يقال: ظل ليلته^١ يصنع كذا، ولكن^٢ يقول: بات ليله. ومنه الحديث: «ظل نهاره صائما وبات ليله قائما»^٣.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [٧٢]

ثم قال^٤ يبين سفههم: هل يسمعونكم إذ تدعون، يحتمل قوله: هل يسمعونكم، أي هل يحييونكم إذ تدعونهم. ويحتمل: هل يسمعونكم، على السماع^٥ نفسه، أي هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم، كقوله: إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ^٦ الآية. وقوله: إذ تدعون، يحتمل تعبدون، ويحتمل الدعاء نفسه، وإن كان على العبادة^٧ فلا يحتمل تأويل السماع.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [٧٣] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [٧٤]

وقوله^٨: أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ، وهل يقدر على نفعكم وضرركم إن أرادوا ذلك بكم وشاءوا؟ أو أن يكون ما ذكر أهل التأويل: هل ينفعونكم إن عبدتموها وأطعتموها، أو يضررون إن عصيتموها وتركت عبادتها؟ فبُهِتُوا ولم^٩ يقدروا على الجواب له سوى ما ذكروا من تقليد آبائهم في ذلك فقالوا: بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون. لَمَّا عرفوا أن تلك التي عبدوها لا تملك^{١٠} صَرًّا ولا نفعًا، لكنهم عبدوها تقليداً لآبائهم لما وقع عندهم أن آبائهم ما عبدوها إلا بأمر،

^١ ر: ليلة.

^٢ جميع النسخ: حتى.

^٣ ع - ليله قائما.

^٤ ر ع م - ثم قال.

^٥ ع: على السماء.

^٦ ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرَكُمْ وَلَا يُؤْتِنُكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ (سورة فاطر، ١٤/٣٥).

^٧ ر ع م: العادة.

^٨ ن: قوله.

^٩ ع: أو لم.

^{١٠} ر م: لا يملك.

إذ لو لم يكن ذلك بأمر لتركوا^١ [عبادتها]. لكن قد ذكرنا^٢ أن في آباؤهم من لم يعبدها قط ثم لم يقلدوهم، فكيف قلّدوا أولئك؟ دل أن الاعتلال^٣ فاسد.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [٧٥] ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ [٧٦] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٧] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [٧٨] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيُسْقِينِ﴾ [٧٩] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [٨٠] ﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [٨١] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [٨٢]

وقوله:^٤ أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم الأقدمون. ثم قال:^٥ إنهم وآباءهم الذين عبدوا الأصنام من قبل عدو له إلا رب العالمين. استثنى رب العالمين.^٦ [واختلف في تأويل الاستثناء] قال بعضهم:^٧ عدو لي وأنا بريء منهم إلا أن يكون منهم^٨ من يعبد رب العالمين. فيكون على الإضمار، أي فإنهم جميعا عدو لي إلا من عبد رب العالمين. وقال بعضهم: يقول: إن العابد والمعبود كلهم عدو لي إلا رب العالمين، أي إلا المعبود بالحقيقة الذي يستحق العبادة فإنه ولتي.^٩ وقال بعضهم: ليس على الاستثناء ولكن على الابتداء، كأنه قال: أنتم وأباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي ولكن رب العالمين^{١٠} الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين. ذكر هذا لهم لأن^{١١} الإله المستحق للعبادة هو هذا الذي يصنع هذا وهو المالك للنعف ورفع الضرر^{١٢} لا الأصنام التي عبدتم أنتم وأباؤكم.

^١ جميع النسخ: ما تركوا.

^٢ ر م: ذكر.

^٣ ع: الاعتلال.

^٤ ن: قوله.

^٥ أي إبراهيم عليه السلام.

^٦ ع + فيكون الإضمار أي فإنهم جميعا عدوا لي.

^٧ جميع النسخ: يقول هم؛ الزيادة والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٦ و٥.

^٨ جميع النسخ: فيكم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٦ و٥.

^٩ جميع النسخ: ولي.

^{١٠} جميع النسخ: ولكن فيكم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٦ و٥.

^{١١} جميع النسخ: أن.

^{١٢} م: الضر.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [٨٣]

وقوله: ^١ رب هب لي حكما، قال بعضهم: فهما وعِلما. وجائز أن يكون إبراهيم سأل ربه الإبقاء على الحكم إذ كان قد أعطاه العلم والحكم، كقوله: إهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. ^٢ أو سأل الزيادة على ما أعطاه، كقوله: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا. ^٣ ويحتمل أن يكون سأل ربه قبول حكمه في الخلق ورفع الحرج له عن قلوبهم على ما ذكر في حكم رسول الله حيث قال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ^٤ الآية.

وقوله: ^٥ وألحقني بالصالحين، أي توفني على ما توفيت الصالحين حتى ألحق بهم. هذا -والله أعلم- معنى سؤاله ^٦ الإلحاق بالصالحين أن يتوفاه على الذي توفى أولئك وهو الإسلام ليلحق بهم. والله أعلم.

﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [٨٤]

وقوله: ^٧ واجعل لي لسان صدق في الآخرين، أي اجعل لي الثناء الحسن في الناس. وكذلك كان ^٨ إبراهيم صلوات الله عليه، [كان] جميع أهل الأديان على اختلافهم قد انقادوا له وانتسبوا إليه وادّعوا أنهم على دينه وأن دينه هو الذي هم عليه، ليس من أهل ملة ^٩ إلا وهم يتولونه.

﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [٨٥]

وقوله: واجعلني من ورثة جنة النعيم، أي اجعلني باقيا من بعد موتي في جنة النعيم، إذ ^{١٠} الوارث هو الباقي عن الموروث. وكذلك تأويل قوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، ^{١١}

^١ ن: قوله.

^٢ سورة الفاتحة، ٦/١.

^٣ سورة طه، ١١٤/٢٠.

^٤ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء، ٦٥/٤).

^٥ ن: قوله.

^٦ ر ع م: هوأله.

^٧ ن: قوله.

^٨ ع: أتى.

^٩ ر ع م - كان.

^{١٠} م: مكة.

^{١١} ر ع: إذا.

^{١٢} ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ (سورة مريم ٤٠/١٩).

أي نبقى بعد فناء أهلها، إذ الوارث هو الباقي. فعلى ذلك قول إبراهيم [أن] اجعلني من الباقيين في جنة النعيم. والله أعلم.

﴿وَاعْفِرْ لِأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [٨٦]

وقوله: ^١ واعفِرْ لِأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، لا يحتمل ^٢ أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه -والله أعلم- على ما ذكر في ظاهر الآية واعفِرْ لِأَيِّ فَإِنَّهُ مِنَ الضَّالِّينَ يطلب من ربه المغفرة له لأنه من الضالين، ^٣ لأنه لا يجوز له أن يدعو^٤ له وهو كذلك. لكن كان من إبراهيم الاستغفار له، فأخبر الله له أنه من الضالين، فيكون هذا الثاني إخباراً من الله لإبراهيم أنه من الضالين، والأول قول إبراهيم.

وكذلك قال بعض أهل التأويل في قصة بلقيس حيث قالت: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً، فصدقها الله تعالى في مقالتها وقال: وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ،^٥ يجعلون قوله: وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، تصديقا من الله لها لا قول تلك المرأة. ومثال ذلك كثير في القرآن، [٥٤:٥] يكون بعضه مفصولا من بعض، كقوله: ^٦ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ،^٧ قوله: وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ، مفصول من قول: لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ، لا وضل بينهما. فعلى ذلك دعاء إبراهيم يحتمل أن يكون قوله: واعفِرْ لِأَيِّ، مفصولا من قوله: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ. هذا جائز أن يكون إخباراً^٨ من الله لإبراهيم حين دعا له بالمغفرة أنه من الضالين. وجائز أن يكون قوله: واعفِرْ لِأَيِّ، أي أعط له ما به يغفر من خطاياهم^٩ وهو التوحيد، فيكون سؤاله سؤال التوحيد والتوفيق على ذلك، إذ به^{١٠} يغفر ما يغفر من الخطايا، كقوله: إِنَّ يَنْتَهُوا يُعَفِّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.^{١١}

^١ ن: قوله.

^٢ ن: ويحتمل.

^٣ ر م - يطلب من ربه المغفرة له لأنه من الضالين.

^٤ ر ع: أن يدعو.

^٥ سورة النمل، ٢٧ / ٣٤.

^٦ ر ع م - لا.

^٧ ر ع م - كقوله.

^٨ ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ (سورة القيامة، ١٤/٧٥-١٦).

^٩ ع: إخبار.

^{١٠} ن: من الخطايا + كقوله.

^{١١} جميع النسخ: وبه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٦.

^{١٢} ن - كله كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. سورة الأنفال، ٨/٣٨.

وعلى ذلك يخرج دعاء هود لقومه حيث أمرهم أن يستغفروا ربهم، وهو قوله: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،^١ أي توبوا إليه^٢ وأسلموا له. طلب منهم ابتداء الإسلام إذ لا يحتمل أن يقول لهم قولوا: أستغفر الله، ولكن أمرهم أن يأتوا ما به يغفر لهم وهو التوحيد. وكذلك قول نوح: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.^٣

وقول أهل التأويل: إن إبراهيم كذب ثلاثا، كلام لا معنى له، لا يحتمل أن يكون الله يختاره ويجعل رسالته في الذي يكذب بحال [من الأحوال].

﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [٨٧]

وقوله: ^٤ وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، قال أهل التأويل: لَا تُخْزِي، أي لا تعذبي يوم يبعثون. وكان الإحزاء هو العذاب الذي يهتك البستر على صاحبه فسأله أن لا يهتك البستر عليه لما خاف أن كان منه ما يهتك البستر عليه فسأل ربه ذلك، إذ العصمة لا ترفع عن أصحابها الخوف بل كلما عظمت العصمة كان الخوف أشد، لأن الأنبياء صلوات الله عليهم كان خوفهم أشد على دينهم وأنفسهم من غيرهم. ثم الأمثل فالأمثل بهم كذلك أشد خوفا منهم ممن هو دونهم. ألا ترى إلى قول إبراهيم حيث قال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،^٥ وقال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،^٦ ومثله كثير.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [٨٨] ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [٨٩]

وقوله: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، لا ينفع ويضر، لا يكون في نفي النفع دفع الضرر، كقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.^٧ وكقوله:

^١ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).

^٢ ر ع م - أي توبوا إليه.

^٣ سورة نوح، ١٠/٧١.

^٤ ن: قوله.

^٥ ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ٣٥/١٤).

^٦ ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ (سورة يوسف، ١٠١/١٢).

^٧ ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ (سورة البقرة، ١٢٣/٢).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ،^١ وكذلك قوله: لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا،^٢ وقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،^٣ وقوله: يَوْمَ الْمُنْجَرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ،^٤ وقوله: فَإِذَا تَفَحَّ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.^٥

وفي ظاهر ما استثنى من الآية دلالة [على] أنه ينفع المال والبنون إذا أتوا بقلب سليم حيث قال: لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ويشبه أن يكون كذلك ينفعهم أموالهم^٦ وأولادهم إذا أتوا ربهم بقلوب سليمة^٧ لما استعملوا^٨ أموالهم في الطاعات وأنواع القرب وعلموا^٩ الأولاد الآداب الصالحة والأخلاق الحسنة فينفعهم ذلك يومئذ، كقوله: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالْبَالِي تَقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا رُفْقَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الصَّغْفَرِ بِمَا عَمِلُوا،^{١٠} أخبر أنهم إذا آمنوا وتابوا تقربهم^{١١} أموالهم^{١٢} وأولادهم عنده.

وجائز أن يكون على غير ذلك، أي لا ينفع مال ولا بنون وإنما ينفع من أتى ربه بقلب سليم. والقلب السليم هو السالم عن الشرك أو السليم عن الآفات والذنوب، والخالص لربه، لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا. وشرط فيه إتيانه ربه [ب]ما ذكر ليُعلم أنه ما لم يقبض^{١٣} [روحه] على السلامة والتوحيد لا ينفعه ما كان منه من قبل من الطاعات إذا لم يقبض على التوحيد. وكذلك شرط في الحسنات الإتيان فقال: من جاء بالحسنة فله كذا،^{١٤} ولم يقل: من عمل بالحسنة، وهو ما ذكرنا أن يخرج من الدنيا على التوحيد ولا يُفسد ما عمل من الحسنات. والله أعلم.

^١ سورة المائدة، ٣٦/٥.

^٢ سورة لقمان، ٣٣/٣١.

^٣ سورة عبس، ٣٤/٨٠.

^٤ سورة المعارج، ١١/٧٠-١٢.

^٥ سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣.

^٦ ر ع م - أموالهم.

^٧ ر: بقلب سليم؛ ع: بقلوب سليم.

^٨ ع: ما استعملوا.

^٩ ع: وعلمو.

^{١٠} سورة سبأ، ٣٧/٣٤.

^{١١} م: يقربهم.

^{١٢} ر ع م: أحوالهم.

^{١٣} جميع النسخ: لم يقبض.

^{١٤} سورة الأنعام، ٦/١٦٠؛ وسورة القصص، ٨٤/٢٨.

﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٩٠] ﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [٩١]

وقوله^١ وأزلت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين، يحتمل قوله: وأزلت، وبرزت، أي تُزَلَّف وتَبْرَز. أو أن يقال: يومئذ وأزلت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين.^٢ وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وأبي: وَقُرِبَتِ الْجَحِيمُ لِلضَّالِّينَ^٣ وفي هذه القراءة^٤ الظاهرة: وَبُرَزَتِ [معنى] أَظْهَرَتْ.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [٩٢] ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [٩٣]

وقوله^٥ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا، أي ثم يقال لهم: أين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا، هل ينصرونكم ويمنعونكم من عذاب الله أو ينتصرونهم من العذاب، لأنهم يُطرحون جميعاً: العابد والمعبود في النار، كقوله: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ [أَنْتُمْ مَهَا وَارِدُونَ].^٦ وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم كانوا يقولون في الدنيا: هُوَ لَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ،^٧ وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى،^٨ فيقال لهم مقابل ذلك في الآخرة: هل ينصرونكم، الآية.

﴿فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ ابْتِغَاءُ مَا نَحَبُّهُ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ [٩٤] ﴿وَلِجَاهِ مَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ابْتِغَاءُ مَا نَحَبُّهُ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ [٩٥]

وقوله^٩ فكتبوا فيها هم والغاؤون، قال / الزجاج: هو من كت، أي كُتِبُوا، لكن ذكر كُتِبُوا على التكرار والإعادة مرة بعد مرة، أي يُكْتَبُونَ ثم يُكْتَبُونَ^{١٠} لم يزل عملهم ذلك، أو كلام نحو هذا.^{١١} وقال القتيبي: فكتبوا فيها، [أي] ألقوا على رؤسهم وقذفوا. وأصل الحرف "كُتِبُوا"،^{١٢} من قولك:^{١٣}

^١ ن: قوله.

^٢ ر ع م - يحتمل قوله وأزلت وبرزت أي تزلف وتبرز أو أن يقال يومئذ وأزلت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين.

^٣ ع: الضالين. ورد في كتاب المصاحف للسجستاني أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ: "وأزلت" بدل "وأزلت"، ٦٨.

^٤ ر ع: المقرات.

^٥ ن: قوله.

^٦ سورة الأنبياء، ٩٨/٢١.

^٧ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

^٨ سورة الزمر، ٣/٣٩.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر ع م - ثم يكتبون.

^{١١} معاني القرآن للزجاج، ٩٤/٤.

^{١٢} ر ع م: كجوا.

^{١٣} جميع النسخ: من ذلك.

كَبِئَتْ الْإِنَاءُ، فأبدلت مكانَ الباءِ [الوسطى] الكافُ،^١ وهو الطرح والإلقاء على الوجه. يقال: كَبَبْتُهُمْ، أي طرحتهم في النار أو في البئر. هو من قوله: فَكَبَّبْتُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.^٢ والغاوون، قيل: الضالون، يقال: غَوَى يَغْوِي غَوًى وَغَوَايَةً فهو غاوٍ، أي ضلَّ، وهو قول^٤ أبي عَوسَجَةَ والقُتَيْبِي. وقال أبو^٥ معاذ: فَكَبَّبُوا أصله كُبُّوا،^٦ وقال بعضهم: جُمِعُوا فيها.

وجنود إبليس أجمعون،^٧ قال بعضهم: الغاوون هم الشياطين،^٨ وجنود إبليس^٩ ذريته، أي الشياطين الذين أضلوا بني آدم، وهو قول قتادة.^{١٠} وقال بعضهم: الغاوون هم كفار الجن، وجنود إبليس هم الشياطين. وقال بعضهم: الغاوون هم^{١١} الأئمة من الكفار، وجنود إبليس سائر الكفار، أي^{١٢} أتباعهم وذريتهم. والله أعلم.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [٩٦] ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٩٧] ﴿إِذْ نُسَوِّبِكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٩٨]

وقوله:^{١٣} قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ، ذكر أنهم يختصمون في النار ولم يذكر^{١٤} فيم تكون^{١٥} خصومتهم. فحائز أن تكون^{١٦} خصومتهم ما ذكر في آية أخرى: يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،^{١٧} إلى آخر ما ذكر، وقوله:

^١ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٨.

^٢ سورة النمل، ٩٠/٢٧.

^٣ م - يغوي.

^٤ ن: وقول.

^٥ ع - أبو.

^٦ جميع النسخ: كبا. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٨.

^٧ ع + قال بعضهم: الغاوون هم الأئمة من الكفار.

^٨ ر ع م: الشيطان.

^٩ ع + سائر الكفار.

^{١٠} انظر: تفسير الطبري، ٨٨/١٩؛ وتفسير القرطبي، ١١٦/١٣.

^{١١} ن - هم.

^{١٢} ر ع م - أي.

^{١٣} ن: قوله.

^{١٤} ر: لم يذكر.

^{١٥} جميع النسخ: يكون.

^{١٦} جميع النسخ: يكون.

^{١٧} سورة سبأ، ٣٤/٣١-٣٣.

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،^١ الآية، وقوله: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،^٢ الآية وأمثاله من المجادلات التي تجري فيما بين الأتباع والمتبوعين. وقال بعضهم: اختصاصهم ما ذكر على إثره حيث^٣ قال: تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين، الآية.^٤ هذه هي^٥ محاصمتهم.

وقوله: تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين، فإن^٦ كان قولهم هذا للأصنام التي عبدوها وذلك في تسميتهم آلهة وجعلهم العبادة لها، [فهم] يسوونها برب العالمين في التسمية والعبادة. وإن كان قولهم هذا للشياطين فهو في اتباعهم أمرهم ودعائهم^٨ الذي دعوهم،^٩ وإلا لا أحد من الكفرة يقصد قَصْدَ عبادة الشيطان أو يسميه إلهًا، ولكن على ما ذكرنا من متابعتهم أمرهم. وفي حرف ابن مسعود: إذ نسويكم برب العالمين إذ كنا نُشرككم برب العالمين. وقال بعضهم: إذ كنا نطيعكم كما نطيع رب العالمين، وقال بعضهم: إذ نَعْبُدُكم برب العالمين. وبعضه قريب من بعض.

﴿وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [٩٩]

وقوله: وما أضلنا إلا المجرمون، أي ما أضلنا^{١٠} إلا أولنا. وكذلك ذكر^{١١} في حرف ابن مسعود: وما أضلنا إلا الأولون. وتأويل هذا أنهم لما رأوا الأولين تُركوا على ما كانوا عليه من الكفر والشرك ولم يعدّوا في الدنيا ولا أصابتهم نقمة ظنوا أنهم أمروا بذلك،^{١٢} وهو ما ذكر في آية أخرى: وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً قَالُوا وَبَدَدْنَا عَلَيْنَهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.^{١٣}

^١ سورة ص، ٦١/٣٨.

^٢ سورة الأعراف، ٣٨/٧.

^٣ ر ع م - حيث.

^٤ ع - الآية.

^٥ ر ع م - هي.

^٦ ن: قوله.

^٧ ع + فإن.

^٨ جميع النسخ: ودعاهم.

^٩ ع - دعوهم.

^{١٠} ن: ما أضلانا.

^{١١} ر ع م - ذكر.

^{١٢} ن ع + ورضي الله عنهم بذلك.

^{١٣} سورة الأعراف، ٢٨/٧.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [١٠٠] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [١٠١]

وقوله: ^١ فما لنا من شافعين، لأنهم قالوا: هُوَ لَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، ^٢ فلم يشفعوا لهم، [فقال الأتباع لهم: فما لنا من شافعين]، ^٣ أي ليست لنا شفعاء يشفعون. ولو كانت لهم شفعاء لا تنفعهم شفاعتهم، على ما قال: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، ^٤ وهو ما قال: لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ، ^٥ ليس أنه [لو] كان ينفعهم ذلك، ^٦ فعلى ذلك هذا.

وقوله: ^٧ ولا صديق حميم، الحميم القريب، أي ليس لهم حميم يهتم ^٨ بأمرهم.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٠٢]

وقوله: ^٩ فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين. قوله: ^{١٠} فلو أن لنا كرة، أي لو أن لنا رجعةً إلى [دار] المحنة فنكون من المؤمنين. فأخبر الله أنهم لو رُدوا لعادوا، بقوله تعالى: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ. ^{١١} وقد ذكرناه.

﴿إِن فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٠٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٠٤]

وقوله: ^{١٢} إن في ذلك لآية، ما ذكرنا من الأخبار والأنباء لآية وعبرة لمن اعتبر. وما كان أكثرهم مؤمنين. قال بعضهم: لو كان أكثرهم مؤمنين ما عذبوا في الدنيا. وجائز أن يكون لو ردوا إلى المحنة التي سألوا الرجعة إليها ما كان أكثرهم مؤمنين. وجائز أن يكون نفر منهم. وإن ربك هو العزيز الرحيم، قد ذكرناه.

^١ ن: قوله.

^٢ سورة يونس، ١٠/١٨.

^٣ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٤٧ و٥.

^٤ سورة الممتثر، ٤٨/٧٤.

^٥ سورة الرعد، ١٣/١٨.

^٦ ر ع م - ذلك.

^٧ ن: قوله.

^٨ ن: بهم.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} جميع النسخ: وقوله.

^{١١} سورة الأنعام، ٦/٢٨.

^{١٢} ن: قوله.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٠٥]

وقوله: ^١ كذبت قوم نوح المرسلين، ذكر "كذبت" بالتأنيث على إضمار جماعة كأنه قال: ^٢ كذبت جماعة قوم نوح، وإلا "القوم" يُذكَرُ ولا يُؤنَّث. ^٣ وقوله: المرسلين، لأن من كذب رسولا من الرسل فقد كذب الرسل جميعا، لأن كل رسول يدعو الخلق إلى الإيمان بجميع الرسل. وبعد فإن نوحا كان يدعو قومه إلى الإيمان بالرسل الذين يكونون^٤ بعده، لذلك قال -والله أعلم- كذبت قوم نوح المرسلين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [١٠٦]

وقوله: ^٥ إذ قال لهم أخوهم نوح، قال أهل التأويل: كان أخاهم في النسب وليس بأخيهم في الدين. ^٦ {قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: { إن الله تعالى سمي الناس جميعاً "بني آدم" بقوله: يَا بَنِي آدَمَ، ^٧ على بعدهم من آدم، فيجوز أيضا تسميتهم إخوة على بُعد بعضهم من بعض. وقوله: ^٨ أَلَا تَتَّقُونَ نعمة الله، / وعذابه في مخالفتكم أمره ونهييه. أو يقول: أَلَا تَتَّقُونَ عبادة غير الله وطاعة من دونه.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٠٧]

وقوله: ^٩ إني لكم رسول أمين، هذا يخرج على وجهين. أحدهما، أي كنت ^{١٠} أمينا فيكم قبل هذا [كنتم] تصدقوني في جميع ما أخبرتكم وأنبأتكم، فما بالكم لا تصدقوني الآن

^١ ن: قوله.

^٢ م - قال.

^٣ ر ع م: ويؤنث.

^٤ ر: كأن.

^٥ ع: يدعوا.

^٦ أي يأتون.

^٧ ن: قوله.

^٨ ر ع م - في الدين.

^٩ ر م - جميعا.

^{١٠} ر م - بقوله يا بني آدم. (سورة الأعراف، ٢٦/٧، ٢٧، ٣١، ٣٥).

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ن: كتب.

إذا أخبرتكم أني رسول الله إليكم؟ والثاني يقول: إني لكم رسول أمين، ائتمني الله وجعلني أمينا على وحيه، فأبلغكم الرسالة وأؤذي الأمانة، شئتم أو أبيتم، قبلتم^١ أو لم تقبلوا، فلا أخافكم ما توعدونني بعد أن جعلني الله أمينا وائتمني^٢ على أمانته، كقوله: فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون.^٣

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٠٨]

وقوله: فاتقوا الله وأطيعوا، أي اتقوا نعمة الله وعذابه،^٤ أو اتقوا مخالفة الله في أمره ونهيه، وأطيعوا فيما أبلغكم عن الله وأدعوكم إليه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٠٩] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا﴾ [١١٠]

وما أسألكم عليه من أجر، أي لا أسألكم على ما أدعوكم إليه وأبلغكم أجرا أو شيئا^٥ يمنعكم ثقل ذلك عن الإجابة، ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم مؤنة فيما أدعوكم^٦ إلى^٧ عبادة الواحد. وعبادة الواحد^٨ أهون^٩ وأخف على أنفسكم من عبادة العدد.^{١٠} ولا أحملكم أيضا مؤنة تمنعكم^{١١} تحمل ذلك عن إجابتي. إِنْ أَجَرِيَ، أي ما أجرى، إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. فاتقوا الله وأطيعوا. فاتقوا الله ما ذكرنا، أي اتقوا نعمة الله وعذابه، واتقوا مخالفة الله في أمره ونهيه، وأطيعوا فيما أدعوكم إليه.

^١ ع - قبلتم.

^٢ ع: ائتمني.

^٣ يقول الله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قال إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ (سورة هود، ٥٤/١١-٥٦).

^٤ ن: وقضائه.

^٥ ر م: وشيئا.

^٦ ر ع م + إليه بل أدعوكم إليه.

^٧ ر ع م - وإلى.

^٨ ع - وعبادة الواحد.

^٩ ر: هون.

^{١٠} ر م + ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم مؤنة فيما أدعوكم إليه من عبادة العدد؛ ع + ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم من عبادة العدد.

^{١١} جميع النسخ: بمنعكم.

﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [١١١]

وقوله: ^١ قالوا أنتم لَكُمْ واتبعك الأردلون، يقولون أنصدقك ^٢ وإنما اتبعك الضعفاء منا والسفلة، من لا رأي لهم ولا تدبير؟ ولو كنت صادقاً لاتبعك الأشراف منا ^٣ والرؤساء. فكان في اتباع الأراذل له ومن ذكروا أعظم آية على الرسالة ^٤ من اتباع الأشراف، وذلك أن الأراذل من الناس هم أتباع لغيرهم لما يأملون من فضل مال ونيل منهم أو رياسة ومنزلة ^٥ تكون لهم، أو لفضل ^٦ بصر وحظ وعلم في الدين فيصيرون أتباعاً لمن كان عنده من هذه الخصال شيء. فالرسل صلوات الله عليهم حيث لم يكن عندهم أموال ولا طمع رياسة ولا منزلة اتبعهم الضعفاء والسفلة مع خوفهم ^٧ على أنفسهم من أولئك الأشراف من القتل والصلب لمخالفتهم ^٨ إياهم. فما اتبعوهم إلا لما تبين عندهم أنهم على حق وأن ما يدعون من الرسالة يدعون ^٩ صدقاً. ففي اتباع من ^{١٠} ذكرنا أعظم دلالة على صدق الرسل فيما ادعوا من الرسالة لو تأملوا وتفكروا ^{١١} في ذلك.

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١١٢] ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [١١٣]

وقول نوح: وما علمي بما كانوا يعملون، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: لم أكن أعلم أن الله ^١ يهديهم للإيمان والتوحيد من بينكم، يعني الضعفاء، ويدعكم لا يهديكم. ثم قال: إن حسابهم، أي ما جزاء هؤلاء الذين اتبعوني من الأراذل إلا على ربي لو تشعرون.

^١ ن: قوله.

^٢ جميع النسخ: نصدقك؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٦ و٥.

^٣ ر ع م - منا.

^٤ ر ع م: من الرسالة.

^٥ ع + اتبعهم.

^٦ ن: يكون.

^٧ ر م: أو الفضل.

^٨ ع + من الأشراف وذلك أن الأراذل من الناس هم أتباع لغيرهم لما يأملون من فضل مال ونيل منهم أو رياسة ومنزلة تكون لهم أو لفضل بصر وحظ وعلم في الدين فيصيرون أتباعاً.

^٩ جميع النسخ: خوف لهم.

^{١٠} ر ع م: لمخالفتهم.

^{١١} ر ع م - من الرسالة يدعون.

^{١٢} ع: ما.

^{١٣} جميع النسخ: التفكر.

^{١٤} ع + لا.

والثاني وما علمي بما كانوا يعملون، أي ما أنا بعالم بما^١ يعملون هم في السر وما ذلك علي. إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون، أي حسابهم عليه^٢ فيما يعملون في السر. فهذا يدل أن التأويل الأخير أشبه وأقرب من الأول. وكان من أولئك طعن في الذين آمنوا بأنهم يعملون في السر على خلاف ما أظهروا حتى قال لهم ذلك. وفي بعض القراءات: "لو يشعرون"، بالياء فهو راجع إلى المؤمنين الذين اتبعوه، يقول: حسابهم على الله فيما يعملون في السر، أي لو يشعرون ذلك لا يعملون^٣ في السر خلاف ما يعملون في العلانية. والله أعلم.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١١٤]

وقوله: وما أنا بطارد المؤمنين، قال أهل التأويل: إنهم سألوا نوحا أن يطرد أولئك الذين آمنوا به من الضعفاء حتى يؤمنوا هم به فقال عند ذلك: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا،^٤ الآية، وما أنا بطارد المؤمنين. وجائز أن يكونوا طعنوا في الذين آمنوا أنهم قالوا ذلك^٥ ظاهرا، وأما في السر فليسوا على ذلك، فقال نوح عند ذلك: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا، يدل على ذلك قول نوح حيث قال: وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا.^٦ هذا القول منه يدل على أن كان منهم طعن في أولئك^٧ الذين آمنوا به حيث وكل أمرهم إلى الله فقال: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ.^٨ والله أعلم.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [١١٥]

وقوله: ^٩ إن أنا إلا نذير مبين، قد ذكر^{١٠} فيما تقدم في غير موضع.

^١ ع - يعملون أي ما أنا بعالم بما.

^٢ جميع النسخ: عليهم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٦ و، حيث يقول: «أي ما ذلك علي، إنما حسابهم على الله فيما في السر.»

^٣ جميع النسخ: ولا يعملون؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٦ و.

^٤ سورة هود، ٢٩/١١.

^٥ ر م - ذلك.

^٦ ن + وما أنا بطارد المؤمنين.

^٧ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة هود، ٣١/١١).

^٨ ع - أولئك.

^٩ سورة هود ٣١/١١.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ع: ذكرنا.

﴿قَالُوا لئن لم تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [١١٦]

وقوله: ^١ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين، المرجوم ^٢ هو المقتول بالحجارة، وهو ^٣ أشد قتل، لذلك أوعدوه. وقال بعضهم: لتكونن من المشتومين باللسان. لكن الأول أقرب لأنه قد كان منهم الشتم له في كل وقت ^٤ فلا يحتمل الوعيد به. ثم دعا نوح عند ذلك فقال:

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونُ﴾ [١١٧] ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١١٨]

رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا، أي اقض بيني وبينهم قضاء، أي اقض عليهم بالعذاب والهلاك. ألا ترى أنه قال: ونجني ومن معي من المؤمنين، فدل سؤاله نجاة [٥٤٦] / نفسه ومن معه من المؤمنين على أن قوله: فافتح بيني وبينهم فتحا، أنه ^٥ سأل ربه هلاك من كذبه، وهو ما قال في قصة أخرى: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ، ^٦ الذي وعدت أنه ينزل بهم وهو العذاب، فعلى ذلك هذا.

ثم لا يحتمل ^٧ أن يكون هذا منه في أول تكذيب كان منهم، بل كان ذلك بعد ما آيس من إيمانهم لأنه لبث ^٨ فيهم ما قال الله تعالى: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. ^٩ وفي كل ذلك دعاهم إلى توحيد الله. وإنما دعا عليهم بالهلاك بعد ما أخبر الله تعالى عن أمرهم وإياسه عن إيمانهم فقال: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ. ^{١٠} وأذن ^{١١} له بالدعاء عليهم

^١ ن: قوله.

^٢ ع - المرجوم.

^٣ ر م: وهي.

^٤ ر ع م - له في كل وقت.

^٥ ر ع م - إنه.

^٦ سورة الأعراف، ٧/٨٩.

^٧ ن + له.

^٨ ع: ليس.

^٩ ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ (سورة العنكبوت، ١٤/٢٩).

^{١٠} ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تَبَتُّسْ بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ١١/٣٦).

^{١١} م: وأذن.

فعند ذلك دعا عليهم^١ بما دعا، إذ الأنبياء صلوات الله عليهم لا يدعون على قومهم بالهلاك إلا بإذن من الله في ذلك. ألا ترى^٢ أنه ذكر أنه عاتب يونس بالخروج من بينهم بلا إذن كان من الله له بالخروج من بينهم، فإذا عاتب هو بالخروج بلا إذن فلا يحتمل أن يدعو^٣ بالهلاك بلا إذن. والله أعلم.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [١١٩] ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ [١٢٠]

وقوله^٤: فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ، الفلك المشحون: قيل المملوء. قال أبو معاذ: والعرب تقول: شحنت السفينة فلم يبق إلا الدفع، وهو السَّوق. وتقول العرب: شحنا عليهم بلادهم خيلا ورجالا، أي ملأناها. وقال بعضهم: المشحون المحمَّر الذي قد فُرِّغ منه فلم يبق إلا دفعه، وهو واحد. وإنما شحنت^٥ بأصناف من الخلق، وإلا كان المؤمنون قليلي العدد وهو ما قال: فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ^٦، أخبر أنه أنجى من كان معه في الفلك المشحون وأهلك الباقين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٢١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٢٢]

وقوله^٧: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً، أي في نبيا نوح لآية^٨ لمن كان بعدهم. أو إن في هلاك قوم نوح وإغراقهم لعبرة لمن بعدهم. وما كان أكثرهم مؤمنين، إلى آخر القصة،^٩ قد ذكرنا.

^١ ر ع م - فعند ذلك دعا عليهم.

^٢ ر ن م: يرى.

^٣ ع: يدعوا.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر: أبوا.

^٦ ع + السفينة.

^٧ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (سورة هود، ٤٠/١١).

^٨ ن: قوله.

^٩ ع + لمن.

^{١٠} ر ع م: الآية.

^{١١} ر م: قصة.

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٢٣]

وقوله: ^١ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ، هو -والله أعلم- ما ذكرنا، ^٢ أي ^٣ كَذَّبَتْ جَمَاعَةً عَادُ الْمُرْسَلِينَ. وقوله: الْمُرْسَلِينَ ما ذكرنا أن كل رسول كان دعا قومه إلى الإيمان به وبجميع الرسل، فمن كذب واحدا منه فقد كذب الكل.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [١٢٤] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٢٥] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا عَمْرَأَهُ﴾ [١٢٦] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٢٧]

وقوله: ^٤ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ، هو كان أحاهم في النسب لأنهم جميعا ولد آدم على بُعد من آدم، فعلى ذلك هم إخوة فيما بينهم على بُعد بعضهم من بعض. وقوله: ^٥ أَلَا تَتَّقُونَ، يحتمل وجهين. أحدهما أَلَا تَتَّقُونَ نِقْمَةَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، أو أَلَا تَتَّقُونَ مَخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ وَمَنَاهِيهِ. إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فيما ائتمني الله وبعث على يدي إليكم هدايا فاقبلوا مني هداياه وأمانته. أو أن يكون ما ذكرناه من قبل. **والله أعلم.**

وقوله: ^٦ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا، ما ذكرنا. ^٧ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، أي أسعى في نجاتكم وتخليصكم من عذاب الله وما أسألكم على ذلك أجرا. وفي الشاهد لا يعمل أحد إلا ويطمع على ذلك منه أجرا، وأنا لا أسئلكم على ذلك أجرا فيمنعكم ذلك عن قبول ذلك مني. **إِنْ أَجْرِي، أي ما أجري، إلا على رب العالمين.**

﴿أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [١٢٨] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [١٢٩]

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [١٣٠]

وقوله: ^٨ أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ، هذا يحتمل وجوها. أحدها كأنهم

^١ ن: قوله.

^٢ انظر تأويل الآية ١٦٥ من هذه السورة في تأنيث كلمة "كذبت".

^٣ ر ع م + ما.

^٤ ن: قوله.

^٥ ن: قوله.

^٦ ن: قوله.

^٧ انظر تأويل الآية ١٠٧ من هذه السورة و ١٠٨.

^٨ ن: قوله.

كانوا يبنون بنيانا^١ لا حاجة لهم إلى ذلك البنيان ولا ينتفعون به، فهو عبث، لأن كل من بنى بناء أو عمل عملا لا ينتفع به^٢ ولا يحتاج إليه فهو عبث، لذلك سُمِّي ما بنوا عبثا.
والثاني جائز أن يكون ذلك المكان لهم كان مكان العبث والاجتماع للهو^٣ فبنوا على ذلك المكان فسماه عبثا لما لم يكن اجتماعهم في ذلك إلا للعبث واللهو.

والثالث أن يكون ذلك المكان مكانا يمر فيه الناس، فبنوا فيه أعلاما يُضَلُّون الناس بها لما يرون أنه طريق ولم يكن ذلك، فكان قصدهم بذلك البناء باطلا، وكل باطل عبث. والله أعلم.
وقوله: ^٤ لعلمكم تخلدون، ولا تموتون، أي تنفقون نفقة من يطمع أن يُخلد في هذه الدنيا، ليس نفقه^٥ من يموت ويرجو^٦ ثوابه وعاقبته. أو أن يكون قوله: لعلمكم تخلدون، لما وُتِع عليهم الدنيا ورُزِق لهم الدعة^٧ يحسبون أنهم يُخلدون، لأن^٨ من وُتِع عليه الدنيا ونال^٩ الدعة والسعة في هذه الدنيا يطمئن فيها ويسكن، وهو كما قال: يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ،^{١٠} فعلى ذلك الأول. والله أعلم.
وقوله: ^{١١} وإذا بطشتم بطشتم جبارين، كفى - والله أعلم - بالجبار الظالم والمعتدي،^{١٢} أي وإذا بطشتم بطشتم ظالمين.

والزريع هو المكان المرتفع.^{١٣} وقال بعضهم: هو الطريق. ومصانع، قال^{١٤} بعضهم: البنيان، وقيل: الحياض. وقال أبو عؤسجة: الزريع ما ارتفع من الأرض، وجمع الزريعة رِيعٌ، وجمع الزريع أرباع، وهما واحد. والزريع الزريح أيضا، تقول: أراع المال^{١٥} إذا ربحت عليه، وجمعه أرباع.

^١ ع: تبنون تبيانا.

^٢ م + ولا.

^٣ ر م: والاجتماع للسهو؛ ن: واجتماع اللهو.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر: بنفقة؛ ع: تنفقة؛ م: ينفقه.

^٦ ر ع: ويرجوا.

^٧ ر: ولأن

^٨ جميع النسخ: ويكون؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٤٨ و٥.

^٩ ن + كلا. سورة الهنزة، ٣/١٠٤.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ع: والمتعدي.

^{١٢} ر: ارتفع.

^{١٣} ع: وقال.

^{١٤} ر ع م - المال.

ومصانع هي^١ في موضعٍ قصورٌ وفي موضعٍ حياض، يجتمع فيها الماء، الواحد^٢ مَصْنَعَةٌ من كليهما.^٣ وقال: البطش الأخذ، يقال: بطشْتُ بفلان،^٤ أبطش بطشا، إذا أخذته وقبضت عليه. وقال القُتبي أيضا: الرِّيع الارتفاع من الأرض. والمصانع البناء، واحدها مَصْنَعَةٌ.^٥ فكان المعنى أنهم يستوثقون في البناء والحصون ويذهبون إلى أنها^٦ تُحْصِنُهُمْ من أقدار الله وقضائه. وهذا / يشبهه أن يكون ما ذكر، لأنه قال في آخره: **لعلكم تخلصون**، أي تبنون بناء كأنكم تخلصون ولا تموتون.^٧ وقال: **وإذا بطشتم بطشتم**، أي إذا ضربتم ضربتم^٨ بالسياط ضرب الجبارين وإذا عاقبتم قتلتم. وقال بعضهم: **بطشتم**، أخذتم بالظلم والاعتداء والاستحلال لما حرم الله. وقال أبو معاذ: وكل بناء مَصْنَعَةٌ. وفي حرف حفصة: وتبنون مصانع كأنكم خالدون. والآية العَلَم. وقال بعضهم: الرِّيع ما استَقْبَل الطريقَ من الجبال والظَّراب.^٩ وقال قتادة: كل تَشْتَر^{١٠} في الأرض.^{١١} وقال محمد بن^{١٢} إسحاق^{١٣}: إنهم كانوا إذا سافروا فلا تهتدون

^١ ر م - هي.

^٢ ر ع م: وموضع.

^٣ ر ع: الواحد.

^٤ ر ع م: من كلاهما. المَصْنَعَةُ والمَصْنَعَةُ: كالصُّنْع الذي هو الحوض أو شبه الصُّهْرِيح يُجْمَع فيه ماء المطر. والمصانع أيضا: ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها. وفي التنزيل: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، المصانع في قول بعض المفسرين: الأبنية، وقيل: هي أحباس تتخذ للماء، واحدها: مَصْنَعَةٌ ومَصْنَعٌ (لسان العرب، «صنع»).

^٥ ع: فلان.

^٦ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٨-٣١٩.

^٧ ر ع م: إلى أنهم.

^٨ جميع النسخ: كأنهم يخلصون ولا يموتون.

^٩ ر ع م - ضربتم.

^{١٠} الظَّراب، بكسر الراء: كل ما نتأ من الحجارة وخذَّ طَرَفُهُ؛ وقيل: هو الجبل المنبسط، وقيل: هو الجبل الصغير، وقيل: الزَّوَابِي الصغار، والجمع: ظرابٌ (لسان العرب، «ظرب»).

^{١١} ع: نشرب. التَشْتَرُ والتَّشْتَرُ: المَثْنُ المرتفع من الأرض، وهو أيضًا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ، والجمع أنشَارٌ ونُشُورٌ (لسان العرب، «نشز»).

^{١٢} انظر: تفسير الطبري، ١٩/٩٤؛ وتفسير القرطبي، ١٣/١٢٢-١٢٣.

^{١٣} ر - بن.

^{١٤} محمد بن إسحاق بن يسار، كنيته أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله، القرشي المطَّلبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، كان علامة حافظاً أخبارياً، رأى أنس بن مالك وروى عن كثير من التابعين، وروى عنه الكثير. تكلم فيه بعض المحدثين، لكن الأكثر على توثيقه لا سيما في السير. وهو من دون العلم. توفي سنة ١٥٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٧/٣٣-٥٥؛ وتهذيب التهذيب للابن حجر، ٩/٣٨-٤٦؛ وطبقات ابن سعد، ٧/٣٢١.

إلا بالنجوم فَبَتُوا القصور الطَّوَالِ عَبَثًا عَلَمَا بكل طريق يهتدون بها في طُرُقهم. وقال بعضهم: مصانع، أي مجالس ومساكن. لعلكم تخلصون ما بقيت مصانعكم. والجبار هو الذي يضرب^١ أو يقتل بلا حق [و] بلا خوف تَبِعَة في العاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٣١] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [١٣٢]

وقوله^٢: فاتقوا الله وأطيعوا، قد ذكرنا. وقوله^٣: واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم، قيل: أعطاكم، وهو من المَدَد، أي أعطاكم النعم تبعاً: واحدة بعد واحدة لا تنقطع.^٤ ثم هو يحتمل وجهين. أحدهما اتقوا كفران الذي أعطاكم النعم فلا توجهوا شكرها إلى من لم يُنعم عليكم ولم يُمدّها لكم وأنتم تعلمون، وهو عبادتهم الأصنام التي لا يقدرّون على إعطاء شيء من النعم. والثاني اتقوا نعمة الله^٥ الذي أعطاكم هذه النعم، فإن الذي قدر على إنعامها قدر على الانتقام منكم. وعلى التأويل الأول [فإن المعنى]: اتقوا كفرانها، فإن الذي قدر على إعطائها^٦ قدر على صرفها عنكم، على هذين الوجهين يخرج.^٧ والله أعلم.

﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ﴾ [١٣٣] ﴿وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٣٤] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [١٣٥]

ثم ذكر الذي أمدّه لهم من النعم فقال: أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون، هذا وغيره مما لا يحصى. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، قال بعضهم: إني أخاف، أي أعلم أن ينزل بكم عذاب يوم عظيم. وقال بعضهم: الخوف هاهنا هو الخوف نفسه، لأنه كان^٨ يرجو^٩ الإيمان منهم بعد فقال: إني أخاف عليكم العذاب إذا مُتُّم^{١٠} على هذا، فقالوا عند ذلك جواباً له:

^١ ر: يصرف.

^٢ ن: قوله.

^٣ ن: قوله.

^٤ ر: ولا تنقطع.

^٥ ر ع ن - الله.

^٦ ع - قدر على إعطائها.

^٧ ر ع م - يخرج.

^٨ ع: كانوا.

^٩ ر ع: يرجوا.

^{١٠} ر: أمتهم.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [١٣٦] ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ

الْأَوَّلِينَ﴾ [١٣٧] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [١٣٨]

سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، الوعظ^١ هو الإخبار عن عواقب الأمور من ترغيب وترهيب، أي سواء علينا تخوفنا العذاب أو لم تخوفنا لا نصدقك ولا نُحييك إلى ما تدعوننا إليه.

ثم قالوا: إن هذا إلا خُلُقُ الأولين، قيل فيه بوجه^٢. أحدها أي ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين، وما أتيت أنت وتدعوننا إليه هو حادث بديع. و"الخُلُقُ"^٣ يجوز أن يكنى به عن الدين، كقوله: لا تَبْدِيلَ لِحُلُقِ اللَّهِ^٤، أي لدين الله. وقال بعضهم: قوله: إن هذا، أي ما هذا الذي تقوله إلا كَذِبُ الأولين واختلاقهم، أي تكذب وتخلق^٥ كما اختلق الذين كانوا من قبلك من الرسل^٦، كقوله: مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ^٧. فإن كان على هذا فيكون قوله: كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ^٨، هذا، لأنهم كذبوا الرسل جميعا. وقال بعضهم: قوله إن هذا إلا خُلُقُ الأولين، قالوا: هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث^٩ ولا حساب. وقال بعضهم: الوعظ هو النهي، كقوله: يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا^{١٠}، أي ينهاكم وقوله: ^{١١} وما نحن بمعذبين، عليه على ما تزعم ونخبر كما لم يعدب الآباء.

^١ ع: الواعظ.

^٢ ر م: وجوه

^٣ ر: الخلق.

^٤ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخُلُقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٠).

^٥ ر: وتخلق.

^٦ ر ع ن: الذي.

^٧ اخلق دين الله، كما في قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَلَقَ اللَّهُ﴾ (سورة النساء، ١١٩/٤)، أي دين الله. والخلق، بضم اللام وسكونها: الذين والطبع والسجية، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ فمعناه كذب الأولين؛ وقيل: شيمة الأولين، وقيل: عادة الأولين. ومن قرأ "خلق الأولين" فمعناه افتراء الأولين واختلاقهم وكذبهم (لسان العرب، «خلق»).

^٨ ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِوَ لَكُمْ أَلْتَعِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهِيَ يَسْتغِيثَانِ اللَّهُ وَذَلِكَ آمَنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة الأحقاف، ١٧/٤٦).

^٩ سورة الشعراء، ١٢٣/٢٦.

^{١٠} ﴿يَعْظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النور، ١٧/٢٤).

^{١١} ن: قوله.

* وقال أبو عؤسجة والقتبي: **خُلِقَ الأولين**، أي اختلاقهم وكذبهم، يقال: خلقت الحديث [٥٤٦ ط ٢٧] واختلقته إذا افتعلته. قال الفراء: والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق. قال: ومن قرأ: **خُلِقَ الأولين** بضم الخاء^٢ أراد عاداتهم وشأنهم.^٣

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّنَا لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٤٠]

وقوله: فكذبوه فأهلكناهم، قيل: أهلكوا بالريح، كقوله: وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَوَّصِرٍ عَاتِيَةٍ^٤، الآية. وقوله: إن في ذلك لآية، قد ذكرناه.*

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٤١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ [١٤٢] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٤٣] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٤٤] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٤٥]

وقوله:^٥ كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم. **إني لكم رسول أمين**، أي كنت أمينا قبل ذلك مقبول القول^٦ فكيف تتهموني^٧ اليوم؟ ويقال: أمين على الرسالة ناصح لكم. وقد ذكرنا تأويله إلى^٨ قوله: **إن أجري إلا على رب العالمين**.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ [١٤٦] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٤٧] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [١٤٨] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [١٤٩]

وقوله:^٩ أتتركون فيما هاهنا آمينين، يخرج على وجهين. أحدهما أتتركون هكذا.^{١٠}

^١ ن: من.

^٢ انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٤٢/٣.

^٣ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٩.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٤٦ ط/سطر ٢٧-٢٩.

^٤ سورة الحاقة، ٦٩/٦.

^٥ ن: قوله.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٣٧، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٦ ط/سطر ٢٧-٢٩.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر ع م - مقبول القول.

^٨ ن: يتهموني.

^٩ ر م: إلا.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} جميع النسخ: هذا.

وإن خرج على الاستفهام فكأنه قال على الإخبار: لا تتركون^١ في ما ذكر آمين. والثاني أتركون، أي أظنون أن تتركوا في ما ههنا آمين، أي لا تظنوا أن تتركوا في جنات وعيون وزروع ونخل طلعتها هضيم. قال بعضهم: الهضيم المتهشم، وقال بعضهم: الذي أرطب بعضه، وهو الذي يسمى المُدَّئِب. وعن ابن عباس قال: هو الذي قد أرطب واسترحتي، وهو اللَّيِّن. وعن الحسن: الذي ليس له نوى^٢. وقال بعضهم: هو من الرُّطْب الهضيم وهو الذي ينقطع ليلينه ومن اليباس الهشيم يتكسر ليئوسه. وقال القُتَيْبِي: والهضيم الطلع قبل أن ينشق عنه القشر وينفتح.^٣ وقال أبو عؤسجة: الهضيم الذي لا شوك فيه ولا مشقة. وقال بعضهم: الهضيم هو الذي^٤ يتراكم بعضه بعضا ويكون فوق بعض. ولو قيل: إن الهضيم هو الهنيء^٥ المريء^٦ الذي^٧ لا داء فيه ولا مشقة، يهضم كل ما فيه داء ومرض ولذلك سمي الهاضوم^٨ هاضوما وهو^٩ الذي يَهْنَأُ^{١٠} الطعام ويهضمه.^{١١} **وانه أعلم.** [٥٤٧هـ]

وقوله: **وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين**، بالألف، وفرهين بغير ألف. **فارهين**، أي حاذقين مُجيدين، أي لهم حذاقة وبصر في نحت البيوت في الجبال. يقال: فلان فاره في أمر كذا، أي حاذق؛^{١٢} وفرهين أشيرين بطيرين، أي فرحين. وقال^{١٣} القُتَيْبِي: والفرح قد يكون السرور ويكون الأشر، ومنه قول الله تعالى: **إنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**،^{١٤} أي الأشيرين. قال: ومن قرأها: **فارهين**، بالألف فهي^{١٥} لغة أخرى، يقال: فره وفاره، كما يقال: فرح وفارح،

^١ ر ع م: ولا تتركون.

^٢ ر: قوى. انظر حول جميع الآراء: تفسير ابن كثير، ٣/٣٣٢.

^٣ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٩.

^٤ ع + ينقطع.

^٥ ر ن ع: الهني.

^٦ ن ع: المري.

^٧ م - الذي.

^٨ هضم الدواء الطعام يهضمه هضمًا: نهغه. والهضام والهضوم والهاضوم: كل دواء هضم طعامًا كالجوارش (لسان العرب، «هضم»).

^٩ ع: هو.

^{١٠} جميع النسخ: يهني.

^{١١} ر م + الذي.

^{١٢} ع: حاذقين.

^{١٣} ر ع م: قال.

^{١٤} سورة القصص، ٧٦/٢٨.

^{١٥} ن: فهو.

ويقال: فارهين حاذقين.^١ وقال أبو عؤسجة: فارهين وفرهين، أي مسرورين، ويقال: فره يفزه فرها فهو فره وفاره.^٢

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٥٠] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [١٥١] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [١٥٢]

وقوله: ^٣ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين، يقول: -والله أعلم- اتقوا نعمة الله في مخالفتكم أمره، وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين، أي لا تطيعوا أمر من ظهر لكم منه الإسراف والفساد ولكن أطيعوا أمري، إذ لم يظهر لكم مني إسراف ولا فساد، ولا تطيعوا الذين تعلمون^٤ أنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون. أو أن يكون قوله: ولا تطيعوا أمر المسرفين، مؤخرا عن قوله: ما أنت إلا بشر مثلنا، يقول لهم صالح: تتركون طاعتي والإجابة لي لأني بشر مثلكم، فلا تطيعوا إذا بشرا^٥ هو دوبي وهم الذين ظهر لكم منهم الفساد والإسراف ولم يظهر لكم مني شيء^٦ من ذلك.^٧ يخبر عن سفههم وقلة تمييزهم حيث تركوا اتباع الرسل وطاعتهم لأنهم بشر، ثم يطيعون بشرا^٨ دونهم^٩ في كل شيء. ثم أحابوا صالحا في قوله: ^{١٠} ولا تطيعوا أمر المسرفين، فقالوا:

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ [١٥٣] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [١٥٤]

إنما أنت من المسحرين، اختلف فيه، قال بعضهم: يقولون إنما أنت سوقة^{١١} مثلنا لست بأفضلنا، وإنما نتبع نحن الملوك وذوي الثروة^{١٢} من المال، وأنت لست^{١٣} بملك ولا لك ثروة.

^١ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣١٩-٣٢٠.

^٢ ر ع: فاره وفره.

^٣ ن: قوله.

^٤ ع: من.

^٥ ر ع م: تعملون.

^٦ ر: بشر.

^٧ ر ع م: من شيء.

^٨ ر م - من ذلك.

^٩ ن: لأنهم لا يطيعون بشرا دونهم؛ ر ع م: لأنهم بشرا دونهم.

^{١٠} ر ع م - في قوله.

^{١١} السوقة من الناس: من لم يكن ذا سلطان، الرعية. يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. والجمع السوق (لسان العرب، «سوق»).

^{١٢} ر ع م: وذوي ثروة؛ ن: وذوي ثروة.

^{١٣} ع - لست.

فهم - والله أعلم - طَعَنُوا صَالِحًا كَمَا طَعَنَ كِفَارَ مَكَّةَ رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ قَالُوا: مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ.^١ وقال بعضهم: يقولون: أنت بشر مثلنا في المنزلة لا تفضلنا بشيء، [و] لست بملك ولا رسول قَاتِ بآيةٍ إن كنت من الصادقين بأنك رسول فتنبَعَكَ كما أطعنا أولئك.^٢ وقال القَتِّي: إنما أنت من المسحَرين، أي من المعللين بالطعام والشراب،^٣ وهو مثل الأول. وقال أبو عَوْسَجَةَ: من المسحَرين^٤ ممن له سَحْر. والسَحْر الرئة^٥ وأسحار جمع.^٦ وقال بعضهم: من المسحورين،^٧ لكنه عند الكثرة يشدّد. والله أعلم.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [١٥٥]

ثم قال صالح: هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ذكر أهل التأويل أن الماء منقسم بينهم: كان يوم لهم ويوم للناقة. استدلوا بقوله: ولكم شرب يوم معلوم، فلما كان يوم لهم معلوم كان^٨ يوم لها معلوم.^٩ لكن ليس في الآية دلالة [على] أن الأمر [د] ما وصفوا، ولكن في الآية أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ،^{١٠} وظاهره أن الماء بينهم بالقسمة لا الشرب. وقوله: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، جائز أن يكون الماء بينهم بعضه للناقة وبعضه لهم، ثم لهم يوم معلوم ليس للناقة في ذلك اليوم شيء. والله أعلم.

وقد ذكرنا أن هذه الأنبياء إنما ذكرت في كتبهم حجة لرسول الله، فلا يزداد على ما ذكر في الكتاب مخافة أن تذهب^{١١} حجته عليهم أعني أهل الكتاب لثلاث يكذبوا رسول الله فيما يخبر من الأنبياء التي في كتبهم.

^١ ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ (سورة الفرقان، ٧/٢٥).

^٢ ر ع م + وأولئك.

^٣ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٠.

^٤ ع - أي من المعللين بالطعام والشراب وهو مثل الأول وقال أبو عوسجة من المسحَرين.

^٥ رم: الرية؛ ع: الرؤية. والسَحْر والسَحْر والشُّحْر: ما التزق بالخلقوم والمَرِيء من أعلى البطن. ويقال: انتفخ سَحْرُهُ للرجل الذي ملأ الخوف جوفه، فانتفخ السَحْرُ وهو الرئة حتى رفع القلب إلى الخلقوم (لسان العرب، «سحر»).

^٦ ع: جميع.

^٧ ن: من المسحَرين، صح ه: من المسحورين. وهو قول مجاهد، انظر: تفسير مجاهد، ٤٦٤/٢.

^٨ ر ع م - يوم لهم معلوم كان.

^٩ ن: معلوما.

^{١٠} يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَيُنَبِّئُهُم أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ (سورة القمر، ٥٤/٢٨).

^{١١} جميع النسخ: أن يذهب.

﴿وَلَا تَمْسُوها بِسوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ [١٥٦] ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [١٥٧] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٥٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٥٩]

وقوله^١: ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين، يحتمل قوله: فأصبحوا نادمين، إذا أهلكوا^٢ وإلا لو نديموا على صنيعهم وتابوا قبل أن يهلكوا لقبيل ذلك منهم. وقوله: فأخذهم العذاب، كل آية أتاهم الرسل على إثر السؤال فكذبوها^٣ أخذهم العذاب فأهلكوا. وقوله: إن في ذلك لآية، قد ذكرنا.^٤

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٦٠] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [١٦١] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٦٢] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا لُوطَ أَخِي فَإِنَّكُمْ مَنِعُونَ﴾ [١٦٣] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٤]

وقوله^٥: كذبت قوم لوط المرسلين، قد ذكرنا [أن] التأنيث على إضمار جماعة^٦، كأنه قال: كذبت جماعة^٧ قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون، إلى قوله: العالمين، قد ذكرنا فيما تقدم.

﴿آتَاوُنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٥] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [١٦٦]

وقوله^٨: آتأون الذكران من العالمين، وقال في آية أخرى: إنكم لتأتون الفاحشة^٩ ما سبقكم بها من أحد من أحد من العالمين^{١٠}. وقوله^{١١}: وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم،

^١ ن: قوله.

^٢ ن: إذ أهلكوا.

^٣ ن: قوله.

^٤ ر: فكذبوها.

^٥ ن: قوله.

^٦ ع: ذكرناه.

^٧ ن: قوله.

^٨ انظر تأويل الآية ١٠٥ من هذه السورة.

^٩ ر ع م - جماعة.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ﴿ولوط إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٨/٢٩).

^{١٢} ع - وقوله.

أي وتذرون^١ ما جعل الله ذلك طلباً لإبقاء هذا النسل، لأنه لم يجعل النساء لهم لقضاء الشهوة^٢ خاصة، ولكن إنما جعل لهم الأزواج لإبقاء هذا النسل ودوامه. فيعبرهم لوط بتركهم إتيان النساء لما في ذلك انقطاع ما يُجعلن هن له^٣ وهو إبقاء النسل، واشتغالهم بالرجال وليس في ذلك إبقاء النسل. هذا - والله أعلم - معنى قوله: وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم، أي إنما^٤ تخلق لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة، لكن جعل فيهم ومكن قضاء الشهوة^٥ ليرغبهم على ذلك ليبقى هذا النسل إلى يوم القيامة، وإلا لو لم يجعل ذلك فيهم لعلمهم لا يتكفون ذلك ولا يتحملون هذه المؤن التي يتكفون^٦ حملها لذلك. وفي الآية / دلالة [على] أن المرأة هي المملوكة عليها دون الزوج، والزوج هو المالك عليها، حيث قال: ^٧ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم، وقال في آية أخرى: ^٨ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا^٩، الآية. أخبر أنه خلق النساء لنا، لا أنه خلقتنا لهن.^{١٠} وفي ذلك حجة لأصحابنا في قولهم: إن المسلم إذا تزوج نصرانية بشهادة نصرانيين جاز النكاح، لأنه هو المتملك عليها بالنكاح^{١١} وهي المملوكة له.^{١٢} والله أعلم.

وقوله: ^{١٣} بل أنتم قوم عادون، أي بل أنتم قوم متجاوزون حدّه الذي حدّد لكم،^{١٤} أو عادون حقّه الذي له عليكم.^{١٥}

﴿قَالُوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ [١٦٧]

وقوله: قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين، ذكر الانتهاء ولم يبين مما ذا؟ فجائز أن يكونوا قالوا: لئن لم تنته يا لوط من تعبيرك الذي تُعبرنا به، لتكونن من المخرجين

^١ ر ع م: تذرون.

^٢ م: الشهوات.

^٣ أي خلقن لأجله.

^٤ ر ع م: وإنما.

^٥ ر م: الشهوات.

^٦ ع + ذلك ولا يتحملون هذه المؤن التي يتكفون.

^٧ ر ع م - قال.

^٨ سورة الروم، ٢١/٣٠.

^٩ ع: خلقتنا هن.

^{١٠} جميع النسخ: النكاح.

^{١١} ر م - له.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ع: لهم.

^{١٤} ر ن م + أو عادون؛ ع + وعادون.

حيث^١ قال: مَا سَبَقَكُمْ^٢، الآية، وقوله: ^٣ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ. ^٤ ويحتمل: لكن لم تنته من دعائك الذي تدعوننا^٥ إليه لتكونن كذا. وقوله: لتكونن من المخرجين، يحتمل نفس الإخراج، أي نخرجك من القرية ومن بيننا. وجائز أن يكونوا^٦ أرادوا بالإخراج إخراجا بالقتل،^٧ كقول^٨ قوم نوح حيث^٩ قالوا: لَئِنْ لَمْ نَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ، ^{١٠} وهو أشبه.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [١٦٨] ﴿رَبِّ نَجِيٍّ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [١٦٩] ﴿فَتَجَنَّبَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [١٧٠] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [١٧١] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [١٧٢] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [١٧٣]

ثم قال لوط: إني لعملكم من القالين، أي من المبغضين، أي كيف توعدونني^{١١} بالإخراج وإني لعملكم الذي^{١٢} تعملون من المبغضين، أكره المقام فيكم وأبغض رؤية أعمالكم التي تعملون فكيف توعدونني بالإخراج. ثم دعا فقال: رب نجني وأهلي مما يعملون، هذا يحتمل وجوها. أحدها رب نجني وأهلي من عذاب ما يعملون وجزائه. أو أن يكون رب نجني وأهلي من عمل ما يعملون من الخبائث، كقول إبراهيم: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ. ^{١٣} أو أن يقول: ^{١٤} رب نجني وأهلي عن رؤية ما يعملون ومعابته.^{١٥}

ثم قال: فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين، قد ذكرنا هذا فيما تقدم.

^١ ر ع م - حيث.

^٢ ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ (سورة الأعراف، ٨٠/٧).

^٣ ن: وقوله.

^٤ الآية السابقة.

^٥ ع: تدعوننا.

^٦ ر ع م: يكون.

^٧ ع: وبالقتل.

^٨ ر ع م: كقولهم.

^٩ ع - حيث.

^{١٠} سورة الشعراء، ١١٦/٢٦.

^{١١} ع: تدعونني.

^{١٢} ع: الذين.

^{١٣} ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ (سورة إبراهيم، ٣٥/١٤).

^{١٤} ن: أو يقول.

^{١٥} جميع النسخ: ومعاقبته.

وقوله: وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين، يحتمل أن يكون أمطر عليهم الحجارة بعد ما قلبهم ظهرًا لبطن^١ وبطنًا لظهر، كقوله: فَجَعَلْنَا غَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً [مِنْ سِجِّيلٍ].^٢ وجائز أن يكون جعل عاليها سافلها بما أمطر عليهم من الحجارة. وجائز أن يكون جعل^٣ القريات ومن فيها عاليها سافلها، وأمطر^٤ على من كان غائبا منهم الحجارة.

وقال^٥ أبو عَوْسَجَةَ والقُتَيْبِيُّ: مِنَ الْقَالِينَ، أَي مِنَ الْمُبْغِضِينَ، يُقَالُ: قَلَيْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَبْغَضْتَهُ،^٦ ومن ذلك قوله: مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.^٧ والغابر الباقي.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٧٥] ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٧٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [١٧٧] وقوله: كذب أصحاب الأيكة المرسلين. والأيكة^٨ قال بعضهم:^٩ هي شجرة تُسبوا إليها. وقال بعضهم: الأيكة العَيْضَةُ.^{١٠}

إذ قال لهم شعيب ألا تتقون، قال بعض أهل التأويل: وإنما لم يقل ههنا في شعيب "أخوهم" لأن شعيبا لم يكن من نسلهم، أعني من نسل أصحاب الأيكة،^{١١} لذلك^{١٢} لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب. وقال في سورة هود حيث قال: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا،^{١٣} لأنه كان من نسل أهل مدين. ويقولون: إن شعيبا كان بعث إلى أهل مدين وهو كان منهم وإلى أصحاب الأيكة

^١ م: البطن.

^٢ سورة الحجر، ٧٤/١٥.

^٣ ر م - جعل.

^٤ ر م: وأمطرنا.

^٥ م: قال.

^٦ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٠.

^٧ سورة الضحى، ٣/٩٣.

^٨ م - والأيكة. الأيكة والغيسة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف.

^٩ ن - قال بعضهم.

^{١٠} ر: القبطة؛ ع: الغيضة.

^{١١} ع + قال بعضهم هي شجرة نسبوا إليها وقال بعضهم الأيكة الغيضة إذ قال لهم ألا تتقون قال بعض أهل التأويل وإنما لم يقل ههنا في شعيب أخوهم لأن شعيبا لم يكن من نسلهم أعني من نسل أصحاب الأيكة.

^{١٢} ر ع م: كذلك.

^{١٣} سورة هود، ٨٤/١١.

وهو لم يكن منهم، لذلك قال: نَمَّ أَخَاهُمْ ولم يقل هاهنا. لكن ليس فيما لم يقل إنه أخوهم ما يدل أنه لم يكن من نسلهم ولا من نسبهم، لأن جميع أولاد آدم إخوة إذ يسمى جميع البشر بَنُوهُ، فعلى ذلك أولاده^١ إخوة وأخوات.^٢

ثم لا ندري أن مدين غير الأيكة والأيكة غير المدين، فُبِعْثَ شَعِيبَ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا أَوْ هُمَا وَاحِدٌ نَسَبُوا إِلَى مَدِينٍ^٣ مرة وإلى مدين ثانيا. والله أعلم بذلك. وقال القُتَيْبِيُّ: الأيكة: العَيْصَةُ، وَجَمَعَهَا أَيُّكٌ.^٤ وقال أبو عَوْسَجَةَ: الأيكة شجرة، والأَيْكُ جمع أيكة. وقال لا أعرف لَيْكَةً^٥ بلا ألف. وكذلك قال أبو عبيدة.^٦ وقال أبو زيد: أصحاب لَيْكَةً^٧ أصحاب بادية. والله أعلم.^٨

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٧٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [١٧٩] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٨٠]
 ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [١٨١] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [١٨٢]
 ﴿وَلَا تَبَخَّسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَغْفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [١٨٣]
 وقوله: أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وكذلك قال لأهل مدين في سورة هود: وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبَخَّسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ،^٩ ذكر فيهما جميعا بإفناء الكيل. فلسنا ندري أنه قد ظهر فيهما جميعا نقصان^{١٠} الكيل والوزن فأمرهما بإفناء ذلك، أو كانت القصة واحدة فذكر فيهما ذلك.* وقوله: أوفوا الكيل، كأنه قال: أوفوا الكيل والوزن فيما عليكم إيفاءه ولا تستوفوا من الناس أكثر مما لكم عليهم.

^١ ع: أولاد.

^٢ ر: وأخوة.

^٣ جميع النسخ: نسبوا إلى مدين وإلى الأيكة.

^٤ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٠.

^٥ ر ع م: أيكة.

^٦ ع: أبو عبيد. انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٩٠.

^٧ ن: أصحاب أيكة.

^٨ ن + بذلك.

^٩ ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تغفوا في الأرض مفسدين﴾ (سورة هود،

٨٥/١١).

^{١٠} ع: نقصانا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٤٧ ظ/سطر ٣٥ و٥٤٨ و/

سطر ١.

وزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ. القسطاس، قال بعضهم: العدل، أي وزنوا للناس حقوقهم بالعدل ولا تَنفُصوها. وقال بعضهم: القسطاس هو القَبَان وهو الميزان. وقوله: المستقيم المستوي، كأنه قال: وزنوا بالميزان المستوي، لا تجعلوا إحدى الكِفَتَيْنِ أَثْقَلَ^١ من الأخرى. كأنهم يجعلون الكِفَّةَ التي يُوفون بها حقوق الناس أثقل والكِفَّةَ التي يستوفون من الناس أخف. فأمرهم أن يُسَوُّوا الكِفَتَيْنِ جميعاً.

٣٥٤٧ ط س ٣٥ * ثم في قوله: ولا تبخسوا الناس أشياءهم، جواز الاستدلال من وجهين. أحدهما وقوع المبيع بملك المشتري وإن لم يقبضه المشتري. والثاني^٢ جواز بيع الجزء من الكيلوي والوزني شائعاً من الكل^٣ لأنه قال: ولا تبخسوا الناس أشياءهم، أضاف الأشياء إلى الناس ونسبها إليهم، فلولا أن ذلك ملك لهم وإلا لم يكن أشياءهم ولكن كانت أشياء هؤلاء، إذ لا يخلو^٤ ذلك: [٥٤٨و] إما أن كان ثمننا أو كان مبيعاً، فكيف ما كان فهو موصوف بالملك لهم دون الذين / عليهم [٥٤٨ و ٥١] إيفاء ذلك.*^٥ وقوله: ولا تعتوا في الأرض مفسدين، أي لا تفسدوا فيها.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى﴾ [١٨٤]

وقوله:^٦ واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين، أي اتقوا نعمة الله^٧ الذي خلقكم وخلق الجبلة الأولين أن^٨ كيف عذبهم وانتقم منهم بظلمهم. والجبلة هي الخليفة، يقال: جُبِل، أي خُلِق.

^١ ع - أثقل.

^٢ ع + في.

^٣ ر: مما الكل.

^٤ م: لا يخلوا.

^٥ «وفي قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ دلالة في موضعين. أحدهما في صيرورة المنع ملكاً للمشتري قبل القبض لأنه أضاف الأشياء إلى الناس ونسبها إليهم بقوله ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ فلولا أن ذلك صار ملكاً لهم بالشراء قبل التسليم والإيفاء وإلا لم يذكر أشياءهم. والثاني أن بيع المتاع وشراءه جائز لأنه قال: ﴿أو فوا المكيال والميزان﴾ وهذا فيما لم يكن مكيلاً وقد أضاف الملك إليهم، دل أن البيع جائز في المباع.» (شرح التأويلات، ورقة ٥٤٩ ط).

* وقع ما بين النجنتين متقدماً على موضعه في تفسير الآية، فأخرناه إلى هنا، انظر: ورقة ٥٤٧ ط/س ٣٥

و٥٤٨/س ١.

^٧ ن: قوله.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر ن - الله.

^{١٠} ر ع م: أي.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ﴾ [١٨٥] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ

الكَاذِبِينَ﴾ [١٨٦]

قالوا إنما أنت من المُسَخَّرِينَ، قال بعضهم: هو الذي سُجِرَ مرة بعد مرة، فعلى هذا التأويل يكون: إنما أنت من المُسَخَّرِينَ، ويكون^٢ التشديد للتكثير. وقال^٣ بعضهم: إنما أنت مخلوق وبشر مثلنا، وقد ذكرنا.^٤

وقوله: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ وإن نظنك لمن الكاذبين، هذا يدل أنهم إنما قالوا ذلك ظنا منهم لا يقينا وحقا.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [١٨٧] ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا

تَعْمَلُونَ﴾ [١٨٨] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١٨٩]

فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، سألوا شعيبا العذاب على التعنت كما سأل غيرهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ^٦ فنزل بهم العذاب من حيث سألوا من السماء. وعن الحسن قال: سلط الله الحَرَ على قوم شعيب سبعة أيام ولياليها^٧ حتى كانوا لا ينتفعون بظل بيت ولا برد^٨ ماء، ثم رُفِعَتْ لهم سحابة في البرية فوجدوا تحتها الرّوح فجعل بعضهم يدعو^٩ بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أشعلها الله نارا فأحرقتهم فذلك قوله: فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ، الآية. وقال بعضهم: سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم.^{١٠} والظُّلَّةُ، قال^{١١} أبو عَوْسَجَةَ: حرّ شديد. وقال القُتَيْبِيُّ: كِسْفًا،

^١ م: هذه.

^٢ جميع النسخ: لكن.

^٣ ر ع م: قال.

^٤ انظر تأويل الآية ١٥٣ من هذه السورة.

^٥ ن: قوله.

^٦ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

^٧ جميع النسخ: ولياليهن.

^٨ ن: ولا برد.

^٩ ع: يدعو.

^{١٠} الدر المنثور للسيوطي، ٣١٩/٦.

^{١١} ر: قال.

أي قطعة من السماء^١ والكَيْسَفُ الْقِطْعُ. وقال بعضهم: أصابهم حر شديد وغم في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الرّوح قبّله، فلما غشيتهم تلك السحابة أخذتهم الرجفة فأصبحوا جاثمين. وقال بعضهم: ظلّل العذاب إياهم. وبعضه قريب من بعض. وعن ابن عباس قريب^٢ من هذا قال: بعث الله عليهم ومدة^٣ وحزا شديدا فأخذ بأنفاسهم، فلما أحسّوا^٤ بالموت بعث لهم سحابة فأظلمت فتنادوا تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم، فذلك قوله: فأخذهم عذاب يوم الظلة؛^٥ والظلة السحابة، وهو قريب من الأول^٦.

وقول شعيب: ربي أعلم بما تعملون من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم. وقوله: فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة، كذبوه فيما أخرج من نزول العذاب بهم، أو كذبوه فيما ادعى من الرسالة وما سوى ذلك، وهو^٧ مذكور فيما تقدم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٩٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [١٩١]
 ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٢] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٩٣] ﴿عَلَى قَلْبِكَ
 لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [١٩٤] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [١٩٥]

وقوله^٨: وإنه لتنزيل رب العالمين، وإنه أي القرآن لتنزيل رب العالمين، أي نزله رب العالمين. نزل به الروح الأمين [إنما قال ذلك ردا]^٩ لقولهم: ^{١٠} إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ. ^{١١} يخبر أن ربه هو الذي نزل هذا القرآن عليه، لا ما تقولونه أنتم: ^{١٢} إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ.

^١ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٠.

^٢ جميع النسخ: قريبا.

^٣ الوَمدُ: نَدَى يَجِيءُ فِي صَمِيمِ الْحَرِّ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ مَعَ سَكُونِ رِيحٍ، وَقِيلَ: هُوَ الْحَرُّ أَيُّمَا كَانَ مَعَ سَكُونِ الرِّيحِ. قَالَ الْكِسَائِيُّ: إِذَا سَكَتَ الرِّيحُ مَعَ شِدَّةِ الْحَرِّ فَذَلِكَ الْوَمَدُ (لسان العرب، «ومد»).

^٤ ر ن م: حسبوا؛ ع: حسوا.

^٥ انظر: تفسير الطبري، ١١٠/١٩.

^٦ ع + تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم فذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة السحابة وهو قريب من الأول.

^٧ ر ن م: هو.

^٨ ن: قوله.

^٩ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٠.

^{١٠} ر ع م: لقوله.

^{١١} سورة النحل، ١٠٣/١٦.

^{١٢} ر ع م - يخبر أن ربه هو الذي نزل هذا القرآن عليه لا ما تقولونه أنتم إنما يعلمه بشر.

وقوله: نزل به الروح الأمين على قلبك، قوله: على قلبك،^١ يحتمل وجوها. أحدها^٢ أن جبريل لما نُزِّلَ من القرآن إنما ينزل على قلبه لا يَحْبُبه شيء عن^٣ قلبه. والثاني على قلبك، أي لا يذهب عنه بل الله يجمعه في قلبك، كقوله: لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.^٤ أو أن يكون قوله: على قلبك، أي يشبهه على قلبك، لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ.^٥ أو أن يكون قال ذلك لما انتهى إلى قلبه وحفظه غاية حفظه قال: على قلبك،^٦ كأنه أُلْقِيَ في قلبه، وكذلك يقال.

وقوله:^٧ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، كأنه -والله أعلم- على التقديم والتأخير يخرج، أي نزل به الروح الأمين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين.

والباطنية يقولون: أنزله على رسوله كالخيال غير موصوفٍ بلسان، ثم إن رسوله أذاه بلسانه العربي المبين، أي بيته. لكنه ليس كذا، لأنه قال في آية أخرى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا،^٨ أخبر أنه إنما أنزله عربياً^٩ فيبطل قولهم: إنه أذاه بلسانه عربياً^{١٠} من غير أن أنزله كذلك. ولو كان على ما يقوله الباطنية: إنه لم يُنزل به هذا اللسان، أعني اللسان^{١١} العربي، وإن الرسول هو الذي صيره بهذا اللسان وأذاه به^{١٢} لكان لا يصير جواباً لقولهم: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ،^{١٣} ولا حجة عليهم،^{١٤}

^١ ر م - قوله على قلبك.

^٢ ر: أحدهما.

^٣ ن: على.

^٤ سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٧.

^٥ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴿سورة الفرقان، ٣٢/٢٥﴾.

^٦ ع - أي يشبهه على قلبك لقولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك أو أن يكون قال ذلك لما انتهى إلى قلبه وحفظه غاية حفظه قال على قلبك.

^٧ ن: قوله.

^٨ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف، ٢/١٢).

^٩ ر ع م - أخبر أنه إنما أنزله عربياً.

^{١٠} ن - عربياً.

^{١١} جميع النسخ: لسان.

^{١٢} ر م: وأذابه.

^{١٣} سورة النحل، ١٦/١٠٣.

^{١٤} ن - ولا حجة عليهم.

فإذ ذكر هذا^١ جواباً لقولهم وحجة عليهم دل أنه إنما أنزل^٢ عليه عربياً وأن تأويل الآية^٣ ما ذكرنا على التقديم والتأخير.

﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٩٦]

وقوله:^٤ وإنه لفي زبر الأولين، قال بعض أهل التأويل: وإنه، أي بعث محمد وصفته كان في كتب الأولين. وجائز أن يكون قوله: وإنه، أي هذا القرآن كان ذكره في كتب الأولين [٥٤٨هـ] / أنه يُنزله^٥ على^٦ محمد، لا أن عينه^٧ كان فيها. أو أن كان بعضه في زبر الأولين لا الكل. وإنه أعلم.

﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [١٩٧]

وقوله:^٨ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل، قال بعض أهل التأويل: أو لم يكن لهم محمد آية أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم يجدونه مكتوباً عندهم في الكتب؟^٩ لكن تأويله: أو لم يكفهم علم علماء^{١٠} بني إسرائيل آيةً أنه رسول؟ ثم الآية تكون^{١١} بوجهين. أحدهما ما ذكر أن أهل مكة أرسلوا إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن رسول الله، فأخبروهم عنه أنه يخرج في وقت كذا وأن نعتة كذا^{١٢} وهذا وقت خروجه. والثاني يقول: أو لم يكفهم آيةً إسلام علماء بني إسرائيل وفقهائهم أنه رسول،

^١ ر م - هذا.

^٢ ع: نزل.

^٣ ر م: الأول.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر ع م: هذه.

^٦ ع: نزل.

^٧ ر ع + رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ن + رسول الله.

^٨ ر: لا عن أعينه.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} يشير إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٥٧).

^{١١} ن ع: علموا.

^{١٢} ع: يكون.

^{١٣} ع - وأن نعتة كذا.

نحو [عبد الله] ابن سلام وغيره، إذ كانوا لا يُسلمون إلا عن^٢ علم وثبت أنه رسول، إذ كان في إسلامهم ذهاب ما كلتهم^٤ ورياستهم. والله أعلم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ [١٩٨] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٩٩] وقوله:^٥ ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين، قال بعضهم: نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزلنا [ه] على أعجمي؟^٦ وقال بعضهم: لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعجمين فقرأه عليهم، يقول: إذاً لكانوا شرَّ الناس فيهم، ما فهموه وما درؤا^٧ ما هو، وهو^٨ قريب [من] الأول. وقال بعضهم: ولو نزلناه على بعض الأعجمين من الدواب فكلمهم هذا ما صدقوه، يذكر سفههم وتعتتهم. ويحتمل قوله: ولو نزلناه على بعض الأعجمين، أي لو نزلناه^٩ أعجمياً فلم يفهموه لقالوا: لولا فصلت آياته^{١٠} أأعجمي^{١١} وعربي،^{١٢} ولكن نزلناه عربياً لقالوا يقولوا ذلك. والله أعلم.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٢٠٠] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [٢٠١]

وقوله:^{١١} كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به، قال بعضهم: هكذا^{١٢} سلكناه الكفر والتكذيب وأدخلناه في قلوب المجرمين. وقال بعضهم: كذلك سلكناه يعني البيان والحجج في قلوب المجرمين حتى عقلوه ولزمتهم الحجة لكنهم تركوا الإيمان به^{١٣} تعنتنا وعنادا.

^١ ع: إذا.

^٢ ع: على.

^٣ ر م: إذا.

^٤ ن: نأكلتهم.

^٥ ن: قوله.

^٦ ع + وقال بعضهم لو نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزلنا على أعجمي.

^٧ م: دراوا.

^٨ ع - وهو؛ ن + فيه.

^٩ م: نزلنا.

^{١٠} ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤).

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ر ع م - هكذا.

^{١٣} ر م - به.

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم حين لا ينفعهم إيمانهم، لأن إيمانهم عند معاينة العذاب إيمانٌ دفع واضطرار^١ لا إيمان اختيار، وهو كما قال: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ^٢، لأنه إيمان دفع العذاب عن أنفسهم حين خرج[ت] أنفسهم من بين أيديهم وإيمان اضطرار لا إيمان اختيار، لذلك لم ينفعهم.

﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٢٠٢]

وقوله: ^٣ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً، أي يأتيهم العذاب فجأة، وهم لا يشعرون، لأنه عز وجل إذ علم منهم أنهم لا يؤمنون أبداً فأنزل عليهم العذب بغتة، ولو علم منهم أنهم يؤمنون^٤ حقيقة عند معاينة العذاب لأنزل عليهم العذاب معاينة مجاهرة ليؤمنوا فيقبل منهم^٥ ذلك ودفع العذاب عنهم، كما قبل إيمان قوم يونس حيث قال: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَنْفَعَهَا بِإِيمَانِهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ]^٦. قبل منهم^٧ الإيمان عند معاينتهم العذاب لما علم منهم أنهم يحققون الإيمان في ذلك. وأما من كان همتهم العناد والمكابرة فهم لا يحققون الإيمان.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ [٢٠٣]

وقوله: ^٨ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ، لا يزالون يطلبون النظرة^٩ والرجعة^{١٠} إلى الدنيا وتأخير العذاب عن أنفسهم إذا نزل بهم، كقولهم: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ^{١١}، وكقوله: ^{١٢} يَا كَيْتَنَا نُزِّدُ^{١٣}، فيتمنون الرجوع والنظرة، لكن لا يجابون إلى ذلك.

^١ جميع النسخ: واضطرار.

^٢ ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠).

^٣ ن: قوله.

^٤ ر ع م: لا يؤمنون.

^٥ م + الإيمان عند معاينة، ومشطوب عليها.

^٦ سورة يونس، ٩٨/١٠.

^٧ ن - منهم.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر م - النظرة.

^{١٠} ر م: الرجعة.

^{١١} ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبع الرسل﴾

(سورة إبراهيم، ٤٤/١٤).

^{١٢} م: كقوله.

^{١٣} ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُزِّدُ ولا نكذبُ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ (سورة الأنعام، ٢٧/٦).

﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [٢٠٤]

وقوله: ^١ أفعدابنا يستعجلون، قال أهل التأويل: هذا جواب لهم لَمَا أوعدهم النبي العذاب ينزل بهم: [لقولهم: متى العذاب؟^٢ تكذيباً له واستهزاء، يقول الله عند ذلك: أفعدابنا يستعجلون ولقولهم: متى هَذَا الْوَعْدُ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]^٣، وقولهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً^٤، ومثله. وإلا ليس هذا في الظاهر جواباً لقوله: فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ، وجواب هذا -وانه أعلم- [ما ذكر إثره:]^٥

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [٢٠٥] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [٢٠٦] ﴿مَا أَغْنَىٰ

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ [٢٠٧]

وقوله: ^٦ أفرايت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون. يقول ما يعني تأخير العذاب عنهم وإمهالهم عن وقت يُمتعون [فيه] من عذاب الله من شيء [أي] لا ينفعهم ذلك. أو أن يكونوا سألوا العذاب في الظاهر واستمهلوه في الحقيقة فخرج قوله: أفرايت إن متعناهم سنين، الآية، جواباً لاستمهالهم.^٧ أو أن يكون بعضهم استعجل العذاب واستمهل غيرهم، فخرج هذا جواب من استمهل. ثم خوفهم فقال:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [٢٠٨] ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [٢٠٩]

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى، يقول: ^٨ وما أهلكنا من قرية إهلاك استئصال وانتقام إلا بعد الإنذار وإقامة الحججة والبيان. ذكرى، أي موعظة وزجراً عما هم فيه. أو ذكرى يذكر ما لهم وما عليهم، أو ما لله عليهم^٩ وما لبعضهم على بعض.

^١ ن: قوله.^٢ ر م - متى العذاب.^٣ سورة يونس، ٤٨/١٠.^٤ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).^٥ والزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٠ ظ.^٦ ن: قوله.^٧ ر ع م: باستمهالهم.^٨ ر: بقوله.^٩ ر ع م - أو ما لله عليهم.

وقوله: ^١ وما كنا ظالمين في تعذيبهم، أي لم نعذبهم بلا ذنب ولا جرم ولكن بعنادهم ومكابرتهم، لأن العذاب في الدنيا لا يكون لنفس الكفر ولكن لعناد ومكابرة، وإنما عذاب الكفر ^٢ في الآخرة، وعلى ذلك يخرج قوله: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا، ^٣ أي ما كنا معذبين في الدنيا تعذيب انتقام حتى نبعث رسولا فيظهر منهم العناد والمكابرة فعند ذلك يعذبهم الله. / وقال بعضهم: وما كنا ظالمين، أي ما كنا نعذبهم إلا من بعد البيان والحجة [١٥٤٩] وقطع العذر. والله أعلم. وفي مصحف أبي: وما أهلكتنا من قرية إلا بذنوب أهلها.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [٢١٠] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [٢١١] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [٢١٢] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [٢١٣]

وقوله: ^٤ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم، قال بعضهم: ما تنزلت بالقرآن الشياطين، فذلك [كان] جوابا لقول أهل مكة: إن محمدا كاهن معه رئي ^٥ هو يأتيه بما يقول، يعنون بالرئي الشيطان. وكانت الشياطين ^٦ من قبل يقعدون من السماء مقاعد يستمعون فيها الوحي من الملائكة ^٧ فينزلون به على الكهان، فهم ^٨ بين مصيب ومخطئ، فقالوا: محمد كذلك. فأكذبهم الله تعالى في مقالتهم تلك فقال: ^٩ وما تنزلت به، أي بالقرآن، الشياطين وما ينبغي لهم، أن يثزلوا بالقرآن وما كانوا يستطيعون. أي قد جيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب، وأخبر أنهم عن السمع لمعزولون.

^١ ن: قوله.

^٢ ع - الكفر.

^٣ سورة الإسراء، ١٧/١٥.

^٤ ن: قوله.

^٥ م: وقال.

^٦ ر: بالقول.

^٧ ن: رأي؛ ع: رأي. والرئي والرئي: الجني يراه الإنسان. وقال اللحياني: له رئي من الجن ورئي إذا كان يحبه ويؤلفه (لسان العرب، «رأي»).

^٨ جميع النسخ: الشيطان.

^٩ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا﴾ (سورة الجن، ٩/٧٢).

^{١٠} جميع النسخ: فمن.

^{١١} م - فقال.

وفي قوله: وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون، دلالة [على] أن من أراد أن يجعل القرآن حجة لغير الذي جعل هو حجة لم يقدر على النطق به ولا التلاوة، نحو من يأتي أفقا من آفاق الأرض لم ينته إليه هذا القرآن، فادعى لنفسه النبوة وجعل يحتج بهذا القرآن، فإنه لا يقدر على تلاوته ولا النطق به،^١ لأنه إنما جعل حجة وبرهانا للمحق لا للمبطل، حيث قال: وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم أن ينزلوا^٢ وما يستطيعون. أخبر أنهم لا يستطيعون^٣ ذلك وأنهم معزولون عن ذلك. وقد ذكرنا وجه النهي لرسول الله في قوله: فلا تدع مع الله إلها آخر، وأمثاله. والله أعلم.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [٢١٤]

وقوله:^٤ وأنذر عشيرتك الأقربين. روي عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية:^٥ وأنذر عشيرتك الأقربين، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخص وعَم فقال: «يا معشر قريش! أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم^٦ من الله نفعا ولا ضرا. يا معشر بني قُصَي! أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا. وقال: يا معشر بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار فإني^٧ لا أملك لكم^٨ من الله ضرا ولا نفعا.» وكذلك قال لبني عبد المطلب. قال لفاطمة ابنته: «يا فاطمة بنت محمد! أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله ضرا ولا نفعا، ولكن لك رجْمٌ وسأبُلها يتلأها.» أي سأصلها. وفي بعض الأخبار أنه قال عند نزول هذه الآية: «إني أرسلت إلى الناس عامة وأرسلت إليكم يا بني هاشم وبني عبد المطلب خاصة. وهم الأقربون وهم^٩ إخوان^{١٠} [و] أبناء عبد مناف.»^{١١}

^١ جميع النسخ: إليهم.

^٢ ر ع م - به.

^٣ ر م: أن ينزلون.

^٤ ر ع م: أو ما.

^٥ ر م - أخبر أنهم لا يستطيعون.

^٦ ن: قوله.

^٧ ن + قوله.

^٨ ر ع م - لكم.

^٩ ر ع م - فإني.

^{١٠} ر ع م - لكم.

^{١١} جميع النسخ: وهو.

^{١٢} انظر: صحيح البخاري، التفسير ٢/٢٦؛ وصحيح مسلم، الإيمان ٣٤٨.

وعن الحسن قال: ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع^١ أهل بيته قبل موته فقال: «ألا إن لي عملي^٢ ولكم عملكم، ألا إني لا أملك لكم من الله شيئاً، ألا إن أوليائي منكم المتقون، ألا لأعرفنكم^٣ يوم القيامة، تأتونني بالدنيا تحملونها على رقابكم^٤ ويأتيني الناس^٥ بالآخرة.»^٦ وعن قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا يُفخِّذ^٧ عشيرته ففجئاً فجئاً يدعوهم إلى الله. قال في ذلك المشركون: لَبَّاتَ هذا الرجل يُهَيِّت^٨ منذ الليلة، أي^٩ يصيح، فأنزل الله في ذلك: قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَأَجْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْيًى وَّفُرَادَى،^{١٠} الآية.^{١١} ومعنى التخصيص في إنذاره عشيرته^{١٢} في هذه الآية يحتمل وجهين، وإن كانوا^{١٣} داخلين في جملة إنذار الناس جميعاً في قوله: لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا،^{١٤} إذ هم من العالمين. أحدهما جائز أن يكونوا هم يطعمون شفاعة رسول الله يوم القيامة بقرابته واتصالهم به^{١٥} وإن لم يطعموه ولم يجيئوه إلى ما يدعوهم إليه، على ما روي عنه أنه قال: «كل نسب وسبب منقطع يومئذ إلا نسي وسببي.»^{١٦} فيشبه أن يكونوا يطعمون شفاعته يومئذ وإن خالفوه بحق القرابة والوصلة^{١٧} ما لا يطمع [في] ذلك غيرهم من الناس إلا بالطاعة له^{١٨} والإجابة. فأمره أن ينذرهم لتلا يكَلُوا [أمرهم] إلى شفاعته

^١ ر - جمع.

^٢ ر م: عمل.

^٣ جميع النسخ: لا أعرفنكم.

^٤ ر ع م: على رقابها.

^٥ أي الناس من غير أهل بيته.

^٦ انظر: تفسير الطبري، ١٩/١٢٣.

^٧ ففجئاً فجئاً يدعوهم فدعاهم فجئاً فجئاً (لسان العرب، «فخذ»).

^٨ هَيَّوْتُ به: صَوَّرتُ به وصاح، ودعاه. وفي الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ بَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَخِّذُ عَشِيرَتَهُ، فقال المشركون: لقد بات يُهَيِّتُ، أي يُنادي عَشِيرَتَهُ (لسان العرب، «هيت»).

^٩ جميع النسخ: يقول.

^{١٠} ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَأَجْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْيًى وَّفُرَادَى﴾ ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴿ (سورة سبأ، ٤٦/٣٤).

^{١١} الدر المنثور للسيوطي، ٦/٣٢٦؛ وروح المعاني للألويسي، ٩/١٢٨.

^{١٢} ر ع م: وعشيرته.

^{١٣} ر م: كان.

^{١٤} جميع النسخ: نذيرا للعالمين. ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (سورة الفرقان، ١/٢٥).

^{١٥} ر م - بقرابته واتصالهم به.

^{١٦} انظر: المستدرک للحاكم، ٣/١٥٣؛ وتفسير القرطبي، ٤/١٠٥.

^{١٧} م: والصلة.

^{١٨} ر ع م - له.

ولكن احتالوا حيثهم بالطاعة له^١ والعمل لما يأمر، وهو ما ذكر في الأخبار التي ذكرنا: «إني لا أملك لكم من الله^٢ نفعا ولا ضرا، ألا إن أوليائي منكم المتقون.»^٣ أخبر أن لا ولاية لهم إذا لم يتقوا^٤ مخالفته^٥ ولم يطيعوه^٦.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢١٥]

وقوله: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. قيل: لمن اتبعك من المؤمنين، كأنه أمر رسوله أن يتواضع لهم ويرحم. وقال في الوالدين: وَاخْفِضْ هُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ^٧، وقال في المؤمنين، بعضهم لبعض فيما بينهم: رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^٨؛ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ^٩. ذكر الذل فيما بينهم والرحمة، ولم يذكر في رسول الله^{١٠} صلى الله عليه وسلم الذل، فهو^{١١} - والله أعلم - لأن الذل كأنه يرجع إلى الخضوع واستخدام بعضهم بعضا، وذلك في رسول الله بعيد لا يحتمل أن يأمره بالخدمة لهم، وجائز أن يمتحن بعضهم بخدمة بعض. **والله أعلم.**

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٢١٦]

وقوله^{١٢} عز وجل: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ، قالوا: إنه راجع إلى قوله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ^{١٣}، وموصول به، كأنه قال: وأنذر عشيرتك الأقربين فإن عصوك فقل إنني بريء مما تعملون. قد كان رسول الله بريئا مما كان / يعمل أولئك الكفرة. لكنه يحتمل أن يكون أولئك

^١ ر م - له.

^٢ ن - من الله.

^٣ انظر: تفسير الطبري، ١٢٣/١٩.

^٤ ر م: لم يتبعوا.

^٥ م: مخالفة.

^٦ ر م - ولم يطيعوه؛ ر ن م + والثاني. قسم المؤلف رحمه الله معنى تخصيص الإنذار إلى وجهين، ولكن لم يذكر الوجه الثاني، سوى أنه ذكر في نهاية الوجه الأول: «والثاني». وفي نسخة ن بياض بعدها.

^٧ سورة الإسراء، ١٧/٢٤.

^٨ ع - رحماء بينهم. ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).

^٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٤).

^{١٠} م + الله.

^{١١} ر ع م - فهو.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} سورة الشعراء، ٢٦/٢١٤.

لَمَّا أَنْذَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَطِيعَهُمْ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ وَيُشَارِكَهُمْ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَطِيعُوا أَوْلَئِكَ لَهُ فِي بَعْضِ مَا يَأْمُرُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَيُشَارِكُوهُ^١ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ، يَتَبَرَأُ^٢ مِمَّا يَدْعُونَهُ إِلَيْهِ. وَطَلَبُوا مِنْهُ مَسَاعِدَتَهُ إِيَّاهُمْ وَالْإِغْمَاضَ عَمَّا يَعْمَلُونَ فَقَالَ:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [٢١٧] ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [٢١٨] ﴿وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [٢١٩] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٢٠]

وتوكل على العزيز الرحيم، كأنه أتمنه عن شرهم وكيدهم فقال: توكل على العزيز الرحيم ولا تخف مخالفتهم إياك فيما تدعوهم^٣ إليه. أو أمره أن يكبل نفسه إليه ويفوض^٤ جميع أموره في كل وقت [إليه] فقال: وتوكل على العزيز الرحيم. العزيز^٥ المنتقم من أعدائه، الرحيم^٦ بأوليائه. أو الشديد بأعدائه الرحيم بأوليائه^٧. أو ذكر العزيز لأنه به يعجز^٨ من يعجز وهو يرحم من يرحم، من لم يعجزه هو لا يكون عزيزاً، ومن لم يرحمه هو فلا ينفعه^٩ ترحم غيره. والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء.

وقوله: ^{١٠}الذي يراك حين تقوم، في ظلمة الليل وحدك قائماً وجالسا وعلى حالاتك، يراك في تقلبك أيضاً في الساجدين في الصلاة مع الناس في الجماعة. وبعضهم يقول: وتقلبك^{١١} في الساجدين في المصلين، يقول: كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من أمامه. لكن هذا ليس تأويل الآية، [ما هو] إلا كلام قاله [صاحبه] من ذات نفسه^{١٢}. ولو كان ما ذكر لكان يقول:

^١ جميع النسخ: ويشاركونه.

^٢ ر ع م - مما تعملون يتبرأ.

^٣ جميع النسخ: تدعونهم.

^٤ ر: ويفض؛ ع: وتفويض.

^٥ ع - العزيز.

^٦ ر م - من أعدائه الرحيم.

^٧ ع - أو الشديد بأعدائه الرحيم بأوليائه.

^٨ جميع النسخ: لا ينفع.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} جميع النسخ: في تقلبك.

^{١١} وردت هذه الرواية في تفسير القرآن لابن كثير (٣/٣١٦): قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ قال قتادة: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ قال: في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع. وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري. وقال مجاهد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ويشهد لهذا ما صح في الحديث: «سؤوا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري.»

يُرِيكَ، برفع الياء لا بالنصب.^١ وروي في بعض الأخبار أنه قال: ^٢ «إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام، فإني أراكم خلفي كما أراكم أمامي. والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لأضحكتكم قليلاً ولبكتيم كثيراً». قالوا: يا رسول وما رأيتم؟ قال: «رأيت الجنة والنار».^٤ وقال بعضهم: يَرَاكَ حين تقوم إلى الصلاة فتصلي وحدك ويراك مع المصلين في جماعة، وهو مثل الأول. وفي حرف حفصة: وتَقَلَّبَ وجهك في الساجدين.^٧

إنه هو السميع العليم. السميع^٨ لمقاتلهم مما يُخْفُونَ وَيُبْزُونَ وما يعلنون. والعليم بضمائهم وخفياتهم.^٩ أو السميع^{١٠} المحيب لمن دعاه، العليم بأفعالهم وأعمالهم.^{١١}

﴿هَلْ أُنْتَبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ [٢٢١] ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [٢٢٢]

وقوله:^{١٢} هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفَّاكٍ أَثِيمٍ. خرج هذا -والله أعلم- وما تقدم ذكره من الآيات جواباً لقول كان من رؤساء الكفرة وقادتهم لا يزالون يلبسون على اتباعهم والسفلة أمر رسول الله وما ينزل فقالوا مرة: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،^{١٣} ومرة: مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَى،^{١٤} وإنه شاعر،^{١٥} وإنه ساحر،^{١٦} ومرة قالوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،^{١٧} وأمثال هذا. فجائز أن كان منهم أيضاً قول إن الشياطين هم الذين يتنزلون بهذا القرآن عليه على ما ذكر

^١ ع: في النصب.

^٢ ر م - أنه قال.

^٣ ر م: أنا؛ ع - إني.

^٤ صحيح مسلم، صفات المنافقين ٤٢٦؛ وسنن ابن ماجه، إقامة الصلاة ٤١؛ وسنن النسائي، السهو ١٠٢.

^٥ جميع النسخ: وتقلبك.

^٦ ر م - وجهك.

^٧ ن + قوله.

^٨ ر - السميع.

^٩ ن - وخفياتهم.

^{١٠} ر ع م: والسميع.

^{١١} ن: بأعمالهم وأفعالهم.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} انظر مثلاً: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.

^{١٤} سورة سبأ، ٤٣/٣٤.

^{١٥} انظر مثلاً: سورة الأنبياء، ٥/٢١؛ وسورة الصافات، ٣٦/٣٧.

^{١٦} سورة يونس، ٢/١٠؛ وسورة ص، ٤/٣٨.

^{١٧} سورة النحل، ١٠٣/١٦.

أنهم قالوا: إنما يجيء به الرّبي وهو الشيطان فيلقيه على لسانه، فقال عند ذلك جواباً لهم: وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ [وَمَا يَسْتَطِيعُونَ]،^١ الآية. ولكن إنما ينزل به جبريل حيث قال: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ،^٢ الآية.

ثم أخبر عن الشياطين أنهم على من ينزلون حيث قال: هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، فقال: تنزل على كل أفاك أثيم، ذكر هذا لما عرفواهم أن الشياطين لا ينزلون إلا بكذب وباطل، فمن لا ينزل إلا بكذب وباطل لا ينزل إلا على كذاب أفاك. وكان معلوماً عندهم أن محمداً لم يكذب قط ولا أفاك أبداً، إذ لم يأخذه بكذب فيما بينهم قط، فيقول^٤ -والله أعلم- كيف ينزل عليه الشياطين وهو معروف عندكم أنه ليس بكذاب ولا أفاك، وقد تعلمون أن الشياطين لا ينزلون^٥ إلا بكذب باطل! على هذا يخرج تأويل هذه الآيات، وإلا على الابتداء لا يحتمل أن تكون.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [٢٢٣]

ثم أخبر عن صنيع الشياطين فقال: يلقون السمع وأكثرهم كاذبون، وقال بعضهم: يلقي الشياطين بأذانهم إلى السمع في السماء لكلام الملائكة، وذلك أن الله إذا أراد أمراً في الأرض علم به أهل السماء من الملائكة فيتكلمون^٦ به فيسمع الشياطين ذلك فيخبرون به الكهنة، فيخبر الكهنة^٧ أهل الأرض بذلك فيقولون: إنه يكون في الأرض كذا، في وقت كذا. ثم قال: وأكثرهم كاذبون، على هذا التأويل، أي^٨ وأكثر الشياطين كاذبون فيما يخبرون الكهنة من أخبار السماء. وقال بعضهم: إن الجن كانوا يصعدون إلى السماء فيسترقون أسماعهم إلى السماء فيسمعون ما سمعوا أهلها ثم ينزلون به على الكهنة ويسمع الكهنة^٩ أيضاً من أخبار الرسل ويخيطون ما سمعوا من الرسل من الحق بما سمعوا من الشياطين من الباطل فيحدثون الناس بذلك؛

^١ سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠-٢١١.

^٢ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة النحل، ١٠٢/١٦).

^٣ ر ع م: معلوم ما.

^٤ ر ع م: فنقول؛ ن: غير منقوطة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥١ هـ.

^٥ ر م: لا ينزلون.

^٦ ر ع: فقالوا.

^٧ ن: فيتكلموا.

^٨ ع - فيخبر الكهنة.

^٩ ر ع م - أي.

^{١٠} ع - ويسمع الكهنة.

فما كان من الرسل [فيكون] حقا، وما كان من الشياطين فيكون باطلا، فذلك تأويل قوله: وأكثرهم كاذبون، أي أكثر الكهنة كاذبون فيما يخبرون الناس بما سمعوا من الشياطين. وقال بعضهم: كانوا يسمعون من الجن حقا لكنهم يخلطون من عند أنفسهم كذبا فيحدثون به الناس حتى إذا كان الناس يتركون ما يسمعون منهم من الكذب حدثوهم بذلك الحق الذي نزل به من السماء فيراجعونهم^٢ ويصدقونهم، فذلك قول الله: وأكثرهم كاذبون، أي أكثر قولهم كذب. والله أعلم بذلك.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [٢٢٤]

وقوله:^٣ والشعراء يتبعهم الغاوون، قال بعضهم: رجلا شاعران كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، فهجوا رسول الله وأصحابه. ومع / كل واحد منهما غواة من قومه، فذلك قوله: والشعراء يتبعهم الغاوون. قال: فاستأذن [٥٥٠] شعراء المسلمين النبي أن يقتصوا من المشركين فأذن لهم النبي فهجوا المشركين ومدحوا النبي وذلك قوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.^٤ أخبر في الأول: والشعراء يتبعهم الغاوون فاستثني شعراء المؤمنين^٥ بقوله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا. وقال بعضهم: الشعراء عصابة الجن يتبعهم غواة الإنس، كقوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.^٦ وقال بعضهم: هم الكفار يتبعون ضلال الجن والإنس،^٧ وهو مثل الأول.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [٢٢٥] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [٢٢٦]

وقوله:^٨ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، قال^٩ بعضهم: في كل فن يأخذون، أي يمدحون قوما بباطل ويذمّون قوما بباطل. وأنهم يقولون ما لا يفعلون، وأنهم^{١٠} يصفون ما لا يعلمون.

^١ ن: مما.

^٢ ر م: ويراجعونهم.

^٣ ن: قوله.

^٤ الآية ٢٢٧ من هذه السورة.

^٥ ر ع م: المسلمين.

^٦ ع: عصات.

^٧ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (سورة الأنعام، ١١٢/٦).

^٨ انظر: تفسير الطبري، ١٩/١٢٧؛ والدر المنثور للسيوطي، ٦/٣٣٥.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر ع م: وقال.

^{١١} ع: وأتم.

وكذلك ذكر في بعض الحروف أنه كذلك. وقال بعضهم: إنهم في كل لغو وباطل يخوضون،^١ وأنهم يقولون ما لا يفعلون، يقول: في أكثر قولهم يكذبون. وقال بعضهم: وأنهم يقولون ما لا يفعلون، أي يقولون: فعلنا كذا، وفعلنا كذا،^٢ وهم كذّبة لم^٣ يفعلوا ذلك.

وقال أبو عؤسجة: يهيمون، أي يذهبون ويمضون ويركبون كل واد. هام يهيم هيما فهو هائم. ويقال: الهائم العطشان، يقول: هام يهيم هيما، وهيئمان عطشان، وقوم هيم. والهائم الوامق^٤ المحب الذي هو عطشان إلى لقاء من يحب. والتهويم النوم، يقال: هوم يهؤم تهويما.^٥ وقوله: فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ،^٦ هم العطاش، والواحد هيمان. وقال القتيبي: في كل واد يهيمون، أي في كل واد من القول وفي^٧ كل مذهب يذهبون كما يذهب الهائم^٨ على وجهه.^٩

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [٢٢٧]

وقوله^{١١} عز وجل: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، هذا الاستثناء يحتمل أن يكون من قوله: وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ،^{١٢} وهو ما ذكرنا. كأنه^{١٣} قال أولئك الشعراء، وهم القادة منهم: نحن نقول بمثل ما أتى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا^{١٤} الشعر وأنشدوه، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويرؤون عنهم حين^{١٥} يهجون النبي وأصحابه، فاستثنى شعراء المسلمين الذين قالوا الشعر وأنشدوه في انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم

^١ ع: يخوضون.

^٢ ر م - وفعلنا كذا.

^٣ م - لم.

^٤ ع: وقول.

^٥ ومقه يمقه، مقة وموقا: أحبه (لسان العرب، «ومق»).

^٦ الهؤم والتهؤم والتهويم: النوم الخفيف. وهؤم الرجل إذا هز رأسه من النعاس (لسان العرب، «هؤم»).

^٧ سورة الواقعة، ٥٥/٥٦.

^٨ ر ع م: في.

^٩ م: البهائم.

^{١٠} تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢١.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} سورة الشعراء، ٢٢٤/٢٦.

^{١٣} جميع النسخ: كأنهم؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥١ ظ.

^{١٤} ع: وقال.

^{١٥} م: حتى.

وأصحابه فقال: **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** فإنهم لا يتبعهم الغاوون. أو أن يكون الاستثناء من قوله: **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**،^١ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** فإنهم لا يهيمون في كل وادٍ، يقولون^٢ ما يفعلون ولا يقولون ما لا يفعلون؛ بل يذكرون الله كثيراً ويتصرون لرسوله^٣ وأنفسهم من بعد ما ظلموا. فيكون الاستثناء في أحد التأويلين من الأتباع. وفي الآخر^٤ من الأئمة والقادة.^٥ فكان منهم قول سبق في ذلك حتى قال: **وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**،^٦ إلى آخر ما ذكر، إذ لا يحتمل على الابتداء دون قول كان منهم على ما ذكرنا في قوله: **وَمَا تَتَزَكَّىٰ بِهِ الشَّيَاطِينُ**،^٧ وقوله: **هَلْ أَتَيْتُمُ عَلَىٰ مَنْ تَتَزَكَّىٰ الشَّيَاطِينُ**،^٨ الآية. قد كان من أولئك الكفرة قول وطعن بأن الشياطين هم الذين يتنزلون به عليه حتى خرج جواباً لهم: **وَمَا تَتَزَكَّىٰ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ [وَمَا يَسْتَطِيعُونَ]**،^٩ وإن لم يذكر ذلك، يظهر ذلك^{١٠} في الجواب أن كان منهم قول وطعن وإن لم يذكر. ثم أوعدهم فقال: **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**. ويحتمل^{١١} في الآخرة في مُنْقَلَبِ الظلمة وهي النار. أي يعلمون علمَ عيانٍ يومئذ وإن لم يعلموا ذلك في الدنيا علم استدلال^{١٢} لما تركوا النظر فيه. أو يعلمون ذلك علم عيان في الآخرة وإن علموا في الدنيا علم استدلال،^{١٣} لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا. **وَاللَّهُ أَعْلَمُ**.

١ م: قولهم.

٢ سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٥-٢٢٦.

٣ ع + لا.

٤ ر: كثير.

٥ جميع النسخ: رسوله؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥١ ظ.

٦ ر م: في الآخرة.

٧ ر ع: والقلادة.

٨ سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٤.

٩ سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠.

١٠ سورة الشعراء، ٢٦/٢٢١.

١١ سورة الشعراء، ٢٦/٢١٠-٢١١.

١٢ ع - يظهر ذلك.

١٣ ر ع م: وقال.

١٤ ن ع: يحتمل.

١٥ ع: الاستدلال.

١٦ ع: الاستدلال.

١٧ ع + تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النمل وهي مكية^٢

بسم الله الرحمن الرحيم^٤

﴿طَسَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [١]

قوله^٥ عز وجل: طس، قد ذكرنا فيما تقدم تأويل الحروف المعجمة وأقاويل الناس فيها، وكذلك الآيات [المذكورة على إثرها]^٦ وقوله: ^٧ وكتاب مبین، یحتمل قوله: مبین، أي بَیِّن واضح، لأن [فعل] "أَبَانَ" قد يستعمل في موضع "بَانَ"، يقال: بَانَ وَأَبَانَ. ويحتمل: وكتاب مبین، أي بَیِّن أنه رسول من الله، أو بَیِّن ما لله عليهم أو ما لبعضهم على بعض، أو ما لهم وما عليهم.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]

وقوله^٨: هدى وبشرى للمؤمنين، قوله: هدى، یحتمل وجهين. أحدهما دعاء، كقوله: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ^٩ أي داع يدعو الخلق إلى توحيد الله تعالى. فعلى ذلك یحتمل قوله: هدى، أي دعاء يدعوهم إلى توحيد الله تعالى. فإن كان هذا فهو للناس كافة. والثاني جائز أن يريد بالهدى الهدى الذي هو نقيض الضلال وضده، فهو للمؤمنين خاصة. وإن كان أراد به البيان والدعاء فهو للكُل^{١٠}

^١ ع ن + ذكر أن.

^٢ ن - وهي.

^٣ ر - سورة النمل وهي مكية؛ ع + تسعون وثلاث آية.

^٤ ن + وبه يستعان.

^٥ ر - قوله.

^٦ جميع النسخ: قد ذكرنا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٢ و٥٥٣. انظر: المصطلحات والأفكار الرئيسية وأخر

المجلدات السابقة، «الحروف المعجمة أو المقطعة»؛ وانظر أيضا: أوائل سورة البقرة، ويونس، ويوسف.

^٧ ن: قوله.

^٨ ن: قوله.

^٩ ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (سورة الرعد، ١٣/٧).

^{١٠} ع + والله أعلم.

وقوله: ^١ هدى وبشرى للمؤمنين، جميعاً؛ وعلى الدعاء يكون قوله: وبشرى للمؤمنين،^٢ أي يدعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، فإذا آمنوا به كان لهم بشرى. ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [٣]

[٥٥٠] الذين يقيمون / الصلاة ويؤتون الزكاة، يحتمل قوله: يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، أي يقرون بهما^٣ ويؤمنون، لأن من الناس من كان يؤمن بالله ورسوله^٤ لكنهم أبوا^٥ الإيمان بالصلاة والزكاة، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ.^٦ لا يحتمل أن يأمرهم بحبسهم إلى أن تمضي السنة فتحجب الزكاة عليهم فيؤتوا^٧ فحينئذ يجلبون سبيلهم، ولكن الأمر بحبسهم إلى أن يقروا^٨ بها ويؤمنوا فيجلبون عند ذلك سبيلهم.^٩ وكذلك قوله: الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ،^{١٠} لَا يُؤْتُونَ،^{١١} [أي] لا يقبلونها^{١٢} ولا يقرون بها،^{١٣} ليس على فعل الإيتاء، فعلى ذلك الأول، يحتمل هذا. والثاني يحتمل الأمرين جميعاً: القبول والإقرار بهما^{١٤} والإيتاء جميعاً، أي إذا قبلوهما^{١٥} وأقروا بهما^{١٦} وأعطوها^{١٧} فحينئذ يستوجبون هذه البشارة التي ذكرت.

^١ ن: قوله.

^٢ ر ع م - جميعاً وعلى الدعاء يكون قوله وبشرى للمؤمنين.

^٣ ر ع م: بها.

^٤ ر ع م: وبرسوله.

^٥ ع: أبو.

^٦ سورة التوبة، ٥/٩.

^٧ جميع النسخ: فيؤتون.

^٨ ع: تقروا.

^٩ ر م - سبيلهم.

^{١٠} سورة فصلت، ٧/٤١.

^{١١} ر م - لا يؤتون.

^{١٢} ع ن: لا يقبلونها.

^{١٣} ن ع: بهما.

^{١٤} ر م: بها.

^{١٥} ر م: قبلوها.

^{١٦} ر م: بها.

^{١٧} ن: وأعطوها؛ ع: وأعطوا. أي أعطوا الزكاة.

وقوله: ^١ وهم بالآخرة هم يوقنون. الإيقان بالشيء هو العلم^٢ به من جهة الاستدلال والاجتهاد والأسباب التي يستفاد بها العلم بالأشياء لا العلم الذاتي، ولذلك لا يوصف الله على الإيقان بالشيء ولا يقال: يا موقن، لأنه عالم بذاته لا بالأسباب. وبالله التوفيق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٤]

وقوله: ^٣ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم، يحتمل قوله: زينا لهم أعمالهم،^٤ الأعمال التي هم فيها بما رُكِبَ فيهم من الشهوات والأمانى. ويحتمل: زينا لهم أعمالهم الأعمال التي هي [واجبة] عليهم، أي زَيَّنْ لهم الخيرات والطاعات لكنهم أبوا أن يأتوا بها. فالمعتزلة قالوا بهذا التأويل وأبوا أن يقولوا بالأول أن يكون من الله تزيين^٥ ما هم فيه من الشرك والكفر وأنواع أفعال الكفر، إذ أضاف تزيين ذلك إلى الشيطان حيث قال: وَزَيَّنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ،^٦ وقال: أَلَشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ،^٧ ونحو ذلك من الآيات، فقالوا: أضاف[ه] إلى الشيطان ولا يجوز أن يضاف إلى الله ذلك بعينه، فدل أن الله إنما زين لهم أعمالهم^٨ التي عليهم من الإيمان والخيرات، لا الأعمال التي هم فيها.

لكن عندنا يجوز إضافة تزيين أعمالهم التي هم فيها إلى الله من جهة ما رُكِبَ فيهم من الشهوات والأمانى التي تُوافق طباعهم وأنفسهم، لأن التزيين يقع بنفس الكفر وأفعاله، إذ الكفر نفسه ليس بمزَيَّن ولا مستحسن، إنما هو شَتْم^٩ رب العالمين. ولكن تزيينه واستحسانه هو موافقة ما يعمل من الأعمال لطباعه.^{١٠} والجهة التي تضاف إلى الشيطان من التزيين والإضلال غير الجهة التي تضاف إلى الله،^{١١} إذ الجهة التي تضاف إلى الشيطان هي^{١٢} دعاؤه وتمنيته إلى ما يوافق طباعهم،

^١ ن: قوله.

^٢ ر ع م: العمل.

^٣ ن: قوله.

^٤ ر م - يحتمل قوله زينا لهم أعمالهم.

^٥ سورة النمل، ٢٧/٢٤.

^٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (سورة محمد، ٤٧/٢٥).

^٧ ع: وأعمالهم.

^٨ ع - شتم.

^٩ جميع النسخ: طباعه.

^{١٠} ر ع م - الشيطان من التزيين والإضلال غير الجهة التي تضاف إلى.

^{١١} م + هو ما ركب.

^{١٢} جميع النسخ: هو.

فمن هذه الجهة يجوز إضافته إلى الشيطان. والجهة التي تضاف إلى الله هو^١ ما ركب فيهم من الشهوات والأمانى وجعل الطباع موافقا لها. وإلا الصدق وجميع الخيرات إنما يكون مزينا مستحسنا في العقل للعاقبة، والكفر وجميع المعاصي مستقبح في العقل للعاقبة، إذ^٢ حمدهما وأثيب على فعله وذم الآخر^٣ وعوقب لسوء اختياره. أو أن يكون إضافة ذلك إلى الله لما خلق أفعالهم وأعمالهم التي عملوها وأخرجها من العدم إلى الوجود، وهي من هذه الجهة فعله. وهو يرد قوتهم في إibatهم خلق أفعال العباد.^٤

وقوله: ^٥ فهم يعمهون، قيل: يترددون؛ وأصل العمه الحيرة،^٦ أي يتحيزون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [٥]

أولئك الذين لهم سوء العذاب، أي لهم ما يسوءهم من العذاب في الآخرة لاختيارهم سوء الأفعال في الدنيا. وهم في الآخرة هم الأخسرون، الأخسرون والخاسرون واحد. وجائز أن يقال: هم الأخسرون للقادة منهم والرؤساء، لأنهم ضلوا بأنفسهم وأضلوا غيرهم، هم أخسر من الأتباع،^٧ كقوله: ^٨ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [٦]

وقوله: وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم، هذا يحتمل وجهين. أحدهما لتلقى القرآن من الله على يدي رسوله وهو جبريل. وجائز أن يكون حكيم عليم هو جبريل نفسه،^٩ أي إنك لتلقى القرآن من لدن جبريل، وهو حكيم يضع الوحي والقرآن حيث أمر بوضعه فيه، إذ الحكيم هو المصيب في فعله الواضع للشيء موضعه، وعليم بما أمر به وأرسل وهو كذلك كان.

^١ جميع النسخ: هو.

^٢ جميع النسخ: إذا.

^٣ ر ع م: الآخر.

^٤ ع + والله أعلم. أي قول الله هذا يرد رأي المعتزلة في امتناعهم عن قبول خلق أفعال العباد.

^٥ ن: قوله.

^٦ ر: الحيرت.

^٧ ر ع م: ومن الأتباع.

^٨ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (سورة النحل،

٢٥/١٦).

^٩ م: بنفسه.

إذ يجوز أن يقال للمخلوق: حكيم عليم، ألا ترى^١ إلى قول^٢ يوسف: ^٣إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ،^٤ فعلى ذلك هذا جائز، والأول أشبه؛^٥ أي إنك لتأخذ القرآن من لدن حكيم عليم على يدي رسوله^٦ جبريل، فما يأخذ من رسوله كأنه يأخذ من عند مرسله، إذ الرسول إنما يؤدي كلام مرسله.^٧ وقال أبو عؤسجة: **وإنك لتلقَى القرآن**، يقال: تلقّيته أخذته، ولقّيته وتلقّيته واحد.^٨ وكذلك قال القتيبي: **لَتُلَقِّي**، أي لتأخذه.^٩ وقال محمد بن إسحاق: **وإنك لتلقَى القرآن**، أي لتؤتّى بالقرآن، كقوله: **وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا**،^{١٠} أي وما يؤتاها.^{١١} **وإنه أعلم.**

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ

تَضَلُّونَ﴾ [٧]

وقوله:^{١٢} **إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا، قيل: رأيت وأبصرت. سَاتِيكُمْ مِنْهَا** بخبر أو آتيكم بشهاب قبس، وقال في آية أخرى:^{١٣} **لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى.**^{١٤} هذا يدل أنه كان ضلّ الطريق على ما ذكره أهل التأويل. وقال في آية أخرى: **إِنِّي آنستُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ جَدْوَةٍ مِنَ النَّارِ / لَعَلَّكُمْ تَضَلُّونَ.**^{١٥} **ذُكِرَ عَلَى التَّقَدُّمِ** [٥٥١] والتأخير على اختلاف الألفاظ والحروف، والقصة واحدة والامتحن بذلك موسى لا غير.

^١ ن: يرى.

^٢ ر ع م: قوله.

^٣ ر + قال.

^٤ ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (سورة يوسف، ٥٥/١٢).

^٥ ع: أشبهه

^٦ ر: رسول الله.

^٧ ر: مرسل.

^٨ ر م - ولقّيته وتلقّيته واحد؛ ع - واحد.

^٩ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٢.

^{١٠} ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (سورة فصلت، ٣٥/٤١).

^{١١} جميع النسخ: يؤتيها.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ع + في سورة طه.

^{١٤} ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً العلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار

هدى﴾ (سورة طه، ١٠-٩/٢٠).

^{١٥} سورة القصص، ٢٩/٢٨.

فهذا يدل أن ليس على الناس تكلف حفظ الألفاظ والحروف بلا تقديم ولا تأخير^١ ولا تغيير بعد أن أصابوا المعنى المودع فيها، أعني في الألفاظ، وحفظوها من غير تغيير يدخل في المعنى المودع. إذ قصة موسى هذه^٢ وغيرها من قصص الأنبياء صلوات الله عليهم ذكرت في الكتاب على التقديم والتأخير على اختلاف الألفاظ والحروف، ليعلم أن ليس عليهم حفظ الألفاظ والحروف^٣ في كثير من الأحكام في الشهادات والأخبار وغيرها، إنما عليهم إصابة المعنى.^٤

ثم قوله: ^٥ بشهاب قبس، قال بعضهم: الشهاب خشبة في طرفها نار. والقبس النار. وشهبان^٦ جميع، ولا تسمى^٧ النار قبساً إلا ما يحمل من موضع إلى موضع. يقال: قبستُ النار قبساً واقتبست، وهو قول أبي عؤسجة والقُتي. ^٨ وقال بعضهم: القبس الحُمر، والشهاب النار الموقدة، وهو قول أبي عبيدة.^٩ وقال بعضهم: الشهاب النور، والشهاب الكواكب، ^{١٠} سمي شهاباً لضوئه ونوره. وقال بعضهم: بشهاب قبس، أي شُعلة من نار، والجذوة كأنها خشبة فيها نار، وهو مثل الأول. ودل قوله: **لعلكم تصطلون**، على أن الوقت وقتُ البرد وأيامُ الشتاء حيث ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء. **وانه أعلم.**

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٨]

وقوله: ^{١١} فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها، اضطربت أقاويل أهل التأويل في هذا. صرف بعضهم^{١٢} تأويله إلى ما لا يزيده^{١٣} إلا سماجةً وبعدا عن الحق والصواب وعمى.

^١ م: وتأخير.

^٢ ن - هذه.

^٣ ر ع م - ليعلم أن ليس عليهم حفظ الألفاظ والحروف.

^٤ انظر مفصلاً: شرح التأويلات، ورقة ٥٥٢ ظ.

^٥ ر: وقوله.

^٦ ر: والشهبان.

^٧ جميع النسخ: ولا يسمى.

^٨ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٢.

^٩ انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٩٢/٢؛ وتفسير القرطبي، ١٥٧/١٣.

^{١٠} ر ع م: الكواكب.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ر ع م: بعضه.

^{١٣} ع: إلى ما يزيده.

لكن لو جاز أن يعبر ويكنى بحرف "من" عن^١ غير مميّز وغير ذي فهم وعقل لاستقام التأويل فيه ولم يقع فيه شبهة فيجعل كأنه قال: أن بورك ما فيه النار^٢ وما حولها^٣، ويكون عبارة عن المكان الذي فيه النار وما حولها^٤ من الأمكنة، أي بورك في ذلك المكان الذي فيه النار وما حولها^٥، لأنه قال في آية أخرى: ^٦ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى،^٧ أي طوى فيه البركات، وقال في آية: ^٨ بَارَكْنَا حَوْلَهُ،^٩ أخير^{١٠} عن بركة ذلك المكان. فعلى ذلك لو جاز أن يعبر بحرف "من" عن غير المميز و[ذي] الفهم ويكنى به جاز صرف التأويل إلى ما ذكرنا من المكان. أو يقال: بورك من في النار ومن حولها، أي بورك ما في النار من النور وما حول ذلك وما يستنار به ويستضاء، وهو ما استفاد به من النبوة والرسالة. هذا كله إذا جازت العبارة والكناية بحرف "من" عن غير ذي التمييز والفهم. فإن جاز هذا لاستقام^{١١} أن يقال هذا.

أو أن يكون التأويل منصرفاً إلى ما ذكر^{١٢} في حرف ابن مسعود وأبي على طرح حرف "من" وحرف^{١٣} "في"، ذكر أن في حرفهما: ^{١٤} نودي أن بورك^{١٥} النار ومن حولها؛^{١٦} وذلك جائز في اللغة أن يقال: بورك في فلان، وبورك فلانا، وبورك^{١٧} وبورك^{١٨} فيك. وكذلك ذكر عن الكسائي أنه قال ذلك. فإن كان ما ذكر عن ابن مسعود وأبي ثابتاً صحيحاً لم يقع فيه شبهة ولا ريب.

^١ ن: من.

^٢ ر ع م: ما فيه من النار.

^٣ ر م: حولهما.

^٤ ر م: حولهما.

^٥ ر: وما حولهما.

^٦ ن - أخرى.

^٧ ﴿فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاحطع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ (سورة طه، ١١/٢٠-١٢).

^٨ ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه

هو السميع البصير﴾ (سورة الإسراء، ١/١٧).

^٩ ر م - أخير.

^{١٠} ع: الاستقام.

^{١١} ر م: ذكره.

^{١٢} ع: حروف.

^{١٣} القراءة لم ترد في مصحف ابن مسعود، انظر: تفسير القرطبي، ١٣/١٥٨؛ وكتاب المصاحف للسجستاني، ٦٩.

^{١٤} ر: بورك.

^{١٥} كتاب المصاحف للسجستاني، ١٥٢.

أو إن لم تجز' العبارة بحرف "مَن" عن^١ غير [ذي] التمييز فحائز أن يصرف حرف "مَن" إلى موسى فيكون كأنه قال: بورك في الذي أتى النار وهو موسى، أو بورك^٢ فيمن جعل له اقتباس النار. فينصرف تأويل "مَن" إلى موسى وقد جعل له من البركة في تلك النار ما^٣ لا يحصي من استفادة النبوة والإرشاد إلى الطريق والاصطلاء وغير ذلك. **وانه أعلم.**^٤ وقوله^٥: **وسبحان الله رب العالمين**، ذكر هذا - والله أعلم - تنزيها عن جميع ما قاله بعض أهل^٦ التأويل وتبرئة^٧ منه عن ذلك كله من نحو مقاتل ومن قال بمثل قوله مما يؤدي إلى التشبيه والشُّبه^٨.

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٩]

وقوله^٩: **يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم**، أي الذي أعطاك ذلك [هو] الله العزيز الحكيم. أو يقول: أي الذي جعل لك ذلك: الله العزيز الحكيم. أو أن يقول: إنه^{١٠} الذي أراك هذا وأكرمك به: **أنا الله العزيز الحكيم**. أو أن يقول: إنه الذي أراك، أي الذي جعل لك ذلك: **الله العزيز الحكيم**.^{١١} العزيز الذي لا يُعجزه شيء، الحكيم المصيب في فعله غير مخطئ. أو أن يقال: عزيز لا يذَلُّ أبداً قط، لأنه عزيز بذاته، حكيم^{١٢} يضع كل شيء موضعه لا يخطئ. قال أبو معاذ وقال^{١٣} مقاتل بن سليمان: **يا موسى إنه**، يقول:

^١ جميع النسخ: لم يجز.

^٢ ن: من.

^٣ ر + أو بورك.

^٤ ع: وما.

^٥ ع + بذلك.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر م - أهل.

^٨ ر ع م: تبرئة.

^٩ أي ما يستدل بها الخصم كالدلائل.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} يلاحظ أن هذا الضمير ضمير شأن لا مرجع له.

^{١٢} ن - أو أن يقول إنه الذي أراك أي الذي جعل لك ذلك الله العزيز الحكيم.

^{١٣} جميع النسخ: الحكيم.

^{١٤} ر م: قال.

^{١٥} «قال معاذ ومن تبعه من أهل التأويل» (شرح التأويلات، ورقة ٥٥٣ و).

إن النور الذي رأيت: أنا الله.^١ وهذا محال لا وجه له، لأنك لا تقول: "إن الذي رأيت أنا الإنسان" رآه، أو لشيء آخر، ولكن تقول:^٢ أنا الذي رأيت. ومحال أيضاً قوله لِمَا ذُكِرَ فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: نُوْدِي يَا مُوسَى لَا تَخَفْ^٣ [أنا الله العزيز الحكيم]،^٤ يكلمه الله ويخاطبه، ثم يقول: إن النور الذي رأيت أنا. ومحال أيضاً لقول الله: إِيَّيَّيْ أَنْتَ تَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبِيرٍ.^٥ قال الله: فَلَمَّا آتَاهَا،^٦ ولم يقل: آتاه.^٧ ومحال أيضاً أن يكون الله نعتاً لأنك لا تقول:^٨ الذي رأيت أنا أخوك. {فقال [الإمام]}: قول مقاتل محال من أربعة أوجه خلاف لظاهر الآية. وأصله ما ذكرنا فيما تقدم.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِيَّيَّيْ﴾ [١٠]

وقوله: وألق عصاك فلما رآها تهتز، في الآية الأمر بإلقاء العصا،^٩ ولم يذكر أنه ألقاها ولكن فيه إضمار: ألقى عصاك فألقاها. فلما رآها تهتز، أي تتحرك كأنها جانٌّ. ذكر أهل التأويل أن الجانَّ هي الحية الصغيرة ليست بعظيمة لكنه أخبر أن موسى خافها وولَّى مدبراً. وموسى / لا يحتمل أن يخاف^{١٠} من حية^{١١} صغيرة على الوصف الذي ذكر، فكأنها كانت عظيمة لكنها في تحركها والتوائها كأنها صغيرة، إذ الحية^{١٢} العظيمة الكبيرة لا تقدر على التحرك والالتواء كالصغيرة، لذلك خافها موسى حتى نهاه الله عن ذلك وقال: لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون.

^١ تفسير القرطبي، ١٣/١٦٠.

^٢ ن: يقول.

^٣ هذه القراءة غير واردة في كتاب المصاحف للسجستاني، انظر: ٦٩.

^٤ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٣ و.

^٥ سورة النمل، ٧/٢٧.

^٦ ﴿فلما آتاهها نودي يا موسى﴾ (سورة طه، ١١/٢٠).

^٧ ع: إياه.

^٨ م - بأن.

^٩ ر: العصاء.

^{١٠} ن: أن تخاف.

^{١١} ع: في حية.

^{١٢} ع: إذ حية.

وقوله: ولم يعقب، قال بعضهم: لم يرجع،^١ وقال بعضهم: لم يلتفت؛^٢ وهو مأخوذ من العقب. والجان، قال^٣ بعضهم: من الجن، والجان الحية،^٤ ولا يكون إلا من الجن. وهو قول أبي عبيدة.^٥ وقوله:^٦ لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون، فإن قيل: كيف نهاه عن الخوف وأخبر أنه لا يخاف لديه^٧ المرسلون؟ وقد مدح الله الملائكة وغيرهم من الخلائق بالخوف من ربهم حيث قال: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ،^٨ وقال في آية أخرى: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا،^٩ [وقال في آية أخرى]: تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً،^{١٠} وأمثال ذلك من الآيات مما فيها مدحهم بالخوف من ربهم. لكنه يخرج على وجوه. أحدها أنه قد آمن موسى حيث قال: وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ،^{١١} فكأنه قال هاهنا: لا تخف بعد ما أمنتك، إني لا يخاف لدي المرسلون إذا أمنتهم. والثاني لا تخف من غيري إني لا يخاف لدي المرسلون من غيري. فكأنه^{١٢} -والله أعلم- على هذا التأويل إنما نهاه عن الخوف من غيره وأخبر أنه لا يخاف لديه المرسلون من غيره.^{١٣} والثالث إخبار وأمن منه من خوف الآخرة وأهوالها كأنه قال: لا تخف فإني سأؤمّن المرسلين من خوف يومئذ. ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١١]

إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء، هذا أيضا يخرج على وجوه. أحدها لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم إذا بدل حسنا بعد سوء. والثاني لا يخاف لدي المرسلون ولكن من ظلم

^١ انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٩٢.

^٢ معاني القرآن للزجاج، ١٠٩/٤.

^٣ ع: وقال.

^٤ ع: والحية.

^٥ ع: وقول.

^٦ انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٩٢.

^٧ ن: قوله.

^٨ ع: لدي.

^٩ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (سورة النحل، ٥٠/١٦).

^{١٠} ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة السجدة، ١٦/٣٢).

^{١١} ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الأنعام، ٦٣/٦).

^{١٢} ﴿وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (سورة القصص، ٣١/٢٨).

^{١٣} جميع النسخ + قال؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٣ و.

^{١٤} ر ع م - من غيره.

ممن سواهم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني^١ غفور رحيم، له^٢ رجاء المغفرة وطمع العفو فيما كان منه. والثالث لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم منهم، نحو موسى بقتله النفس و[نحو] إحوة يوسف، ثم بدل حسنا وتاب عن ذلك فإنه لا^٣ يخاف أيضاً. والله أعلم.

﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [١٢]

وقوله: وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، فالله تعالى قادر أن يجعل يده بيضاء من غير إدخاله إياها في جيبه لكنه امتحن موسى بالأمر بإدخالها في جيبه. وكذلك قادر أن يصير عصاه في يده حية لكنه امتحن بالأمر بإلقائها. والله أن يمتحن عباده بكل أنواع المحن. وقوله: ^٤ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ، قيل: من غير آفة من برص أو غيره. وقد ذكرنا معناه فيما تقدم.^٥

وقوله: ^٦ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، قال بعضهم: يد^٧ موسى في تسع آيات، أي من تسع آيات.^٨ وقد يجوز استعمال حرف "في" مكان [حرف] "من"،^٩ كما يقال: لفلان كذا كذا ثوقاً، فيها فحلان، أي منها فحلان. وقال بعضهم: في تسع آيات، [أي مع تسع آيات]^{١٠} قال أبو معاذ: وقد^{١١} يكون معنى "في" و"مع" واحداً^{١٢} فيما لا يحصى عدده، تقول: خرجت في أهل مَرْوَ إلى أهل مكة، و[خرجت] مع أهل مَرْوَ إلى^{١٣} مكة. فإذا قلت: خرجت في تسعة،

^١ ر ن م: فإنه.

^٢ ر ع م - له.

^٣ ر م - لا.

^٤ ن: قوله.

^٥ انظر: تفسير الآية ٢٢ من سورة طه.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر ع م - يد.

^٨ ر ع م - أي من تسع آيات.

^٩ ر ع م - من.

^{١٠} والزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٣ ظ.

^{١١} ر: قد.

^{١٢} ن: واحد.

^{١٣} ع: وإلى.

و[خرجت] مع تسعة^١ اختلفا [معى]، لأنك [إذ]^٢ أحصيت العذ^٣ في تسعة أنت تاسعهم ومع تسعة أنت عاشرهم. وقال بعضهم: هو على الانقطاع من الأول، كأنه قال لرسوله محمد: ولقد بعثنا موسى في تسع آيات إلى فرعون،^٤ كما قال: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ^٥. وقوله: ^٦ إلى فرعون وقومه، دل هذا أنه كان مبعوثا إلى فرعون وقومه جميعا، إذ^٧ ذكر في آية إلى فرعون خاصة،^٨ وفي آية أخرى: ^٩ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ،^{١٠} وذكر هاهنا: إلى فرعون وقومه، فكان مبعوثا إلى الكل.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [١٣]

وقوله: ^{١١} فلما جاءتهم آياتنا مبصرة، أي يُبَصَّر بها ويُعَلَّم، كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،^{١٢} أي يُبَصَّر به. وقرأ بعضهم: مُبْصِرَةٌ بنصب الصاد،^{١٣} أي بيّنة ظاهرة يُبَصَّر فيها. وكذلك قال موسى لفرعون: لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ.^{١٤} قالوا هذا سحر مبين. لم تزل^{١٥} عادة فرعون اللعين [وملائه] تلييس أمر موسى وآياته على قومه لئلا يؤمنوا^{١٦} به ولا يطيعوه فيما يدعوهم. مرة قالوا هذا سحر مبين،^{١٧} و[مرة قال:]

^١ ر ع م - ومع تسعة.

^٢ والزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٣ ظ.

^٣ ن: العدة.

^٤ «وقال بعضهم: هو على الانقطاع من الأول، يعني قد تم الكلام بقوله: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾، ثم ابتداء فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ولقد بعثنا موسى في تسع آيات إلى فرعون وقومه» (شرح التأويلات، ورقة ٥٥٣ ظ).

^٥ سورة الإسراء، ١٧/١٠١؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ٧/١٣٢-١٣٦.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر م: إذا.

^٨ ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (سورة طه، ٢٠/٢٤).

^٩ ن - أخرى.

^{١٠} ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٠٣).

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).

^{١٣} معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٤٥٩.

^{١٤} سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.

^{١٥} جميع النسخ: لم يزل.

^{١٦} ع + بالله.

^{١٧} جميع النسخ: قال هذا لساحر مبين، وهو غير وارد في القرآن معروفاً إلى فرعون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٣ ظ.

إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ^١، وأمثال ذلك مما يلبس على قومه أمره ويُغريهم عليه لئلا يطيعوه فيما يدعوهم إليه ولا يجيبوه.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [١٤]

وقوله:^٢ وجحدوا بها، أي جحدوا^٣ بالآيات. وجائر في اللغة أن يقال: جحد بها وجحدوها، كلاهما واحد.^٤ ثم قال بعضهم: إن الجحد لا يكون إلا بعد العلم به والإيقان، ولكن يجوز أن يقال: جحد بعد المعرفة والعلم وقبل أن يعلم به ويعرفه^٥، إذ الجحد ليس إلا الإنكار، وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به و[قد يكون] بعد المعرفة. وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه قال: فلما جاءتهم آياتنا مبصرة جحدوا بها ظلماً وعلواً واستيقنتها أنفسهم أنها من الله وأنها آياته^٦ ليست بسحر. ولو كان سحرًا في الحقيقة لكان آية لأن السحر على غير تعلم يكون منه آية سماوية. وقوله: ظلما لأنهم جحدوا الآيات وسموها^٧ سحرًا فوضعوا الآيات موضع السحر، لم يضعوها موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. وقوله:^٨ وعلوا، أي تكبراً وعنادا. فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، ليس على الأمر له بالنظر في ذلك ولكن على تنبيه أولئك والزجر لهم عما هم / فيه، أي انظر ما ينزل بهم بجحد^٩ الآيات وعنادهم فيها على [٥٥٢] ما نزل^{١٠} بأوائلهم. والله أعلم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٥] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [١٦]

وقوله: ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين،

^١ سورة الشعراء، ٢٦/٣٤-٣٥.

^٢ ن: قوله.

^٣ ر ع م - بها أي جحدوا.

^٤ ن - واحد. انظر: لسان العرب، «جحد».

^٥ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٣ ظ.

^٦ ع: آيات.

^٧ ر ع م: وسموا.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر ع م: الجحد.

^{١٠} م: ينزل.

فيه وجهان من الاستدلال. أحدهما في خلق أفعال العباد. والثاني في ترك الأصلاح. أما الاستدلال على خلق الأفعال لأنه قال: آتينا داود وسليمان علما، وقال على إثره: عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وقال في رسول الله: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ^١، وقال: الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ^٢، ونحوه من الآيات فيما أضاف التعليم والفعل إلى نفسه. فلو لم يكن له في ذلك صُنْعٌ لم يكن لإضافة ذلك إليه معنى فدل أنه تخلَّق أفعالهم منهم.

فإن قيل: إنما أضاف^٣ ذلك إلى نفسه بالأسباب التي أعطاهم. قيل: لا يحتمل ذلك، لأنه قد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع أسباب الشعر ولم يكن غيره من الشعراء أحق بأسباب الشعر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخبر أنه لم يعلمه الشعر، دل أنه لم يُرد به الأسباب ولكن أراد ما ذكرنا.

وأما في ترك الأصلاح فهو ما ذكر من قوله: ولقد آتينا داود وسليمان علما... وقال [سليمان]: يا أيها الناس عَلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. إنه إنما ذكر هذا على الامتنان والإفضال، فلو كان لا يجوز له أن لا يعطيه ذلك ولا كان له تَرْكٌ ما فعل بهم من الإفضال لم يكن لذكر ذلك له على الإفضال والامتنان معي، ولا كان داود وسليمان يَحْمَدَانِ على ما أعطاهما، ولا كان هو يستوجب الحمد بذلك إذ فعل ما عليه أن يفعل. دل أنه إنما أعطى ذلك لهم وفعل^٤ بهم ذلك على جهة الإفضال والامتنان، وكان له ترك ما فعل وإن كان ذلك لهم أصلاح في الدين. فهذان الوجهان ينقضان على المعتزلة مذهبهم في إنكارهم خلق الأفعال وجواز ترك الأصلاح في الدين.

ثم قوله: علما، قال بعضهم علما بالقضاء والحكم، والعلم بكلام الطير والدواب. وقال بعضهم: فضلا بالنبوة والعلم. لكن عندنا ذكر أنه آتاها العلم ولم يبيِّن ما ذلك العلم، ولا يفسر ذلك العلم^٥ أنه علم ماذا مخافة الكذب على الله. والله أعلم.

^١ سورة يس، ٦٩/٣٦.

^٢ سورة الرحمن، ١/٥٥-٤.

^٣ ع - التعليم والفعل إلى نفسه فلو لم يكن له في ذلك صنع لم يكن لإضافة ذلك إليه معنى فدل أنه خلق أفعالهم منهم فإن قيل إنما أضاف.

^٤ «فإن قيل: إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه هو الذي أعطاهم أسباب تحصيل ذلك العلم، والإضافة إلى السبب شائع في اللغة» (شرح التأويلات، ورقة ٥٥٣ ظ).

^٥ ع: وفعل.

^٦ ر ع م - ولا يفسر ذلك العلم.

وقوله: ^١ وورث سليمان داود، قال ^٢ أهل التأويل: ورث النبوة والحكم. والوارث هو الباقي بعد هلاك الآخر وفنائه، كقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، ^٣ أي نبقى بعد هلاك أهلها وفنائهم، وقوله: وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ، ^٤ أي الباقون بعد فنائهم، لا ^٥ أنه ورث شيئاً لم يكن له من قبل؛ وكذلك قوله: وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، ^٦ الآية، أي أبقاكم وترككم في أرضهم وديارهم، وقوله: وَتِلْكَ الْحِجَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا، ^٧ أي أبقيتم فيها، وأمثال ذلك كله راجع إلى البقاء. فعلى ذلك قوله: وورث سليمان داود، أي بقي في ملكه ونبوته. وعلى ذلك ما سأل زكريا ربه من الولد حيث قال: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، ^٨ لا يُحْتَمَلُ أَنْ يُسْأَلَ رَبُّهُ وَلَدًا يَرِثُ مَالَهُ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ، ولكن كأنه سأل ربه الولد ليبقى في نبوته ورسالته بعد وفاته لتبقى ^٩ النبوة في نسله. **وانه أعلم.**

وقوله: ^{١٠} وقال يا أيها الناس عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطير وَأوتينا من كل شيء، لا يُحْتَمَلُ أَنْ يُذَكَرَ هَذَا ^{١١} صلوات الله عليه على الافتخار والتهابه، ولكن ذكر فضل الله ونعمه التي أعطاها ^{١٢} ومن عليه [بها]، كقوله: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ. ^{١٣} ألا ترى ^{١٤} أنه قال: إن هذا هو الفضل المبين. ثم قوله: وَأوتينا من كل شيء، لا يُحْتَمَلُ كَلَّ شَيْءٍ لَأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْتُوا كَلَّ شَيْءٍ حَتَّى لَمْ يُبَقِّ شَيْءٌ، إنما أوتوا شيئاً دون شيء، ولكن كأنه قال: وَأوتينا من كل شيء سألناه أن يُؤْتِينَا. ^{١٥} أو أن يكون: وَأوتينا من كل شيء مما يُؤْتِي الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُلُوكَ وما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. **وانه أعلم.**

^١ ن: قوله.

^٢ ر م: وقال.

^٣ سورة مريم ٤٠/١٩.

^٤ ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ (سورة الحجر، ٢٣/١٥).

^٥ ر م: إلا.

^٦ سورة الأحزاب، ٢٧/٣٣.

^٧ ﴿وتلك الحجة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ (سورة الزخرف، ٧٢/٤٣).

^٨ سورة مريم، ١٩/٥-٦.

^٩ جميع النسخ: ليبقى.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ن - هذا.

^{١٢} جميع النسخ: أعطاه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٤ و٥٥.

^{١٣} سورة الضحى، ١١/٩٣.

^{١٤} ن: يرى.

^{١٥} ن: أن تؤتينا.

﴿وَحَشِرَ لِسَلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [١٧]

وقوله: وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُوزَعُونَ، قال^١ بعضهم: قوله: فهم يُوزَعُونَ، أي يجبس أولهم^٢ على آخرهم كأنه لا يدعهم أن ينتشروا ويتفرقوا ولكن يسيرهم مجموعين، على كل صنف منهم وَرَعَةٌ ترد أولهم على آخرهم، وذلك من سيرة الملوك وأمراء العساكر أن يسيروا جنودهم مجموعة غير منتشرة^٣ ولا متفرقة. وقال أبو عؤسجة: فهم يُوزَعُونَ، أي يساقون. ويقال: أوزعني، أي أهمني. والوَزْعُ من الكفِّ والسَّقِّ، تقول: وزع، أي كف،^٤ ووزع، أي ساق. وقال مرة: يوزعون يجتمعون، يقال: وزعت الإبل، أي جمعته، أزع وزعا. وقال القتيبي: يُوزَعُونَ، أي يُدفعون. وأصل الوَزْعُ الكفِّ والمنع، يقال: وزعت الرجل إذا كففته. ووازع الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق^٥ والانتشار وهو على ما ذكرنا.^٦

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتِ النَّمْلَةُ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٨]

وقوله: حتى إذا أتوا على وادي النمل، هذا يدل أن النمل وقتئذ لا تخالط الناس حيث أضاف الوادي إليها بقوله: حتى إذا أتوا على وادي النمل، ولو كانت تخالط الناس كهي الآن [٥٥٢ظ] لقال: حتى إذا أتوا على الوادي الذي فيه النمل، / دل أنها كانت لا تخالط الناس وكان لها مكان على جدة. والله أعلم.

وقوله^٧: قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، يخرج قوله: قالت نملة، على وجهين. أحدهما^٨ على حقيقة القول من النملة كما يكون من البشر، [وقد] أطلع الله سليمان [على] ذلك وألقاه في مسامعه لطفًا منه وفضلاً من بين سائر الخلائق، على ما ذكرنا في قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ،^٩ الآية.

^١ ن: وقال.

^٢ ع: ولهم.

^٣ ر م: منتشر.

^٤ ر - كف.

^٥ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٣.

^٦ ر ع م: ذكر.

^٧ ن: قوله.

^٨ ر ع م - أحدهما.

^٩ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤٤).

والثاني أن يجعل الله في سِرِّيَّةِ النمل معيَّ يفهم بعضها من بعض لما يريدون فيما بينهم من أنواع الحوائج على غير حقيقة القول. [وقد] أطلع الله سليمان على ذلك حتى فهم منها ما كانت تفهم بعضها من بعض لطفًا منه وفضلًا، وهو كقوله: **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**^١ ليس أحدٌ يقول لآخر إذا تصدق عليه ذلك، لكن الله أخبر عما علم من ضميرهم ومرادهم من التصدق^٢ على غير حقيقة القول منهم. فعلى ذلك قول النمل، أخبر سليمانَ عما كان في سِرِّيَّتِهَا فيما بينهم من غير أن كان منها نطق أو كلام يفهم به^٣ الخلق. **وإنه أعلم.**

وقالت الباطنية: ليس المراد من ذكر النمل النمل^٤ المعروفة وقولها. وكذلك قالوا في الهدد^٥ إنه لم يُرد به الهدهد المعروف، إذ لا يجوز أن يكون^٦ للهدهد من العلم أكثر مما يكون لسليمان ولغيره، ولكن أراد به الرجل وهو الإمام الذي يدعو الناس إلى الهدى ويدلهم على الرشد. وليس كما قالوا لأنه إنما ذكر هذا^٧ على التعجب، ولو كان ذلك إنسانا ممن يكون له قول وكلام لم يكن لذكر ذلك منه كبيرُ تعجب ولا فائدة، دل أنه ليس كما قالوا. وقوله: **لَا يَخْطُمُكُمْ**، أي لا يكسرنكم، والخطم هو الكسر. وفي حرف ابن مسعود: **لَا يَخْطُمُكُمْ**^٨ على طرح النون والتشديد^٩.

وقوله: **وهم لا يشعرون**، قال بعضهم: هذا من النملة ثناء على سليمان ومدح عليه لعدله في ملكه وسلطانه: إنه لو شعر بكم لم يخطمكم ولم يهلككم. وقال بعضهم: **وهم لا يشعرون**، أي لا يشعر جنوده كلام النمل. وهذا يدل أن النملة كانت رئيس سائر النمل وسيدتها حيث قالت ذلك^{١٠} من بين غيرها من النمل. وعلى كل رئيس وسيد القوم أن يحفظ رعيته

^١ سورة الإنسان، ٩/٧٦.

^٢ م: من الصدق.

^٣ ر ع م: منه.

^٤ ر ع م - النمل.

^٥ انظر: الآية ٢٠ من هذه السورة.

^٦ ر ع م - أن يكون.

^٧ م - هذا.

^٨ ر ن ع: لا يخطمكم.

^٩ وهي قراءة الأعمش، انظر: معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٦١/٣؛ قراءة ابن مسعود وردت على: ادخلن مساككن لا يخطمكن؛ انظر: كتاب المصاحف للسجستاني، ١٥٢.

^{١٠} ن - ذلك.

وحواشيته عن المهالك^١ وما^٢ يحملهم على الفساد. وقول من قال: إن النمل يومئذ كانت كالذباب عظيماً لا يحتمل، لأنها لو كانت كما ذكر لم يكن لقوله: وهم لا يشعرون معنى لأنها لو كانت كالذباب يشعرون بها، فدل أنها كانت على ما هي اليوم. والله أعلم.

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٩]

وقوله: ^٣ فتبسم ضاحكاً من قولها، قال بعضهم: تبسم ضاحكاً، أي سبّح الله لما فهم من قول النمل وحمد عليه. وتبسم الأنبياء التسييح؛ وجائز أن يكون التبسم هو السرور، إذ التبسم إنما يكون لسرور يدخل في الإنسان. فقوله: فتبسم ضاحكاً، أي سُرّ بما أعطاه الله من عظم النعمة له والملك، ألا ترى^٤ أنه سأل ربه الإلهام ليشكر نعمه التي آتاه الله حيث قال: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، سأل ربه^٥ الإلهام واللفظ الذي يكون فيه ليشكر نعمه.^٦ ولو كان الإلهام هو الإعلام على ما قاله بعض الناس لم يكن سليمان ليسأله ذلك لأنه كان يعلم أن عليه شكر نعمه، وكذلك يعلم كل أحد أن عليه شكر نعمه، فدل سؤاله الإلهام على الشكر أنه إنما سأل اللطف الذي عنده به يشكر نعمه إذا أعطاه، وهو التوفيق لا الإعلام^٧ الذي قالوه. وقوله: وعلى والدي، فيه أنه^٨ يجب على المرء شكر النعم التي أنعم الله على والديه. وسأل ربه أيضاً أن يوفقه على العمل الذي يرضاه منه حيث قال: ^٩ وأن أعمل صالحاً ترضاه. وقوله: ^{١٠} وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين، جائز أن يكون سؤاله هذا بإدخاله فيما ذكر كسؤال يوسف حيث قال: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، ^{١١} سأل ربه التوفيق

^١ ر ع م - عن المهالك.

^٢ ر ع م: أو ما.

^٣ ن: قوله.

^٤ ن: يرى.

^٥ ع: به.

^٦ وعبارة الشرح هكذا: (ورقة ٥٥٤و): «سأل ربه تعالى الإلهام واللطف والتوفيق الذي يقدر [به] على شكر نعمه».

^٧ ر: لا إعلام.

^٨ جميع النسخ: أن.

^٩ ر م - قال.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} سورة يوسف، ١٢/١٠١.

على الإسلام والإحاق بالصالحين. فعلى ذلك سؤال سليمان يشبه أن يخرج على ذلك. ثم فيه دلالة أن النجاة ودخول الجنة إنما يكون برحمة الله لا بالعمل، حيث قال: وأدخلني برحمتك، بعد ما سأل ربه العمل الصالح المرضي عنده.^١

وقوله: أوزعني، أي ألهمني، والإيزاع الإلهام،^٢ والوزع الكف والسوق. وقال القُتيبي: وأصل الإيزاع الإغراء بالشيء، يقال: أوزعته بكذا، أي أغريته، وهو موزع بكذا ومولع بكذا.^٣

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [٢٠] ﴿لَأَعَدِّيَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [٢١]

وقوله: وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، عن ابن عباس رضي الله عنهما^٤ قال: [أ] تدررون كيف تفقد سليمان الهدهد؟ ثم قال: إنه إذا كان في قلاة من الأرض دعا الهدهد فسأله عن بُعد الماء في الأرض وَعَوَّرَهُ فهو يعلمه من بين غيره من الطيور، لذلك تفقده وسأله عن حاله.^٥ وذكر أنه سأل ابن سلام عن ذلك فأخبره^٦ بذلك.^٧ لكن هذا بعيد،^٨ لأن سليمان صلوات الله عليه كانت له الرياح مسخرة. ذكر أنها كانت تحمله وتسير به كل غداة مسيرة شهر وكل عَشِيَّة كذلك، وهو قوله: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عُذُوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا / شَهْرٌ،^٩ فلا يحتمل أنه إذا وقعت له الحاجة إلى الماء أن لا يبلغ إلى الماء حتى [٥٥٣] يحتاج إلى أن يُخَفَّرَ له البئر فيُستخرج منها^{١٠} الماء. أو ما^{١١} كان له من الشياطين والجن مسخرين له مذللين حتى قال واحد منهم: أَنَا آتِيكَ بِهِ، يعني عرش بلقيس، قَبَّلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ،

^١ ر م - عنده.

^٢ ر ع م: إلهام.

^٣ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٣.

^٤ ن م: عنه.

^٥ ع + لا.

^٦ تفسير الطبري، ١٩/١٤٤.

^٧ ر م: فأخبر.

^٨ تفسير القرطبي، ١٣/١٧٧-١٧٨.

^٩ ن: يبعده.

^{١٠} سورة سبأ، ٣٤/١٢.

^{١١} ر ع م: منه.

^{١٢} ر م: وما.

وقال الآخر: **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.**^١ فمن له سلطان وقوة على القدر الذي ذكر لا يحتمل أن يقع له الحاجة إلى الماء، وإذا وقعت^٢ يحتاج إلى أن يتكلف وصوله إليه بالهدهد مع تكلف الحفر في الأرض. هذا يعُد بمرّة.^٣ **وَاللَّهُ أَعْلَم.** إلا أن يخرج على الامتحان ويكون تفقده الطير لما كان عليه حفظهم جميعا ومنعه إياهم عن الانتشار في الأرض والتفرق، لا لما ذكروا هم،^٤ والله أعلم، لما على كل ملك وأمير حفظ رعيته وحاشيته والتفقد عن أحوالهم وأسبابهم، فعلى ذلك هذا.

ثم يحتمل أن يكون من كل صنف من الطير واحدا لا عددا حتى قال: **مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّهِدَ،** إذ لو كان عددا من الهداهد لقال: **مَا لِي لَا أَرَى هَدَّهَدًا** من الهداهد، إلا أن يكون الذي فقده كان رئيسا لغيره من الهداهد وسيدهم.^٥ فحائز أن يقال ذلك: **مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّهِدَ** من بين غيرهم، يغيب عن بصري ولا أدركه، **أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ** منهم. فكأنه سأل واحدا منهم عن ذلك فأخبر أنه من الغائبين فعند ذلك قال: **لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا،** الآية.

فقال الباطنية في ذلك: إن سليمان لا يحتمل أن يعذب من ليس بمخاطب في شيء ولا يجري عليه القلم، فدل وعيده إياه من التعذيب والذبح أنه لم يكن هدهدا معروفا ولكن كان رجلا ممن يخاطب ويجرى عليه القلم. وكذلك قالوا في النملة: إنه كان رجلا ممن يكون منه الكلام والفهم، وأما النملة المعروفة فلا يحتمل.

لكن الجواب لهم في ذلك أن الله خلق هذه الدواب والطيور وغيرها من الأشياء لمنافع البشر ولحاجاتهم، فحائز تعذيبها وذبحها للرد إلى منافعهم إذا امتنعت عن الانتفاع بها، على ما تؤدب الدواب وتعذب للريضة والتعليم لردها إلى الانتفاع بها. أو يعذبه^٦ لما يشغله عن ذكر الله

^١ سورة النمل، ٢٧/٣٩-٤٠.

^٢ ع + له الحاجة إلى الماء أن لا يبلغ إلى الماء حتى يحتاج إلى أن يخفر له البئر فيستخرج منه الماء وما كان له من الشياطين والجن مستخريين له مذللين حتى قال واحد منهم أنا آتيك به يعني عرش بلقيس قبل أن تقوم من مقامك وقال الآخر أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فمن له سلطان وقوة على القدر الذي ذكر لا يحتمل أن يقع له الحاجة إلى الماء وإذا وقعت.

^٣ وعبارة الشرح هكذا: «هذا بعيد مرة» (ورقة ٥٥٤و).

^٤ م: ذكروهم.

^٥ ر: هدهد.

^٦ جميع النسخ: سيدهم.

^٧ ر م: يعذب.

والقيام ببعض أموره على ما ذَكَرَ في آية أخرى حيث قال: إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِبَاذُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ^١، الآية، لما شغلته^٢ عن ذكر ربه. فعلى ذلك جائز أن يكون تعذيب المهدهد على الوجوه التي ذكرنا.

ومن الناس من استدل بهذا على مخاطبة الطيور والدواب وغيرها وتكليفها بأمر كما يكلف غيرها من الخلائق ومخاطب^٣، واحتج على هذا بقوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ^٤، أخبر أن الطير وغيره أمم أمثالنا. وقد أخبر في آية أخرى أنه لم تخل^٥ أمة عن أن يكون فيها نذير بقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ^٦، الأمة التي هي أمثالنا من الإنس والجن، دليله قوله: وَمَا تَخَلَّقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ^٧، وقوله: وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحُجَّتِهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ^٨، الآية ونحوه كثير. وقوله: إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ، ليس في الخطاب والتكليف ولكن في أشياء كثيرة.

* ثم العجب من أمر بليغ أن كيف خفي خبرها وأمرها على سليمان كل ذلك الخفاء وكانت بقرب منه، وكانت ملكة جبارة ذات سلطان ومُلك، وكان يذهب في كل عُذْوٍ مسيرة شهر وفي كل رواح كذلك، كيف لم يطَّلِع على أمرها وخبرها وكانت الجن والشياطين مسخرين له ومذللين^٩ يعملون له الأعمال الصعبة الشديدة ويطوفون في الآفاق والأفق، وكان هو يُبعث إلى الدعاء إلى توحيد الله، كيف خفي عليه أمرها وخبرها كل هذا الخفاء حتى أخبره بذلك المهدهد؟ هذا والله أمر عجيب! ومن عادة الملوك أيضا أنهم يطَّلِع بعضهم على أمور بعض ويعلم بأحواله. لكن يُحتمل خفاء خبرها عليه لما لا^{١٠} يتجاسر كل أحد أن يكلمه في ذلك وأن يُعلمه عن حالها وإن كان لا يَعْلَم هو ذلك إلا بعد السؤال وطلب الخبر تعظيما له وإجلالا.

^١ سورة ص، ٣٨/٣١-٣٢.

^٢ ر م: شغلته.

^٣ ر م - ومخاطب.

^٤ سورة الأنعام، ٦/٣٨.

^٥ ع: لم يخل.

^٦ سورة فاطر، ٣٥/٢٤.

^٧ سورة الذاريات، ٥١/٥٦.

^٨ سورة الأعراف، ٧/١٧٩.

^٩ ن: مذللين.

^{١٠} ع - لا.

وهكذا الملوك ليس يتجاسر كل أحد على أن يخبره^١ عن كل أمر وخبر إلا بعد السؤال إياه تعظيماً لهم وتوقيراً. فعلى ذلك أمر سليمان مع بلقيس. أو أن يكون لأمر وسبب لم يبلغنا ذلك ولم نشعر به.

[٥٥٣ظ] وقال بعض أهل التأويل / في قوله: وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد، إنما طلبه^٢ وتفقدته لأن الطير قد تُظَلَّه على رأسه من الشمس، فلما نظر إلى الطير وجد موضع الهدهد خالياً يقع عليه الشمس فعند ذلك قال: ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. وقالوا في قوله: لأعذبنه عذاباً شديداً، أي لأتُقَنَّ ريشه حتى تصيبه الشمس فذلك هو العذاب الشديد. لكن لا نفسر [ماهية] ذلك^٣ العذاب الشديد الذي أوعدته سليمان مخافة الكذب. والله أعلم.*

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنِيٍّ يَقِينٍ﴾ [٢٢]
 ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَزِيزٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٣]

وقوله: فمكث غير بعيد، أي لم يمكث طويلاً حتى جاءه. وفي^٤ حرف ابن مسعود: فمكث غير بعيد ثم جاءه. فقال: ^٥ أحطت بما لم تُحِطْ به، كأنه سأل: أين كنت؟ فقال عند ذلك له: أحطت بما لم تُحِطْ به. وفي حرف أبي: أحطت بما لم تُحِطْ به أنت ولا أحد من جنودك،^٦ أي بلغت ما لم تبلغ أنت أو علمت ما لم تعلم [ه] أنت ولا أحد من جنودك. ثم قال: وجئتك من سبأ بنياً يقين، لا شك فيه، فكانه سأل عن ذلك النبيا فقال عند ذلك -والله أعلم- إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء، أي أوتيت من كل شيء^٧ يؤتى الملوك على ما ذكرنا في قوله: وأوتيتنا من كل شيء.^٨

^١ جميع النسخ: عن أن يخبره.

^٢ ر م: طلب.

^٣ جميع النسخ: ما ذلك.

* وقع ما بين النجمتين متأخراً عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٣/سطر ٣١-٥٥٣/سطر ٥.

^٤ ر: أو في.

^٥ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٩.

^٦ م - جنودك.

^٧ كتاب المصاحف للسجستاني، ١٥٢.

^٨ ر م - أي أوتيت من كل شيء.

^٩ سورة النمل، ١٦/٢٧. وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٣/سطر

٣١-٥٥٣/سطر ٥.

وقوله: **فمكث غير بعيد**، قال بعضهم: غير طويل. وجائز أن يكون **فمكث** وقتا يأتي في مثله من كان بعيدا،^١ لأنه إنما يعبر عن المكان لا عن الوقت في الظاهر. **فقال أحطت بما لم تحط به**، كأنه يريد المناصحة له والشفقة، يقول:^٢ **أتيتك من العلم والخير ما لم تأت أنت ولا أحد من جنودك فكيف تعذبني؟** وفي حرف عبد الله [بن مسعود]: **فتمكث**^٣ غير بعيد ثم جاءه. قال أبو معاذ: مكث بنصب الكاف ورفعها: مكث، لغتان.

وقوله:^٤ **وجئتك من سبأ بنيا يقين**، قال بعضهم: حتى لا شك فيه، أي عند هدهد. وأما عند سليمان فلا.^٥ **ألا ترى**^٦ أن سليمان قال له: **سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**،^٧ وقف في خبره لينظر أصدق ما يقول أم كذب. وقال بعضهم: بنيا يقين، أي عجيب.

ثم اختلف في قوله **من سبأ بنيا**، قال بعضهم: سبأ اسم رجل تنسب القرية إليه. وقال^٨ بعضهم: اسم بلدة. وقال أبو عؤسجة: سبأ أبو اليمن. فمن جعلها اسم بلدة لم **يَجْرَ**^٩ ومن جعلها اسم رجل جز.^{١٠} **والله أعلم**.

وقوله:^{١١} **إني وجدت امرأة تملكهم**، كأنه^{١٢} على الإضمار، أي وجدت امرأة^{١٣} تملك أهل سبأ، **ألا ترى**^{١٤} أنه قال في آخره: **وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**،^{١٥} ذكر القوم في آخر الآية دل أن الأهل كان مضمرا فيه.

١ جميع النسخ: بعيد.

٢ ر ع م: يريه.

٣ ر م: بقوله.

٤ ر: فمكث. كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٩.

٥ ن: قوله.

٦ أي فلا يفيد الإيقان.

٧ ر: لا.

٨ ن: يري.

٩ سورة النمل، ٢٧/٢٧.

١٠ جميع النسخ: ينسب.

١١ ع: قال.

١٢ أي يجعلها غير منصرفة.

١٣ ر ع م: جره.

١٤ ن: قوله.

١٥ ر م: كأنهم.

١٦ ر ع م + تملكهم أي.

١٧ ن: يري.

١٨ الآية التالية.

وقوله: ^١ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، أي أوتيت من كل شيء، كما يؤتى الملوك من الذكور من الأسباب والهيئة ^٢ والهيئة ^٣ وغير ذلك. وقال بعضهم: وأوتيت من كل شيء في بلادها.

ولها عرش عظيم، قال أهل التأويل: أي لها سرير حسن عظيم ^٤ صَحْمٌ كذا كذا ذراعا طوله، وكذا كذا ذراعا عرضه. وجائز أن يكون العرش كناية عن الملك كأنه قال: ولها عرش عظيم، أي ملك عظيم.

﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ

عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [٢٤]

وقوله: ^٥ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قال هذا لِعِظَمِ ما وقع عند الهدهد من السجود لغير الله ليعلم أن الطير وغيرها من البهائم يعرفون الله ويوحّدونه، وهو كقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ^٦.

ثم قوله: يسجدون للشمس من دون الله، أي ^٧ يعبدون الشمس من دون الله. ^٨ وجائز: يطيعون للشمس ويخضعون لها ^٩ من دون الله.

وقوله: ^{١٠} وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ، أي زين لهم الشيطان أعمالهم ^{١١} الخبيثة السيئة حتى رأوها حسنة، فصدهم عن السبيل، وهو سبيل الله، لأن السبيل المطلق هو سبيل الله وهو الإسلام، والكتاب المطلق كتاب الله.

^١ ن: قوله.

^٢ ع - والهيئة.

^٣ م: والهيئة والهيئة؛ ع - والهيئة.

^٤ ع: عظم.

^٥ ن: قوله.

^٦ ع م: العظم.

^٧ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٤٤).

^٨ ر م - أي.

^٩ ر + أي يعبدون الشمس من دون الله.

^{١٠} ر ع م: ويخضعونها.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ر ع م - أي زين لهم الشيطان أعمالهم.

وقوله: ^١ فهم لا يهتدون، فإن كان هذا القول من هدهد فتأويله: ^٢ فصددهم عن السبيل فهم ^٣ غير مهتدين، لأنه لا يحتمل أن يعرف أنهم لا يهتدون في حادث الوقت. وإن كان من الله فهو إخبار أنهم لا يهتدون أبدا لما علم أنهم لا يهتدون. والله أعلم.

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [٢٥]

وقوله: ^٤ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء، اختلف في تلاوته وتأويله ^٥ بالتخفيف والتشديد؛ فمن قرأ بالتشديد ألا يسجدوا، فهو يخرج على وجهين. أحدهما على طرح "لا" كأنه يقول: فهم لا يهتدون أن يسجدوا، أي هم لا يهتدون أن يسجدوا. والثاني صلة قوله: فصددهم عن السبيل، لئلا يسجدوا. ومن ^٦ قرأ بالتخفيف فهو يخرج على الأمر، أي ألا فاسجدوا لله. وقال بعضهم: "ألا" بالتخفيف: هلا يسجدوا لله، وكذلك ذكر ^٧ في حرف ابن مسعود أنه قرأ: هلا يسجدوا لله، ^٨ وهو حجة من ^٩ قرأ بالتخفيف. وفي حرف أبي: ألا تسجدوا لله، ^{١٠} بالتاء على المخاطبة ^{١١} إلى قوله: ويعلم ما تسرون وما تعلنون. ^{١٢} وذكر في حرف حفصة: ألا تسجدون [ثبوت] النون. ^{١٣} قال الكسائي: ومن شدد "ألا" فتأويله: زين لهم الشيطان أن لا يسجدوا، على ما ذكرنا. وأما التخفيف فهو على وجه الأمر، أي اسجدوا، و"ألا" صلة، و[كذلك حرف] ^{١٤} "يا" صلة أيضا.

^١ ن: قوله.

^٢ ر ع م: وتأويله.

^٣ ر: منهم.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر ع م - وتأويله.

^٦ ر ع م: من.

^٧ ع - ذكر.

^٨ كتاب المصاحف للسجستاني، ٦٩.

^٩ ع: ومن.

^{١٠} ر م - لله.

^{١١} ع: على المخالطة.

^{١٢} كتاب المصاحف للسجستاني، ١٥٣.

^{١٣} لم أعثر على هذا الحرف في قراءة حفصة؛ انظر: كتاب المصاحف للسجستاني، ٢١٢-٢١٤.

^{١٤} التصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٥ ظ.

﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ [٢٨]

ثم قال له: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، لا يحتمل أن يكون سليمان أمر الهدهد بذهاب الكتاب إليها ويؤليه تبليغ ذلك إليها وهو أعظم من خبره الذي أخبره بذلك [إلا] بعد ما وقف في خبره^١ قبل أن يتبين ويظهر له صدقه في خبره. فدل توليته إياه بتبليغ^٢ الكتاب إليها أنه قد ظهر له صدقه فيما أخبره من أمر تلك المرأة؛ إما بوحى من الله تعالى إليه أو [بما] انتهى^٣ إليه من الخير ما قد علم بذلك علم يقين وإحاطة. فعند ذلك وآه بتبليغ^٤ الكتاب إليه حيث قال له: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون.

وقوله: ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون، يحتمل وجهين. أحدهما ألقى الكتاب إليهم ثم تول، أي استتروا^٥ واختف عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردون^٦ فيما بينهم من الكلام والجواب.^٧ والثاني على التقديم والتأخير كأنه قال: ألقى الكتاب إليهم فانظر ماذا يرجعون من الجواب، ثم تول عنهم، أي أعرض عنهم. ففعل ما قال له سليمان من إلقاء الكتاب إليها وإن لم يذكر في الآية حيث قالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [٢٩]

يا أيها الملأ إنني ألقى إلي كتاب كريم، فكأنهم قالوا: ممن ذلك الكتاب؟ فقالت عند ذلك: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ.^٨ وقوله: كتاب كريم، قال بعضهم: أي^٩ حسن، لما^{١٠} رأته فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف. وقال بعضهم: كتاب كريم، أي محتوم. وقد ذكر^{١١} في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «من كرم الكتاب ختمه»^{١٢} أو كلام

^١ م: في خبر.

^٢ ر ع م: تبليغ.

^٣ ر ع م: وانتهى.

^٤ ر ع م: تبليغ.

^٥ ع: استتروا.

^٦ م: وما يردون.

^٧ ن - والجواب.

^٨ الآية التالية.

^٩ م - أي.

^{١٠} ع: ما.

^{١١} ع - ذكر.

^{١٢} المعجم الأوسط للطبراني، ١٦٢/٤؛ ومسنَد الشهاب للقضاعي، ١٥٨/١.

﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ [٢٨]

ثم قال له: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، لا يحتل أن يكون سليمان أمر الهدهد بذهاب الكتاب إليها ويؤليه تبليغ ذلك إليها وهو أعظم من خبره الذي أخبره بذلك [إلا] بعد ما وقف في خبره^١ قبل أن يتبين ويظهر له صدقه في خبره. فدل توليته إياه بتبليغ^٢ الكتاب إليها أنه قد ظهر له صدقه فيما أخبره من أمر تلك المرأة؛ إما بوحي من الله تعالى إليه أو [بما] انتهى^٣ إليه من الخير ما قد علم بذلك علم يقين وإحاطة. فعند ذلك وآه بتبليغ^٤ الكتاب إليه حيث قال له: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون.

وقوله: ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون، يحتل وجهين. أحدهما ألقى الكتاب إليهم ثم تول، أي استترو^٥ واختف عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردون^٦ فيما بينهم من الكلام والجواب.^٧ والثاني على التقديم والتأخير كأنه قال: ألقى الكتاب إليهم فانظر ماذا يرجعون من الجواب، ثم تول عنهم، أي أعرض عنهم. ففعل ما قال له سليمان من إلقاء الكتاب إليها وإن لم يذكر في الآية حيث قالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [٢٩]

يا أيها الملأ إنني ألقى إلي كتاب كريم، فكأنهم قالوا: ممن ذلك الكتاب؟ فقالت عند ذلك: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ.^٨ وقوله: كتاب كريم، قال بعضهم: أي^٩ حسن، لما^{١٠} رأته فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف. وقال بعضهم: كتاب كريم، أي محتوم. وقد ذكر^{١١} في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «من كرم الكتاب ختمه»^{١٢} أو كلام

^١ م: في خبر.

^٢ ر ع م: تبليغ.

^٣ ر ع م: وانتهى.

^٤ ر ع م: تبليغ.

^٥ ع: استتروا.

^٦ م: وما يردون.

^٧ ن - والجواب.

^٨ الآية التالية.

^٩ م - أي.

^{١٠} ع: ما.

^{١١} ع - ذكر.

^{١٢} المعجم الأوسط للطبراني، ٤/١٦٢؛ ومسنَد الشهاب للقضاعي، ١/١٥٨.

نحو هذا أو شبهه.^١ وجائز أن يكون فيه إضمار، أي: إني ألقى إلي كتاب من إنسان كريم، وسليمان كان معروفا بالكرم. يشبه أن يكون قد أتاها خبر كريمة. و[أما] الملاء قيل: ^٢ هم الأشراف وأهل السؤدد. وقال الزجاج: سُمُوا [الملاء] ^٣ لما اجتمع عندهم من حاجات الناس وحسن الرأي والتدبير في كل شيء من الأمور، ^٤ أو كلام نحو هذا.

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٣٠] ﴿أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [٣١]

وقوله: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، هو ما ذكرنا، كأنهم سألوها ممن ذلك الكتاب؟ فقالت: إنه من سليمان. وسألوها أيضا ما في ذلك الكتاب؟ فقالت: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا علي وأتوني مسلمين. قوله: ألا تعلموا علي، أي لا تستكبروا ولا تعظموا علي وأتوني مسلمين، مخلصين لله بالتوحيد، أي اجعلوا أنفسكم سالمة لله خالصة له، لا تجعلوا^٥ لأحد سواه فيها شركا^٦ ولا حقا؛ لأنه أخبر أنهم كانوا يسجدون^٧ للشمس من دون الله، فيخبر في الكتاب حيث افتتح بسم الله الرحمن الرحيم، أي^٨ الذي يستحق السجود والعبادة هو الله الرحمن الرحيم، لا ما تعبدون أنتم.

ثم إن من^٩ عادة الأنبياء والرسل الإيجاز في الكلام والرسائل، لا يشتغلون بفضول الكلام وتطويله على ما ذكر من كتاب سليمان إلى بلقيس: بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلموا علي وأتوني مسلمين، ذكر أن هذا القدر كان الكتاب.^{١٠} وإنه أعلم.

^١ ن ع: شبهه.

^٢ جميع النسخ: قالوا.

^٣ الزيادات والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٥٥ ظ.

^٤ ن + فيهم.

^٥ معاني القرآن للزجاج، ٥/١٢٨.

^٦ ر: لتكبروا.

^٧ ع - لا تجعلوا.

^٨ ن: شركاء.

^٩ ع + لله خالصة له لا تجعلوا لأحد سواه فيها شركا ولا حقا لأنه أخبر أنهم كانوا يسجدون.

^{١٠} جميع النسخ: أن؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٥٥ ظ.

^{١١} ر ع: ثم من إن - ن - من.

^{١٢} أي إن الكتاب الذي أرسله إلي بلقيس كان عبارة عن هذا الخطاب الوجيز ولم يختو على شيء آخر.

[٥٥٤هـ] وقوله: / لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا.^١ ومن ذلك^٢ استشارة بلقيس أشرف قومها^٣ في ذلك وجوابات قومها لها وإخبارها إياهم من طبع الملوك وعاداتهم من الإفساد والقتل والإذلال حيث [قالت:]

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [٣٤]
 إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون. قال أهل التأويل: هذه شهادة من الله لها بما قالت والتصديق لها فيما أخبرت أنهم كذلك يفعلون بكبرائهم.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [٣٥]

ثم قال: وإني مرسلّة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون. ذكر أنها قالت: إن لي في هذا رأياً؛ فإن يك صاحب دُنْيَا فعسى أن نرضيه بالمال فيسكت عنا^٤ ويكف شرّه، وإن يكن نبياً فلا يقبل ذلك منا وسنعرف.^٥ فعملت ذلك^٦ وأرسلت إليه بهدايا فلم يقبلها سليمان فعرفت أنه نبي. وهذا كان منها تديباً وحسن رأي^٧ في الأمر واحتيالاً^٨ [حيث] وقفت^٩ في ذلك [و] لم تشتغل^{١٠} بالحرب والقتال على^{١١} ما أشار إليها^{١٢} قومها. وقال ابن عباس: قالت بلقيس لما أتتها كتاب سليمان واستشارت قومها في ذلك وطلبت فُتْيَاهِم فآفتوا لها بما آفتوا قالت: أبعثُ إليه بهدية فإن قبلها فهو ملك فأحاربه وإن لم يقبلها فهو نبي أتابعه.^{١٣}

^١ سورة النمل، ٢٧/٢١.

^٢ م: أو من ذلك.

^٣ ن: قومها.

^٤ جميع النسخ: عنها؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦و.

^٥ جميع النسخ: وسيعرف؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦و.

^٦ ن + برأيه.

^٧ جميع النسخ: الرأي.

^٨ ر: واحتيالاً؛ م: واحتيالاً.

^٩ جميع النسخ: وقفت؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦و.

^{١٠} ع: لم يشتغل.

^{١١} ع + على.

^{١٢} ر ع م: لها.

^{١٣} تفسير الطبري، ١٥٥/١٩-١٥٦.

قال أبو عؤسجة: فناظرة،^١ [هو من:] أَنْظَرْتُهُ نِظْرَةً، أي أمهلته. والنظرة في الدّين خاصة،
والإنظار^٢ [مطلق].^٣

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ
تَفْرَحُونَ﴾ [٣٦]

وقوله:^٤ فلما جاء سليمان، يحتمل^٥ الرسول الذي بعثته^٦ بلقيس بالهدية.^٧ ويحتمل فلما
جاء سليمان المال الذي بعثت إليه، يحتمل [أن يكون]^٨ ذا أو ذا.

وقوله:^٩ قال أتمدونن بمال، أي أعطوني بمال. وقال أهل الأدب: أتمدونن بمال، من المدد،
والمدد^{١٠} الزيادة كما يُمدّ القوم^{١١} فيكون^{١٢} الإيعاء، كقوله: وَأَمْدَدْنَا هُمْ بِمَا كِهَتْ وَحَمَّ مِمَّا
يَسْتَهُونَ،^{١٣} ويحتمل هذه الزيادة. والله أعلم.

وقوله:^{١٤} فما آتاني الله خير مما آتاكم، أي ما آتاني الله من النبوة والعلم والحكمة خير
مما آتاكم، من الأموال. ويحتمل: فما آتاني الله، فأؤيتكم إذا أتيتموني مسلمين خير مما آتاكم،
إذا^{١٥} لم تأتونني^{١٦} [مسلمين]^{١٧} وأبيتم^{١٨} الإسلام، أو كلام نحو هذا. وقال بعض أهل التأويل:

^١ جميع النسخ + قال.

^٢ جميع النسخ: وهو الإنظار.

^٣ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٦ و.

^٤ ن: قوله.

^٥ جميع النسخ - يحتمل.

^٦ ر م: بعث؛ ن ع: بعثت.

^٧ جميع النسخ: الهدية.

^٨ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٦ و.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر - والمدد.

^{١١} ن + القوم.

^{١٢} جميع النسخ: ويكون؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦ و.

^{١٣} سورة الطور، ٢٢/٥٢.

^{١٤} ن: قوله.

^{١٥} ر م: إذ.

^{١٦} ر م: تقوتوني.

^{١٧} الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٦ و.

^{١٨} ر ع م: وأؤيتم.

فما آتاني الله من الملك، خير مما آتاكم، من الملك، لأنه سخر له الجن والإنس والشياطين والطيور والرياح وجميع الأشياء، فذلك خير له^١ وأعظم من ملكها. والأول أشبه وأقرب، إذ لا يُحتمل أن يفتخر سليمان بملكه على غيره، إنما يكون افتخاره بالدين والنبوة. والله أعلم.

وقوله: بل أنتم بهديتكم تفرحون، قال بعضهم: بل أنتم بهديتكم تفرحون، إذا ردت إليكم. لكن هذا بعيد [لأن المَهْدِيَّ] لا يفرح^٢ برد الهدية إذا ردت عليه ولم تقبل، بل يجزن^٤ على ذلك ويهتم. لكنه يقول -والله أعلم- بل أنتم أولى بالفرح بالمال والهدايا منا، إذ مرادكم المال والدنيا ومرادنا الدين والدار الآخرة، أو كلام نحو هذا. والله أعلم بذلك.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [٣٧]

وقوله: أرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها، قال ذلك -والله أعلم- للرسول الذي أتاه بالهدية: أرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها، أي لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها إن لم يأتوني مسلمين، ولنخرجتهم منها أذلة وهم صاغرون، إن لم يأتوني مسلمين.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [٣٨]

ثم قال سليمان عليه السلام: يا أيها الملأ، إنما خاطب به أشراف قومه. وهكذا العادة في الملوك أنهم إذا خاطبوا أحدا بشيء إنما يخاطبون أهل الشرف والمنزلة منهم. أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال بعض أهل التأويل: إنما قال هذا لأنه علم نبي الله أنهم متى ما أسلموا يحرم أموالهم مع دمائهم، فأحب أن يؤتى به قبل أن يكون ذلك من أمرهم وقبل أن يحرم ذلك^٥ عليه. لكن^٦ هذا محال بعيد وخش من القول، لا يُحتمل أن يكون رغبة سليمان في الأموال؛

^١ م: له.

^٢ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٦ و.

^٣ ر ع م: تفرح.

^٤ ع: بل الحرب؛ ن: بل يجوز؛ م: بالحرب.

^٥ جميع النسخ: وتهتم.

^٦ ن: قوله.

^٧ ن - قال ذلك والله أعلم للرسول الذي أتاه بالهدية أرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قِبَلَ لهم بها، صح.

^٨ ر: متما؛ ن ع: متيما.

^٩ ر ع م - من أمرهم وقبل أن يحرم ذلك.

^{١٠} ع: لكن.

[و] هذا الذي ذُكر بعد ما رد هداياها إليها وأخبر [هم قائلًا]: إنكم تفرحون بها لأنكم أهل الدنيا، إذ رغبة أهل الدنيا في الأموال، ونحن أهل الدين رغبتنا في الدين، به نفرح، ثم يستعجل [صلوات الله عليه] ^٢ كل هذا الاستعجال رغبةً في مالها وعرشها. لكنه - والله أعلم - يخرج على وجهين. أحدهما أنه أراد أن يريهم قوته وسلطانه بأن ^٣ يرفع واحدًا من جنوده عرشها مع عظمه. معاينة منهم ومشاهدة وحمّله من بينهم، ليعلموا أن من قدر على هذا لقادر أن يأتيهم بجنود لا طاقة لهم بها^٤ تصديقًا لما قال: فَلَتَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا يَظُنُّونَ أَنَّهُم بِهَا، ^٥ و[أنه] ^٦ يقدر على قهرهم وغلبتهم.

والثاني أراد أن يريهم آية من آيات نبوته إذا أتوه^٧ ليعلموا أنه نبي ليس بملك. وهذا التأويل الذي ذكرنا آية لكنه قبل أن يأتوهم [مسلمين] ليعلموا أنه نبي ليس بملك. وقوله: قبل أن يأتوني مسلمين، أي مصالحين، وذلك جازز في اللغة.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [٣٩]

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [٤٠]

وقوله: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، قال بعضهم: مقامه^٨ مجلسه الذي كان يقضى فيه إلى أن يفرغ من قضائه حتى يؤتى به. وإني عليه لقوي أمين، لأن الجن أقوى من الإنسان. وصف نفسه بالأمانة لأن الجن لا يرغبون في^٩ الأموال [ك] ما يرغب الإنسان. وقال بعضهم: أمين على فرج تلك المرأة، ^{١٠} [و] مقامه مجلس الرجل يكون فيه حتى يقوم. ولكن لا ندري ما أراد بمقامه / الذي ذكر.

[٥٥٥]

^١ جميع النسخ: دنيا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦ و٥٥٧.

^٢ جميع النسخ: ويستعجل؛ والتصحيح مع الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٦ و٥٥٧.

^٣ جميع النسخ: أن.

^٤ ر م - بها.

^٥ الآية السابقة.

^٦ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٦ و٥٥٧.

^٧ جميع النسخ + قبل أن يأتوني مسلمين.

^٨ ن: مقام.

^٩ ر ع م - في.

^{١٠} هذا القول منسوب إلى ابن عباس، انظر: تفسير القرطبي، ١٣/٢٠٤؛ وورد غير منسوب إلى أحد في تفسير الطبري،

* قال القُتَيْبِيُّ: **عَفْرِيَّت**، أي شديد وثيق. وأصله عَفْرٌ^١ زيدت التاء فيه، يقال: عَفْرِيَّت نَفْرِيَّت وَعَفْرِيَّة نَفْرِيَّة،^٢ وَعَفْرِيَّة [وَلَمْ يَسْمَعْ بِ]ثُقْفَارِيَّة.^٣ وقال أبو عَوْسَجَةَ: العَفْرِيَّت الخبيث المارد، وعَفْرَارِيَّت جميع.*

وقال بعضهم أراد سليمان أن يكون أعجل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب - ذكر أنه كان رجلا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب - أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. ثم اختلف^٤ [في] ارتداد طرفه؛ قال بعضهم: هو أن يبعث رسولا إلى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به. وقال بعضهم: هو الرجل ينظر إلى الشيء البعيد قبل أن يرجع إليه طرفه. فلما رآه مستقرا عنده، قال بعضهم: دخل في نَفَق من الأرض فخرج بين يدي سليمان، يعني العرش، كأنه - والله أعلم - أتاه إذا دعاه بذلك الاسم من غير أن تكلف هو حمله أو إتيانه به.^٥ فهذا يدل أن الآيات قد تجري على غير أيدي الرسل، لكن تكون^٦ الآية للرسول وإن كانت تجري على أيدي غيرهم.

ثم قال: ^٧ هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر، قال بعضهم: والله ما جعله فخرا ولا أشرا ولا بطرا لكنه^٨ جعله شكرا وتواضعا. [و] قال بعضهم: لما دعا ذلك الرجل بذلك^٩ الاسم فرآه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان شيء وخطر بباله أن يكون رجل عنده علم ما ليس عنده^{١٠} من العلم؟^{١١} فعزم الله له على الخير وقيل له: إنه^{١٢} ممن حوّلك الله.

^١ جميع النسخ: العفر.

^٢ ر ع م: وعفريت ونفريت؛ ن: وعفريت نفريت.

^٣ جميع النسخ: وعفاريت ونفاريت. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٤؛ والتصحيح من هذا المرجع.

* وقع ما بين النحمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٥ ط / سطر ١٧-١٩.

^٤ ر ع م + ثم اختلف فيه أي في.

^٥ ر ع م - من.

^٦ ر ع م - به.

^٧ ن: يكون.

^٨ ن - أيدي.

^٩ ع + هذا.

^{١٠} ن ع: ولكنه.

^{١١} م - بذلك.

^{١٢} أي علم غير الذي عنده.

^{١٣} جميع النسخ + قال؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٢٧ و٥٠.

^{١٤} ع - إنه.

فقال سليمان: هذا من فضل ربي،^١ يقول: حيث^٢ أعطى ذلك الرجل ما لم يعطني^٣ ليلبوني أشكر، إذا^٤ كان مثله تحت يدي أم أكفر. لكن لا يحتمل أن يشكر الله على ما أعطى غيره. ثم يحتمل قوله: هذا من فضل ربي، إتيانه أولئك مسلمين، أو النبوة والعلم الذي آتاه الله [ف]قال: ذلك من فضل ربي، أراد تسخير ما سَخَّرَ له. ليلبوني أشكر أم أكفر، أي ليمتحنني أشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه،^٥ ليعلم^٦ أنه إنما يمتحن بالشكر ويأمره به لا لمنفعة نفسه^٧ ولكن لمنفعة الممتحن المأمور به.

وقوله: فإن ربي غني كريم، غني عن شكره كريم يقبل القليل منه واليسير.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [٤١]

وقوله: قال نكروا لها عرشها، قال أهل التأويل:^٨ نكروا، أي غيروا^٩ لها عرشها، كأنه أمر أن يغيروا بعض ما عليه من الزيادة والنقصان ليمتحنها أتعرف^{١٠} أنه^{١١} عرشها أم لا. والمُنكَّر هو الذي لا يعرف، كقوله: قومٌ مُنكَّرُونَ،^{١٢} وقوله: نكَّروهم وأوحس منهم حقيقةً،^{١٣} أي لم يعرفهم. وقوله: نكروا لها عرشها، كأن^{١٤} يجيء أن يقال: نكروا عرشها، وتكون^{١٥} "لها" زائدة. إلا أن يقال: نكروا لها، أي نكروا لأجلها عرشها، وهذا يشبه أن يكون.

^١ «وقع في قلب سليمان عليه السلام شيء أن يكون رجل عنده من العلم ما لم يكن عنده فعزم الله تعالى له على الخير بما أوقع في قلبه بأن هذا الرجل ممن حولك الله، أي جعله من حولك وخدمك، فقال سليمان: هذا من فضل ربي.» (شرح التأويلات، ورقة ٥٥٦ ظ).

^٢ جميع النسخ: ما.

^٣ ن: لم يعطني.

^٤ ر ع ن: إذ.

^٥ ع - ليعلم.

^٦ م - نفسه.

^٧ ن - قال أهل التأويل.

^٨ ع: غروا.

^٩ جميع النسخ: وتعرف؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦ ظ.

^{١٠} ر ع م: أنها.

^{١١} «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون» (سورة الذاريات، ٢٤/٢٥).

^{١٢} «فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكروهم وأوحس منهم حقيقةً» (سورة هود، ١١/٧٠).

^{١٣} جميع النسخ: ويكون.

وقوله: نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ. وقال أهل التأويل: أتتهدي أنه عرشها أو لا تهتدي إليه. وجائز أن يكون قوله: ننظر أتتهدي، إلى دين الله وتوحيده أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى دِينِ اللَّهِ.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [٤٢]

وقوله: فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو، قال بعضهم: شبّهت هي عليهم ولبّست أمره كما فعلوا هم^١ بها من تغيير عرشها عليها وتليسه عليها.^٢ لكن قولها: كأنه هو، لم تقطع^٣ فيه القول لما رأت فيه من التغيير^٤ والتنكير ورأت فيه شبه^٥ سريرها^٦ [و]وقفت فيه. ودل قوله: فلما جاءت قيل أهكذا عرشك، أن العرش لم يُحْمَلْ وهي^٧ نائمة^٨ على ما قاله بعض^٩ أهل التأويل: إنه حُمِلَ دونها من قبل^{١٠} ثم^{١١} جاءتهم^{١٢} بعد ذلك. والله أعلم. ألا ترى أنه لو أمرهم أن يغيروا عرشها وهي عليه لم تشعر به، هذا بعيد. والله أعلم بذلك.

وقوله: وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين، إن كان هذا القول من سليمان فكأنه يقول: قد أوتينا العلم من قبل علمها^{١٣} به أنه عرشها ولنا غُنيّة عن السؤال لها عنه لكن نسألها مستخبرين عن ذلك ممتحنين لها. وقوله: وكنا مسلمين، أي صرنا^{١٤} مسلمين جميعا. أو أن^{١٥} يكون هذا صلة قوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا،^{١٦} فهذا العلم الذي قال:

^١ ر م: كما فعلوهم.

^٢ ع + وتليسه عليها.

^٣ ر ع م: لم يقطع.

^٤ جميع النسخ: من الغير.

^٥ ر ع م - شبه.

^٦ ر: سرورها؛ م: سررها.

^٧ ن: وهو.

^٨ م: قائمة.

^٩ ع - بعض.

^{١٠} ع: ما.

^{١١} ر ع م: جاءت.

^{١٢} م: علمنا.

^{١٣} ن: قوله.

^{١٤} م: صيرنا.

^{١٥} ر م: وأن.

^{١٦} سورة النمل، ١٥/٢٧.

وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين، وإلا في الظاهر ليس هذا صلة ما تقدم من قوله: قالت كأنه هو. والله أعلم.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [٤٣]

وقوله: ^١ وصددها ما كانت تعبد من دون الله، قال بعضهم: صددها عبادتها الشمس والأصنام التي عبدوها دون الله عن الإسلام وعبادة الله. وقال بعضهم: وصددها سليمان عن عبادتها كانت تعبد من دون الله لأنه ذكر أنها أسلمت.

[٥٥٥ ظ س ١٩]

* وقال: صددها، أي ردها ومنعها.*

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ

مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٤]

وقوله: ^٢ قيل لها ادخلي الصرح، قال بعضهم: الصرح صحن ^٤ الدار وهو قول الزجاج. ^٥ وقال القُتَيْبِيُّ وأبو عَوْسَجَةَ وأكثر أهل التأويل: الصرح هو القصر. ^٦ ثم لا ندري ما سبب بناء ذلك الصرح وما سبب أمره إياها بالدخول فيه وكشفها عن ساقَيْها. ^٧ أما أهل التأويل فإنهم قد اختلفوا في ذلك، قال بعضهم: قالت الجن لما أقبلت بلقيس: لقد لقينا ^٨ من سليمان ما لقينا من التعب، فلو اجتمع سليمان وهذه المرأة وما عندهما من العلم لهلكنا. وكانت أم هذه المرأة جَنِّيَّةً، فقالوا: تعالوا نبغضها ^٩ ونكِّرْها ^{١٠} إلى سليمان. فقيل لسليمان: / إن رجلها ^{١١} مثل حافر [٥٥٥ ظ] الدواب، لأن أمها كانت جَنِّيَّةً. فأمر سليمان عند ذلك فُبِّي ^{١٢} له بيت من قوارير فوق الماء

^١ ن: قوله.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٥ ظ / سطر ١٧-١٩.

^٣ ن: قوله.

^٤ جميع النسخ: حصن؛ والتصحيح من الزجاج، ١٢٨/٥.

^٥ معالي القرآن للزجاج، ١٢٨/٥.

^٦ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٥.

^٧ ن: عن ساقها.

^٨ ر ع م: أتينها.

^٩ ر م: نقضها.

^{١٠} ر ع م: ونكرها.

^{١١} ر م: رجلها.

^{١٢} ن: فيبني.

وأرسل فيه السمك لتحسب [بليقيس] أنه ماء^١ فتكشف عن رجليها فينظر سليمان أصدقت الجن أم كذبت. فلما رأته حسبته الماء وكشفت عن ساقها، فنظر إليها سليمان فإذا هي أحسن الناس قدمين وساقين. فلما رأت الجن أن سليمان رأى ساقها قالت الجن [بليقيس]: لا تكشفني عن ساقك إنه صرح مُرد من قوارير. وقال بعضهم: لا، ولكن ذُكر لسليمان أن على ساقها شعراً وأنهما شَعراوان، فأمر بذلك ليعرف ذلك. وقال^٢ بعضهم: لا، ولكن خافت الجن عند ذلك أن يتزوجها سليمان فتَّقشفي إليه أشياء كانوا أطلعوها^٣ عليه وأفشوا إليها. فأرادوا أن يُكرهوها إليه فطعنوها بعيوب في عقلها ونفسها^٤ فقالوا: يا نبي الله ألا نريك عقلها فإن في عقلها شيئاً؟ قال: بلى، فجاءت الجن بماء فأجزوه فتركوه لجة، ثم جاءوا بالسمك والضفادع فأرسلوها في الماء ثم جيء بها إلى ذلك الماء. فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها، فقالوا لسليمان: إن في عقلها آفة، ألا ترى أنها لا تعرف الصرح من الماء ولا تميز بينهما، أو نحو هذا من الكلام. لكن لا نعلم ما سبب ذلك ولا يُحتمل أن يكون سليمان يَحْتال هذه الحيلة^٥ لينظر إلى ساقها^٦ وهي أجنبية. ثم جائز أن يكون لغير ذلك: أراد أن يُريها آية من آيات نبوته حيث اتخذ صرحاً مُمَرِّداً من قوارير يُرى أنه ماء^٧ للطفته، وذلك خارج عن تدبير البشر لتعلم هي أن ذلك تدبير السماء لا تدبير البشر. أو أن يكون أراد بذلك -والله أعلم- أن يريها عظم مُلكه وسلطانه لتعلم أنه يفعل ما يشاء قادر على ذلك، لا ينفعها سوى الطاعة له والإجابة والخضوع لله والإسلام له. فعند ذلك، قالت ربّ إني ظلمت نفسي، فيما عبت دون الله، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، أي أخلصت وأسلمت نفسي لله رب العالمين.*

وقال [القُتبي]: الصرح القصر، والصرح جميع. ولُجَّةٌ: الماء المحتجم الكثير. وقال: المرد هو^٨ المُملَس بالطين أو بالحصص أو بما كان. وقال غيره: المُمَرِّد الطويل. وقال القُتبي:

^١ ع - ماء.

^٢ ع: قال.

^٣ ر: أطلعواها.

^٤ ر: ونسبها.

^٥ ر ع م - الحيلة.

^٦ جميع النسخ: ساقها.

^٧ ر ع م - أنه ماء.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٩ و ٤٣ فنقلناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٥/سطر ١٧-١٩.

^٨ ر م: وهو.

ومن ذلك يقال: الأمر الذي لا شعر على وجهه، ويقال للرملة التي لا ثنيت: مرداء، ويقال: المُمَرَّد المطوَّل، ومنه قيل لبعض الحصون: مارد.^١ وقال الكسائي: المُمَرَّد الأملس، وقال:^٢ منه سمي الأمرُ أمرد.^٣

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [٤٥]

وقوله:^٤ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله، ويحتمل هذا: لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا وأمرناه أن يقول لهم: اعبدوا الله. وجائز أن يكون قوله: أن اعبدوا الله، بالرسالة، أي أرسلناه ليدعوهم إلى عبادة الله. وقوله: اعبدوا الله، يحتمل:^٥ وخذوا الله، ويحتمل العبادة نفسها: أن اعبدوا الله ولا تشركوا غيره فيها أو لا تشركوا^٦ في تسمية الألوهية غيره ولكن وخذوه. فكيف ما كان ففيه أمر بالتوحيد له في العبادة وجعل^٧ الألوهية له.

وقوله:^٨ فإذا هم فريقان يختصمون، قيل: فريقان: مؤمن^٩ بصالح ومكذب به. ولم يبين فيم كانت خصومتهم وبين من كانت في هذه الآية، لكنه بين في آية أخرى وفسر، وهو ما قال: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.^{١٠} هذه الخصومة التي ذكر في قوله: فإذا هم فريقان يختصمون، بين الرؤساء من الكفرة والمؤمنين بصالح. والله أعلم.

^١ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٥.

^٢ ر ع م: وقال.

^٣ لم أجد معروفا إلى الكسائي، لكن ذكره ابن قتيبة غير معزو إلى أحد، انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٥.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر - وجائز أن يكون قوله أن اعبدوا الله.

^٦ ن: محتمل؛ ع: ويحتمل.

^٧ ر م: ولا تشركوا.

^٨ ر م - وجعل.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ع: ومؤمن.

^{١١} سورة الأعراف، ٧/٧٥-٧٦.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٤٦]

وقوله: يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة، أي^١ لم تستعجلون بالعذاب قبل الرحمة. واستعجلهم العذاب والسيئة ما^٢ ذكر في آية أخرى وهو قوله: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ^٣، فذلك استعجلهم السيئة قبل الحسنة. وقوله: لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون، أي لولا توحدون الله ولا تشركوا غيره^٤ في العبادة وتسمية الإلهية لكي يرحمكم. وفيه إطماع لهم أنهم^٥ لو آمنوا وتابوا عنه لرحمهم، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفِّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ^٦.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [٤٧]

وقوله: ^٧ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ، أي تشاء منا بك^٨ وبمن معك. لم يزل الكفرة يقولون^٩ لرسول الله صلوات الله عليهم ولمن آمن معهم: ^{١٠} اطَّيَّرْنَا بِكُمْ، إذا أصابهم الشدة والبلاء يتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون: إنما أصابنا هذا بشؤمكم! وإذا أصابهم^{١١} رخاء وسعة يقولون: ^{١٢} هذا لنا بنا ومن أنفشنا. وهو ما قال قوم / موسى لموسى^{١٣} حيث قالوا: فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ^{١٤}، وكذلك قال أهل مكة لرسول الله حيث قال:

^١ ن - لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي.

^٢ ر ع م - بالعذاب.

^٣ ر ع م - ما.

^٤ سورة الأعراف، ٧/٧٧.

^٥ ن: قوله.

^٦ ع - غيره.

^٧ ر م - أنهم.

^٨ سورة الأنفال، ٨/٣٨.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر م: منك.

^{١١} ر ع م - يقولون.

^{١٢} جميع النسخ: منهم.

^{١٣} ع: أصابكم.

^{١٤} جميع النسخ: فقالوا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٧ ط.

^{١٥} م - هذا.

^{١٦} ر ع م - لموسى.

^{١٧} ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطَّيَّرُوا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣١).

وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ.^١ كانوا^٢ يتطهرون برسول الله ويتشائمون بما يصيبهم من الشدة وما ينزل بهم من البلاء، فأخبر الله رسوله وأمره أن يقول لهم: قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ، أي الرخاء والشدة من عند الله ينزل، وهو باعثُ ذلك لا أنا. فعلى ذلك قوله: طائرکم عند الله، أي ما ينزل بكم ويصيبكم من الشدة والرخاء إنما ينزل من عند الله، لا بنا ولا بكم. أو يقال: ما ينزل بكم من العذاب في الآخرة إنما يصيب بتكذيبكم إياي في الدنيا. أو أن يقال: طائرکم عند الله، أي جزاء طيّر تكم عند الله هو يجزيكم بها بعذاب الدنيا أو الآخرة.^٣

بل أنتم قوم تُفتنون، يحتمل قوله: بل أنتم قوم تفتنون، ابتداء، مرة بالشدة ومرة بالرخاء لا بما تكسبون من الأعمال. وجائز أن يكون^٤ قوله: تفتنون بالعذاب بما تكسبون من الأعمال في الدنيا، أي^٥ تعذبون بها. قال أبو عؤسجة: طائرکم عند الله، يقول: الله أعلم بطائرکم وما تطيّرتم به. وقال^٦ القُتبي: طائرکم عند الله، أي ليس ذلك بي وإنما هو من الله،^٧ وهو ما ذكرنا.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [٤٨] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [٤٩] ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٥٠] ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا ذَمَّرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٥١]

وقوله:^٨ وكان في المدينة تسعة رهط، قال بعضهم: الرهط إنما يقال من ثلاثة إلى تسعة، وإذا نقص عن ذلك أو زاد فإنما^٩ يقال: رجال. وقال أبو عؤسجة: الرهط التفر،

^١ ﴿أيما تكونوا يدرىكم الموت ولو كنتم في بروج مُشَيَّدة وإن تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ (سورة النساء، ٧٨/٤).

^٢ ع: قانوا.

^٣ ر م: والآخرة.

^٤ ر ع م - يكون.

^٥ ع: أن.

^٦ ر ع م: قال.

^٧ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر ع م - فإنما.

وَأَرَاهِطُ^١ وَأَرْهَطُ^٢ جميع. ^٣ ثم يحتمل الرهط وجهين. أحدهما تسعة رهط، أي تسعة نفر من الأتباع وغيره يفسدون في الأرض ولا يصلحون. والثاني: تسعة رهط، لا تسعة نفر من الرؤساء، ولكل واحد منهم رهط من الأتباع، يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

جائز أن يكون^٤ هذا إخباراً من الله أنهم يفسدون أبداً في الأرض ولا يؤمنون أبداً. وجائز أن يكون إخباراً عن حالهم، أي يعملون الفساد والمعاصي. ولا يصلحون، أي لا يسعون بالصلاح. وقال ابن عباس: إن هؤلاء التسعة كانوا من أبناء أشرافهم وكانوا بالحجر^٥ وكانوا قُتِلُوا. فقال بعضهم لبعض: لنقتلن صالحاً وأهله ثم لنقولن لوليته، أي لقومه من ورثته ما قتلناه، وهو قوله: ^٦ لَنْبَيْتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكُ أَهْلِهِ، فتحالفوا^٧ على ذلك فأتوا صالحاً ليلاً فدخلوا^٨ عليه بأسيا فمهم ليقتلوه وأهله^٩ وعند صالح ملائكة جاءوا من الله تعالى يحرسونه، فقتلوا الرهط في دار صالح بالحجارة فذلك قوله: ومكروا مكراً، بصالح وأهله، ومكرونا مكراً، أي أهلكناهم، وهم لا يشعرون أنهم يهلكون.^{١٠}

وقال بعضهم: هؤلاء التسعة الرهط تواتقوا أنهم يُبَيِّتُونَ صالحاً ويقتلونه وأهله بعد ما عَقَرُوا الناقة وقالوا فيما بينهم: فإن خوصمنا في ذلك لَنَقُولَنَّ وَلِنَقُاسِمَنَّ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكُ أَهْلِهِ، أي ما حضرنا في هلاكهم. على هذا التأويل يكون على التقديم والتأخير. وقال بعضهم: هؤلاء التسعة كانوا شرار قومه، خرجوا بخمر إلى بعض المغار ليشربوها ثم لِيُبَيِّتُوا على صالح وأهله،

^١ ر ع م: وأراهيط.

^٢ جميع النسخ: ورهوط. والتصحيح من المعاجم.

^٣ رَهْطُ الرَجُلِ: قَوْمُهُ وَقَبِيلَتُهُ. يُقَالُ: هُم رَهْطُهُ ذِيئَةٌ. وَالرَّهْطُ: عَدَدٌ يَجْمَعُ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ، وَبَعْضٌ يَقُولُ: مِنْ سَبْعَةٍ إِلَى عَشْرَةٍ، وَمَا دُونَ السَّبْعَةِ إِلَى الثَّلَاثَةِ تَقَرَّرُ. وَقِيلَ: الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ لَا يَكُونُ فِيهِمْ امْرَأَةٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾. فَجَمَعَ وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ. وَجَمَعَ الرَّهْطُ: أَرْهَطُ وَأَرَاهِطُ (لسان العرب، «رهط»).

^٤ ر ع م: أحد.

^٥ ر ع م - يكون.

^٦ ر ع م: بالحجرة. أي في أرض حجر نمود.

^٧ ع: أفساقا.

^٨ ر ع م: وقوله.

^٩ ن: فيتحالفوا.

^{١٠} ع: يدخلوا.

^{١١} ر ع م: وأهله.

^{١٢} انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٣٥٥؛ وروح المعاني للأوسى، ١٩/٢١٣.

فشربوا هنالك فانهد بهم الصخرة وعذبوا فيه، فذلك قوله: ومكروا، بقتل صالح وهلاكه مكرا ومكرناهم حيث أهلكتناهم مكرا وهم لا يشعرون. والمكر هو الأخذ بغتة. وقوله: ومكروا مكرا^١ ومكرنا مكرا، أي جزيناهم جزاء مكرهم.

ثم اختلف في قراءة: لَنْبَيْتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولُنَّ، بالنون، فذلك قول بعضهم لبعض. وقرأ بعضهم بالناء: لَنْبَيْتُهُ ثُمَّ لَنَقُولُنَّ، فذلك قول الرؤساء للأتباع.^٢ ومن قرأ بالياء^٣ [لَنْبَيْتَهُ] يجعله خيرا عن الله تعالى لهم.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٥٢]

وقوله: ^٤ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، أي خالية بما ظلموا^٥ لم تسكن^٦ فيها أحدا ولكن تركناها خالية كذلك.^٧ وقال بعضهم: خاوية، أي تحربة بما ظلموا، كقوله: وهي خاوية على غرُوشها^٨، أي ساقطة تحربة. وقد كان ذلك كله. منها ما جعل لغيرهم سكنا إذا أهلكتهم من نحو ما أورث بني إسرائيل ديار القبط وأموالهم وأنزلهم فيها، ومنها ما تركها كذلك^٩ خالية بعد ما أهلكت أهلها، ومنها ما أهلكت أهلها^{١٠} وخرَّبها وتركتها كذلك. وقوله: ^{١١} إن في ذلك لآية، أي في هلاك من ذكر لآية^{١٢} ولعبرة لقوم^{١٣} [يعلمون] يعتبرون.

﴿وَأَنْحِينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [٥٣]

وأنحينا الذين آمنوا وكانوا يتقون، مخالفة الله ومخالفة أمره ونهيه.

^١ ر م - ومكروا مكرا.

^٢ حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٣٠؛ ومعجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٧٨/٣.

^٣ وهي قراءة أبو رجاء وحميد بن قيس. انظر: زاد المسير لابن الجوزي، ١٨٢/٦.

^٤ ن: قوله.

^٥ ر ع م - خالية بما ظلموا.

^٦ ر ع م: لم تسكن.

^٧ ع: لذلك.

^٨ أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها (البقرة، ٢٥٩/٢).

^٩ م - كذلك.

^{١٠} ر ع م - ومنها ما أهلكت أهلها.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ر ع م: الآية.

^{١٣} ر ع م - لقوم.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [٥٤] ﴿أَأِنَّكُمْ لَأْتَأُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ﴾ [٥٥]

وقوله: ولوطا إذ قال لقومه، كأن فيه إضممارا،^١ كأنه قال: أرسلنا لوطا إلى قومه إذ
قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون، أي أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون وتعلمون
أنها فاحشة.

أإنكم لتأتون الرجال شهوة، أي اشتهاؤكم من دون النساء، يقول: تأتون الذكور
وتدعون النساء، وهو ما قال في آية أخرى: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ،^٢ الآية.

وقوله: بل أنتم قوم تجهلون، قال بعضهم: ولكن أنتم قوم تجهلون، أي تجهلون الأمر
فتعصون. ويشبه أن يكون^٣ هذا جواب قول^٤ كان من قومه نحو ما قالوا: لَيْسَ لَمْ تَنْتَه يَا لُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،^٥ فقال عند ذلك: بل أنتم قوم تجهلون، ما تقولون، أي على جهل
ما تقولون ذلك، أو كلام نحوه. والله أعلم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [٥٦]

وقوله:^٦ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم، قوله: فما كان
[٥٥٦ ط] / جواب قومه، في وقت، إلا أن قالوا كذا، لا في الأوقات كلها، لأنه قد كان منهم قول وجوابات
نحو ما قالوا: ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ،^٦ الآية، ونحوه، وقولهم: إنهم أناس يتطهرون. دل هذا منهم أنهم
قد علموا أن ما يأتون ويعملون أنه خبيث وفحش ومنكر حيث قالوا: إنهم أناس يتطهرون.
ثم يحتمل قولهم^٧ هذا وجوها. أحدها أنهم قالوا ذلك استهزاء منهم بهم. والثاني قالوا
أخرجوا آل لوط، فإنهم يستفزون^٨ أعمالنا وأفعالنا. والثالث على التحقيق: إنهم أناس يتطهرون.

^١ ر م: إضممار.

^٢ ﴿أتأتون الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (سورة الشعراء،
١٦٥/١٦٦-١٦٦).

^٣ ر ع م - يكون.

^٤ سورة الشعراء، ١٦٧/٢٦.

^٥ ن: قوله.

^٦ ﴿أَأِنَّكُمْ لَأْتَأُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩).

^٧ ع: قوله.

^٨ ر م: يستفزون.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [٥٧]

وقوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ، فيه دلالة أن غير الزوجة يجوز أن يسمّى أهلاً. قال عامة أهل التأويل: أهله بناته. وفي قوله: قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ، دلالة خلق أفعال العباد حيث أخرج أنه: قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ. وَالْعُبُورُ وَالْبَقَاءُ فَعَلُهَا. فَأَخْبِرَ أَنَّهُ قَدَرَ ذَلِكَ مِنْهَا وَخَلَقَ. وقوله: مِنَ الْغَابِرِينَ، أي الباقيين في عذاب الله. وفي حرف^٢ ابن مسعود: ولقد وَقَيْنَا إِلَيْهِ أَهْلَهُ كُلَّهُمْ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [٥٨]

وقوله: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ، أي ساء مطر المنذرين، الذين لم يقبلوا^٣ الإنذار ولم^٤ تنفعهم التذارة.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ [٥٩]

وقوله: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، قال عامة أهل التأويل: قل الحمد لله،^٥ أمر نبيه بالحمد له والثناء عليه على إهلاك^٦ أعداء الرسل الخالية. ثم قال: وسلام على عباده الذين اصطفى، وهم الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم. وجائز أن يكون أمره إياه بالحمد له والثناء عليه لما أنعم عليه من أنواع النعم. منها ما ذكر من إهلاك^٧ أعداء الرسل وإبقاء أوليائهم تحويفاً لأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهلكهم^٨ كما أهلك أعداء الرسل الخالية. أو أن يكون أمره إياه بالحمد له والثناء عليه لما أنعم عليه في نفسه من أنواع النعم^٩ من النبوة والرسالة والهداية ونحوه. والله أعلم.

^١ ر ع م: وقوله.

^٢ ر ع م: في حرف.

^٣ ن: قوله.

^٤ ر: لم يتقبلوا.

^٥ ن: وإن لم.

^٦ ن: قوله.

^٧ ر ع م - قال عامة أهل التأويل قل الحمد لله.

^٨ جميع النسخ: على هلاك؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٨ و٥٥٩.

^٩ جميع النسخ: ما ذكروا من هلاك.

^{١٠} جميع النسخ: أن يهلكوا.

^{١١} ر - النعم.

وقوله: ^١ **وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**، يحتمل الرسل، كقوله: **وَسَلَامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ**،^٢ ويحتمل الأمر بالسلام على أصحابه وجميع المؤمنين، كقوله: **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**؛^٣ أمر رسوله بالسلام على المرسلين وعلى أصحابه وعلى المؤمنين. ثم في قوله: **اصْطَفَىٰ**، دلالة أن لا أحد يستوجب الصفة إلا بالله حيث قال: **اصْطَفَىٰ**.

وقوله: ^٤ **اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**، أي الذي فعل هذا^٥ بالأمم الخالية من إهلاك الأعداء^٦ وإبقاء الرسل والأولياء [خير]^٧ أم الأصنام التي تشركون في عبادته وهي لا تملك شيئاً من ذلك؟ يقول -والله أعلم- إنكم تعلمون أن الله يملك ما ذكر من إهلاك أعدائه وإبقاء رسله، والأصنام التي تعبدونها^٨ دونه لا تملك شيئاً فكيف تشركونها^٩ في ألوهيته؟ وإلا لم يذكر جواب قوله: **اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**، جوابه أن يقول: ^{١٠} بل الله خير. وكذلك روى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -إن ثبت- أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم.»^{١١}

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [٦٠]

وقوله: ^{١٢} **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**، يذكرهم بهذا شيعين.^{١٣} أحدهما قدرته وسلطانه في خلق ما ذكر من السماوات والأرض

^١ ن: قوله.

^٢ سورة الصافات، ٣٧/١٨١.

^٣ ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ عَلَيْكُمْ كِتَابٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام، ٥٤/٦).

^٤ ن: قوله.

^٥ م - هذا.

^٦ جميع النسخ: للأعداء.

^٧ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٨ و٥.

^٨ ن: يعبدونها.

^٩ ر ع م: تشركون.

^{١٠} جميع النسخ: أن يقولوا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٨ و٥.

^{١١} شعب الإيمان للبيهقي، ٣٧٢/٢.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} جميع النسخ: وجهين؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٨ و٥.

وإنزال^١ الماء من السماء وإنبات النبات من الأرض وإخراجه، على إقرار منهم^٢ أن الله هو^٣ خالق ذلك لا غيره، فيقول: فإذا علمتم أن الله هو خالق ذلك كله فكيف أشركتم غيره من لا يملك ذلك ولا يقدر في تسمية الإلهية والعبادة؟

والثاني يخبر عن اتساق الأمور والتدبير فيهما جميعا واتصال منافع أحدهما بالآخر على تباعد ما بينهما، ليعلم أن منشئهما ومدبرهما واحد لا عدد. فإذا عرفتم ذلك فكيف أشركتم غيره فيها؟ وهو كقوله: لَوْ كَانَ فِيهِنَّ آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا.^٤ وهذا الحرف على الثنوية والدهرية. وهؤلاء لقولهم بالعدد وإنكارهم^٥ الواحد، والأول على المقرين بالواحد إلا أنهم أشركوا الأصنام في التسمية والعبادة.

وقوله:^٦ حدائق ذات بهجة، قال بعضهم: الحدائق الحيطان، والبساتين ما دون الحيطان. وقال بعضهم: الحدائق الحوائط التي حقت بالأشجار، والبساتين هي الملتفة بها.^٧ وقال أبو عؤسجة: الحدائق البساتين والرياض، والحديقة الروضة. وقال القتيبي: الحدائق البساتين، واحدها حديقة، سميت بذلك لأنها^٨ يُحَدَّقُ عليها^٩ أي يُحْطَرُ [عليها حائط].^{١٠} ذات بهجة، حسن المنظر. وجائز أنها إنما^{١١} سميت ذات بهجة لما يتهيج صاحبها إذا نظر إليها ويُسَّرَ.

وقوله:^{١٢} ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، أي ما تقدر أن تنبتوا شجرها فمن هو دونكم أشد وأبعد، فكيف^{١٣} أشركتم في العبادة وتسمية^{١٤} الإلهية من هو دونكم^{١٥} في كل شيء؟

^١ ر م: وأنزل.

^٢ ر م: على إقرارهم.

^٣ ر ع م - هو.

^٤ سورة الأنبياء، ٢٢/٢١.

^٥ ن: والإنكار.

^٦ ن: قوله.

^٧ ع - بها.

^٨ ع: أنها.

^٩ جميع النسخ: تحديق بها.

^{١٠} ن: تحظر. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.

^{١١} ر ع م - إنما.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ر م: كيف.

^{١٤} ع: وتسمية.

^{١٥} ع: وهو دونكم.

وقوله: ^١ أإله مع الله، أي لا إله مع الله. بل هم قوم يعدلون، يحتمل هذا وجهين. يحتمل: يعدلون، أي ^٢ يجعلون من لا يملك ما ذكر عديلاً لله. والثاني: يعدلون، أي يعدلون ^٣ عن الله ويميلون إلى غيره، من العدول. والله أعلم.

﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٦١]

قوله: ^٤ أمن جعل الأرض قراراً، يَقْرُونَ عليها ويتعيشون فيها ويبيتون. وجعل خلالها أنهاراً، ينتفعون بها أنواع المنافع ويشربون. وجعل لها رواسي، أي الجبال لثلاث تميم بهم. [٥٥٧] وجعل بين البحرين حاجزاً. قال بعضهم: جعل / بين بحر الفارس وبحر الروم جزيرة العرب حاجزاً. وسُمي جزيرةً لما جُزر الماء فيها، أي ذهب. وقال بعضهم: بحر الشام وبحر العراق. ^٥ وقال بعضهم: قوله: وجعل بين البحرين حاجزاً، بين العذب والمالح حاجزاً بلطفه؛ لا يختلط هذا بهذا ولا هذا بهذا لطفاً منه. يذكرهم نعمة عليهم ولطفه أن كيف أشركتم في عبادته وألوهيته من لا يملك ذلك وصرفتم شكرها إلى غير المنعم؟

أإله مع الله، أي لا إله مع الله. بل أكثرهم لا يعلمون، يحتمل قوله: أكثرهم لا يعلمون، أي لا ينتفعون بما يعلمون فكأنهم لا يعلمون، ^٦ لأن من لا ينتفع بما يعلم فكأنه جاهل. نفى عنهم العلم لتركهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان والعقل لتركهم الانتفاع بهذه الجوارح والحواس وإن كانت لهم هذه الجوارح. فعلى ذلك جازى نفى العلم عنهم لتركهم الانتفاع به. والثاني بل أكثرهم لا يعلمون لما لا يتكلفون النظر فيما ذكر، أو لا يعلمون أن بينهما حاجزاً. والله أعلم.

^١ ن: قوله.

^٢ ع: أن.

^٣ ع - أي يعدلون.

^٤ ر ع م - قوله.

^٥ ر: بحر.

^٦ ع - وقال بعضهم بحر الشام وبحر العراق.

^٧ ر ع م - يحتمل قوله أكثرهم لا يعلمون أي لا ينتفعون بما يعلمون فكأنهم لا يعلمون.

يَخْلُقُونَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ الْأُمَمِ. قال أبو معاذ: وواحد الخلفاء تحليف، وواحد الخلائف تحليفة. [٥٥٧ سر ٢٢] والخليف من الخالف،^٢ كالعليم من العالم.*

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٦٤]

وكذلك قوله: أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض، أي من^٤ يقدر على ما تقدم ذكره [هو] يملك البعث بعد الموت والإحياء.^٥ يلزمهم البعث بهذا؛ أي من يقدر هذا يقدر ما ذكر. أله مع الله، أي لا إله مع الله، بل الله هو المتفرد بذلك دون من يعبدون ويشركون.^٦

وقوله: قل هاتوا برهانكم، أي [قل] لمن^٧ لَجَّ في هذا أو أنكر ذلك وادعى^٨ الشرك فيه لغيره: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، في مقالكم.*

وقوله: أله مع الله، يقول - والله أعلم - أله مع الله^٩ يفعل ذلك بكم: يرزقكم ويُنزل^{١١} لكم من السماء ماء ويُنبت لكم^{١٢} من الأرض ما تأكلون وترعى^{١٣} أنعامكم، أو مع الله إله يهديكم في ظلمات البر والبحر ويرسل لكم الريح بُشْراً، أو^{١٤} يجيب المُضْطَرَّ ويكشف السوء عنه وكل ما ذكر؟ أي ليس معه إله سواه بل الله هو^{١٥} يفعل ذلك كله بكم. فكيف أشركتم غيره في إلهيته

^١ ع - من.

^٢ ع: من المخالف.

* وقع ما بين النجمتين متأخراً عن موضعه، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٧/سطر ٢٠-٢٢.

^٤ جميع النسخ: أمن.

^٥ جميع النسخ: وإحيائه.

^٦ ع: وتشركون.

^٧ جميع النسخ: من؛ والزيادة مع التصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٨/سطر ٥.

^٨ ر ع م: ادعى.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٧/سطر ٢٠-٢٢.

^{١٠} ر ع م - أله مع الله.

^{١١} ع: أي ينزل.

^{١٢} ر ع م - لكم.

^{١٣} جميع النسخ: ويرعى.

^{١٤} ع: إذ.

^{١٥} ر ع م - هو.

وعبادته على علم منكم أن الذي تعبدون من دونه لا يملك شيئا: أن يفعل ذلك بكم. يذكر سفههم وقلة بصرهم ومعرفتهم. ثم قال: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين،^١ أن مع الله إلهما ففعل ذلك بكم إن كنتم صادقين.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [٦٥]

ثم قال: قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، كأنه قال -والله أعلم- لرسوله: قل لا يعلم، ممن تعبدون من أهل السماوات والأرض^٢ الغيب إلا الله، لأن بعضهم كان يعبد أهل السماوات وهم الملائكة، وبعضهم كانوا يعبدون من في الأرض. يقول: لا يعلم ممن تعبدون من دون الله من في السماوات والأرض الغيب إلا الله،^٣ إنما يعلم الغيب^٤ الله. ثم قوله: الغيب، يخرج على وجهين. أحدهما ما يغيب عن بعض^٥ فهو يعلم ذلك. والثاني لا يعلم الغيب إلا الله، أي ما كان وما يكون إلى أبد الأبدين لا يعلم ذلك إلا الله وإن علموا علموا ذلك [من الله تعالى].^٦ ومنهم من صرف الغيب إلى البعث والساعة، يقول: لا يعلم الساعة أحد متى تكون^٧ إلا الله.

وقوله:^٨ وما يشعرون أيان يبعثون، قال عامة^٩ أهل التأويل: وما يشعر أهل مكة متى يبعثون. لكن لو كان الجهل عن وقت البعث فأهل مكة وغيرهم من أهل السماوات وأهل الأرض في جهلهم بوقت البعث شرعا سواء، لا أحد يعلم من أهل السماوات والأرض أنه متى يُبعث،^{١٠} إلا أن تكون^{١١} الآية في منكري^{١٢} البعث، فحينئذ جائز صرفه إلى بعض دون بعض.

^١ ن: قاتم؛ ع - صادقين.

^٢ ر ع م: ومن في الأرض.

^٣ ر م - إلا الله.

^٤ ع + إلا.

^٥ جمع النسخ: ما يغيب بعضهم من بعض يقول ما يغيب بعضهم من بعض؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٨ ظ.

^٦ جميع النسخ: وان اعلموا وعلموا ذلك؛ والتصحيح مع الزيادة من الشرح، ورقة ٥٥٨ ظ.

^٧ جميع النسخ: يكون.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر ع م - عامة.

^{١٠} ر ع م: تبعث.

^{١١} ر ع م: يكون.

^{١٢} ر ع م: في منكر.

فأما في وقت البعث فالناس في جهلهم بوقت البعث سواء، وهو ما قال في آية أخرى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا^١، الآية. أخبر أنه لم يُطْلِعْ أحداً على علم ذلك بل علم ذلك عند الله.

﴿بَلِ ادَّارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [٦٦]

وقوله^٢: بل ادَّارِكْ علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عَمُونَ، اختلف في قراءته وتأويله. أما القراءة فإنه قرأ بعضهم: ادَّارِكْ بالتشديد والألف^٣. وقرأ بعضهم: أدرك^٤ بإسقاط الألف و[إسقاط] التشديد. وقرأ بعضهم: "بلكى" / بإثبات الياء في "بلى" وعلى الوقف عليها. و[وقراً بعضهم]: أدرك^٥ على الاستفهام: بلى أدرك^٦. ومنهم من قرأ على الاستفهام: أدرك^٧ [لكن] على غير إثبات الياء^٨ في حرف "بل"^٩ وعلى غير قطع منه. فمن قرأ: ادَّارِكْ بالتشديد على غير الاستفهام يقول: معناه: تدارك واجتمع، أي تدارك علمهم في الآخرة واجتمع حين عاينوها، وهم اليوم في شك منها وهم اليوم منها عمون، بل ادَّارِكْ علمهم في الآخرة^{١٠}. يقول: أتبلغ علمهم بالآخرة، أي لم يُدْرِكْ ولم يَبْلُغْ علمهم^{١١}. بل هم في شك منها بل هم منها عمون، يُسَفِّههم ويَجْهَلهم^{١٢}. يقول: ما بلغ علمهم بالآخرة. وقال بعضهم: بل ادَّارِكْ علمهم في الآخرة،

^١ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْحَتَهَا إِلَّا هُوَ﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ١٨٧).

^٢ ر ع م: أحد.

^٣ ر ع م - بل علم ذلك.

^٤ ن: قوله.

^٥ حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٣٥.

^٦ ع: ادراك.

^٧ ن: وبعضهم قرأ.

^٨ ر: وادرك؛ ن: ادرك؛ ع: وادراك.

^٩ ن: بلى أدرك؛ ع: ادراك + على الاستفهام بلى ادراك.

^{١٠} ر: ادرك؛ ع: الادراك.

^{١١} أي الألف المقصورة المكتوبة على شكل الياء الغير المنقوطة.

^{١٢} ن: بلى.

^{١٣} ر ع م - واجتمع حين عاينوها وهم اليوم في شك منها وهم اليوم منها عمون بل ادرك علمهم في الآخرة.

^{١٤} انظر حول القراءات الواردة: حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٣٥؛ ومعجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم

وأحمد مختار عمر، ٣/ ٤٨٥-٤٨٧؛ وتفسير الطبري، ٧/ ٢٠؛ وتفسير القرطبي، ١٣/ ٢٢٦-٢٢٧؛ وانظر أيضاً:

لسان العرب، «درك».

^{١٥} ع + ما.

^{١٦} ن: ادرك.

أي أم أدرك علمهم؟ وقال بعضهم: ادَّرَكَ علمهم في الآخرة، أي غاب علمهم عن الآخرة [في الدنيا] وادرك في الآخرة حين لم ينفعهم. وعن الحسن قال: بل ادَّرَكَ علمهم، أي اضمحل علمهم وذهب. وعن ابن عباس^١ وغيره قالوا: بل ادرك علمهم في الآخرة، بل اجتمع^٢ علمهم بأن الآخرة كائنة، وهم مشركو^٣ العرب. بل هم في شك منها، قال: يقولون مرة: الآخرة كائنة ثم يشكون فيها فيقولون: ما ندرى أكائنة أم لا. بل هم منها عمون، يعني جهلة بها. وجائز أن يسمى الشاك في شيء أعمى.^٤ وأبو عؤسجة والقُتبي يقولان: ادَّرَكَ علمهم، أي تدارك ظنهم^٥ في الآخرة وتتابع بالقول [والحدس].^٦ بل هم منها عمون، أي من علمها. وقال^٧ بعضهم من أهل الأدب: لا تستقيم^٨ قراءة من قرأ بإثبات الباء في "بلى" والصلة بالأول، لأن "بلى" بالياء إنما يقال في الإيجاب والإثبات، وما تقدم من الكلام هو على الإنكار والنفي، وذلك غير مستقيم في اللغة والكلام.^٩

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ﴾ [٦٧] ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [٦٨]

وقوله:^{١٠} وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وآباؤنا أنا لمخرجون، كأنهم قالوا ذلك لأحد وجهين: إما استهزاء بما يخبرهم الرسل: إنكم تبعثون، أو قالوا ذلك احتجاجا احتجاجوا به على الرسل بقولهم الذي قالوا: لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين، يحتجون فيقولون:^{١١} لقد وُعد^{١٢} آباؤنا بالبعث كما وُعدنا نحن ثم لم نرهم بُعثوا منذ ماتوا، فعلى ذلك نحن وإن وعدنا فلا نُبعث كما لم يُبعث^{١٣} آباؤنا.

^١ ع: عن ابن عباس.

^٢ جميع النسخ: اجمع؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٩ و.

^٣ ر ن ع م: مشركوا.

^٤ جميع النسخ: عميا؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٦ و.

^٥ ع: فظنهم.

^٦ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.

^٧ ن: قال.

^٨ جميع النسخ: لا يستقيم.

^٩ ع + والله أعلم.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} م: ويقولون.

^{١٢} جميع النسخ: وعدنا.

^{١٣} ر ع م: تبعث؛ ع - كما لم يبعث.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٦٩]

ثم قال: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين، يقول -والله أعلم-: لو سرتم في الأرض فنظرتم إلى ما حل بمكذبي الرسل من العذاب. والرسل إنما كانوا يدعون إلى توحيد الله والإقرار بالبعث بعد الموت، فعلى^١ ذلك ينزل بكم ما نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل والبعث^٢ وغيره. فيكون قوله: سيروا في الأرض، ليس على حقيقة الأمر بالسير ولكن على ما ذكرنا، أي لو سرتم لعرفتم ما حل بهم بتكذيبهم البعث^٣. أو أن يكون الأمر بالسير في الأرض أمرا بالتفكر فيما نزل بأولئك. الأمر بالنظر في عاقبة أمرهم أمر بالاعتبار فيهم، وفي أمر أولئك أمر^٤ بهذا ليزجرهم ذلك عن مثل صنيعهم وفعلهم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [٧٠]

وقوله: ولا تحزن عليهم، قال قائلون: قوله: ولا تحزن عليهم، بما يحل بهم من العذاب إن لم يحزنوا هم على أنفسهم ولم يرحموا. وقال بعضهم: قوله: ولا تحزن عليهم إن لم يُسلموا، كقوله: فَاعْلَمْكَ تَابِخَعُ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا^٥، وكقوله: لَعَلَّكَ تَابِخَعُ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ^٦، وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ^٧، وأمثال ذلك؛ كادت نفسه تهلك وتلّف إشفاقا عليهم، بما ينزل بهم بتركهم الإسلام فقال: ولا تحزن عليهم ولا^٨ تذهب نفسك عليهم حسرات. ليس على النهي ولكن على تسكين نفسه وتقديرها على ما هي عليه لئلا تتلّف وتهلك، وهو ما قال: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^٩.

^١ جميع النسخ: فكل؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٥٩ و.

^٢ جميع النسخ: الرسل بالبعث.

^٣ ر ع م - البعث.

^٤ ر - أمر.

^٥ سورة الكهف، ٦/١٨.

^٦ ر ع: وكقولك.

^٧ سورة الشعراء، ٣/٢٦.

^٨ ن: وكقوله.

^٩ سورة فاطر، ٨/٣٥.

^{١٠} ن: فلا.

^{١١} سورة القصص، ٥٦/٢٨.

وقوله: **وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**، هذا يحتل وجهين. أحدهما: لا تكن في ضيق مما يستهزئون بكم ويسخرون بما توعدهم من العذاب والهلاك. ألا ترى أنهم قالوا على إثر ذلك: **مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**^١، قالوا ذلك له استهزاء بما يوعدهم. فكأنه قال لرسوله: لا تكن في ضيق مما يستهزئون بما توعدهم فإن الله يجزيهم جزاء استهزائهم بكم. والثاني [و] **لَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**، أي مما يريدون ويهْمُونَ قَتْلَكَ، فإن الله يحفظك ويحطوك فلا يصلون إليك مما^٢ يريدون من قتلك وإهلاكك، وهو ما قال: **وَاللَّهُ يَغْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**^٣. وفيه دلالة إثبات رسالته حيث آمنه وأخبره أنه يحفظه ويعصمه من جميع الأعداء وهو بين أظهرهم. فذلك آية من آيات النبوة والرسالة. **وَاللَّهُ أَعْلَمُ**.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٧١]

وقوله: **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**، قد ذكرنا أنهم إنما يقولون ذلك استهزاء وتكديبا بما كان يُوعدهم من العذاب بتكذيبهم إياه. ثم كان يوعدهم مرة بعذاب ينزل بهم في الدنيا كما نزل بأوائلهم بتكذيبهم الرسل، ومرة يوعدهم بعذاب ينزل بهم في الآخرة، فيكذبونه في ذلك كله ويستهزئون به ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، وكذلك قال أوائلهم لرسولهم: **فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ**^٤.

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [٧٢]

ثم قال: **قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **رَدِفَ لَكُمْ**، بعد هذه الحال وبعد هذا القول الذي قلتم^٥ بعض الذي تستعجلون، أي ينزل بكم بعد هذه الحال بعض الذي تستعجلون وهو العذاب. وقوله: **رَدِفَ لَكُمْ**، أي يدنو^٦ منكم ويقرب. والثاني / **عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ**، بعد الحزن والمكروه الذي يحل بكم بالموت، [٥٥٨]

^١ الآية التالية.

^٢ ن: بما.

^٣ سورة المائدة، ٥/٦٧.

^٤ ن - إنما.

^٥ ﴿قالوا أحتننا لنعبد الله وحده ونذكر ما كان يعبد آباؤنا فأنتنا بما تعدننا إن كنت من الصادقين﴾ (سورة الأعراف،

٧/٧٠). وهو من قول قوم هود عليه السلام.

^٦ جميع النسخ: قالوا.

^٧ ر: يدنوا.

بعض الذي تستعجلون، وهو عذاب القبر، لأنهم وقت الموت يجزنون ويكروهون لِمَا شاهدوا^١ وعابنوا من حالهم، ولذلك يسألون ربهم الرجوع والرد إلى المحنة ثانيا، نحو قولهم: رَبِّ اِزْجِعُونِي^٢، وقولهم: أَوْ نُزِدْ فَنَعْمَلْ^٣، ونحوه.

* قال بعضهم في قوله: قل عسى أن يكون ردف لكم، أي أعجل لكم. * [٢٠ س ٥٥٨]

* قال القُتَيْبِيُّ: قوله: ردف لكم، أي تبعكم، واللام زائدة كأنه قال: ردفكم. ^٤ والله أعلم

[٢٠ س ٥٦٠] بالصواب. *^٥

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [٧٣]

وقوله: وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون. يحتمل قوله: لذو فضل على الناس، وجوها. أحدها ذو فضل في تأخير العذاب عنهم، ولكن أكثرهم لا يشكرون، ذلك الفضل ولكن يستعجلون. والثاني ذو فضل على الناس في دينهم في بعثه وإرساله إليهم من يجرهم ويصرفهم عما يستوجبون من عذاب الله ومقته وهو الرسول، لكنهم لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه بل يعاندونه ويكابرونه. أو لذو فضل على الناس فيما أنعم عليهم في أموالهم وأنفسهم، لكنهم لا يشكرون في ذلك بل يصرفون^٦ شكره إلى غير المنعم. والله أعلم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [٧٤]

وقوله: ^٧ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، قوله: تكن صدورهم، يحتمل وجهين. أحدهما ما^٨ تكنون أنتم في صدوركم وتُسرون فيها. وما تعلنون، أي ما تبديون وتُظهرون^٩ فيها،

^١ ع: يشاهدوا.

^٢ ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رَبِّ اِزْجِعُونِي﴾ (سورة المؤمنون، ٩٩/٢٣).

^٣ ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُزِدْ فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

^٤ ن: وقال.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٥٨/س ٢٠-٢١.

^٥ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٢٦.

^٦ ر ن - والله أعلم بالصواب.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٩٣ فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٠/س ٢٠.

^٧ ع: من.

^٨ ع: بل ويصرفون.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} م - ما.

^{١١} ع - وتظهرون.

يعلم^١ ذلك كله. أو ما تُكِنُّ صدورهم، أي^٢ ما تُخفي أنفس الصدور وتُسر فيها، وما يعلنون، وما تحمل الصدور أصحابها على إبداء ما فيها وإظهاره، وهو ما^٣ أُذكر في الخبر حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح جميع بدنه وهو القلب». ^٤ والله أعلم.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٧٥]

وقوله: ^٥ وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين، هذا يخرج على وجهين أيضا. أحدهما ما من غائبة في السماء والأرض مما كان ويكون [إلى] أبدأ الأبدان إلا كان ذلك مبينا في كتاب مبين. يخبر أنه كان لم يزل عالما بما كان منهم [ويكون إلى] أبدأ الأبدان، وأنه عن علم بأفعالهم وصنيعهم خلقهم وأنشأهم لا عن جهل وغفلة.

والثاني وما من غائبة في السماء والأرض، أي ما من غائبة عن الخلق: ما يغيب بعضهم من بعض ويُسر بعضهم بعضا إلا كان ذلك في كتاب مبين، [أي] إلا كان ذلك عند الله محفوظا مرقوبا ينبتهم^٦ ليكونوا على حذر. يقول: إن ما يغيب بعضهم من بعض فهو عند الله محفوظ رقيب لا يغيب عنه شيء، كقوله: مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.^٧ والله الموفق.*

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [٧٦]

وقوله: ^٨ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون. قال بعضهم: قوله: أكثر الذي هم فيه يختلفون، ^٩ مقطوع من قوله: إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل، كأنه قال: يقص على بني إسرائيل، أي يبين لهم. ثم قال على الاستئناف: أكثر الذي هم فيه يختلفون. وقال بعضهم: لا، ولكن هو موصول ببعضه ببعض: إن هذا القرآن يقص، أي يبين على بني إسرائيل أكثر مما اختلفوا فيه. فإن كان على ما يقول [أصحاب] هذا [الرأي] فهم بأنفسهم

^١ ن: ويعلم.

^٢ ع: أو.

^٣ ع: وما.

^٤ ولفظ البحاري (الإيمان ٤٠): «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»؛ انظر: صحيح مسلم، المساقات ١٠٧؛ وستن ابن ماجه، الفتن ١٤.

^٥ ن: قوله.

^٦ ر ع م: بينهم.

^٧ سورة ق، ١٨/٥٠.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٥٨/سطر ٢٠-٢١.

^٨ ن: قوله.

^٩ ر ع م - قال بعضهم قوله أكثر الذي هم فيه يختلفون.

يبتون الاختلاف الذي هم فيه، لا يحتاج إلى أن يبين لهم^١ القرآن الذي هم فيه يختلفون، إذ هم يبتون ما اختلفوا فيه. ولكن تأويله - والله أعلم - أن هذا القرآن يبين لهم الحكم في أكثر ما يختلفون فيه،^٢ أو يبين لهم الحق في أكثر ما يختلفون فيه. وفي ظاهر الآية أنه يبين لهم أكثر الذي هم فيه يختلفون، [و] أنه قد بقي شيء مما اختلفوا فيه لم يبين لهم حيث قال: أكثر الذي هم فيه يختلفون. لكن قوله: أكثر الذي هم فيه يختلفون،^٣ أي يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين لهم ما فيه دليل القرآن. أو يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين^٤ ما فيه سنة الرسول^٥ ونحوه. **وإنه أعلم.**

﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧٧]

وقوله: ^٦ وإنه، أي القرآن الذي ذكر. هدى ورحمة،^٧ أي هدى من الضلالة لمن اتبعه في الدنيا وعمل به، ورحمة في دفع العذاب عنهم في الآخرة. فيكون هو هدى ورحمة لمن آمن به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [٧٨]

وقوله: ^٨ إن ربك يقضي بينهم بحكمه، حكمه هو عدله، كأنه يقول: إن ربك يقضي بينهم بعدله، لا يجوز^٩ ولا يظلم^{١٠} في الحكم والقضاء. وهو العزيز العليم. العزيز^{١١} الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخفى عليه شيء. عزيز بذاته عليم^{١٢} بذاته.

^١ ر ع م - لهم.

^٢ ر ع م - فيه.

^٣ ر - لكن قوله أكثر الذي هم فيه يختلفون.

^٤ ع: أو يبين.

^٥ ر ع م: القرآن.

^٦ يقول السمرقندي في تفسير الآية: «وفي ظاهر الآية إشكال من وجهين. أحدهما أنه قال: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾، أي يبين هذا القرآن على الذين سألوا من بني إسرائيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الذي هم فيه ويبتون ما اختلفوا فيه، فلا حاجة في البيان إلى القرآن. والثاني ذكر أن القرآن يبين أكثر ما اختلفوا فيه لا جميعه. وذكر في مواضع أن فيه بيان كل حكم فقال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (سورة الأنعام، ٥٩/٦)، وقال: ﴿تبياناً لكل شيء﴾ (سورة النحل، ٨٩/١٦)» (شرح التأويلات، ورقة ٥٥٩ ظ).

^٧ ن: قوله.

^٨ ر ع م + أي هدى ورحمة.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ر ع م: لا يجوز.

^{١١} ن - ولا يظلم.

^{١٢} ر ع م - العليم العزيز.

^{١٣} ر ع م: عالم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [٧٩]

وقوله: ^١ فتوكل على الله، أي توكل على الله واعتمد عليه ولا تخف مكرهم وما يريدون ويقصدون أن يكيدوا بك، كقوله: ^٢ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ.
وقوله: ^٣ إنك على الحق المبين، لأن معك حججاً وبراهين ليس مع أولئك حجج وبراهين، وإن كان كلُّ منهم يقول: أنا على الحق، فأنت على الحق المبين لا هم، لأن معك حججاً وبراهين [بأن] الذي أنت عليه حق وأن الذي هم عليه باطل ليس بحق.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [٨٠]

وقوله: ^٤ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين، قال بعض أهل التأويل: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى يوم بدر: «يا فلان ويا فلان»، وهم قتلى، بعدما أمر أن يجتمعوا في قلب: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، ألم تكذبوا نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا أرحامكم؟» فأنزل الله هذا الآية: ^٥ إنك لا تسمع الموتى. لكن عندنا أن الله تعالى سمى الكافر ميتاً في غير آي من القرآن لما لم يجهدوا أنفسهم / في عبادة الله ولا استعملوها [٥٥٨ظ] في طاعته فهم كالموتى، وسماهم صمًا لما لم يسمعوا الحق ولم يقبلوه، وسماهم بكما لما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به، وسماهم عمياً لما لم يبصروا الحق، وسماهم موتى لما لم يستعملوا أبدانهم في الحق. ^٦ فنفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولا استعملوها فيما أنشأت وخلقت وإن كانت ^٧ لهم هذه الحواس. فعلى ذلك سماهم موتى وهلكى. وفي موضع آخر شبههم بالأنعام وأخبر أنهم أضل ^٨ لما لم يستعملوا أنفسهم فيما أنشأت هي له ولم ينتفعوا بها.

^١ ن: قوله.

^٢ سورة المائدة، ٦٧/٥.

^٣ ن: قوله.

^٤ جميع النسخ: حجج.

^٥ جميع النسخ: حجج.

^٦ ر - وقوله: ن: قوله.

^٧ صحيح البخاري، الجناز ٨٦، المغازي ٨؛ وصحيح مسلم، الجنة ٧٦-٧٧؛ وسنن النسائي، الجناز ١١٧.

^٨ ر ع م: أيديهم؛ ن: أبداً منهم.

^٩ انظر: سورة البقرة، ١٨/٢، ١٧١؛ وسورة فاطر، ١٩/٣٥-٢٢.

^{١٠} ع: كان.

^{١١} ﴿ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).

فإن قيل: ما معنى قوله: **وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مَدْبِرِينَ**، أخبر أنه لا يقدر على أن يسمع الصمَّ إذا ولَّوْا مدبرين، ولا يقدر أن يسمع الصم وإن أتوا مقبلين ولم يولِّوْا؟
 قيل: معناه -والله أعلم- أنهم صاروا صمًا لا ينتفعون بما سمعوا لإعراضهم وترك إمكان النظر فيه. ولو أقبلوا إليه لانتفعوا به فيصير مُسمعا لهم. يخبر عن شدة تعنتهم ومكابرتهم أنهم كالصمَّ المدبرين لا يمكن إسماعهم بحال ولا تفهيمهم وإن جهَّد. وأما الصمَّ المقبلون فإنهم قد يمكن إسماعهم وتفهيمهم بجهد: بالإشارة والإيماء ونحوها. ^١ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ.**

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [٨١]

وقوله: ^٢ **وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ**، وفي بعض القراءات: وما أنت تهدي ^٣ العُمِّيِّ عن ضلالتهم. ^٤ هذا يدل أن ليس كل الهدى البيان على ما قالت المعتزلة، لأنه لو كان الهدى كله بيانا في جميع المواضع على ما قالوا هم لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدر أن يبين للكفار عن ضلالتهم وقد بين لهم. ثم أخبر رسوله: **وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ**، فدل هذا أن عند الله هداية ولطفاً إذا سألوه وطلبوا منه ذلك فأعطاهم لاهتدوا به وآمنوا. فهذا ينقض على المعتزلة قولهم.

وقوله: ^٥ **إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ**، أي ما تسمع إلا أهل الإيمان بالآيات وأهل الإسلام منهم، فأما أهل العناد والمكابرة فلا.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا

لَا يُوقِنُونَ﴾ [٨٢]

وقوله: ^٦ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ**، قال بعضهم: قوله: **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ**، ^٧ أي إذا وقعت الحجة عليهم ولزمت فكذبوها فأخرجنا لهم دابة.

^١ ر م - ونحوها.

^٢ ن: قوله.

^٣ ع: بهادي.

^٤ حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٣٧؛ ومعجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٩٠/٣.

^٥ ن: ع: ولطف.

^٦ ن: قوله.

^٧ ن: قوله.

^٨ ن - قال بعضهم قوله وإذا وقع القول عليهم.

وقال بعضهم: وإذا وقعت السَّخْطَةُ والغضب عليهم أخرجنا لهم دابة. ^١ وقال قائلون: إذا وقع القول عليهم، أي إذا بلغوا في الكفر حداً يعلم الله أنهم لا يؤمنون أبداً بعد ذلك أخرجنا لهم دابة. لكن قد ذكرنا في غير موضع أن هذا لا يصح ولا يجوز، إذ الله عز وجل لم يَزَلْ عالماً بما كان ويكون منهم أبداً^٢ الآبدين، فليس علمه بأحوالهم بما يكون منهم إذا بلغوا ذلك الحد، بل لم يَزَلْ عالماً بما يكون منهم. وهذا الحرف الذي يقول هذا القائل يومئ إلى أنه إنما يعلم ذلك منهم إذا بلغوا ذلك الحد، وقبل ذلك لا، فهو قبيح. وقول من قال: إذا وقعت الحجّة عليهم فهو لا يحتمل أيضاً، لأنّ^٣ الحجّة قد كانت قامت قبل ذلك الوقت وليست تقوم الحجّة عليهم في ذلك الوقت. فيكون التأويل أحد وجهين. أحدهما ما ذكرنا من وقوع العذاب ووجوب العقوبة والسَّخْطَةُ عليهم، كقوله: **أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ**، أي العذاب وجب عليهم. والثاني أي وإذا أتى وقت خروج الدابة التي وعدنا لهم أنها تخرج أخرجنا [ها] لهم في ذلك الوقت، أي لا يتقدم خروجها عن^٤ الوقت الموعود ولا يتأخر، كقوله: **فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**.^٥ وهكذا كل شيء جعل^٦ الله لظهور [ه] وكونه وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر ذلك الوقت. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون تأويل الآية.

وقوله: **تُكَلِّمُهُمُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**، قراءة العامة بالتشديد: تكلمهم، من التكليم والتحديث. وكذلك في بعض الحروف: تحدّثهم^٧ وتنبههم^٨. وقد قرئ: تُكَلِّمُهُمُ بالتخفيف،^٩

^١ ر ع + وقوله.

^٢ م: هذا.

^٣ ع: أبداً.

^٤ ع: أن.

^٥ ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ (سورة الأحقاف، ١٨/٤٦).

^٦ ع + ولا يتأخر ذلك.

^٧ ع - خروجها عن.

^٨ ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٤/٧).

^٩ م: جعله.

^{١٠} جميع النسخ + ذلك.

^{١١} ن: قوله.

^{١٢} ر ع م: يتحدّثهم.

^{١٣} قراءة ابن مسعود وردت على: تُنَبِّهُهُمْ؛ انظر: كتاب المصاحف للسجستاني، ١٥٣.

^{١٤} معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٤٩٠-٤٩١.

وهو من الجرح^١ وهو ما ذكر من^٢ الأخبار والقصاص أن الدابة إذا خرجت تجرح^٣ الكافر وتسميه بسمّة وعلامة حتى يُعرف الكافر من المؤمن فيقال: يا مؤمن ويا كافر. وسئل ابن عباس عن ذلك وقال: تُكلم المؤمن وتحدّثه وتجرح^٤ الكافر. **وانه أعلم.**

ثم اختلف في قوله: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، اختلف في تلاوته وتأويله. [قرأ بعضهم: ^٥ أن الناس، بنصب الألف، و[بعضهم: "إن الناس" بكسرها. ^٦ فمن قرأ بالنصب: "أن الناس" جعل ذلك القول من الدابة. ثم يخرج على وجهين. أحدهما تقول^٧ الدابة: إن الناس كانوا بي وبخروجي لِمَا وَعَدُوا لا يوقنون أي أخرج، فهذا^٨ أنا ذا خرجت. والثاني أنها تخبر عن الله وتنبئ أن الناس كانوا بالدابة وبغيرها من الآيات لا يوقنون. ومن قرأ بالخفض "إن الناس"^٩ يجعل ذلك القول من الله ابتداءً إخباراً [بأنهم كانوا لا يزالون لا يوقنون بآياتنا.^{١٠} وفي^{١١} خروج الدابة أعظم آيات في إثبات رسالة رسول الله ونبوته، لأنه أخبر أنها تخرج في وقت كذا، فتخرج على ما أخبر في ذلك الوقت على الوصف الذي وصف فيدهم على صدقه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [٨٣]

وقوله:^{١٢} ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا، يُجمَع القادة منهم والأتباع والمتبعون فيساقون^{١٣} إلى النار جميعاً، كقوله: أُحْشِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،^{١٤} الآية، [٥٥٩]

^١ جميع النسخ: من الجراحة.

^٢ ر م: في.

^٣ ع: تخرج.

^٤ ن + ابن.

^٥ ع: ويخرج.

^٦ انظر: تفسير القرطبي، ٢٣٨/١٣؛ وروح المعاني للآلوسي، ٢٥/٢٠.

^٧ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٦٠ و.

^٨ حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٣٨.

^٩ ر ن م: يقول.

^{١٠} ع: فيها.

^{١١} ر ع م - الناس.

^{١٢} ر ع م - بآياتنا.

^{١٣} ن + وفي.

^{١٤} ن: قوله.

^{١٥} ع: فتساقون.

^{١٦} ﴿أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات،

٢٣-٢٢/٣٧).

وكقوله: وَيَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا [إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا]،^١ الآية، وكقوله: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ.^٢ قال^٣ أهل التأويل: يوزعون، أي يُحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، وقد ذكرنا الوزع فيما تقدم وما قيل فيه.^٤

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨٤]

وقوله:^٥ حتى إذا جاءوا، أي حتى إذا جاءوا جميعا واجتمعوا، يعني الكفار، قال لهم: أكذبتهم بآياتي ولم تحيطوا بها علما. يحتمل قوله:^٦ ولم تحيطوا بها علما، أي قد أحطتم بها علما أنها آيات لكن كذبتهم وأنكرتم أنها آيات عنادا ومكابرة، إذ يجوز أن يتكلم بالنفي على إثبات ضده، كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ،^٧ أي يعلم^٨ بصد ذلك وبخلاف ما تقولون أنتم. وذلك جائز في القرآن كثير. أو أن^٩ يكون قوله: ولم تحيطوا بها علما،^{١٠} لما لم تتفكروا^{١١} فيها ولم تنظروا^{١٢} إليها نظراً التعظيم والإجلال^{١٣} لكي تعرفوا وتحيطوا^{١٤} بها علما أنها آيات. وإلا لو كان التأويل على ظاهر ما ذكر لكان لهم عذر في تكذيبها إذا لم يحيطوا بها علما، إذ من لم يحط العلم بالشيء فله عذر الرد وترك القبول، لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما. والله أعلم.

ثم قال: **أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**، في تكذيب الآيات أو الأعمال^{١٥} التي عملتموها^{١٦} بلا حجة ولا برهان.

^١ سورة الزمر، ٧١/٣٩.

^٢ سورة فصلت، ١٩/٤١.

^٣ ع: وقال.

^٤ انظر: تأويل الآية ١٧ من هذه السورة.

^٥ ن: قوله.

^٦ م- أي حتى إذا جاءوا.

^٧ ر ع م - قوله.

^٨ سورة يونس، ١٨/١٠.

^٩ ر ع م: نعلم.

^{١٠} ر ع م: وأن.

^{١١} ع- علما.

^{١٢} ر ع م: لم يتفكروا.

^{١٣} ر م: ولم ينظروا.

^{١٤} ر: وإجلال.

^{١٥} جميع النسخ: وأحطتم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٦٠ ظ.

^{١٦} ر ع م: والأعمال.

^{١٧} جميع النسخ: عملوها.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [٨٥]

ووقع القول عليهم، أي وجب القول بالعذاب ووقع ما وعدوا من العذاب بما ظلموا حيث قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^١ ونحوه. وقوله: فهم لا ينطقون، أي لا ينطقون بالحجة مما يكون لهم به عذر.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٨٦]

وقوله: ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات، أي في الليل والنهار آيات لقوم يؤمنون.^٢ ثم الآيات التي ذُكر فيهما تكون^٣ من وجوه. أحدها^٤ دلالة وحدانيته، ودلالة علمه وتدبيره وحكمته، ودلالة كرمه وجوده، ودلالة قدرته وسلطانه، ودلالة القدرة على البعث والإحياء بعد ما صاروا رمادا ترابا. أما دلالة كرمه وجوده ما جعل لهم في الليل والنهار منافع تدوم ما داموا هم.^٥ ثم^٦ تلك المنافع تكون من وجهين. أحدهما جعل النهار للتقلب فيه والتصرف لمعاشهم وما به قوام دنياهم. وجعل الليل راحة لهم وسكونا. ولو^٧ جعلهما جميعا^٨ للتقلب ما قام به معاشهم وما به قوام أنفسهم وأبدانهم أبدا، لأنه لا يلتئم^٩ ذلك إلا بالراحة. ولو جعلهما جميعا للراحة لم يُقَم أمر معاشهم. فمن رحمته وفضله جعل أحدهما للراحة والآخر للتقلب^{١٠} وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.^{١١}

^١ سورة هود، ١١/١١٩.

^٢ ن: قوله.

^٣ ن: قوله.

^٤ ر ع م - يؤمنون.

^٥ ن ع: يكون.

^٦ ر ن ع م: أحديها.

^٧ ع: داموهم.

^٨ ع- ثم.

^٩ ع: وما.

^{١٠} م- جميعا.

^{١١} ر ن م: لا يلتئم.

^{١٢} ع- ما قام به معاشهم وما به قوام أنفسهم وأبدانهم أبدا لأنه لا يلتئم ذلك إلا بالراحة ولو جعلهما جميعا للراحة لم يُقَم أمر معاشهم فمن رحمته وفضله جعل أحدهما للراحة والآخر للتقلب.

^{١٣} ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٧٣/٢٨).

والثاني من النعمة التي ذَكَرَ [هو] أنه جعل^١ الذي^٢ للتقلب إنما جعل ذلك للكل لا للبعض دون البعض.^٣ وكذلك^٤ الذي هو مجعول للراحة والقرار^٥ إنما جعله كذلك للكل لا لقوم دون قوم. ولو جعل كذلك لكان لا يقوم أمر معاشهم ولا ما به يقوم أبدانهم وأنفسهم. ولكن من رحمته وفضله جعل المجعول وقتا للراحة للكل لا لبعض دون بعض، وكذلك المجعول للتقلب [هو] للكل^٦ ليظفر المشترون بالباعة والباعة بالمشتريين ليلتئم^٧ أمر معاشهم ودنياهم.

وأما دلالة وحدانيته ما جعل منافع أحدهما متصلة بالآخر، إذ لا يقوم أحدهما إلا بالآخر^٨ على اختلاف جوهرهما، ليعلم أن مديبرهما ومنشئهما واحد، إذ لو كان عددا لكان ما أراد هذا إيصاله متع[له] الآخر. فإذا^٩ لم يكن ولكن جزيئا على ستن^{١٠} واحد واتساق واحد دل أنه تدبير واحد لا عدد. ودلالة علمه وحكمته أنهما منذ كانا كانا على ميزان واحد وعلى تقدير واحد من غير تغير ولا تبدل^{١١} يقع فيهما، دل أن لمنشئهما علما ذاتيا وحكمة ذاتية لا علما مكتسبا مستفادا كعلم^{١٢} الخلق.

وأما دلالة القدرة والسلطان [ف] لأنهما يقهران ويغلبان^{١٣} الخلق كله من الجبابرة والقراة شاءوا أو أبوا، حتى إذا أراد واحد منهم^{١٤} منع أحدهما أو يزيد في أحدهما^{١٥} أو ينقص من الآخر لم يقدر عليه. أو إن اجتمعوا جميعا على دفعهما^{١٦} أو دفع أحدهما دون الآخر لم يقدروا عليه، دل أن لمنشئهما قدرة وسلطانا،^{١٦} إذ من قدر على إنشاء هذا لا يُعجزه شيء.

^١ ن + فيهما إذ جعل الذي جعل؛ ع + الليل.

^٢ ن - الذي.

^٣ ن: بعض؛ ع - البعض.

^٤ ر م: ولذلك.

^٥ ر ع م: والقران.

^٦ ر ع م - للكل.

^٧ ن ع: ليلتئم.

^٨ ع - إذ لا يقوم أحدهما إلا بالآخر.

^٩ ع: فإذا.

^{١٠} ع: من غير تغير وتبدل.

^{١١} ع: لعلم.

^{١٢} ر ع م - ويغلبان.

^{١٣} جميع النسخ + في.

^{١٤} ر ع م - أو يزيد في أحدهما.

^{١٥} ن: على دفعها.

^{١٦} ع: وسلطانه ما.

ودلالة القدرة على البعث لأنه يُتلف أحدهما ويذهب به^١ حتى لا يبقى أثره ثم يأتي بالآخر على تقدير الأول. فمن قدر على إنشاء هذا بعد ذهاب الآخر بكلية وذهاب أثره لقادر على إنشاء الخلق بعد فنائهم وهلاكهم وإنه لا يعجزه شيء.

ثم لما جعل هذا ما ذكرنا وخلق ما خلق^٢ من المنافع التي ذكرنا لهذا العالم خلق هذا العالم للمحنة يأمرهم وينهاهم، وجعل لهم عاقبة فيها يثاب من أطاعه ويعاقب من عصاه. إذ لو لم يكن عاقبة لكان خلقهم عبثاً لا حكمة فيه، لأن من^٣ بنى للفناء والنقض خاصة لا لعاقبة يؤمل نفعها^٤ كان / بناؤه عبثاً غير حكمة. فعلى ذلك خلق الخلق لا لعاقبة تُقصد عبثاً ليس بحكمة. [٥٥٥٩] والآيات لمن آمن بها وصدق، فأما من لم يؤمن وكذب بها فهي آيات عليهم لا لهم

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٌ ذَاخِرِينَ﴾ [٨٧]

وقوله: ° ويوم ينفخ في الصور فنزع من في السماوات ومن في الأرض. اختلف في النفخ ما هو وفي عدده، واختلف في الصور^٦ أيضاً ما هو وكيف هو؟ أما الاختلاف في النفخ فمنهم من يقول: ليس على حقيقة النفخ ولكن إخبار عن خفة قيام القيامة على الله. أخبر بالنفخ عنها لأنه أخف شيء على الخلق وأهونه فأخبر به عنها، وهو ما قال: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ^٧، شبه أمرها بلمح البصر لما ليس شيء أخف على المرء من لمح البصر، فعلى ذلك ذكر النفخ عند قيامها لخفته على الخلق. ومنهم من يقول: ذكر النفخ لسرعة نفاذ الساعة، إذ ليس شيء أسرع نفاذاً من النفخ وهو ما قال: إِلَّا صَيْحَةً وَاجِدَةً^٨، ذكر ذلك وشبهها بالصيحة والرجفة لسرعة نفاذها، إذ ليس شيء أسرع نفاذاً^٩ من الصيحة والرجفة.

^١ ع: عنه.

^٢ ن - ما خلق.

^٣ ع: لا من.

^٤ جميع النسخ: يتأمل نفعه؛ والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٦١ و.

^٥ ن: قوله.

^٦ ر: واختلفوا في الصورة.

^٧ ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٧).

^٨ ر ن م - واحدة. انظر إلى مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (سورة يس،

٢٩/٣٦)؛ وقوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدُنَا مُحْضَرُونَ﴾ (سورة يس، ٣٦/٥٣).

^٩ ع: نفاذ.

فيقول: ليس على حقيقة النفخ ولكن^١ إخبار عن خفتها على الله أو سرعة نفاذها على ما ذكرنا، وهو ما قال: فَتَمَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا^٢، ليس أنه ينفخ فيه نفخا ولكن يجعل كأنه قال: وجعلنا فيه من روحنا. ومنهم من يقول على حقيقة النفخ، فإن كان على هذا فهو أن يمتحن به^٣ الملك من غير أن يقع له الحاجة إلى ذلك، نحو ما امتحن الكرام^٤ الكاتبين بكتابة أعمال الخلق وأفعالهم من غير وقوع الحاجة إليه لكن امتحانا منه ملائكته بذلك. أو أن يكونوا هم^٥ أحذر، إذ هو عالم بما كان وما يكون: كيف يكون ومتى يكون وأي شيء يكون؟

وأما اختلافهم في عدد النفخ، قال قائل: ^٦ إنه واحد، يحتج بقوله: إِلَّا صَيَّحَّةً وَاحِدَةً، وقوله: فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ^٧. ومنهم من يقول بالنفختين، يحتج^٨ بقوله: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ^٩.^{١٠} أخبر أنه يرُدُّ الأولى غيرها ويحتج بقوله أيضا: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى^{١١}. ومنهم من يقول بالثلاث، يقول الأولى للفرع، والثانية للضعق على ما ذكرنا في الآية، والثالثة للإحياء. ومنهم من يقول بالثلاث إلا أنه يجعل ذلك كله بعد الموت. إحداهما للفرع في القبور، والثانية للإحياء فيها، والثالثة للإخراج منها والنشر. ويقول هذا القائل بعذاب أهل القبر من النفخة الثانية إلى النفخة الثالثة. وعلى ذلك رويت أخبار^{١٢} في ذلك، فإن ثبت^{١٣} فهو ذاك وإلا نفق فيه.

^١ ن: ولكنه.

^٢ ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ (سورة التحريم، ١٢/٦٦).

^٣ ر ع م - به.

^٤ ع: الكرامة.

^٥ ر ع م - هم.

^٦ يقول السمرقندي في تفسير الآية: «ويحتمل أيضا أن يكون الأمر للملائكة بالكتابة، لأن ذلك في عرف الناس أبلغ في الحذر من غير الكتابة فخرج على وفق عاداتهم ليكون أقرب إلى المراد» (شرح التأويلات، ورقة ٥٦١ و).

^٧ ن ع: قائلون.

^٨ ن م - وإنما هي واحدة؛ ر م - وإنما هي واحدة. سورة النازعات، ١٣/٧٩-١٤.

^٩ ن ع: يقول.

^{١٠} سورة النازعات، ٦/٧٩-٧.

^{١١} ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).

^{١٢} ن: الأخبار.

^{١٣} ع: فثبت.

وأما اختلافهم في الصور قال قائلون: يُنفخ في الخلق^١ والصور جمع صورة. قال الزجاج: لا يحتمل هذا، لأن الصور على سكون الواو ليس هو من أفراد الصور ولا من جمعها، لأن الفرد هو صورة بالهاء وجمع الصورة صور^٢ بتحريك الواو على ما ذكر في الآية: [وَصَوَّرَكُمْ] فَأَحْسَنَ صَوْرَكُمْ^٣. ومنهم من يقول هو قَرَن يُنفخ فيه كقرن كذا أو بوق كبوق كذا. لكننا لا نفسر شيئا مما ذكر من النفخ والصور أنه كذا ولا نشير إلى شيء أنه ذاء، إلا إن ثبت شيء من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال به، وليس هو بشيء يوجب العمل به فَيَتَكَلَّفَ صحته أو سقمه إنما هو شيء يجب التصديق به، فنقول^٤ بالنفخ والصور على ما جاء ولا نفسره. والله أعلم.

وقوله: فَفَرَّعَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ، وقال في آية أخرى: فَصَعَّقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ^٥؛ إنما هو إخبار عن شدة هَوْل ذلك اليوم، كقوله: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى [وَمَا هُمْ بِسُكَارَى]،^٦ الآية، وكقوله تعالى: [إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ] يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ [وَتَصَعَّقُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ]،^٧ ونحوه.

وقوله: إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، قال بعضهم: إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ^٨ هم الشهداء في الأرض، وعلى ذلك روى في بعض الحديث أنه قال: «ما أعطى آدمي بعد النبوة أفضل من الشهادة، لا يسمع الشهيد^٩ الفرع يوم القيامة إلا كرجل قال لصاحبه: ^{١٠} أتسمع؟ قال: أسمع كأذنين^{١١} الصلاة.»

^١ أي يُنفخ الأرواح في صور الموتى.

^٢ ن: صورة. معاني القرآن للزجاج، ٤/٢٢.

^٣ سورة المؤمن، ٤٠/٦٤. وعبارة السمرقندي هكذا: «قال الزجاج: لا يحتمل هذا، لأن الصور على سكون الواو ليس بجمع صورة ولا من الوجدان. فالوجدان هو الصورة بالهاء، والجمع هو الصور بتحريك الواو إلى الفتحة، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صَوْرَكُمْ﴾، والله أعلم» (شرح التأويلات، ورقة ٥٦١و). وانظر أيضا للمزيد: لسان العرب، «صور».

^٤ ع: لكن.

^٥ ن: فيقول.

^٦ ﴿وَنفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَّقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦٨).

^٧ سورة الحج، ٢٢/٢.

^٨ سورة الحج، ٢٢/١-٢.

^٩ ر ع م - قال بعضهم إلا من شاء الله.

^{١٠} ن: الشهداء.

^{١١} ع: صاحبه.

^{١٢} ن: كتأذين. والأذان والأذنين بمعنى واحد (لسان العرب، «أذن»).

وقال بعضهم: هم جبريل ومكائيل وإسرافيل وملك الموت. وقال بعضهم: هم الأنبياء والرسل. لكن لا نقول نحن: إن أهل الثُّنْيَا هم كذا ولا نشير إلى أحد، لأننا لا نعلم ذلك إلا إن ثبت في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول به. وجائز أن يكون الذين استثناهم هم^١ الذين أخبر عنهم في آخر الآية أنهم يكونون آمنين من فزع ذلك اليوم وهؤلاء، وهو ما قال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ^٢.

وقوله: ^٣ وَكُلُّ أُمَّةٍ قَرِئٌ بِالْمَدِّ: آتَوْهَ^٤ وتطويله مضمومة التاء فيه على مثال فَأَعْلُوهُ^٥ وهو جمع آتٍ،^٦ كقوله: ^٧ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا^٨. وآتوه جمع آتٍ^٩ وهو من سيأتون. وقرأ بعضهم بقصر الألف ونصب التاء على الإتيان [بمعنى]: قد آتوه^{١٠}.
وقوله: ^{١١} داخرين، قيل صاغرين ذليلين، دخر أي ذل.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [٨٨]

وقوله: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، قال بعضهم: وهي تمر مر كذا لكثرتها وازدحامها يرى الناظر إليها / ويحسبها كأنها جامدة. وكذلك العسكر العظيم يحسب [٥٦٠ و] الناظر إليه كأنه^{١٢} ساكن جامد لكثرتهم وازدحامهم، فعلى ذلك الجبال. وقال بعضهم: لا ولكن لشدة ذلك اليوم وهؤلاء وفزعهم على الناس يحسبون الجبال^{١٣} كأنها^{١٤} جامدة وهي تمر مر السحاب،

^١ ر ع م: عن.

^٢ سورة النمل، ٨٩/٢٧.

^٣ ن: قوله.

^٤ ع: قرأ.

^٥ ن - آتوه.

^٦ معجم القراءات القرآنية لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٤٩٢/٣؛ حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٣٨-٥٣٩.

^٧ ع + وقوله.

^٨ ر ع م - كقوله.

^٩ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (سورة مريم، ٩٣/١٩).

^{١٠} ر ع م: آتا.

^{١١} حجة القراءات لابن زنجلة، ٥٣٩.

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ن: إليها كأنها.

^{١٤} ر ع م - الجبال.

^{١٥} ع: أنها.

وهو ما ذكر: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ،^١ الآية، لشدة هؤل^٢ ذلك اليوم وفرعه. وقال بعضهم: لا ولكن الجبال لهؤل ذلك اليوم وفرعه تمر مرّ السحاب وسَيِّرَه، كقوله:^٣ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.^٤ وأصله إنما يذكر هذا وما تقدم من هؤل^٥ ذلك اليوم وشدته على الخلق لِيَتَعَطَّوْا وَيَنْزَجِرُوا.^٦

وقوله:^٧ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، قال بعضهم: أتقن، أحكم وأبرم. وقال بعضهم: أتقن، أي أحسن كل شيء.

قال^٨ بعض المعتزلة: كيف يكون الكفر حسنا وهو قبيح لأنه شتم رب العالمين،^٩ ولا يجوز أن يقال: الله خلق^{١٠} شتم نفسه أو أحسن^{١١} شتم نفسه أو أحسن كفر الكافر وغير ذلك من الخرافات.

فيقال لهم: لا يقول أحد إنه خلق الكفر وأحسنه أو أحسن شتم نفسه على هذا الإطلاق، [و] من قال ذلك فهو كافر. ولكن يقول: خلق^{١٢} فعل الكفر من الكافر قبيحا وخلق شتم الشاتم لربه قبيحا^{١٣} وتخلق فعل المعصية من العاصي^{١٤} قبيحا. لكنه [هو] من حيث خلقه ذلك وجعله حجة عليه حسن متقن محكم^{١٥} وإن كان ذلك الفعل^{١٦} منه قبيحا باطلا سفها جورا،^{١٧} أعني من الكافر.

^١ ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَدْهَلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

^٢ ر م - هول.

^٣ ن - كقوله.

^٤ سورة القارعة، ١٠١/٥.

^٥ ع: هو.

^٦ ر: أو ينزجروا.

^٧ ن: قوله.

^٨ ن: وقال.

^٩ ر ن - العالمين.

^{١٠} ن - خلق.

^{١١} ر ع م: وأحسن.

^{١٢} ر ع م - خلق.

^{١٣} ر ع م - وخلق شتم الشاتم لربه قبيحا.

^{١٤} ن ع: من المعاصي.

^{١٥} جميع النسخ: حسنا متقنا محكما.

^{١٦} ن ع: الحكم.

^{١٧} ع: جورا.

ألا يرى أنَّ من تكلف أن يعرف فعل الكفر منه سفها وجورا كان غير مذموم، لأنه يتكلف أن يعرف ما هو سفه في الحقيقة سفها ويعرف ما هو حق حقا. فهو من هذا الوجه عارف حقي وحكمة لأن الحكمة توجب أن يعرف كل شيء على ما هو في نفسه حقيقة. فعلى ذلك خلئ فعل الكفر من الكافر على الوجه الذي ذكرنا هو حسن متقن محكم، وإن كان من حيث فعل الكافر قبيحا سفها باطلا. وهذا كما نصفه^١ على الإطلاق أنه رب كل شيء وخالق كل شيء ولا نقول: يا خالق الأنجاس، يا رب الأقدار ونحوه، وإن كان هذا داخلا في الجملة أنه خالقها وربها، لأنه على الإطلاق يخرج مخرج المدح له والثناء، وعلى التخصيص^٢ [يخرج]^٣ مخرج الذم له، فعلى ذلك الأول. وقوله: **صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**، [يذكر] على إثر وصف الجبال بما وصف من انتقاضها وإفسادها وإخراجها من^٤ الصفة التي أنشأها إلى ما ذكر [بأنه] لم يخرج من الإتيان والإحكام والإبرام ليُعلم أن ليس في^٥ إفساد الشيء خروج عن الإتيان إذا كان ذلك بحكمة^٦. والله أعلم. وقوله: ^٧ إنه خبير بما تفعلون، وعيد لهم.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ قَرَعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [٨٩]

وقوله: ^٨ من جاء بالحسنة، قالوا جميعا: الحسنة هاهنا التوحيد والإيمان.

وقوله: ^٩ فله خير منها، قيل فيه بوجوه. ^{١٠} أحدها: من جاء بالتوحيد، توحيد ربه [يوم] البعث فله خير منها، ومجيئه ^{١١} ربه بالتوحيد إذا حُتم به فله ما ذكر. شَرَطَ المحيي به ولم يُقَل: من عمل بالحسنة فله كذا لأن الرجل قد يعمل بالحسنات ثم يفسدها ويطلها فلا يثاب بها عليها، ليُعلم أن ما يَنْتَفَع بالحسنات في الآخرة ^{١٢} الحسنة التي حُتم بها عليها وجاء بها ربه.

^١ ر ع م: يصفه.

^٢ ر ع م: على التخصيص.

^٣ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٦١ ظ.

^٤ ع - عن.

^٥ ع: من.

^٦ ر م: محكمه؛ ع: محكمة.

^٧ ن: قوله.

^٨ ن: قوله.

^٩ ن: قوله.

^{١٠} ن: وجوه.

^{١١} ر: ومجيب.

^{١٢} ع: بالآخرة.

وقال بعضهم: قوله: **فله خير منها**، أي ما يعطى في الآخرة له من الثواب^١ والجزاء إنما يكون من الحسنة التي كانت منه في الدنيا، منها يكون له جميع الخيرات في الآخرة.^٢ وقال بعضهم: **فله خير منها**، أي الذي أُعطي له في الآخرة من الخيرات خير مما ترك في الدنيا من النعم وصبر عليها فذلك خير مما ترك، كقوله: **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**. وقال بعضهم: **فله خير منها**، أي رؤية الرب ولقاؤه خير مما أُعطي غيرها^٣ من الخيرات، على ما يكون في الدنيا رؤية الملك ولقاؤه على الرعاية أعظم وأفضل عندهم من غيره من الكرامات وإن عظمت وجلت. وقال بعضهم: ذلك الثواب والجزاء في الآخرة خير مما عملوا به من الخيرات في الدنيا، لأن الثواب وجوبه بطريق الفضل والرحمة لا الاستيجاب^٤ والاستحقاق، إذ في الحكمة والعقل وجوب العمل [شكر للنعمة]^٥ وليس فيهما وجوب الثواب. فما^٦ هو سبيله فضل الله خير مما هو غيره. لكنه عورض بأن كل ما كان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل خير مما كان سبيل وجوبه الإفضال، إذ ما كان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل لا يسع تركه، وما كان وجوبه الإفضال له تركه. لكنه قال: إن قوله: **فله خير منها**، أي في طباعكم ووهمكم ذلك الثواب خير من ذلك لأنه في الحقيقة خير، وهو كقوله: **وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيَّ**^٧، أي في طباعكم. وعندكم أن^٨ إعادة الشيء أهون من ابتدائه، إذ ليس شيء أهون^٩ على الله من شيء، ولكن عندكم أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه^{١٠}، فعلى ذلك الأول. **وانه أعلم**.
وقوله: **وهم من فزع يومئذ آمنون**، أخبر أنهم إذا أتوا ربهم بالتوحيد يكونون^{١١} آمنين من فزع ذلك اليوم وهوله.

^١ ر ع + والثواب.

^٢ ع: بالآخرة.

^٣ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة هود، ١١/١١).

^٤ ع: غيره.

^٥ ع: للاستيجاب.

^٦ الزيادة من الشرح، ورقة ٥٦١ ظ.

^٧ ر م: فيما؛ ن: مما.

^٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).

^٩ ع: أي.

^{١٠} ر: أهون.

^{١١} ن - أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه.

^{١٢} ع: يكون.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٩٠]

وقوله: ومن جاء بالسيئة، أي بالشرك، فكُبَّتْ وجوههم في النار، المنكب على الوجه^١ هو الملقى على الوجه، كقوله: يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ.^٢

وقوله: ^٣ هل تجزون إلا ما كنتم تعملون، أي ما تجزون إلا / بأعمالكم.

[٥٦٠ظ]

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٩١] ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [٩٢]

وقوله: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها، وقوله: حرّمها، يحتمل وجهين. يحتمل حرّمها، أي منعها من الاستلاب والاختطاف فيها، كقوله: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ،^٤ ليس على التحريم حتى لا يحلّ له ذلك ولكن على المنع والحظر، أي منعنا منه المراضع. والثاني على التحريم نفسه، وهو ما جعل في كل أحد^٥ من الكافر والمسلم في الجاهلية والإسلام حرمة ذلك المكان حتى لا يتناول أحد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها. والله أعلم.

وقوله: وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن، أي وأمرت أن أتلو القرآن^٦ أيضا عليكم. كأنهم أوعدوه بوعيد وخوفه به وطلبوا منه الموافقة لهم فقال عند ذلك لهم: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة، وهو رب كل شيء، أي أمرت أن أكون عبدا له لا أجعل نفسي عبدا لغيره، وأمرت أيضا أن أجعل نفسي سالما له^٧ لا أجعل^٨ لأحد^٩ فيها شركا كما جعلتم أئمتم، وأمرتم أئمت^{١٠} أيضا بذلك كله.^{١١} وأمرت أيضا أن أتلو القرآن عليكم،

^١ ع: وجه.

^٢ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (سورة الأحزاب، ٦٦/٣٣).

^٣ ن: قوله.

^٤ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (سورة القصص، ١٢/٢٨).

^٥ ر ع م: في كل حد.

^٦ ر ع م - أي وأمرت أن أتلو القرآن.

^٧ ع - له.

^٨ ر + نفسي سالما له لا أجعل.

^٩ ر: لا أحد.

^{١٠} ر ع م - وأمرتم أئمت.

^{١١} ع - بذلك كله.

فأنا أتلوه عليكم^١ كذبتوموني أو لم تكذبوني فإني لا أخاف كيدكم ولا مكركم^٢ والله أعلم.
 وفي قوله: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حزمها، دلالة^٣ لزوم الرسالة، لأن
 أهل مكة وغيرهم قد أقزوا جميعا بجرمة تلك البقعة من أوائلهم^٤ وأواخرهم فما عرفوا ذلك إلا
 بالرسول. دل أن أوائلهم يقرون بالرسالة والنبوة، فعلى ذلك يلزم هؤلاء الإقرار بها. والله أعلم.
 وقوله: فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، يخبر أن من آمن وقبل الهدى فإنما يفعل ذلك لمنفعة
 نفسه، ومن ضل أيضا فإنما يكون ضرره^٥ عليه، كقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا^٦.
 وقوله: فقل إنما أنا من المنذرين، أي ليس عليّ إلا الإنذار، فأما غير ذلك فذلك عليكم،
 كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ^٧، وقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
 وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ^٨.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِرِّيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٣]

وقوله: وقال الحمد لله سريكم آياته، هذا يحتل وجهين. أحدهما سريهم آيات وحدانيته
 وربوبيته وآيات رسالته. وقوله: فتعرفونها، أي بالآيات ما ذكر، كقوله: سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ
 وَفِي أَنْفُسِهِمْ^٩. والثاني سريهم ما وعد لهم من النصر والمعونة ليعرفوه عيانا على ما عرفوه خيرا.
 وقوله: وما ربك بغافل عما تعملون، قال بعضهم: هذا الحرف توبيخ للظالم وتعيير
 وزجر، وتعزية للمظلوم وتسلية^{١٠} له. وقال بعضهم: هذا الحرف ترغيب وتهيب.*

^١ ع: عبدا له.

^٢ ر: فلا مكركم.

^٣ ع + من.

^٤ ع: للأوائلهم.

^٥ ر ع م: ضرورة.

^٦ سورة فصلت، ٤٦/٤١.

^٧ ن: قوله.

^٨ سورة النور، ٥٤/٢٤.

^٩ سورة الأنعام، ٥٢/٦.

^{١٠} ن: قوله.

^{١١} ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (سورة فصلت، ٥٣/٤١).

^{١٢} ن: قوله.

^{١٣} ن ع: وتسلية.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٢ فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٠ ظ/سطر ٢٠.

الفهارس

- فهرس الآيات المستشهد بها
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس الشعوب والقبائل والأماكن
- فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات
- فهرس الأشعار
- فهرس الكتب
- فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

فهرس الآيات المستشهد بها

- أفكاً آهة دون الله تريدون ٣٠٣
- ألقى الذكر عليه من بينا بل هو كذاب أشر ٢٢٨
- أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ... فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعداب الله إن كنت من الصادقين ... ٣٩٦
- أتأتون الذكران من العالمين ٣٩٦
- أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ١٧
- أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ٢١٢
- أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ٤٧، ٤٨، ٥٠
- أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ... ٥٥، ٤٠٦
- أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ١٦٤
- أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ١٨٦
- أم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ٣١٤
- أم لم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه ذليلاً ٢٦٠
- أم لم تر أنهم في كل واد يهيمون ٣٥١
- أم يروا أنا جعلنا الليل لسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ٣٦٤
- أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ١٢٢
- أولم يتفكروا ٤٧
- أيحسبون أننا نمدهم به من مال وبنين ٤٣
- أتوتني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرغ عليه قطراً ... ٣٦، ٢١٨
- احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون ٢٣١، ٤١٤
- إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ٢٥٣
- إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون ٣٨٦
- إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلني آتيكم منها بقبس أو أجود على النار هدى ٣٥٧
- إذ عرض عليه بالعشي الصافات الجياد ٣٧٣
- إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ٣٠٣
- إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ٣٦١
- إذ السماء انشقت ٢٤٣
- إذ السماء انفطرت ٢٤٣
- إذ لأذنتك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ٢٧٧
- أذهب إلى فرعون إنه طغى ٢٨٧
- ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ٣٨٤
- اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذاتك برهانان من ربك إلى فرعون وملته ... ٢٥
- اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذاتك برهانان من ربك إلى فرعون وملته ... ٢٩٤
- أشدد به أزري ٢٨٨، ٢٥١

- أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ٢٥٠
- إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ٩٧
- إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك هم مغفرة وأجر كبير ٤٢٤
- ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ١٢٢
- إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ١٤٢، ١٤١
- ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ٣١٠، ٢٤١، ٢٣٥، ١٧٧
- إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ٢٤٩
- إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ٤١٦
- الذي له ملك السماوات والأرض ٢٢٧
- الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ٤٧
- الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ٦٢
- الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ٣٥٤
- الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ٥٠
- الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ٤٢٠
- الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ٣٦٤
- الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ١٧٩
- إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ٣٦٤، ٢٨٧
- أم تسأهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ٢٦٦، ٥٠
- أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ٣٨
- أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ٥٠
- أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ٢٢٢
- أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ٥٠
- أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ٤٨
- أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ٦٢
- إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ٣٥٥
- إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ٢٣١
- إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ٣٠٩
- إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ٤٣
- إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ٢٠٨
- إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ١٢٥
- إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ١٢٩
- إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ١٠٢
- إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ١٢٤، ١٠٣، ٨٩
- إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ١٢٧
- إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ١٢٩
- إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيرا أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم ٢٩٧
- إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ٩
- إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ٢٦٥
- إن إلينا إيابهم ٧٥

إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خبير ... ٣٠٤
 إن تمسكتم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ... ٢٩٩
 الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ... ٢٧٨
 إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ... ٢٩٧
 إن علينا جمعه وقرآنه ... ٢٤٨، ٣٣٧، ٧٧
 إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ... ٣١
 إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ... ٢٧٠
 إن في خلق السموات والأرض ... وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون ... ٢٦٠
 إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ... إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ... ٣٢٦
 إن كانت إلا صيحة واحدة ... ٤١٨
 إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ... ٣٦
 إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ... ٢١٨، ٣٧٣
 إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ... ٣٣٧
 إنا سخرنا الجبال معه يسيحن بالعشي والإشراق ... ١٨٠
 إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ... ٧٠
 إنا نحن نرتب الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ... ٣٠٦، ٣٦٧
 إنا نحن نرتب الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ... ١٠
 إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ... ٤٠٦
 إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ... ٣١٠
 إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ... ١٧٢
 إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ... ١٥٩
 إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ... ٨٣
 إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ... ٢١١
 إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ... ٢٧٩
 إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ... ٢١١
 إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ... ١٨٩، ٣٦٩
 إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ... ١٢٢
 إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ... ٢١٢
 إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ... ٣٧٩
 إنهم إن يظهروا عليكم يرحمكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا ... ١١٢
 إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ... ٢٣
 إني أنا ربك فأخضع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ... ٣٥٩
 اهدنا الصراط المستقيم ... ٣٠٦
 أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحبني هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه ... ٣٩٥
 أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ... ١٦٧
 أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ... ١٦٧
 ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ... ١٦٤، ١٦٩
 أو يلقى إليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تبعون إلا رجلا مسحورا ... ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٤٣
 أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ... ٤١٣

أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ١٧٦
أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ٣٩٣

بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ٦٢
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ٦٣ ، ٣١٣
بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ٢٢٤
بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ٢٦٣

تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا ٢٢٧
تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا متنيرا ٢٦٨
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ٢٢٧
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ٢١٩
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ٣٤٤
تبعها الرادفة ٤١٩

تتحاف جنوبيهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وما رزقناهم ينفقون ٣٦٢
تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ١٨١
تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ٣٧٦ ، ٣٦٨
تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ٢٢٩

ثم إن علينا حسابهم ٧٥
ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ٢٤٣
ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ٢٠٩
ثم إنكم بعد ذلك لميتون ١٤
ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ١٤
ثم بعثنا من بعدهم موسى . . . إلى فرعون وملئه ٢٨٧ ، ٣٦٤
ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ٥٣
ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ٢٨٤

حتى إذا أتوا على واد النمل قالت غملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ١٨١
حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون ٤٦
حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني ٤٠٨
حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن ٢٥
حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن ٣١٩
حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ١٢٦ ، ١٨١

خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ٨
خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ٢٧٣
الخيئات للخبثين والخبثون للخبثيات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مرعون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ١١٥

- خلق الإنسان ٣٦٦
- خلق الإنسان من صلصال كالفخار ١١
- خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير ٤٢٠
- ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ٢٦٦
- ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ٧٤
- رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ٢٩٢
- رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ٢٩٤، ٢٩٣
- رب قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ... توفي مسلما وألحقني بالصالحين ٣٧٠، ٣٠٨
- ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ٧٦
- ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا نخزننا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ٢٣٢
- ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ٢٣٢
- رجال تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما يتقلب فيهم القلوب والأبصار ١٧٤
- الرحمن ٣٦٦
- الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ١٢٨
- الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ٩٠
- زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب ١٧٩
- سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ٣٥٩
- سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقى الدار ٢٨١
- ستريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ٤٢٦
- ستقرؤك فلا تنسى ٢٤٩
- ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ... ١٥٢
- عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ٢١٣
- علم القرآن ٣٦٦
- علمه البيان ٣٦٦
- فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ٢٥٠
- فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ٢٨٩
- فإذا نسخ الشهر الحرم فقاتلوا المشركين ... فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ٣٥٤
- فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ٧
- فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ٣٩٢
- فإذا ركبوها في القللك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ٥٣
- فإذا قرأناه فاتح قرآنه ٧٧
- فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ٣٠٩

- فإذا هم بالساهرة ٤١٩
- فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون ٢٩٩
- فاصبر إن وعد الله حق فإما ترينك بعض الذي نعدهم أو تتوفينك فألينا يرجعون ٥٩
- فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ٥٠
- فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ٦٧
- فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ٥٠
- فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٢٤
- فألقاها فإذا هي حية تسعى ٢٩٤
- فأما الذين شقوا فني النار لهم فيها زفير وشهيق ٢٢٩
- فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ٢٥٢
- فإنما هي زجرة واحدة ٤١٩
- فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين ٣١٩
- فيما رحمة من الله لت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ٣٨١
- فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما ٣٠٦
- فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ٣٣٢
- فجعله غثاء أحوى ٢٩
- فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ٢٩٠
- فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ٢٦
- فدعاه ربه أي مغلوب فانتصر ٢٤
- فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي يصعقون ٣٧
- فذرهم في غمرتهم حتى حين ٤٣
- فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ٣٧
- فراغ إلى آهنتهم فقال ألا تأكلون ٢٢٠، ١٥
- فشاربون شرب الهيم ٣٥٠
- فعفروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ٣٩٢
- فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ٣٧٣
- فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ٧٨
- فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ٢٣٩، ٢١٤
- فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ٣٠
- فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ٣٠٨
- فقولوا له قولنا لينا لعله يتذكر أو يخشى ٢٨٧
- فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ٢٣
- فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ٢٣٣
- فلا تعجبك أمراهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون ٣٨
- فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ٣٠٦
- فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ٤٠٦، ٢٨٣
- فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كثر أو جاء معه ملك إنما أنت نذير ٣٢
- فلما أتاهما نودي ٣٦١
- فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقتناهم أجمعين ٢٨٣

- فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ٢٥٤، ٣٤٠
- فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ٤٣
- فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا نخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ٣٨٦
- فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلني آتيتكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ٣٥٧
- فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ١١٧
- فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ٣٤٠
- فما تنفعهم شفاعة الشافعين ١٥، ٣١٣
- فهو في عيشة راضية ٢٩٧
- فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ٣٦
- في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ١٧٩
- قال ألم نريك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك ستين ٢٩١
- قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ٣٥٧
- قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخرجهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ٣١٢
- قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك ٣٧١، ٣٧٢
- قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ٣٩١
- قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ٢٩٤، ٢٩٨
- قال إنكم قوم منكرون ٣٨٦
- قال رب اشرح لي صدري ٢٨٨
- قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ١٥
- قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ٢٢٦
- قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ٢٨٨
- قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ٢٤١
- قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ٢٩٢
- قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ٢٩٣، ٢٩٤
- قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ٢٩٤
- قال ربكم ورب آبائكم الأولين ٢٩٢، ٢٩٣
- قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ٣٧٥
- قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ٣٧١
- قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد إن تخلفه وانظر إلى إهلك الذي ظلت عليه عاكفا ١٥، ٢٢٠
- قال فرعون آمنتم به قبل أن أذن لكم إن هذا لمر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ٢٩٨
- قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ١٥
- قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ٢٨٨
- قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ٢٨٩
- قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشورا ٣٦٤
- قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشورا ٢٣١
- قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم ٢٩٨، ٣٦٥

- قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ١١
- قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أن صلحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ٣٩١
- قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم ٢٩٨
- قال هل أمتكم عليه إلا كما أمتكم على أخيه من قبل فأنه خير حافظا وهو أرحم الراحمين ١٥
- قالا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ٢٨٩، ٢٨٨
- قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ٣٠٧
- قالت رسلمهم في الله شك فاطر السماوات والأرض ... قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا ٢٢٥
- قالوا أجتئنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ٤٠٧
- قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ٤٠٧
- قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ٦٨
- قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار ٣١٢
- قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ٢٣٣
- قالوا لمن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ٣٩٦
- قالوا لمن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ٣٣١
- قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ٤٠٧
- قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ... ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ٣١٨
- قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون ٤٣
- قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا ٢٣١
- قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ١٩
- قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ٢٧٠
- قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ٢٦٩
- قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ٧٥
- قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبع يني ذلك سيلا ٢٦٨
- قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا ٤٢٦
- قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا ٢٥٥
- قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ٣٤٤
- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما أفكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ٧٣
- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما أفكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ٦٢
- قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأتذركم به ومن بلغ ٢١٨
- قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون ٤٠١
- قل لنن اجتماعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ٤٦
- قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ٣٩٢، ٣٠٧
- قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ٢٢٦
- قل من رب السماوات والأرض قل الله ... أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء ١٧
- قل من ينحيك من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لتكونن من الشاكرين ٣٦٢
- قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ٣٤٨
- قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ٥٣
- قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ٢٢٧

- كذبت عاد المرسلين ٣٢٤
- كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ٢٤٧
- كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ٤٩، ٣٥
- كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ٢٢١
- لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ٧٤
- لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ٢١١
- لا تحرك به لسانك لتعجل به ٣٠٧، ٢٤٨
- لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ٢٣١
- لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين ١٢٢
- لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ١٧٦
- لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط ٥٢
- لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين ٢١٢
- لأعدبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ٣٨٢
- لاهيبة قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفئاتون السحر وأنتم تبصرون ٢٢٥، ٢٢٤
- لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ٤٠٦
- لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ٥٥، ٣٢
- لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ٢٣
- لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ٢٨٤
- للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن هم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ٣١٣
- لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ١٥
- لو أردنا أن نتخذ لها لتخذناها من لدنا إن كنا فاعلين ١٦
- لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ٣٩٩، ٥٨
- لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ١١٨، ١١٥
- لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ١١٦
- لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ١١٨
- لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ١١٩، ٤٩٨
- لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ١٠١
- ليجزيهن الله أحسن ما عملوا ويزيدهن من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ١٧٩
- ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ٣٥٦
- ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ١٥٩
- ليس على الأعمى حرج ... فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ١٣٠
- ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ١٧٦
- ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ١٧، ١٦
- ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ١٦٣
- ما ودعك ربك وما قلى ٣٣٢
- ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ٢٨٢

- ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ٤٢، ٤٠٩
- ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ٤١٨
- محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ٨٢
- محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ٣٤٥
- من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ٣٤٢
- من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ٤٢١
- من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ٣١٥
- من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ٢٧٦
- من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ٤٢٦
- من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفا ١٨٩
- مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ٦٥
- مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ١٧٥
- نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ٤٣
- نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ٣٩
- هارون أخي ٢٨٨، ٢٥١
- هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ٤٢
- هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ٣٥١
- هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة ... يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ... ١٢٦
- هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ٢٤٤
- هل ينظرون إلا تأويله ... فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فتعمل غير الذي كنا نعمل ٤٦، ٢٥٤
- هل ينظرون إلا تأويله ... فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فتعمل غير الذي كنا نعمل ٤٠٨
- هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والمهدي معكوبا أن يبلغ محله ١٩٣
- هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ... ٩
- هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ١٩٣
- هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ٣٦٤
- وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ١٣٠
- واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ٢٣٦، ٣٠٨
- واجعل لي وزيرا من أهلي ٢٥١، ٢٨٨
- واجمل عقدة من لساني ٢٨٨
- وأحيط بشمره فأصبح بقلب كفيه على ما أتفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ٣٩٥
- واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ٢٧٠
- واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ٣٤٥
- وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ٢٨٨
- وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ٢٥١
- وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين ٢٩٤
- وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ٤٤، ٢٤٦

- وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإن جار لكم ... وقال إني بريء منكم ٢٤٧
- وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ٥٩، ٧٦
- وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ٣٠٨، ٣٣١
- وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ٢٣٣
- وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ١١
- وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون ٣٣
- وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن يوتنا عورة وما هي بعورة ٢١٢
- وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن يوتنا عورة وما هي بعورة ١٩٨
- وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ٣٣٥
- وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ٣٤١
- وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ٢٢٩
- وإذا البحار سجرت ٢٦٣
- وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك بين الله لكم آياته والله عليم حكيم ١٩٦
- وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ٢٥٠
- وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن بصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى ٣٤٧
- وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ٣٤٧
- وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ٣٩٨
- وإذا رأوا تجارة أو هوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ١٧٥
- وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ٣٧
- وإذا السماء كشطت ٢٤٤، ٢٤٣
- وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ٢٧٢
- وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ٢٧٩
- وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ٣١٢
- وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ٤١
- وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ١٨٨
- وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ٣٤٧
- وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ٤٥
- واذكر آخا عاد إذ أنذر قومه بالأحطاف ... ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ٢٣
- واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ٢٥٠
- وأزلقت الجنة للمتقين ٣٠٢
- واستغفر من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ٢٩٧
- واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ٢٩٤
- وأعوذ بك رب أن يحضرون ٦٢
- وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٦٥
- وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ٤٧
- والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ... فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين ٣٢٤
- والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ٢٧٥
- والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧
- والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ٢٧٤

- والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ٢٧٩
- والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً ٢٧٦
- والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ٤٣
- والذين هم لفروجهم حافظون ١٤١
- والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ٢٧٥
- والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ١١٩
- والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ١٠٦
- والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ٢٧٥
- والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ٤٩
- والشعراء يتبعهم الغاؤون ٣٥١، ٣٥٠
- والطير محشورة كل له أواب ١٨٠
- وألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ٢٩٤
- وألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ٣٦٢
- والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحييناه به الأرض بعد موتها كذلك النشور ٢٦٠
- والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بين وحفدة ورزقكم من الطيبات ٢٦٤
- والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ١٥٢
- والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ١٠
- والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ١٣٤، ١٣٢
- والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم ٩٢
- وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ... هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ... ٧٨
- وإلى مدين أخاهم شعيباً ٣٣٢
- وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ٤٥
- وأما بنعمة ربك فحدث ٣٦٧
- وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ٣٢٥
- وإما ينزغك من الشيطان نزع فاستعذ بالله ٦٠
- وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ٣٨٣
- وأن ألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين ٢٩٤
- وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تغيى حتى تفيء إلى أمر الله ٨٣
- وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ٤٦، ٢٢٢
- وإن لكم في الأنعام لعبرة نسيتكم مما في بطونهم من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين ٢١
- وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ٥٦
- وإننا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ٣٦٧
- وأنذر عشيرتَك الأقرين ٣٤٥
- وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نحب دعوتك وتبعت الرسل ٣٤٠
- وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيح يطاع ١٧٦
- وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ٦٣
- وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ٨٧
- وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ١٥٥

وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم. ١٥٦
 وأنكم لتمرون عليهم مصحين ٢٥٣
 وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون. ٤٩
 وأنهم يقولون ما لا يفعلون ٣٥١
 وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا ٣٦٧
 وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتس بما كانوا يفعلون ٣١٨
 وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطووها وكان الله على كل شيء قديرا ٣٦٧
 وأيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ١٥
 وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ٢٢٧
 وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ٣٣١
 وترى الجبال تحسبها جامدة وهي غمر من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ١٨٣ ، ٢٤٤
 وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائين ٣٨١
 وتكون الجبال كالعهن المنفوش ٤٢٢
 وتكون الجبال كالعهن المنفوش ٢٤٣
 وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون ٣٦٧
 وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ٢٨٣
 وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إلي لك من الناصحين ٢٩٠
 وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما هم آلهة ٣٠٣
 وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ٣٧٥
 وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ٣٥٥
 وجوه يومئذ خاشعة ٨
 وحرما عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ٤٢٥
 وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ٣٨١
 وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ٦٤
 ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ... فوكره موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ٢٨٨
 ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ... فوكره موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ٢٩٠
 ورسولا إلى بني إسرائيل أي قد جتكم بأية من ربكم أي أخلق لكم من الطين كهية الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ١٦
 وزروع ومقام كريم ٧٤
 وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم ينفكرون ٧٢
 وسلام على المرسلين ٣٩٨
 وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين .. ٢٨١
 وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ٤١٥
 وصاحبه وأخيه ٣٠٩
 وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونحني من فرعون وعمله ونحني من القوم الظالمين .. ٢٦
 وعادا ومودود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ٣٥٥
 وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ٢٧٥
 وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ٢٧٧
 وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ٦٨
 وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى

- بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين ٣١١
- وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ٣٣٧
- وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ٢٤١
- وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ٢٤٧
- وقال الشيطان لما قضي الأمر ... وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ٢٤٧
- وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ٢٩٥
- وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وأترفاهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم ٢٣٩، ٢١٤
- وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ... قاتلهم الله أنى يؤفكون ٣٦
- وقالوا جلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ١٢٦
- وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ٢٢٥
- وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ٢٣٩، ٢٢٥
- وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ٣٢٨، ٢٣٧
- وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ٢٣٩، ٢٣٢، ٢٢٨
- وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ٢٤٨
- وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ٢٤٩
- وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين ٦٢
- وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ٢٠٣
- وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ... أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ١٩٧
- وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ٣٤٩
- وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ٤٩
- وكبر و مقام كريم ٧٤
- ولئن أدقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ٥٢
- ولئن أدقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ٢٤١
- ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ٧٥
- ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ٢٦٥
- ولا أقول لكم عندي خزائن الله ... ولا أقول للذين تزدي أعينكم لن يؤتيمهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم ٣١٧
- ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ٢٤٦
- ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ٢٧٤
- ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ١٢٣
- ولا تجعلوا مع الله إلهًا آخر إني لكم منه نذير مبين ٧٤
- ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ٦٠
- ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ٢١٥، ١٩٤
- ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ٦٠
- ولا تطرد الذين يدعون ربهم ... ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ... ٤٢٦، ١٩٢، ٢٥٥
- ولا تكونوا كالتي نقضت غزها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أرى من أمة ٧٢
- ولا تكونوا كالتي نقضت غزها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أرى من أمة ١٧

- ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى..... ١٣٦
- ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا..... ١٢٨
- ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا..... ٨٥
- ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا..... ٨٦
- ولا يحسن الذين كفروا أنما علمي لهم خير لأنفسهم إنما علمي لهم ليزدادوا إنما لهم عذاب مهين..... ٣٨
- ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون..... ٢٣
- ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه..... ٣٧١
- ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر... ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير..... ٢١٤
- ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وأنا له الحديد..... ١٨٠
- ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين..... ٣٨٧
- ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا..... ٣٦٤
- ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين..... ٢١٧
- ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون..... ٤٤
- ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون..... ٣١٨
- ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى..... ٣٠١
- ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون..... ١١
- ولقد فرأنا جهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يرون بها وهم أذان لا يسمعون بها..... ٣٧٣
- ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ما تشكرون..... ٥٣
- ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين..... ٣٣٧
- ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين..... ٣٤٧، ٣٣٦، ٢٢٣
- ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون..... ٤١٣
- والله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير..... ٤١٨
- والله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير..... ١٨٥، ١٨٤، ١٨٢
- ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون..... ٦٣
- ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون..... ٢٨٨
- ولو ألقى معاذيره..... ٣٠٧
- ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله..... ٢٨٤
- ولو ترى إذ أقفوا على النار فقلوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين..... ٢٥٥
- ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء..... ٣٣٩
- ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون..... ٢٢٦
- ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين..... ٤١٦
- ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون..... ٤١٣
- ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين..... ٣٣١
- ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين..... ٣٢٩
- ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين..... ٣٣١
- ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا..... ٢٧٧
- ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم..... ١٢٩

- وليحملن أثقالهم وأنقلنا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون..... ٢٧٧
- وليستغف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله... ولا تكروها فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا..... ٩
- وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة..... ٢٢٦
- وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون..... ٣٦
- وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون..... ٢١٩
- وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا..... ٢٤١
- وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا..... ٣٠٩
- وما تنزلت به الشياطين..... ٣٥١، ٣٤٨
- وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون..... ٣٧٣
- وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين..... ٣٦٦
- وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا..... ٣٦
- وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون..... ٣٧٣
- وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا..... ٢٥٤
- وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا يفتقون إلا وهم كارهون..... ٩
- وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم..... ٣٥٧
- وما ينبغي لهم وما يستطيعون..... ٣٥١، ٣٤٨
- وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق..... ٤١٨
- ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين..... ٤١٩
- ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يفتكرون..... ٣٣٠
- ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يفتكرون..... ٢٦٤
- ومن آياته أن يرسل الرياح مشيرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون..... ٢٥٩
- ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون..... ٣١١
- ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون..... ٤١٦
- ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات... فأنكحوهن ماذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف..... ١٥٢
- ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات... محصنات غير مسافحات ولا متخذات أهدان فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم..... ٩٢
- ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات... محصنات غير مسافحات ولا متخذات أهدان..... ٢٠٤
- ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات... فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب..... ٨٠، ٨١
- ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات... فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب..... ٩١
- ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات... فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب..... ٨٩
- ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين..... ٢٣٠
- ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها أجرها مرتين وأعدنا لها رزقا كريما..... ١١٥
- ومنها من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين..... ١٨٧
- ومنها من يستمع إليك... حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين..... ٣٤٧
- ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما تكونون..... ٦٨
- ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين..... ٢٥
- ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين..... ١٥
- ونبيهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر..... ٣٢٨

ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ... ٤١٩
ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ... ٤٢٠
وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ... ٣٧
وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ... ٥٤، ٥٣
وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ... ١٢
وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ... ٥٤، ٥٣
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ... ٦٤
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ... ٤٢٤
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ... ٥٤
وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين ... ٣٧٤
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ... ٢٥٠
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ... ٣٠٨
ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ... ٣٢٣
ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وأنا أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملائقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ... ٣١٧
ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ... ٧٨
ويسر لي أمري ... ٢٨٨
ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ... ١٩٩
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ... ١٧٧، ٢٣٥، ٢٤١، ٣١٠، ٣١٣
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات
ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ... ٤١٥
ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنا أنتم منذر ولكل قوم هاد ... ٣٥٣
ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ... ٤٠٧، ٣٤١
ويل لكل همزة لمزة ... ٦١
ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ... ٣٨١
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزينا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ... ٢٣٣
ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ... ٤١٥
ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ... ٣٨١
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ... ٢٣٣
يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ... ٧٣
يا أيها الذين آمنوا إذا تدانيتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع
أن يمل هو فليمل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم ... ٢٢٤
يا أيها الذين آمنوا إذا تدانيتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين
فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ... ٧
يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ... ١٧٥
يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم منتقلبوا خاسرين ... ٢٤٦
يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ... ٢٦٥
يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ... ١٤٦
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ... ٢٨٠

- يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ... ٢٠٨
- يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ... ٢٠٩، ٢١٠
- يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلمكم تفلحون ... ٢٠٨
- يا أيها الذين آمنوا لا تطولوا صدقاتكم بالبن والاذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ... ١٢٤
- يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ... ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكنا منكم من أحد أبدا ... ١٢١
- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ... ٢٩٤
- يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ... وإذا سألتهم عن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ... ١٤٥
- يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلمكم تذكرون ... ٢١١
- يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ... ٢١٣
- يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ... ٨٧
- يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ... ١٤٧، ١٩٩
- يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ... ٢٠٣
- يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ... ٧١
- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أذلة على الكافرين ... ٣٤٥
- يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ... ٤٠٧، ٤١١
- يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ... ٤٢٠
- يا أيها الناس اتقوا ربكم واحشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ... ٣٠٩
- يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا بآياتنا فاعلموا أن الله قد أنزلنا القرآن بالحق ليعلمت به القلوب إن كنتم قوما عاقلين ... ١١
- يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ... ١٢٢
- يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ... ٢٧٨
- يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ... ١٣٧، ١٣٨
- يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ... ٢٠٣
- يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ... ١٤٥
- يا بني آدم ... ٣١٤
- يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ... ٣٣
- يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ... ٣٣
- يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ... ٣٦
- يا قومنا أحيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويمحرم من عذاب أليم ... ٢١٨
- يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ... ١١٥، ٢٧٧
- يصبونهم يود الحجر لو يفتدي من عذاب يومئذ بينه ... ٣٠٩
- ينجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن وراءه عذاب غليظ ... ٢٣١
- يحسب أن ماله أخلده ... ٣٢١
- يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ... ٢٦٥
- يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ... ٣٦٢
- يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ... ٣٦٧
- يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ... ٣٦٥
- يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ... ٢٩٧

- يسألونك عن الساعة أيان مرساها ٤٠٤
- يطوف عليهم ولدان مخلدون ١٩٩
- يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ١٢٠
- يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ٣٢٤
- يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ٢٤٣
- يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ٢٤٣
- يوم ترجف الراجفة ٤١٩
- يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ٤٢٠
- يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ٤٢٢
- يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ٦٥
- يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ١٨١
- يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ٤٢٥
- اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ١٢٥
- يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ٢٤٣
- يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ٧٤، ٢٤٤
- يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ١٢٥
- يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ٢٨٤
- يوم يقر المرء من أخيه ٣٠٩، ٦٥
- يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ١٢٩

فهرس الأحاديث والآثار

- أرأيت لو فُعل بابتك وأمك مثله أكتت تكره ٩٠
- أيجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين ٩٩
- أيسرك أن تراها عريانة ١٣٣
- أيضرب هلال وتبطل شهادته في المسلمين ٩٩
- اتقيا الله فإن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟ فإن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ١٠٥
- أخذ النساء أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن به ١٤٤
- إذا خطب أحدكم المرأة فلا بأس أن ينظر إليها ١٣٨
- اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما ١٣٨
- الاستئذان ثلاث فإن أذن لك فيهن وإلا فارجع ١٣٢
- أصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين أو أربعاً ٢٧١
- أغدأ يا أُنَيْسُ على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ٨٤
- أكره لغريك ما تكره لنفسك ٩٠
- إلا الوجه والكف ١٤٠
- ألا إن لي عملي ولكم عملكم ألا إني لا أملك لكم من الله شيئاً ألا إن أوليائي منكم المتقون ٣٤٤
- الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ١١٠
- أما على ابنك هذا جلد مائة وتعريب عام ٨١
- إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه على وجهه ٢٥٠
- إن الرجل من أهل عليين ليشرق على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كأنه كوكب دري ١٧٠
- أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عويمر وامرأته ١١٢
- إن أول زمرة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ١٧٠
- أن رجلاً لاعن امرأته في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها ١٠٩
- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا يفخذ عشيرته فخذوا فخذوا يدعوهم إلى الله ٣٤٤
- إن علمتم فيهم خيراً أي حرفة ولا ترسلوهم كلاباً على الناس ١٥٧
- إن في الإنسان مضغة إذا صلحت صلح جميع بدنه وهو القلب ٤٠٩

- ١٣٣..... إن لم تستأذن عليها رأيت ما يسوءك
- ١٣٠..... أن يرفع صوته بالتحميد أو بالتسبيح أو بالتكبير ليؤذن للدخول
- ١٥٣..... إنك لم تحبس واحدة منهن عن كفاء إلا نقص من أجرك كل يوم قيراط
- ١٣٧..... إنما لك الأولى وليست لك الآخرة
- ١٤٥..... أنه لعن الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل
- ١١١..... إنها موجبة
- ٣٤٧..... إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام، فإني أراكم خلفي كما أراكم أمامي
- ٣٤٣..... إني أرسلت إلي الناس عامة وأرسلت إليكم يا بني هاشم وبني عبد المطلب خاصة
- ٣٤٥..... إني لا أملك لكم من الله نفعاً ولا ضراً إلا إن أوليائي منكم المتقون
- ٢١٠..... بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء
- ٣٩٨..... بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم
- ١٥٣..... ثلاثة حق على الله تعالى عونهم المجاهد في سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الأداء
- ٨٤..... الثيب بالثيب جلد مائة ورحم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
- ٨٥..... الثيب بالثيب يجلد ويرحم
- ١٧٣..... جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً
- ١١٠..... حسابكما على الله أحدكما كاذب لا سبيل لك عليها
- ٣٤٧..... رأيت الجنة والنار
- ٢٧٢..... رحم الله الذين يبيتون الليل وأيديهم على رُكبتهم
- ٢٠٠..... رفع القلم عن ثلاث أحدهم الصبي حتى يحتلم
- ١٣٥..... سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري
- ١٣٠..... السلام قبل الكلام
- ٣٠٤..... ظل نهاره صائماً وبات ليله قائماً
- ١٣٨..... العينان تزنيان
- ٧٩..... العينان تزنيان والبدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله أو يكذب
- ١١..... الفردوس ربوة الجنة العليا وهي أوسطها وأحسنها
- ٢٣٦..... كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الأيم
- ٦٦..... كل نسب كان فهو منقطع إلا نسبي
- ٣٤٤..... كل نسب وسبب منقطع يومئذ إلا نسبي وسببي
- ١٤٧..... لا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم
- ١٤٧..... لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم
- ٨٧..... لا صلاة للمرأة الناشئة ولا للعبد الأبق
- ٤٠..... ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات

- لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها ١١٢
- لا يحل قتل امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث خصال زنى بعد إحصان وكفر بعد إيمان وقتل نفس بغير حق ... ٢٧٦
- لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبيت في مكان تسمع فيه نَفَس رجل ليس بمحرم ١٣٩
- لا تدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ٥٩
- لا يوظفن فرشهين من يكره الأزواج ١٠٧
- لقد رأيتني ومال الرجل المسلم أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ٢٠٩
- لولا الأيمان لكان لي ولها شأن ١٠٨
- لولا اللعان والأيمان التي سلّقت لكان لي فيها رأي ١٠٤
- ليأتين على الناس زمان يكون الدينار والدرهم أحب إلى الرجل من أخيه المسلم ٢٠٩
- المؤمنون هينون لينون كالجمل الأيف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ ٢٧١
- ما أعطي آدمي بعد النبوة أفضل من الشهادة، لا يسمع الشهيد الفرع يوم القيامة ٤٢٠
- ما فعلت ببناتك ١٥٣
- المتلاعنان لا يجتمعان أبدا ١١٢
- المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ١١١
- مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع ١٩٦
- المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محدودا في قذف ٩٩
- من استعفّ أعفّه الله ١٥٤
- من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فأحدث فالإثم بينهما ١٥٣، ١٥٠
- من طلب صرف الحديث ليتبغى به إقبال وجوه الناس لم يرح رائحة الجنة ٢٣٦
- من كرم الكتاب ختمه ٣٧٩
- نهى الرجال عن لبسة النساء وأنه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ١٤٤
- هذه ثياب لا تُحبها سورة النور ١٣٩
- هل وجدتم ما وعد ربكم حقا، ألم تكذبوا نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا أرحامكم ٤١١
- هما وإن كان أعميين فأنتما لستما بأعميين ١٣٩
- والخامسة أن لعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين ١٠٤
- والذي نفسي بيده إن في كل ليلة ساعة ٢٧١
- والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ٣٤٧
- ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته ٥٩
- ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في مكان يسمع نفس امرأة ليست له بمحرم ١٣٩
- ويحك ما يقول زوجك؟ ١٠٤
- يا ابن آدم لك أول نظرة فإياك الثانية ١٣٥
- يا عائش إن الحرة إذا حاضت لا ينبغي أن يرى منها إلا وجهها وكفها ١٣٩

- يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل إلا حقا ١٠٤
- يا عاصم قُم فاشهد أربع شهادات بالله ١٠٤
- يا علي إن لك كنزا في الجنة وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة... ١٣٥
- يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله ضرا ولا نفعا..... ٣٤٣
- يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ١٥٤ ، ١٥٣
- يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله نفعا ولا ضرا ٣٤٣

فهرس الأعلام

- إبراهيم (ع): ١٥، ٥٠، ٥٩، ٧٦، ٩٧، ١١٣، ١٦٢،
 أبو جهل: ٢٣٨
 حذيفة: ١٣٣
 حسان بن ثابت: ١١٤، ١٢٧
 الحسن (البصري): ٨، ١٤، ٦١، ٧٣، ٩٧، ١١٣،
 ١٤٠، ١٤٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٥، ١٧١، ١٧٢،
 ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٩،
 ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣٢٦، ٣٣٥، ٣٤٤، ٤٠٥
 حفصة: ٢٠، ١٣٣، ١٩٠، ١٩٤، ٢٢٤، ٢٢٨،
 ٢٤٩، ٢٦٤، ٣٢٢، ٣٧٧، ٣٧٨
 حَمَّة: ١٢٠
 أبو حنيفة: ١٩، ١٠٢، ١١٢، ١١٤، ٢٠٠، ٢١٨
 خالد بن معدان: ١٣٩
 داود (ع): ٢٢٦، ٢٤٨، ٣٦٦
 أبو ذر: ٢٣٨
 الزجاج: ٤٥، ٥٢، ٧٨، ٢٥١، ٣١٠، ٣٨٠، ٣٨٩،
 ٤٢٠
 زكريا (ع): ٣٦٧
 زهير: ٢١
 أبو زيد: ٢٣٧، ٣٣٣
 سعيد، سعيد بن المسيب: ٨٧، ١١٣
 سلمان: ٢٧٠
 سليمان (ع): ١٨٠، ١٨١، ٢٢٦، ٣٦٦، ٣٦٨،
 ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥،
 ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٧،
 ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠
 الشافعي: ٩٨، ١٠١، ١٠٦،
 ١٦٣، ١٦٣، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٣١
 إبليس: ٢٩٧، ٣١١
 أبي بن كعب: ٢٨، ٣٦، ١٢٩، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧،
 ١٩٠، ١٩٤، ٢٥٣، ٣١٠، ٣٤٢، ٣٥٩، ٣٧٤،
 ٣٧٧
 أبي بن خلف: ٢٤٥
 آدم (ع): ١١، ١٢، ١٣٢، ١٣٥، ٣١١، ٣١٤،
 ٣٢٠، ٣٣٣
 إسحاق (ع): ٣٠٣
 إسماعيل (ع): ٤٢١
 أسماء: ١٣٩
 أسماء بنت مرثد: ١٩٥
 إسماعيل (ع): ٣٠٣
 أم سلمة: ١٤٧
 امرأة فرعون: ٢٦
 أنس (بن مالك): ١٣٥
 أبو أيوب: ١٣٠
 بشر: ١٨٧
 أبو بكر (الصديق): ٨٤، ١١٤، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٤،
 ١٧٠
 أبو بكرة: ٩٥، ٩٨، ١٠٢
 بلال: ٢٣٨
 بلقيس: ٣٠٧، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٠،
 ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٠
 جبريل (ع): ٢٦٨، ٣٣٧، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٥٧،
 ٤٢١

عمّار: ٢٣٨
أبو عوسجة، أبو عوسجة الأعرابي: ١١، ٢١، ٢٧،
٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٤، ٤٤، ٥٢، ٥٦، ٦١، ٦٤،
٦٧، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ٨٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٣،
١٤٧، ١٦٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٨،
١٩٩، ٢٠٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣١، ٢٣٦،
٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤،
٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٥،
٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣١١، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٦،
٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٥٧،
٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣،
٣٩٩، ٤٠٥

عويمر: ١١٢

عيسى (ع): ١٦، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٢٣٣، ٢٤٨
بنت حَيَلان: ١٤٧
فاطمة، فاطمة بنت محمد: ٣٤٣

الفراء: ٣٢٥

فرعون: ٢٦، ٣٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥،
٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣،
٣٦٤

قنادة: ١٤، ٦٣، ١١٣، ١٧٠، ٢٣٧، ٣١١، ٣٢٢،
٣٤٤

القتبي: ١١، ١٧، ١٨، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٤،
٣٧، ٦١، ٦٤، ٦٩، ٧٨، ١٤٧، ١٧٨، ١٨٤،
١٨٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٩،
٢٣٦، ٢٤٧، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٥،
٢٩٩، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦،
٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٥٧، ٣٥٨،
٣٦٨، ٣٧١، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٩،
٤٠٨، ٤٠٥

الکسائي: ٢١، ٥٢، ٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٨،
٢١٧، ٢١٨، ٢٥٨، ٢٦١، ٣٥٩، ٣٧٧، ٣٩١

كعب بن الأشرف: ١٨٧

الکليبي: ٦٣

لوط (ع): ٢٥٣، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٩٦

ماعز بن مالك: ٨٤

بجاهد: ٦٣، ١٢٧

شعيب (ع): ٢٥٣، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٦
صالح (ع): ٢٥٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٩١، ٣٩٤،
٣٩٥

صفوان: ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٧

صهيب: ٢٣٨

الضحاك، الضحاك بن مزاحم: ٨٧، ١٦٧

عائشة: ٤٠، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩،
١٢٠، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤،
١٤٧

عاصم بن عدي الأنصاري: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩

ابن عباس: ٨، ١٢، ١٤، ٢١، ٤٧، ٦٤، ٨٦، ٨٨،
٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٣، ١٠٩، ١١٨، ١٢٠،
١٢٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤،
١٤٥، ١٦٤، ١٨٦، ٢١٠، ٢٥٣، ٢٨٥، ٣٢٦،
٣٣٥، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٤٠٥، ٤١٤

عبد الله بن سلام: ٣٣٩، ٣٧١

عبد الله بن أبي بن سلول: ١١٤، ١١٦، ١٢٠،
١٢٩، ١٦٠

عبد الله بن عمر: ٨٥، ١٠٩، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢٣٠

عبد الله بن مسعود: ٢٠، ٢٨، ٣٦، ٨٧، ١١٢،
١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧،
١٦٢، ١٦٥، ١٦٨، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠١، ٢٣٨،
٢٤٣، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٠١،
٣١٠، ٣١٢، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٥،
٣٧٧، ٣٩٧

أبو عبيدة: ٢٦، ٦٤، ٢٣٦، ٢٣٣، ٣٥٨، ٣٦٢

عثمان بن عفان: ١٥٩، ١٨٦، ١٨٧

عقبة بن أبي معيط: ٢٤٥

علي: ٨، ٨١، ٩٥، ١١٢، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٩،
١٨٧، ١٨٦

عمر بن الخطاب: ٢١، ٨١، ٨٥، ٩٥، ٩٨، ١٠٢،
١١١، ١١٢، ١٥١، ١٥٣، ١٥٩، ١٧٠، ١٩٥،
١٩٦، ٢٧٠

عمر بن شعيب: ٩٨

عمرة: ١٢٠

أبو عمرو بن العلاء: ١٧٠

محمد، رسول الله، الرسول، نبي الله، النبي (ع):
 ١١١، ٣٥، ٤٠، ٤٥، ٤٩، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٧٦، ٧٩، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١٢٠، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٨٧، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٧٩، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٠، ٤٢١

نافع: ١٠٩
 نجدة: ١٥١
 نوح (ع): ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٥٠، ٢٥٢، ٣٠٨، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٣١
 هدهد: ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٩
 أبو هريرة: ١٥٣، ٢٧٨، ٣٤٣
 هلال بن أمية: ٩٩، ١٠٥
 هود (ع): ٢٥، ٢٧، ٢٥٢، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٣٣
 الوليد: ٢٣٨
 يحيى بن أبي كثير: ١٥٧
 يعقوب (ع): ٢٨٣
 يوسف (ع): ٣٠٨، ٣٥٧، ٣٦٢، ٣٧٠
 أبو يوسف: ٢٠٠
 يونس (ع): ٣٤٠

محمد (بن حسن الشيباني): ٢٠٠

محمد بن إسحاق: ٧١، ٨٦، ٣٢٢، ٣٥٧

محمد بن علي: ٢٠٩

مدلج: ١٩٥

مرثد: ٨٨

مسطح بن أثانة: ١٢٠، ١٢٣

أبو معاذ، أبو معاذ النحوي: ١١، ٢١، ٢٢، ٢٩

٣٤، ٣٦، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ٢٢٤، ٢٥٨، ٢٦٣

٢٦٥، ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٩، ٣٢٢

٣٦٣، ٣٧٥، ٤٠٢

المغيرة: ١٣٨

مقاتل بن سليمان: ٢٢، ٢٤، ٧٠، ٧١، ٨٦، ١٦٣

١٦٥، ١٧٦، ٢٧٤، ٣٦٠، ٣٦١

مكائيل (ع): ٤٢١

أبو منصور، الشيخ، الإمام: ٣١٤، ٣٦١

موسى (ع): ١٥، ٢٠، ٢٦، ٣٢، ٢٤٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢

٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠

٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١

٣٦٢، ٣٦٤، ٣٩٢

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

أحد: ٢٤٥	ثمود: ٣٠، ٢٥٢، ٣٩١
إخوة يوسف: ٣٦٣	حنة المأوى: ١٠
أصحاب الأيكة: ٣٣، ٣٣٢	حنة النعيم: ١٠
أصحاب الرس: ٢٥٣، ٢٥٢	حنود إبليس: ٣١١
آل عمران: ٣٣	الحبش: ١٦٢
أهل سبأ: ٣٧٥	الحبشية: ٢٠
أهل مدين: ٣٣٣، ٣٣٢	الحديبية: ١٩٣
أهل مرو: ٣٦٣	ديار القبط: ٣٩٥
أهل مصر: ٣٠٢، ٢٩٩	الروم: ١٠، ٨١
أهل مكة: ٤٣، ٨٦، ١٧١، ٢٤٨، ٢٥٣، ٣٠٣، ٣٤٢، ٣٦٣، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤٢٦	الزحل: ١٧٠
أولاد إبراهيم: ٣٠٣	الزُّهرة: ١٧٠
الأيكة: ٣٣٢	السريانية: ٢٠
بحر الروم: ٤٠٠	الشام: ١٣٤، ١٧٢
بحر الشام: ٤٠٠، ٢٦٣	الصفاء: ٣٤٤
بحر العراق: ٤٠٠، ٢٦٣	الطائف: ١٤٧
بحر الفارس: ٤٠٠	الطور: ٢٠
بدر: ٤١١، ٢٤٥	عاد: ٣٠، ٢٥٢، ٣٢٠
بنو آدم: ٣١١، ٣١٤	عدن: ١٠
بنو إسرائيل: ٣٣، ٢٩١، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٣٨، ٣٩٥، ٤٠٩	العرب: ١٦، ٣٥، ٥٨، ٦٥، ١٧٠، ١٧٢، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٨، ٢٦٣، ٣١٩، ٣٢٥، ٤٠٥
بنو أمية: ٢٨٥	عرش بلقيس: ٣٧١
بنو عبد المطلب: ٣٤٣	عطارد: ١٧٠
بنو عبد مناف: ٣٤٣	فردوس: ١٠، ١١
بنو قصي: ٣٤٣	القبطي: ٢٨٨، ٢٨٩
بنو هاشم: ٣٤٣	قريات لوط: ٢٥٣
بيت المقدس: ١٦٣	قريش: ٢٣٨، ٢٨٢، ٣٤٣

قوم شعيب: ٣٣٤
قوم صالح: ٢٥٢
قوم عثمان: ١٨٧
جمع فرعون: ٣٠١
قوم موسى، جمع موسى: ٣٩٢، ٣٠١
قوم نوح: ٢٦، ٢٧، ٢٥١، ٣١٤، ٣١٩، ٣٣١
قوم هود: ٢٥٢
قوم يونس: ٣٤٠
الكعبة: ١٦٣
اللوح المحفوظ: ٤٢، ١٦٢
مدین: ٣٣٣
المدینة: ٨٦، ١٣٤، ١٩١، ١٩٢، ٣٣٨
المزدلفة: ٣٠٢
المشتری: ١٧٠
مكة: ٥٨، ١٣٤، ١٩٢، ١٩٣، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٦٧،
٣٦٣، ٣٢٨

فهرس الأدبان والفرق والمذاهب والجماعات

الجهمية: ٧٠	أزواج النبي، أزواج رسول الله: ١١٧، ١٤٧
الخوارج: ٢٣٧، ٢٧٦	الإسلام: ٣٥، ٨١، ١١١، ١٢٩، ١٦٤، ١٩٣،
الدهرية: ٢٨، ٥٨، ٣٩٩	٢٣٧، ٢٧٧، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٨٣،
دين إبراهيم: ١٦٢	٤٢٥، ٤٠٦، ٣٩٠، ٣٨٩
الصحابة: ١٥٩	أصحاب أبي بكر: ١١٤
الفلاسفة: ١٦	أصحاب الكبائر: ٢٧٦
كفار مكة: ٥٨، ٢٢١، ٢٦٧، ٣٢٨	أصحاب رسول الله: ٤٩، ٩٥، ٢٠٩
الجوس: ٥٨	أصحاب عائشة: ١١٤
المشبهة: ١٦٤	أصحاب موسى: ٢٩٩
مشركو العرب: ٥٨، ٤٠٥	الأنصار: ١٩٥، ٣٤٩
المعتزلة: ٣٨، ٦١، ٨٢، ١١٤، ١٢٢، ١٥٥، ١٧٩،	أهل الأدب: ٢١٧، ٢٣٤، ٣٨٣، ٤٠٥
٤١٢، ٣٦٦، ٣٥٥، ٢٨٤، ٢٦٢، ٢٣٧، ٢٢٠،	أهل الإسلام: ١٢٠، ١٨٦، ٤١٢
٤٢٢	أهل الإيمان: ٤١٢
المفسرون: ٢٢٩	أهل التأويل: ١٤، ٢٤، ٢٦، ٣٣، ٣٥، ٤٣، ٤٥،
منكر البعث: ٤٠٣	٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧١،
المهاجرون: ٨٦	٧٤، ٨٦، ١٢٣، ١٦٠، ١٧٥، ١٨٦، ٢٠١،
النصارى، النصراني: ٣٦، ١٦٢، ١٦٣،	٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٣٦، ٢٣٨،
النصرانية: ١٤٢، ٣٣٠	٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٩٦، ٢٩٨،
اليهود، اليهودي: ٨٦، ١٦٣، ١٨٧، ٣٣٨،	٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٨،
اليهودية: ١٠٥، ١٤٢	٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١،
	٣٦٧، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٧،
	٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٥
	أهل الجهاد: ٢٠٦
	أهل القبلة: ٨٦
	أهل الكتاب: ٨٦، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٩٨، ٣٢٨،
	أهل الكلام: ١٦٣، ٢٣٩
	أهل اللسان: ٢٢
	أهل النفاق: ١٢٠
	الباطنية: ٦٤، ٧٣، ٣٣٧، ٣٦٩، ٣٧٢،
	الثنوية: ٨، ٢٨، ٥٨، ٣٩٩، ٤٠١

فهرس الأشعار

- رأيتُ ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقلُ ٢١
- للهِ دُرُّ بني عليٍّ أئيمٌ منهمٌ وناكح ١٥١

فهرس الكتب

الإنجيل: ١٩٣، ٢٢٢، ٢٤٨

التوراة: ١٩٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٤٨، ٢٥٠

الزبور: ١٩٣، ٢١٨، ٢٤٨

القرآن الكريم، كتاب الله: ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨،

٥٧، ٧٧، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٩، ١٥٦، ١٦١،

١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٩٣،

٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٤٦،

٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٧،

٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧،

٣٥٦، ٣٥٧، ٣٧٦، ٤١٠، ٤١١، ٤١٥، ٤٢٥

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

- ألم تر: معناه ١٨٠
- إبراهيم (ع): قول أهل التأويل "إنه كذب ثلاثاً..." كلام لا معنى له ٣٠٨
- الاجتهاد: العمل به في الأغلب من الرأي ١٩٨
- أحسن الخالقين: معناه ١٧-١٥
- الآخرة:
- حكمتها ٧٣-٧٢، ١٨-١٧
- اختلاف المواطن فيها ٦٦-٦٤
- الإرادة: إرادة الله وإرادة العبد ٢٨٤
- أرحم الراحمين: معناه ٧٦
- الاستكبار: معناه ٢٤٠-٢٣٩
- الإسرائيليات: ردها ٣٩٠-٣٨٩، ٣٢٨، ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٦
- الإسراف: معناه ٢٧٤-٢٧٣
- الأسف: معناه ٢٨٣
- الأصلح ٣٦٦-٣٦٥، ٢٦٢-٢٦١، ١٢٢، ٦١، ٣٩-٣٨
- أفعال العباد ٤٢٣-٤٢٢، ٣٦٦-٣٦٥، ٣٥٦-٣٥٥، ٣٠٢، ٢٢٠، ٢٠
- الألفاظ: ليس على الناس تكلف حفظ الألفاظ في الأحكام ٣٥٨-٣٥٧
- الإلهام: معناه ٣٧٠
- الآهة: تسمية الأصنام آهة ٢٢٠
- الأمانة: ما هي الأمانات ١٠
- الأمر: خروجه على التهديد والتوعد ٢٩٧
- الأنبياء:
- من معجزاتهم اتباع الضعفاء لهم ٣١٦
- لا يدعون على قومهم بالهلاك إلا بإذن من الله تعالى ٣١٩-٣١٨
- الإنسان:
- خلقه من سلالة وغيرها ١١
- معنى إنشائه خلقاً آخر ١٤
- الأنعام: معناه ٢٢
- الأهل: معناه ٣٩٧
- الآية:
- معناها ٢٨٦
- معناها في ابن مريم وأمه ٣٤-٣٢

الإيقان: معناه	٣٥٥ ، ٢٩٤
الإيمان والعمل	٣٥٤ ، ٢١١ ، ٦٣-٦٢ ، ٧
البحر: معنى الحاجز بين البحرين	٤٠٠
البرزخ: معناه	٦٤-٦٣
البعث: إثباته	٢٩٢ ، ٥٤
التأويل:	
الاحتجاج بظاهر المخرج باطل	٢١٢-٢١١
رد تأويل الباطنية	٣٧٣-٣٧٢ ، ٣٦٩-٣٦٨
تبارك: معناه	٢١٩ ، ٢١٨-٢١٧
التسييح: تسييح من (ما) في السماوات والأرض	١٨٢-١٨٠
التسييح بحمده: معناه	٢٦٧
التستر: للشابة والعجوز	٢٠٤-٢٠١
التنزيه: تنزيه الله تعالى عن الولد والشريك	٢١٩
التوبة: هل ترفع جزاء الجرم	٩٩-٩٧
التوراة	٢١٨
الجيال: معنى مرورها مَرَّ السحاب	٤٢٢-٤٢١
الجحد: معناه	٣٦٥
الجن: ليس لهم ثواب إذا أطاعوا سوى النجاة من العقاب	٢١٩-٢١٨
الحاجز: معنى الحاجز بين البحرين	٤٠٠
الحجة: حصولها بوجوه ثلاثة	٧٥-٧٤
الحدود: يجعلها زواجر	٨٠
الحسنة: معناها	٤٢٤-٤٢٣
الحشر: كونه جسمانيا	٦٤-٦٣
الحق: معناه	٥٧ ، ٤٩-٤٨
الحمد: وجوبه على كل من أنجاه الله من الظلمة	٢٦
الخالق: معنى أحسن الخالقين	١٧-١٥
الخشوع: معناه	٨
الخلق: خلق الشيء لا من شيء	١٤
الرحمن: العرب لا تعرف الرحمن معبودا	٢٦٨ ، ٢٤٥
الرحيم: من أسماء الله تعالى	٣٤٦
الرؤيوة: معناها	٣٤
الركوب في الأسواق: هل هو مكروه	٢٣٨-٢٣٧
الزبور	٢١٨
الزنى:	
أحكامه	٨٥-٨٠
سبب تشديد عذابه	٩١-٩٠
السلالة: معناها	١١

٢١٠	السلام: معناه
١٨	السماء: سبع طرائق
٧٨-٧٧	السورة: معناها
٤٢٥	السيئة: معناها
٦١-٦٠	الشیطان: التعود من همنزه
٢٠١-٢٠٠	الصبي: سن بلوغه
٥١	الصراف المستقيم: معناه
٢٥	الصفات الخيرية: الأعين الصلاة:
٨	الخشوع في الصلاة
١٠	معنى محافظتها
٤٢١-٤١٨	الصور: النسخ في الصور معناه وعدده
١٦٩	ضرب الأمثال: حكمته
٢١-٢٠	طور سيناء: معناه
٣٥	الطيبات: معناها
٢١٢-٢١١	الظاهر: الاحتجاج بظاهر المخرج باطل
٢٥٧	الظل: خصائصه
٢٤٠	العُتُو: معناه
٧١-٧٠	عذاب القبر
٧٤-٧٣	العرش: معناه
٣٤٦، ٢٨٦	العزیز: من أسماء الله تعالى العصمة:
٢٩٠	العصمة قبل النبوة
٣٠٨	لا ترفع عن أصحابها الخوف
٣٨٦	العفريت: معناه
٤١٣	العلم: علم الله عز وجل أزلي وأبدي
٢٣٨-٢٣٧	العلماء: يجب أن يكون تعززهم بالعلم الذي أعطاه الله لهم
٨٠-٧٩	عموم الخطاب وخصوصه
٣٠-٢٩	الغُثَاء: معناه
٣٠٩	الغناء: له فضل في الدنيا والآخرة
١٥٧-١٥٦	الغناء والفقير: أيهما أفضل؟
٤٠٣	الغيب: معناه
٣١	الفترة: أهل الفترة
٢٣٨	الفتنة: جعل الله تعالى بعض الناس فتنة لبعض
١١-١٠	الفردوس: معنى جنة الفردوس
٤٠٨	الفضل: معنى فضل الله على الناس
١٥٧-١٥٦	الفقير والغناء: أيهما أفضل؟

٧ الفلاح: معناه
١٠-٧ طرق الوصول إليه
	القذف:
١٠٣-٨٩ أحكامه
٩١ حكمة تشريعه في الرجال دون النساء
١١٨ حكمة تشديد الله تعالى أمره
	القرآن:
٢١٨-٢١٧، ٧٧ معناه
٢٤٨ كون لفظه من الله
٣٣٨-٣٣٧ نزوله بلفظه
٢١٨-٢١٧ تسميته فرقانا
٢٤٩-٢٤٨ حكمة إنزاله بالتفاريق
٣٤٣ كونه محفوظا من المتنبئ بأن ينطق به
٢٣-٢٢ قصص الأنبياء: حكمة ذكرها في القرآن
٥٣ القليل: يجيء بمعنى النفي
٣٤٩-٣٤٨ الكاهن: كونه كاذبا
٨٣-٨٢ الكبيرة
٤٢ الكتاب: كتاب الأعمال
٣٨٧ الكريم: من أسماء الله تعالى
١١٣-١٠٣ اللعان: أحكامه
٣٢ لعل: معناه
٨ اللغو: معناه
	الله:
٢٩٣ لا يمكن أن يعرف ماهيته ولا أن يحس
١٦٩-١٦١ معنى ﴿الله نور السماوات والأرض﴾
٤١٨-٤١٦ الليل والنهار: معنى كونهما آيتين
٥٢ المبلسون: معناه
٣٥٣ المبين: معناه
٩ المتعة: عدم جوازها
٢٥٧ المحسوسات: منها ما لا تدرك حقيقتها
	محمد (ع):
٤٠٧، ٢٦٢، ٥١ إثبات رسالته
٤٢٦-٤٢٥ إثبات نبوته
٦٠ تعزيبه وتصبيره على أذى المشركين
٢٧٧ المرتد: هل تقبل توبته؟
٢٣٧ مرتكب الكبيرة
٢٨٤ المعجزة: لا تضطر أهلها على الإيمان

- المال: معناه ٣٨٠
- موسى (ع):
- معنى ضيق صدره وكلاله لسانه ٢٨٨-٢٨٧
- من معجزاته خروجه سرّاً من بين القبط ٣٠٠
- النجاة: كونها برحمة الله تعالى ٣٧١
- النظر إلى الأجنبي والأجنبية ١٤٨-١٣٧
- النعمة: أمهات النعم ٥٣-٥٢
- النفخ في الصور: معناه وعدده ٤٢١-٤١٨
- نكاح الزاني والزانية ٨٩-٨٥
- النكاح:
- لم يأذن الله تعالى للذي عجز عن النكاح استباحة الفروج ١٥٥-١٥٤
- هل يجوز نكاح النصرانية بشهادة النصرانيين؟ ٣٣٠
- التهباء: معناها ٢٤٢
- الهدى: معناه ٤١٢
- الوارث: معناه ٣٦٧
- الوعظ: معناه ٣٢٤

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **أحكام القرآن؛**
تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن الرازي الجصاص، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).
- **الأدب المفرد؛**
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- **الإصابة**
في تمييز الصحابة؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- **الأنساب؛**
تأليف أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، بيروت ١٩٩٨م.
- **التاريخ الكبير؛**
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق السيد هاشم الندوي، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).
- **تفسير ابن كثير**
... المسمى تفسير القرآن العظيم؛ تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، بيروت ١٤٠٨هـ.
- **تفسير الطبري**
... المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- **تفسير غريب القرآن؛**
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
- **تفسير القرطبي**
... المسمى الجامع لأحكام القرآن؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحلیم البردوني، القاهرة ١٩٦٧م.
- **تفسير مقاتل**
... المسمى تفسير مقاتل بن سليمان؛ تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، القاهرة ١٩٧٩م.

- **تهذيب التهذيب؛**
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، حيدارآباد ١٣٢٥-١٣٢٧هـ/
١٩٠٧-١٩٠٩م.
- **تهذيب اللغة؛**
تأليف أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، بيروت ٢٠٠١م.
- **الثقات؛**
تأليف أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، بيروت ١٩٧٥م.
- **حجة القراءات؛**
تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٠٤هـ/
١٩٨٤م.
- **حلية الأولياء**
وطبقات الأصفياء؛ تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الإصفهاني، بيروت ١٤٠٥هـ.
- **الدر المنثور**
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي،
بيروت ١٩٩٣م.
- **ديوان أمية**
ابن أبي الصلت؛ تحقيق عبد الحفيظ السطلي، دمشق ١٩٧٤م.
- **روح المعاني**
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن
محمود الألويسي، بيروت ١٩٨٥م.
- **زاد المسير**
في علم التفسير؛ تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، بيروت
١٤٠٤هـ.
- **سنن الترمذي؛**
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب
الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **سنن أبي داود؛**
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، نسخة مصورة ضمن موسوعة
السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **سنن ابن ماجه؛**
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب
الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **سنن البيهقي الكبرى؛**
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة،
١٩٩٤هـ/١٩٩٤م.

- سنن النسائي؛

تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- سير أعلام النبلاء؛

تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط- محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٤١٣هـ.

- شرح التأويلات؛

تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة طويقاي سراي، قسم مدينة، رقم ١٧٩ [Topkapı Sarayı ktp., Medine nr. 179]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٥ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 425].

- شعب الإيمان؛

تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بسيوني، بيروت ١٤١٠هـ.

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى؛

تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، القاهرة ١٩٥٠م.

- صحيح البخاري؛

الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- صحيح مسلم؛

تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- الطبقات الكبرى؛

تأليف أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري المعروف بابن سعد، بيروت بدون تاريخ (دار صادر).

- كتاب الزهد؛

تأليف أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- كتاب المصاحف؛

تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق Arthur Jeffery، Leiden ١٩٣٧م.

- القاموس المحيط؛

تأليف أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاهرة ١٣٣٠هـ.

- كشف الظنون

عن أسامي الكتب والفنون؛ تأليف كاتب جلبي مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **كنز العمال**

في سنن الأقوال والأفعال؛ تأليف علاء الدين علي بن عبد الملك حسام الدين بن قاضيخان المتقي الهندي، بيروت ١٩٨٩م.

- **لسان العرب؛**

تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

- **مجاز القرآن؛**

تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، بيروت ١٩٨١م.

- **المستدرک**

على الصحيحين؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- **مسند الشهاب؛**

تأليف أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- **مصنف عبد الرزاق؛**

تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعائي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ.

- **المصنف؛**

... الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار؛ تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض ١٤٠٩هـ.

- **معجم الأدياء؛**

تأليف أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي المعروف بياقوت الحموي، بيروت ١٩٩١م.

- **المعجم الكبير؛**

تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

- **المعجم الأوسط؛**

تأليف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة ١٤١٥هـ.

- **مسند أحمد بن حنبل؛**

تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م؛ وتحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩/١٩٩٩.

- **معجم القراءات القرآنية؛**

تأليف الدكتور عبد العال سليم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٩٧م.

- معاني القرآن وإعرابه؛

تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي ، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- الموطأ؛

تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- النهاية

في غريب الحديث والأثر؛ تأليف أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

- الوافي بالوفيات؛

تأليف أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، بيروت ٢٠٠٠م.

EBÛ MANSÛR el-MÂTÜRÎDÎ
ö. 333 / 944
TE'VÎLÂTü'l-KUR'ÂN

İlmî Neşre Hazırlayan
Dr. Halil İbrahim KAÇAR

İlmî Kontrol
Prof. Dr. BEKİR TOPALOĞLU

Onuncu Cilt

İstanbul
2007

ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

Dizgi ve Sayfa Düzenlemesi
Ali Haydar Ulusoy
İsa Yücel

Kapak
Nüans Ajans

Kapak Resmi
Nuruosmaniye Kütüphanesi Nüshası No: 123

Baskı
Acar Basım ve Cilt Sanayi A.Ş.

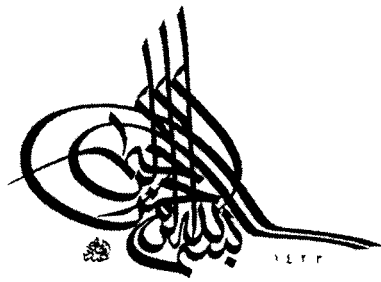


Teşvikleriyle Yayımlanmıştır

دارالميزان
MIZAN YAYINEVİ

Sultanselim Cad. No:11 Fatih/İSTANBUL
Tel: 0.212 531 42 64 Fax: 0.212 531 78 45

© Bütün yayım hakları Ahmet Vanhoğlu ve M. Masum Vanhoğlu'na aittir.



EBÛ MANSÛR el-MÂTÜRÎDÎ TE'VÎLÂTü'l-KUR'ÂN

İlmî Neşre Hazırlayan
Dr. Halil İbrahim KAÇAR

İlmî Kontrol
Prof. Dr. BEKİR TOPALOĞLU

Onuncu Cilt



ISBN 975-9048-01-3 (tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5



دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ